منبر الإسلام

مع العدد

■ المنتخب من السنة النبوية الشريفة

■ "الفردوس" مجلة الطفل المسلم

الثمن ١٥ قرشا

العدد ٢ • السنة ٣٦ • صفر ١٣٩٨ • يناير ١٩٧٨

منبر الإسلام

يصدرها
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

في غرة
كل شهر عربي

رئيس التحرير
محمد توفيق عويضة

العدد ٢ • السنة ٣٦ • صفر ١٣٩٨

بسم الله الرحمن الرحيم

من محتويات العـــدد

- نص الحديث التاريخى الهام الذى أدلى به الرئيس المؤمن محمد أنور السادات إلى التليفزيون المصرى :
- انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون — الشيخ عبد الجليل عيسى
- تفسير سورة آل عمران — الأستاذ أحمد حسين
- كل الكلمات أصلية فى القرآن الكريم — الدكتور أحمد الحوفى
- خصائص القصة القرآنية — الأستاذ فتحى رضوان
- والله أعلم بما وضعت — الدكتور أحمد حسنين القفل
- الجانب الحضارى فى القرآن الكريم — الدكتور عبد الفتاح محمد سلامه
- الاسلام يصون الأمن ويحمى السلام — الشيخ محمد حافظ سليمان
- دعائم السلم فى ضوء الوحى والتاريخ — الدكتور زكى مشعل
- رحلة السادات بواعث وأهداف — الشيخ موسى محمد على
- على على طريق العودة — الأستاذ عبد العظيم منصور
- من علوم القرآن — الدكتور محمد عبد المنعم القيعى
- من أمثال القرآن — الشيخ أحمد كامل الخضرى
- رجل معارك [قصة العدد] — الأستاذ محمد صالح
- نشيد العام الهجرى — الشيخ الصاوى شعلان

العنوان : ٣ شارع الأمير قدادار المتفرع من شارع التحرير خلف عمارة بحرى القاهرة تليفون : ٢٨١٥٦ ـ تلغرافيا : الاسلام ـ القاهرة .

الاشتراكات : ١٦٠ قرشا فى جمهورية مصر العربية ـ ١٤٠ قرشا للعمال والطلبة تدفع مقدما ، ويضاف إليها البريد خارج جمهورية مصر العربية ، وما يساوى قيمة هـذه العملة فى البلاد الأخرى . . تقبل كوبونات البريد الدولى ذات القرشين .

معالم الطريق

الرئيس المؤمن محمد أنور السادات

الرئيس المؤمن

نص
الحديث التاريخى
الهام الذى
أدلى به
إلى
التليفزيون المصرى
١٩٧٧/١٢/٢٧

أعلن الرئيس السادات فى حديث أذاعه التليفزيون المصرى - ليلة ١٩٧٧/١٢/٢٧ - أن المبادرة قد غيرت بالفعل كثيرا من حقائق الموقف .

١ - أنه كان لابد من إخراج القضية من دائرة المزايدات التى ملأ بها البعث السورى الساحة العربية .

٢ - أنه كان لابد من قرار جرىء من طراز قرار إخراج السوفييت ، وعمل جديد يرتفع فوق أساليب السياسة التقليدية ، ولقد أحدثت المبادرة بالفعل آثارا واسعة المدى ، تفوق كل تصور .

٣ - أن المبادرة أخرجت القضية الفلسطينية من دائرة الضياع ، إلى دائرة الحقيقة ، وأن خلافنا مع الاسرائيليين حول الحكم الذاتى الذى يريدونه ، وحق تقرير المصير الذى نصر عليه يؤكد هذا التقدم الهائل فى القضية .

٤ - أن القدس سوف تعود عربية وتدخل ضمن الوطن الفلسطينى .

٥ - لم يعد هناك خلاف على حدود مصر الدولية وأن هناك إقرارا رسميا من الحكومة الاسرائيلية بذلك .

٦ - أن التحدى الذى نواجهه الآن هو كيف نبنى مصر .

وفى حديثه عن موقف دول الرفض ، حدد الرئيس السادات بوضوح شديد موقف كل دولة ودوافعها ، واضعا لأول مرة النقط فوق الحروف :

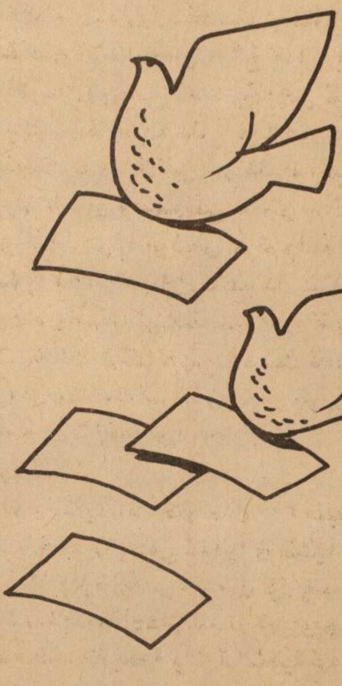

محمد أنور السادات

وفيما يلى نص الحديث

● **همت :** سيادة الريس كل سنة وانت طيب .

■ **الرئيس : كل سنة وانت طيبه .**

● **سؤال :** سيادتك عودتنا كل عام فى عيد ميلاد سيادتك بأنك تجلس جلسة مع شعب مصر وبرضه لحقنا والحمد لله لكن فى أحداث وظروف مختلفة . . ظروف كبيرة جدا بيمر بها شعبنا وأمتنا العربية كلها . . شعبنا النهاردة عايز يسمع الحقيقة كلها من سيادتك . . سيادتك وعدت قبل كده أنه بعد زيارة بيجين حتصارحه بكل الحقائق . . دلوقت شعبنا عايز يسمع سيادتك .

■ **الرئيس : باسم الله . . فى الواقع أنه كنا بنلتقى دائما فى هذه المناسبة فى ميت أبو الكوم لأنه معتاد أنه فى عيد ميلادى باسافر إلى ميت أبو الكوم واقضى فيها اليوم ولكن فى هذا العام تحدد موعد للزيارة وزيارة بيجين لمصر واتصلوا بى من الولايات المتحدة لأنه كان رئيس الوزراء بيجين فى الولايات المتحدة فى ذلك الوقت وحددنا اليوم وفوجئت انه وانا باحدد طلع عيد ميلادى . . عيد الميلاد المجيد من ناحية وعيد ميلادى أنا ايضا . . وحصل حتى تردد من جانب رئيس الوزراء بيجين فى هذا ومتصور أنه إحنا أنا باكون باحتفل بعيد ميلادى والا حاجة . . كل احتفالى بيتلخص فى أن باروح أقعد فى ميت أبو الكوم بس . . وإحنا ما اعتدناش فى الفلاحين الحاجات فى المناسبات دى نحتفل فى الفلاحين عندنا بنحتفل بمولد النبى . . بنحتفل بليلة الاسراء والمعراج . . بنحتفل بنص شعبان وبرضه احتفال مش زى بتاع المدن ولا الخواجات الافنديات بنحتفل . . الاحتفال عندنا فى المناسبات دى بنذبح وزة . . بتبقه حاجة كويسة**

قوى . . يدبح وزة يدبح بطة . . جوز فراخ وده الاحتفال ولا يزال لغاية النهاردة فى الريف عندنا فى المناسبات الدينية بالذات أما عيد الميلاد بتاع الفرد ده عادة فى الواقع فى المدن مش عندنا فى الأرياف . . أنا سعدت جدا لأنه صادف عيد ميلادى السنة دى مناسبة كبيرة جداً عاشها ولايزال يعيشها العالم معانا بعد زيارة ٣٠ ساعة للقدس اللى تمت فى عشرين نوفمبر الماضى . . أربعين يوم فقط تقريبا من وقتها لغاية دلوقت وتغير العالم كله . . أما قلت فى المؤتمر الصحفى أمس أنه عالم مابعد زيارة القدس يختلف عن عالم ماقبل زيارة القدس أنا ماكنتش بابالغ أبدا . . **إلى هذه اللحظة خلال الأربعين يوما الماضية وإلى اليوم العالم كله منشغل بقضيتنا وبيتابعنا . . وبالأمس بس يعنى المحادثات انتهت أمس بالأمس بس فقط رئيس وزراء بريطانيا ضرب تليفون واتصل بى علشان يناقش الموضوع ويهمنى و . . و . . و . . الرئيس كارتر واحنا فى المباحثات أول امبارح بعت حاول يتصل بينا فى التليفون كان الجو يمكن ماكانش مناسب من ناحية القمر الصناعى والحاجات التكنولوچى الحديث فصمم أنه يبعث رسائل وبعث رسالة لى انا ولرئيس الوزراء بيجين تلقيناها وحنا فى المؤتمر اول امبارح . .**

كل العالم من حولنا . .

□ **فى خطبة القدس أمام الكنيست اكثر من ٣٠٠ مليون نسمة كانوا أمام التليفزيون حتى قالوا فى المانيا أن الشوارع فضيت فى ألمانيا مرتين ، مرة لما نزل أول إنسان على القمر وكان المشاهدون الألمان كلهم فى بيوتهم بيشوفوا هذه اللحظة التاريخية والمرة الثانية كانت أثناء إلقاء خطابى فى الكنيست ، زيارتى استغرقت ٣٠ ساعة وأحدثت هذا الأثر أنا حقيقة ، مندهش لهذا الحد كان تاثير المبادرة : لهذا الحد كان التجاوب من العالم**

كان لابد من قرار جرئ .. وخطوة تتجاوز كل أساليب السياسة التقليدية .. لهذا ذهبت إلى القدس .

كله ، مافهمتش هذا إلا لما رجعت من رحلة القدس وخرجت القاهرة كلها وانا باعتز بهذا كل الاعتزاز وحا اظل اعتز به إلى آخر حياتى ، شعبنا دائما يسبق ، أنا اذكر فى مبادرة ٧١ ما كانش بقى لى رئيس جمهورية اكثر من شهور ، وجيت فى ٤ فبراير ، ٧١ عملت مبادرة .. كل من حولى ، كان فى اللجنة التنفيذية العليا اللى كان أغلبيتها مراكز القوى ، الناس اللى بيشتغلوا معايا فى الدولة وفى السلطة التنفيذية ، الكل صعقوا لما سمعوا المبادرة بتاعتى وأنا باعلنها فى ٤ فبراير ٧١ بل البعض منهم من بتوع مراكز القوى قالوا طيب بقى يروح يدافع عن مبادرته دى قدام الشعب الشعب بكره حايطلع ضد هذا الكلام ، أنا قلت المبادرة الصبح ، بالليل كان الشعب بيعبر بكل التأييد ، دا كانت يوم خميس يوم الجمعة فات ، يوم السبت الصبح لقيت طابور اللجنة التنفيذية العليا اللى قالوا طيب يروح يشوف بيقى يدافع عن المبادرة أمام الشعب ، لقيت طابور جاى لى بالدور يقولوا مافيش ، أحسن من كده ومافيش أروع من كده لانه كان الشعب سبق وزراء كثير ما فهموهاش فى ذلك الوقت .

مصر تستوعب أخطر الأحداث

أعضاء اللجنة التنفيذية العليا أنا قلت أغلبيتهم من مراكز القوى جميعا ، مافهموهاش لكن الشعب كان سابق ، من هنا أنا حقيقة باعتز بأنى ابن لهذا الشعب من هذا التراب وباعتز بكل ذرة تراب ، هنا فى بلدنا أو ذرة رمل ، باعتز بالانسان المصرى اللى سبع آلاف سنة ، جعلته انسان حضارى بسرعة يستطيع أن يستوعب أخطر الأحداث ويحللها التحليل السليم أحكى القصة إزاى ٣٠ ساعة غيروا مجرى الأحداث بتاع ٣٠ سنة : باقول اكثر ان ٣٠ ساعة لها تاريخ عبر آلاف السنين وتاريخ كله تاريخ بلدنا وشعبنا مرتبط ببعضه باتذكر سيدنا موسى عليه السلام لما خرج ببنى إسرائيل من مصر وعبر البحر الأحمر ودخل إلى سيناء منذ ذلك الوقت وهناك حقيقة قضية ، ربنا سبحانه وتعالى حدثنا عنها فى القرآن بالكامل ، وتحدثت عنها الكتب السماوية الانجيل والتوراة اللى بيحصل اليوم له جذور عميقة جدا فى التاريخ وتاريخ هذا البلد ، تاريخ مصر ابتدى القصة إزاى فكرت فى هذه المبادرة يمكن أنا حكيت قبل كده لبعض الوكالات ولبعض الصحف ، إزاى بدأت المبادرة أو أحكى إيه التصرفات اللى بتجرى من حولنا دى والخلفيات بتاعتها حديث طويل كمان جدا لأنه لكل اللى بيسموا نفسهم جبهات الرفض دول كل واحد منهم وراءه خلفية كبيرة خالص .

معركة أكتوبر تكتمل بالمبادرة

● **همت مصطفى : هو الشعب يحب يسمع الحقيقة كلها فى هذه الظروف التاريخية ياسيادة الرئيس .**

□ **الرئيس السادات :** ارجو أن أستطيع أن ألخصها وما أطولش على الناس زى ما حكيت أو سمعونى قبل كده ، باقول أنه بدأ التفكير فى هذه المبادرة من فترة طويلة ، أنا باعتبر معركة أكتوبر لا تكتمل إلا بالمبادرة الأخيرة اللى هى مبادرة الـ٣٠ ساعة لم تكن حرب أكتوبر بالنسبة لى قد انتهت أبدا بوقف إطلاق النار والاتفاقين بتوع فض الاشتباك لا أبدا ، لم تنته معركة أكتوبر ، إلا بمبادرة زيارتى للقدس يمكن ما كانش هذا الكلام فى ذهنى أبدا وقت حرب أكتوبر ودا بالتأكيد ولا بعد حرب أكتوبر ودا أيضا بالتأكيد إنما أنا فوجئت بعملية السلام اللى ابتديناها مباشرة بعد حرب أكتوبر وجاء هنا كيسنجر فى نوفمبر ٧٣ بدأنا بما يسمى النقط الست ، ثم بعد ذلك تم فض اشتباك أول فى سيناء ، وفض اشتباك أول فى الجولان فى سوريا وكانت أيامها تسمى هذه العملية بسياسة الخطوة خطوة .. يعنى تاريخ طويل لو حكيت ليه إحنا أخذنا بهذه السياسة **« الخطوة خطوة » لكن ملخصه بسيط جدا انه لم يكن فى الامكان الدخول مباشرة إلى صلب الموضوع وهو اتفاق السلام لانه الظروف لم تكن مهياة ، لذلك مش من جانبنا لا من ناحية إسرائيل من ناحية ومن ناحية امريكا هى الاخرى وعلى ذلك فضلنا عملية الخطوة خطوة واسفرت عن فض اشتباك اول وفض اشتباك ثان ، من اول ما جاء كيسنجر هنا علشان النقط الست عقب حرب اكتوبر مباشرة .**

• طفل ليبيا يردد أقوال الاسرائيليين

وأحنا فى هذا الجو اللى بيحاول الجماعة اللى بيسموا أنفسهم رافضين أنهم يخلقوه ما تغيروش أطلاقا . . كنا فى ديسمبر ٧٣ مابقاش لنا شهرين من المعركة والقوات بتواجه بعضها وهم واقفين فى الثغرة أمامى وأنا واقف وباجهز لمعركة الثغرة وفى ديسمبر فعلا انتهت الخطة **وعينت سعد مامون قائدا لقوات تصفية الثغرة وحاطين لى ٤٠٠ دبابة فى الثغرة لانها كانت عملية مسرحية تليفزيونية وبيحاولوا انهم على طريقتهم زى ما كان بينجحوا زمان يعملوا على حرب نفسية . . طيب المكان اللى فيه ٤٠٠ دبابة فى الثغرة دول ما يستطيعش يستوعب أكثر من ١٠٠ أو ٢٠٠ دبابة علشان يقدروا يناوروا للمعركة لكن جابوا ٤٠٠ ليه علشان يقولوا القاهرة** مهددة ولقد خرج بالفعل وفى العالم العربى من يردد هذا الكلام معاهم ، الولد الطفل بتاع ليبيا يقول القاهرة مهددة ، دى كانت حرب نفسية بحتة ، طب حوالين هذه الثغرة حشدت ٨٠٠ دبابة وحائط صواريخ كامل بمعدل صاروخ ونصف لكل دبابة إسرائيلية صاروخ أرضى من الأرض – أرضى غير حائط الصواريخ دا كان بتاع من الصواريخ أرض – جو اللى ضد الطائرات والحائط المشهور بتاعنا والمعركة كانت حاتكون من أروع المعارك ومغرية جدا لأن الطرف الآخر أقامها على عملية مسرحية نفسية مالهاش جذور استراتيجية ، تخوفنى أبدا ، وأنا رجل فاهم شغلى وعارفه يعنى أنا مش سياسى فقط ، أنا عسكرى قبل ما أكون سياسى ، المعركة ماكانتش حاتاخذ منى حاجة لا فيه قناة حا أعديها . . لا فيه خط بارليف حا يعترضنى أبدا ما فيش شىء وتفوق ساحق ٤٠٠ دبابة عندهم .

سألت الاسرائيليين لماذا رفضتم مبادرة ٧١

عندى ٨٠٠ : صاروخ ونصف لكل دبابة من عندهم ، كمان غير الدبابات بتاعتى ما هى ضعفهم لا . . صاروخ ونصف مضاد للدبابات اللى وراهم الويل فى سيناء موجود لكل دبابة من الـ ٤٠٠ المعركة كانت بتاع ساعات لأنه زى ما قلت لا قناة أمامى حا أعديها ولا خط بارليف حا اقتحمه ويعطلنى أبدا دى عملية تتم فى ساعات ، بتندفع ونخطط الخطة فى ٣ اتجاهات فبنفتت القوس الاسرائيلى إلى ثلاثة إتجاهات إلى ثلاثة قطاعات مباشرة ، بنوصل القناة وعلى البحيرات المرة وبيسير تصفية الجيوش الثلاثة ، دول على مهلنا خالص ، كانت معركة تاريخية وجاءنى كيسنجر وسألت السؤال الحيوى قلت له ، قل لى بصراحة أنتم طلعتونى من المعركة ، وأرغمتونى على وقف إطلاق النار ، نتيجة وقوفكم إلى جانب إسرائيل ودخولكم المعركة ، معاها طيب ما هو موقفكم عندما أبدأ تصفية هذا الجيب قال لى إحنا بالتأكيد ، حانحارب إلى جانب إسرائيل ولعلمك هذه المرة لن نسمح للسلاح السوفيتى أن يتفوق مرة أخرى طيب . . والحل قال أبدا هم مستعدون يخرجوا يروحوا على الشرق وأنا قواتى فى الشرق واقفة فى مكانها مارجعتش بوصة عن ما أخذناه بل بالعكس توسعت أكثر . . أنا بأقول الحادثة دى ليه . . لأنه كان ممكن قوى لو انه المسألة بالنسبة لى مسألة انتصار ومجد ماكانش حايكون أمجد من هذه المعركة أبدا لأنه ٤٠٠ دبابة وعشرة آلاف عسكرى إسرائيلى ، ما كانش حايفلت منهم حد إطلاقا .

● همت : مثل المعركة الأصلية يا أفندم ؟

■ **الرئيس : المعركة الأصلية الخمس فرق واقفين إنما دول عندى مكان حايفلت منهم حد أبدا . . لو انها العملية مجد شخصى .**

معركة مغرية جدا لأنها معركة مكسوبة من قبل ما أبتديها ، ولكن أبدا . . لما كيسنجر قال لى مستعدين يخرجوا فى فك الاشتباك اللى إحنا فى النقاط الست كنا اتفقنا عليه قبلها بشهر كنا اتفقنا فى نوفمبر . . الكلام دا كان فى ديسمبر ، طب معركة ممكن اكسبها بالسلم بدلا من الحرب لا أتردد مباشرة ، المسألة ليست مجد شخصى وليست مسألة غرور وانتصار أبدا يعنى هدفى كله هو لو أنهم استجابوا لمبادرتى فى ٧١ لما كانت حرب أكتوبر وقلت هذا الكلام لجولدا مائير وأنا بأزور القدس وقلت لديان وديان كان أيامها وزير دفاع فسألته واحنا فى القدس بأقول له انتوا ليه ما أخنتوش بكلامى فى مبادرة ٧١ ماكانش حاتجرى معركة إطلاقا قالى والله إحنا انتظرنا لقينا جاءت ٧١ قلت أنت عليها سنة الحسم ، قلنا طب نشوف نستنى وطبعا ما قاليش ، لكن أنا عارف هم كان إحساسهم ، من هزيمة ٦٧ أن إحنا جثه هامدة بلا حراك ماقاليش هذا لكن أنا عارفه فقال إحنا استنينا بصينا لقينا سنة ٧١ خلصت دون حسم سنة حسم ولا حاجة قلنا المعنى اللى عندنا خلاص تأكد الجماعة دول لا حراك فيهم إطلاقا . . للتاريخ ليه سنة الحسم لما أعلنت أنا أنها سنة الحسم ليه طلعت مش سنة الحسم مش لأنى أنا كنت باقول شىء أنا لا أقصده لأن بلدى وأهلى وشعبى والعالم كله يعرف أن كل كلمة بأقولها أعنيها . . أبدا أنا كنت أعنى سنة الحسم فعلا وأعنى أن أبدأ المعركة فعلا فى ٧١ إذا لم تستجيب إسرائيل للمبادرة بتاعتى .

السوفيت كانوا السبب فى عدم انهاء عام الحسم

ولكن كان وراء هذا الاتحاد السوفيتى ما عرفتهاش أنا إلا فى سنة ٧٣ رسميا لكن من وقتها أنا عرفتها من يومها ، لما فاتت سنة ٧١ ولم أدخل لعمل حسم ، فهمت من تصرفات القيادة السوفيتية : معى عرفت ايه اللى وراء الكلام ده ، انه

الاتحاد السوفيتى بيقول قول على كيفك سنة الحسم لكن مش حاتقدر تعمل حاجة ، من غير إحنا ما نوافق ، ومن غير إحنا ما نصرح لك بهذا واستحملتها أيامها على أعصابى أمام البلد وأمام العالم كله الحقيقة استحملتها وزى ما قلت أنا ما اعترفوش بها إلا سنة ٧٣ بعدها بسنتين .

أحمد اسماعيل يواجه بريچنيف بالسؤال :

المشير أحمد أسماعيل الله يرحمه قابل برجينيف شخصيا وقال له أنكم عرفتوا سنة الحسم وانتم ما تحركتوش وأخرتوا عنا الأسلحة ومنعتم ما اتفقتم عليه مع السادات فى اكتوبر وكان مفروض يصلوا بالكثير نوفمبر وديسمبر يبقى أن ما كانش سنة الحسم تنتهى فى ديسمبر ٧١ كان يناير فبراير ممكن تبدأ المعركة ، فبريجينيف قال للمشير أحمد اسماعيل الله يرحمه قال له بلغ السادات أنا اللى منعت هذا السلاح عنكم علشان أقول لكم أنه ما تعملوش معركة لأن إحنا مش عاوزين معركة والمعركة فى غير صالحكم بعدها بسنتين عرفت إيه . . ارجع لحديثى . . كيسنجر لما قلت له نصفى وما هو موقف أمريكا قال لى حانخش مع إسرائيل وحانخش بهدف أنه لا ينتصر السلاح السوفيتى أبدا مرة أخرى طيب إيه الحل فى فض الاشتباك ، وهم حايخرجوا يروحوا الشرق . . . طيب ، وراح مسمعنى تقرير وقال لى الصورة أهى قبل ما أجيلك وتحدد أول موعد له يوم ١٩ ديسمبر .

- همت : وسيادتك اللى أعلنت عن مؤتمر چنيف .
- السادات : أنا أعلنت فى ١٦ اكتوبر فى أوج الانتصارات .

اتفقت مع الاسد على فض الاشتباك

- همت : الامر كله نابع من هنا من مصر ؟
- السادات : بالتأكيد ماهو بنحاول نقول لاخواننا السلام ، من هنا والحرب من هنا ، والعبور من هنا وكل انتصار حايكون من هنا ، ما حدش بينكر هذا فى الأمة العربية إلا النفوس الحاقدة بس ودى مالهاش حل عندى الحقد عندى هو الحاجة الوحيدة ما حبش أخش فيها ولا أمل معاها أبدا ، أى شىء آخر ممكن الواحد يحله ، جئنا علشان تنعقد فى جنيف سألنى كيسنجر حاتروحوا ولا لأ ، بالحساب العادى مين اللى يخاف من جنيف ، إحنا ولا اسرائيل احنا خارجين من المعركة ، منتصرين المجتمع الاسرائيلى من أثر الهزيمة ممزق ، إسرائيل بتعانى كل المرارة والجراح ، اللى إحنا عشناها بعد هزيمة ٦٧ ، إسرائيل عليها إنها تيجى فى جنيف علشان تواجه العالم كله ودا اللى طول عمرهم لا يريدونه ، فبداهة جنيف ، لازم نروحها فقلت له إحنا باحثين هذا الموضوع واحنا موافقين ، على الذهاب لجنيف . . قال لى طيب أنا حاتصل بالرئيس الأمريكى ونرتب نفسنا على هذا والمؤتمر يوم ١٩ وهو كذلك قلت له قل للرئيس حافظ سافر من عندى على دمشق يوم ١٢ ديسمبر ٧٣ راح دمشق فجأة أسمع فى دمشق أن سوريا ترفض الذهاب الى جنيف ليه ومصر وافقت ، وبعث لى الرئيس حافظ الأسد يقول لى إنت وافقت على جنيف ، من غير ما نتفق خلاص إحنا مش رايحين ، حانتفق على إيه هى جنيف عاوزه اتفاق علشان نروحها سوا وثم هل هناك شىء ضد المصلحة العربية فى الذهاب إلى جنيف بالعكس دا إحنا بندى لاسرائيل الكرت اللى عايزاه . . مش عايزة جنيف ولا غير چنيف . . وكان عندى قبل كيسنجر ، ما ييجى لى فى ١١ و ١٢ ديسمبر كان فات على هنا حافظ الأسد وكنا بنقول ان فض الاشتباك ، أمريكا تخلص لنا فض الاشتباك على الجبهتين وبقدر الامكان يكون الكلام ده قبل جنيف ، وبعدين نروح جنيف ونبدا بقى مناقشة بحالها والانسحاب الاسرائيلى ، إحنا كنا فعلا اتفقنا على هذا فلما جاء لى كيسنجر ١١ ، ١٢ ديسمبر وتكلمنا على حكاية الثغرة قلت له طيب فض الاشتباك ما دام فيه فض اشتباك ، وانت بتقول إنهم رايحين وبلاش المعركة ، أنا موافق بلاش معركة ، ما دام انتم داخلين فيها ، طيب ما دام عاوزين يخرجوا ، طب ما نخلص فض الاشتباك قال لى إحنا دلوقتى فى ديسمبر فى يناير أعدك أن نبدأ على طول فض الاشتباك وننهيه ليه لأنه محتاج الفترة بقية ديسمبر كلها والجزء الأول من يناير علشان يجهز الساحة فى الولايات المتحدة لهذا الأمر وكسينجر كان بينجح دائما لأنه ما بيقدمش على خطوة من غير ما يدرسها من جميع جوانبها ويهىء لها السبل للنجاح . . فى دوائر الضغط الصهيونية اللى فى أمريكا مع أعضاء الكونجرس مع الصحافة مع الرأى العام الأمريكى ولذلك كان بينجح باستمرار . . أنا وجدت أنه أمر طبيعى يعنى اللى يملك أنه يخلص ويانا فض الاشتباك هى الولايات المتحدة ، وجئت ليناير وعودنى كيسنجر ، أنى أصدقه لأنه ما وعد بوعد ولم ينفذه ، ولا يعد بما لا يستطيع ، إنه ينفذه ، يقول لا ، دا ما أقدرش أنفذه ، إنما فى عمله معى باستمرار كل ما وعد به نفذه . .طيب . . إذا اعتبرت الأمر طبيعى وأعلنا بعد زيارة كيسنجر ، إحنا رايحين چنيف وراح على دمشق ، وبعثت أنا رسالة منى للأسد عن طريق الاتصال المباشر اللى بينى ، وبينه ، قبل ما يوصل له كيسنجر قلت له حصل كذا وكذا فض الاشتباك ، بدل ما حايتم قبل جنيف كيسنجر طلب مهلة ، للشهر اللى جاى يناير علشان يعد نفسه لهذا ، ولكن الرجل لم ينسحب من وعده. . . وعلى ذلك أنا وافقت أن احنا نروح لجنيف دمشق ١٢ ، ١٣ ديسمبر اتقابل معاهم ديسمبر ـ يناير اتقابل معاهم مع الأسد ومع الخدام وعمل محادثاته معهم ومشى من هناك فوجدت رسالة قادمة لى من الأسد إزاى توافق إن إحنا نروح جنيف من غير ما نتفق هنتفق على إيه ، فيه إيه

التهجم على مصر مرفوض وعلى كل إنسان أن يلزم حدوده وأن يعرف حجمه

اللى هنتفق عليه إذا كان ده أمر فى صالح القضية، أفهم لو فيه شىء فى الاستراتيجية العربية خاصة، بالنقطتين الأساسيتين: أرض سنة ١٩٦٧ وحل المشكلة الفلسطينية، وحقوق الفلسطينيين، أفهم أنه لو حصل فى دول تغير، نتفق إنما واحنا رايحين جنيف وبعدين لما حد يجبرنا فى جنيف ناخد موقف، إحنا مش عايزينه بالعكس اللى خايف من جنيف هى إسرائيل مش إحنا، وهى عملية بديهية مش محتاجة تفكير، هو مش اتفاق هو نوع من الاستئذان بهذا الموضوع، إنه فاهم إنى لازم استأذن، وطبعا قبلها بلدنا عارفة وقف إطلاق النار، واللى جرى فيه هم، هم برضه أسلوبهم لم يتغير، الجماعة البعثيين، المعقدين، بتوع سوريا دول، واحنا مش رايحين جنيف وأعلنت سوريا أنها مش رايحة جنيف ولغاية هنا برضه كان ممكن إن سوريا مترحش جنيف وأن إحنا رايحين، وهتكلم عنهم وعن العرب كلهم لأنه إحنا مبنعملش حل منفرد، زى ما علموه الروس، الروس علموا حافظ الأسد كلمه الحل المنفرد ودى جايلنا استيراد من روسيا من بعد المعركة مباشرة.

السوفيت وراء حكاية الحل المنفرد

لما جاء كيسنجر، وعمل معايا النقط الستة، هنا فى أوائل نوفمبر سنة ١٩٧٣، الروس معركة قديمة بينى وبينهم، فيعملوا إيه، لجأوا إلى حافظ الأسد وإلى الفلسطينيين وقالوا السادات عايز يعمل حل منفرد، زى اللى بيقوله راديو موسكو النهاردة، حل منفرد وبغباء شديد، طيب زى ماهحكى، فض الاشتباك الأول كان حل منفرد، وفض الاشتباك الثانى كان حل منفرد، ما هم قالوا الكلام ده كله، طيب إحنا النهاردة فى التسوية برضه حل منفرد، الغباوة هى هى للأسف.

□ هم هاجمونا فيه وعملوه بعد كده زيه بالضبط ـ بالضبط ـ لغاية هنا وبعد كيسنجر ما زارهم فى أوائل ديسمبر سنة ١٩٧٣ أعلنوا انهم مش رايحين أنا، كنت اديت كلمتى لكيسنجر وبعدين أكثر من هذا مش بس كلمتى ده مصلحتنا، مصلحة عربية ومصلحة، القضية، لازم نروح جنيف، ونحط اسرائيل أمام العالم كله، قلت معلش هم مش رايحين، إحنا رايحين، والأردن رايحة وهنغطى الموقف، وأصل المؤتمر ما كانش أساسا، يعنى مقصود بيه إنه هنحل القضية فى ٢٤ ساعة، ـ لأة ـ داحنا نبدأ عملية السلام، بانعقاد جنيف وراوغت إسرائيل فى انعقاد جنيف أشد مراوغة علشان تفلت من عملية السلام.

والحاجة المذهلة، بقى إنه أبص ألاقى إن إحنا بنختلف فى حاجات بديهية. وأنا قلت لما قالوا كده، رديت على الرئيس الأسد، وقلت والله ده مصلحة القضية، وأنا خلاص إحنا رايحين جنيف، ومافيش حاجة تدعو وما دمتم أنتم موقفكم كده والله أنا فى جنيف هقوم عنكم وعن القضية كلها، لأنه ده هدفنا.

المسرحية السورية بعد رحلة كيسنجر

فجأة... لم تمر الأيام وقبل انعقاد جنيف، نلاقى خرج وزير خارجية سوريا عبد خدام إلى الكويت، إلى السعودية إلى الخليج كله، مصر عملت حل منفرد واتفقت مع كيسنجر، مصر باعت القضية، مصر خرجت من المعركة، مصر وبعدين بدأ سب فى الجيش المصرى، الاذاعات اتفتحت علينا بقى.. ـ شىء غريب وأنا جايب لهم فض اشتباك واخبرت حافظ الأسد بيه وشهدت عليه بومدين علشان ميقولش إن أنا مقلتلوش من ساعة كيسنجر ما جالى بالنقط الستة فى نوفمبر اتفقت معاه على فض الاشتباكين فى الجبهة المصرية وفى الجبهة السورية وحددته بالنسبة لنا وحددته بالنسبة لحافظ الأسد وقلت للأسد هذا، وشهدت بومدين فى مؤتمر الجزائر عليه لأنه برضه بيقول حل منفرد قلت له عيب دى فيها نوع من قلة الحياء ـ كفاية يعنى ـ إيه حل منفرد وأنا لو عاوز حل منفرد لن أدارى ولن يمنعنى أحد، فأفاجأ إنه بعد كام يوم إنه فى الفجر جايلى الله يرحمه «عمر السقاف» وزير خارجية المملكة العربية السعودية، بخطاب من فيصل يعنى تقريبا الفجر ويعنى ما مرش ساعات الا وأخطرت أن عبد العزيز حسين وزير الدولة فى الكويت جاى من الشيخ صباح أمير الكويت برسالة، قريت الرسالتين، خدام لما راح قله مصر لما عملت حل منفرد مصر لما خرجت من المعركة وسب فى الجيش المصرى. الناس انزعجوا أشد الانزعاج اللى خلى فيصل [الله يرحمه] يبعتلى «السقاف» فى الفجر وبعدها يجينى «عبد العزيز حسين» من الكويت برسالة نفس الشىء

فقلت لهم ده كلام فارغ ، ده تهريج مصر عند كلمتهـا ، مصر عارفة بتعمل ايه مؤتمر جنيف ، ده فى صـالحنا ، إنمـا لان مصر قالت رايحين ، وهم قالوا مش رايحين يبقى خـلاص عملنا حل منفرد وتآمرنا مع أمريكا على القضية العـربية ، والصـهيونية والامبريالية ، قلت لهـم عيب قلت لهـم عيب يا حـافظ ، لأنه أنا فى يوم مـن الأيام مـا طلبتش منك شىء وما حولتش أفرض عليك شىء اللى انت بتعمله ده غلط لأنه لا إنت ولا غيرك ستفرضون عليه حاجة أبدا ، وعيب تشويه الموقف العربى .

● همـت مصـطفى : طيب يا افندم يعنى بعـد كده لما نفس النغمة السائدة دلوقت لما بيقـابلوا سيـادتك ، ويعـرفوا إن إحنا على حق بيكون إيه الموقف يا فندم ؟ بيقولوا إيه ؟

■■ الرئيس : الأمر المؤسف إن ده اتكرر أكثر مـن مـرة ، وزى ما قلت بالضـبط بعـد فض الاشـتباك الثانى ، نفس العملية اتعملت ، وسـنة ونص الخيانة وخـروج مصر مـن المعـركة ، وإن مصر حلت الجيش المصرى اللى الجيشـين قاعدين هناك عند القنال اتحلوا . الغريب بعدها جالى بعـد فض الاشتباك الثانى بعـد مـا اتزنقـوا فى لبنان ، وعملنا مؤتمر الرياض علشان نطلعه من الزنقـة اللى زنق روحـه فيها وجه هنا علشان نعمل قيادة سيـاسية مـوحدة فـأنا سألت حافظ الأسد فى الأردن قلت له يعنى إنت طالب قيادة سياسية موحدة معايا دلوقت وهو قعها معاك طيب السـنة والنص اللى فاتت انتم بتقولوا إن إحنا فـرطنا فى الحقـوق الفلسطينية وفرطنا فى القضية العربية طيب التفـريط جـه فين ـ فض الاشتباك الثانى تم واعلنت كل نصـوصه ومش لما جالك الاتحـاد السـوفيتى وجـابيلك ورقـة إنت ويـاسر عرفات قبل فض الاشتباك الثانى مانوقعه جـابيلكم ورقـة بيقولكم إن الاتفاق اللى بين السادات والأمريكان وإسرائيل آهـه ، البنود دى علنية والبنود دى سرية ، وبعـدين طلعنا الاتفاق ، لا البنود العلنية زى مـاقال الاتحـاد السـوفيتى ولا السرية طلعت هى اضـطريت اعلنهـا طلعـوا : اثنين : علشان سوريا وواحد علشان الفلسطينيين ومكنتش أحـب أعلنهم فقلت له حصل تفريط ؟

على السوريين
أن يعرفوا حجمهم

فيه حاجة ؟ الشىء المؤسـف أنه يقـول أنهـا فترة فـاتت ومضـت علشـان كده الدور ده لا ـ أنا آسـف ـ الدور ده بالتهجم على مصر أنا أعلنت وقلت أبدا أى إنسـان تهجـم على مصر أو على الشعب المصرى أيان كان مـكانه فى بلده رئيس أو غير رئيس هو حـر ـ أنا لن أسـتقبله على أرض مصر . وكل إنسان يعرف حده ويعرف حجمه ، من دلوقـت وماشى على طول .

رديت على فيصل وعلى الأمير صـباح أمير الكويت وقلت لهم هذا الكلام مش مختلق أكاذيب ، لا أساس لها ولا حتى مجرد ظل ، وبعت للأسد قلت له عيب نلجـأ للأسـلوب ده ـ عيب ، ويشتم فى الجيش المصرى ، طـب ده الجيش المصرى هو اللى عمل انتصار أكتوبر ، هننسى ده من ثانى ، يوم كان الجيش السورى مضروب ورجع ، وحاجة مضحكة برضـه ، لما دخلت أمريكا يوم ١٩ فى المساء الفجر أما وجهت بالتدخل الأمريكى وأنه عايز يقضى على المعركة كلهـا وعلى شـعبى واتخذت قرار إيقاف إطلاق النار وبعته للأسـد فى الحـال ، اللحظة التالية ، لاتخاذ القـرار فى ٢٠ أكتوبر ، كان حـافظ الأسد بعد دقائق ، عنده البرقية منى وقلت سـأقبل ، وقـف إطلاق النار ، لأنى لا أقبل أن أتحمل مسئولية ، تدمير قواتى المسلحة ، أو تدمير مرافق شـعبى وأنا مسـئول ، عن هـذا القرار أمام الأمة العربية ، وأمام شعبى الرسالة مـوجودة تاريخيا ومثبته عارفه بعدها عملوا إيه ـ برضه تانى يوم ـ وهم بره المعركة بقالهم أكثر من ١٥ يوم وهناك ، قربوا على دمشق كان بعدها حزب البعـث ، المراهـق قـال أن مصر ، وقفت إطلاق النار وخسرتنا المعـركة ، واحنا كنا سـنعمل هجوم معاكس ـ ، شىء مضحك يعنى ـ ، هو ده أسـلوبهم ، منذ هذا التاريخ فى ديسمبر ١٩٧٣ . بل حصل تطورات بعـد كده أكتر .

المواقف المتناقضة
لحزب البعث السورى

الأسد تسـلم منى برقية أعلنت فيهـا . . قلت له أنا اديت تعليمات لسفيرنا فى دمشق بعدم الاتصال بوزير خـارجيتك « خدام » وصل إلى هذا الحد .

ولكن هم هـم متغيروش . فض الاشـتباك الأول حـل منفرد ، وخروج من المعـركة وتآمـر مـع الأمـريكان ، والاسرائيليين عملوا فض اشتباك أول هـم راح طـالع حزب البعـث ، بالتعميم إن مـافيش أحسـن مـن فض الاشتباك فى الدنيا فض الاشتباك الثانى مصر خرجت من المعركة وتآمرت مع امريكا ومع إسرائيل ومع ومـع وكل دى خـطوط . . حتى الخـطوط الغبية بتاعة الاتحـاد السوفيتى وبعد السنة ونص جم وقـالوا إحنا آسـفين وبيوقعوا معايا قيادة سياسية موحدة .

اليوم اللى احنا فيه النهارده ـ نفس الكلام ، حل منفـرد [البيان السوفيتى السورى حـل منفـرد] ومش عارف ليه الناس مبتتعظش ، وما بتاخدش دروس من اللى فات ، طيب ما هو نفس الكلام ، اللى بيتقـال النهـارده اتقـال فى فض الاشتباك الأول والثانى انهم خروج من المعـركة وانه وانه علشـان كده أنا لم أعد أيه لمثل هـذا الكلام إطـلاقا واحنا ماضيين فى طريقنا ووجهت بايه .

دراسات قرآنية

تفسير سورة آل عمران

الآيات من ١٩٠ - ٢٠٠

الأستاذ أحمد حسين

بسم الله الرحمن الرحيم

إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار . ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار . ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار . ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد . فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو انثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب . لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد . متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد . لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للأبرار . وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم اجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب . يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون .

•••

إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار .

الاسلام فكر كله وعلم كله :

روى الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنه ، قال : أتت قريش اليهود فقالوا : بم جاءكم موسى من الآيات ؟ فقالوا عصاه ويده بيضاء للناظرين ، وأتوا النصارى فقالوا : كيف كان عيسى ؟ قالوا : كان يبرىء الأكمه والأبرص ويحيى الموتى : فأتوا النبى فقالوا : ادع لنا ربك يجعل لنا الصفا ذهبا ، فدعا ربه ، فنزلت هذه الآية « **ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب** » فليتفكروا فيها . انتهى وقد توقف البعض أمام مدى حجية الحديث ، على أساس أن هذه المحاورة بين المشركين ومن سألوهم ، والطلب الذى طلبوه من سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام من تحويل (جبل الصفا) إلى ذهب كل ذلك يفيد أن الآية مكية ، مع أن المقطوع به أن سورة آل عمران مدنية ونحن ندع لأئمة المتخصصين فى علم الحديث تحقيق هذا

الأمر، ولكنا من ناحيتنا نقول: إن فحوى الحديث وما اشتمل عليه، صحيح مائة فى المائة، وهو يطابق ما ورد فى القرآن الكريم، والفارق الفعلى والأساس بين الاسلام واليهودية يتلخص فيما اشتمل عليه الحديث، فحيث يمكن أن يقال من الملحدين أن الايمان بالمسيحية واليهودية يقوم على أمور ينكرها العقل البشرى، كالقول بأن المسيح كان يحيى الموتى وموسى شق البحر بعصاه، فان الاسلام ونبى الاسلام، كانت معجزته الكبرى عقلية تخاطب العقل وتفحمه حسب مقاييسه التى قررها لنفسه وأطلق عليها «لغة المنطق» وعلى ذلك فمعجزة القرآن، ليست مجرد معجزة سماعية، تدور حول أمور خارقة لا يسيغها العقل، وانما هو كتاب حى دائم يتحدى بثباته ومحتوياته العقل البشرى فى كل زمان، وها هو العالم الاسلامى اليوم يغص بعشرات الألوف ممن درسوا العلوم الحديثة بل وأوغلوا فيها، ومع ذلك لا يجدون فى الاسلام وسيرة الرسول حادثا واحدا يمكن للعقل البشرى أن يعترض عليه، باستثناء ما ورد من حديث عن معجزات الرسل السابقين، ونحن الذين بالقرآن الكريم مأمورون أن نؤمن بكل ما رواه القرآن عن ابراهيم وموسى وعيسى «لا نفرق بين أحد من رسله» ولا يظن ظان أن الايمان بما رواه القرآن عن خوارق جرت على يد الرسل السابقين الموغلين فى القدم شىء يتعارض مع لغة العقل، فهذا العقل يقرر أنه كما يكون الاثبات بدليل، فكذلك النفى لا يكون إلا بدليل، فأى دليل يمكن أن يسوقه العقل، على أن حادثة «ما» يقال إنها حدثت منذ ألوف السنين انها لم تحدث، مثل هذا النفى يفتقر إلى دليل، فلم يبق إلا القول بأن العقل الحديث لا يقبلها، ويكون الرد، ومن أنى للعقل أن يحكم ويجزم، بأن الأمور كانت تسير منذ ألوف السنين، على غرار سيرها فى عصرنا المادى الحديث، ولأسق نموذجا واحدا يقطع بأن بعض الأمور التى يتصور أنها مستحيلة فى وقت من الأوقات تصبح شيئا عاديا فى وقت آخر، فعندما قال «كولبس» فى وقت من الأوقات أنه يمكن الوصول إلى الشرق عن الطريق السير فى الغرب، اعتبر علماء عصره، أن هذا القول تخريف وجنون، ولأدع هذا المثل حتى لا يقول قائل، إن «كولبس» فى هذا كان يطبق نظرية كروية الأرض، وإذن فلنضرب مثالا آخر، هل كان يوجد عقل يتصور أن الانسان إذا ارتفع بضع مئات من الكيلو مترات، فانه لا يقع أو يسقط وإنما يمكن أن يظل سابحا ومعنى ذلك، أن العقل يخرج عن حدوده ولا يتحدث بلغته عندما ينكر واقعة حدثت منذ ألوف السنين بغير دليل، أو أن يكون دليله الوحيد أن مثل هذه الأمور لا تحدث هذه الأيام، فان عدم حدوثها اليوم، لا يقطع بأنها تحدث فى القديم فى ظل ظروف كونية مغايرة، فعندما يقص علينا القرآن الكريم قصص موسى وعيسى وإبراهيم، فنحن نقول امنا وصدقنا فاكتبنا مع الشاهدين، ولكنه (ولا لوم ولا تثريب) هو إيمان بالغيب حيث يتوقف العقل لأنه يصبح فى غير ميدانه **وليس كذلك الاسلام**.

ومن هنا تاتى عظمة الاسلام وسر تفوقه وأن المستقبل له لأنه دين العقل وحيث لم يبق على النصرانية واليهودية إلا شهادة القرآن لهما بأنهما ديانتان سماويتان، فى وقت كان فيه حملة القرآن، هم الذين فتحوا الدنيا شرقا وغربا، ولولا شهادة القرآن لهما لأنكرهما البشر، فى عصر النور والعقل والعلم، حيث عاش الاسلام ونما وينمو وسوف ينمو، بالرغم من جحد اليهود والنصارى، وسيكون هو الذى يدحر الالحاد والمادية، لأنه مبنى على العقل ويخاطب العقل، فلينتشر العلم وليعلو ويعلو فسيكون ذلك استجابة مباشرة للقرآن ولأمثال هذه الآيات التى نحن بصددها بالذات.

ولنرجع إلى ما أشرنا إليه من أن ما قيل فى سبب نزول هذه الآيات من حيث إظهار التباين بين اليهودية والنصرانية من حيث استنادهما إلى معجزات خارقة، حدثت فيما مضى وانتهى أمرها، وبين الاسلام ومعجزته العقلية التى لا تنتهى، قلنا أن معنى الحديث الوارد بهذا الخصوص كما ورد فى سورة الاسراء الآيات ٨٩ وما بعدها «**ولقد صرفنا فى هذا القرآن من كل مثل فابى اكثر الناس إلا كفورا. وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا. أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا. أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تاتى بالله والملائكة قبيلا أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربى هل كنت إلا بشرا رسولا**»

فأنت ترى أنه حيث طلب من سيدنا محمد ﷺ أن يجىء لمشركى قريش بالخوارق، فقد رد القرآن بأنه هو المعجزة، وهو ما ثبت على مر القرون ومن هنا قلنا أن الحديث لا يخرج عن نص القرآن وندع للمتخصصين فى فن الحديث ما زاد على ذلك.

إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب.

الألباب: جمع لب، واللب هنا يعنى العقل ذلك أن لب كل شىء هو محل حياته، ومحدد صفاته وخصائصه وشخصيته، وهذا هو الدور الذى يقوم به العقل فى حياة الانسان، ويكون معنى هذه الآية وما تلاها من آيات، أن لا تلتمسوا أيها البشر خوارق تصدع عقولكم لكى تؤمنوا بالله، بل على العكس من ذلك، فان التفكر وتعقل كل ما حولكم من ظواهر الطبيعة وشتى العوالم والكائنات، كفيل بأن يدلكم على الله الخالق وقدرته اللا نهائية.

وهكذا دعا الاسلام العقل لينطلق فى ملكوت السماء

والأرض، باحثا دارسا منقبا، فلا عجب أن أحدث الاسلام أكبر ازدهار لحضارة العلم وسيبقى كذلك إلى أبد الآبدين، فلا يوجد مسلم واحد يتصور أن هناك تعارضا بين أن يعلم ويعلم إلى مالا نهاية وأن يكون فى ذات الوقت مسلما عميق الايمان، حيث رأت الكنيسة فى فهمها للمسيحية، أن هناك تعارضا بين الفكر والعلم والايمان المسيحى، فكان موقفها يتلخص فى التعبير التالى فى العصور الوسطى: «أطفىء سراج عقلك واعتقد» وكانت النتيجة أن الحضارتين الاغريقية والرومانية انقرضتا فى أوربا فسادها الظلام، ولولا المسلمين لجهلت الدنيا، أنه كان فى الدنيا فكر وعلم وحضارة.

حديث شريف: جاء فى تفسير القرطبى أنه روى عن السيدة عائشة رضى الله عنها، قالت: **لما نزلت هذه الآية على النبى ﷺ قام يصلى، فأتاه بلال يؤذنه بالصلاة فرآه يبكى، فقال: يارسول الله اتبكى وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر؟ فقال: يا بلال افلا اكون عبدا شكورا، ولقد انزل الله على الليلة آية «إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب» ثم قال ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها.**

الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض:

اعلم حفظك الله أن الانسان مذ يولد حتى يموت لا يخرج أمره عن هذه الأحوال الثلاث: القيام والقعود والرقاد، ولما كان العقل هو جزء من الانسان، وعمل العقل هو الذكر والتفكر، فما على المؤمن إلا أن يعمل عقله على الدوام ما بين ذكر وفكر فيكون ذلك هو ذروة العبادة وما يبلغ بالانسان إلى ذروة الرضا والراحة، والعزة والكرامة، لأنه يكون عائشا مع ربه وخالقه وذهب نفر من المفسرين، إلى أن ذكر الله هنا مقصود بها الصلاة، وراح البعض يستخلص بعض أحكام الصلاة، إذا لم يستطعها قائما، فقالوا يصلى قاعدا فان لم يستطع فراقدا إلى غير ذلك من أحكام الصلاة.

والرأى عندنا أن ذلك من قبيل تفسير العام بالخاص (بدون مخصص) فالذكر أعم من الصلاة، والفكر أعم من الاثنين وفى القرآن الكريم حديث عن الذكر فى كل وقت وحال باعتباره أمرا يغاير الصلاة، قال تعالى:

«فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم».

ويتفكرون فى خلق السموات والأرض.

ومرة أخرى أنظر يارعاك الله إلى سعة هذه الآية، وكيف تدفع المؤمن للتفكير إلى ما لا نهاية، فى طبيعة الكون وخلقه وتطوره، وأنها تتسع لكل علوم الدنيا ومعارفها.

ربنا ما خلقت هذا باطلا.

هذا هو ما ينتهى أى تفكير وتأمل فى ظواهر الكون، فيتعمق إيمان الانسان بالقدرة الخالقة المبدعة ذلك أن طبيعة العقل وخصيصته ولغته، تقوم على سعيه الدائم لمعرفة السبب خلف اى مسبب، والعلة وراء أى معلول، لا يهدأ العقل ولا يستريح إذا رأى مجرد «ورقة» تتحرك إلا إذا بحث عن السبب فى تحريكها أهو الهواء، أو يد كائن أو أى شىء آخر وهذا هو شأن العقل بالنسبة لأتفه الأشياء، فاذا سمع صوتا أى صوت، فلا يمكن أن يهدأ قبل أن يدرك مصدر الصوت وما الذى أحدثه أى أن العقل لابد أن يصل من أى حدث إلى محدثه، فاعجب لأقوام يدعون العلم و«والعقلانية» يريدون منك ان تقول إن هذا الكون بأرضه وسماواته وكائناته قد خلق ووجد بدون خالق أو موجود ولغير علة، فاذا أصح هذا فان العقل ينهدم من أساسه ولا يستطيع أن يصل إلى أى نتيجة، فالنتائج لابد لها من مقدمات، وإلا أصبح كل شىء حولنا، بل أصبحنا نحن، عبثا فى عبث، ووهما ولعبا وهزلا، وهذا هو ما يرفضه المؤمن لأن العقل يأباه، ما خلقت هذا باطلا أى لا يمكن أن يكون كل ذلك «**لغير حكمة وغاية**» والباطل ضد الحق، فاذا كان الحق هو الدائم الثابت الخالد فان الباطل هو الزائل المضطرب الفانى:

قال الشاعر الجاهلى لبيد:

الاكل شىء ماخلا الله باطل
وكل نعيم لا محالة زائل

سبحانك فقنا عذاب النار.

بلاغة القرآن

لا نعدو الحقيقة إذا قلنا: إن اللغة العربية التى لا تزال حية مزدهرة حتى اليوم، فذلك بفضل القرآن وسره المعجز، وقد أخذت البلاغة والفصاحة وكل علوم اللغة مسارا جديدا هو الذى ابقاها وسوف يبقيها وكلما تصور الناشئون، أن باستطاعتهم أن ينالوا من اللغة العربية، إذا بهم يسقطون مندحرين وتبقى اللغة العربية مرفوعة اللواء، كاملة السيطرة والهيمنة على الحياة، ذلك أن القرآن الكريم هو أساسها المكين.

من التحدث عن الغائب إلى صيغة المتكلم:

أنظر إلى هذا التعبير الذى نحن بصدده، تدرك كيف سبق القرآن الكريم، شأنه فى كل شىء، ما يتصورونه من أساليب العصر فى أرقى فنون التعبير، فقد حدثنا القرآن حديث «الغائب» وهو يصوره لنا المؤمنين وهم «**يتفكرون فى خلق السموات والأرض**» ولكى يعطى الصورة [illegible]تها وروعتها، نراه ينتقل من صيغة التحدث عن المؤمنين إلى ما يقوله المؤمنون بعد التفكير والتأمل، فينطقون بـ «**صيغة المتكلم**»

سبحانك فقنا عذاب النار :

سبحانك : أى تنزهت عن كل سـوء وعلا شـأنك وتأكدت وحدانيتك ، وعندنا أن كلمة سـبحان الله تعنى كل مـا يليق بقدرته وكماله ، وإن كان الجمهور يقفون عند معنى التنزيه وهو الأقرب للغة .

فقنا عذاب النار : دعاء إلى الله سبحانه وتعالى أن يقى المؤمن ويلات جهنم ، جزاء إيمـانه « **ربنا انك مـن تدخـل النار فقد أخزيته وما للظالمين من انصار** » .

أخزيته : من الفعل خزى يخزى خـزيا : إذا وقـع فى بلية والاسم « الخـزى » والمعنى ، أن مـن يدخله الله النار فقد أخزاه والخزى يتراوح فى المعنى من مجرد الاستحياء ، إلى الاهانة والاذلال ، وتصل إلى معنى الاهلاك ، والذى يحـدد درجتها هو المقام الذى تستعمل فيه .

وما للظالمين من انصار : حكم قاطع من الله عز وجل ان الظالم لا يمكن أن يكون له أنصـار وحتى لو ناصره البعض نفاقا ، فعلى أساس أن ما فعله هو العدل ، أى أنه يستحيل من يؤيد الظلم لمحض كونه ظلمـا ، فـلا بد أن يلبس لباس العدل (ولو زورا وبهتانا) قبل أن يوجـد إنسـان واحـدا يناصره والمجتمعـات لا تقـوم إلا لالتماس البشر لاقـامة العدل ، فقيل بحق : العدل أساس الملك وتنهار المجتمعـات ، إذا تفشى فيها الظلم ، وتقوم العقيدة الدينية ، التى هى فطرة كل نفس « سـوية » على أسـاس وجـود « **إله عادل** » يقيم العدل فى حياة آخرة .

ربنا إننا سمعنا مناديا ينادى للايمان ان آمنوا بربكم فآمنا .

المعنى جد واضح وهـو أن المؤمنين بمجـرد ان سـمعوا الدعوة إلى الايمان ، فقد انفتحت قلوبهم على الفور ، فلبوها واستجابوا لها ، وقد دار التساؤل حول المنادى إلى الايمان من هو ، فقال البعض : هو سيدنا محمد ﷺ وان صدق ذلك فى حياته ، فما القول فيمن جاء بعد ذلك ، ومن هنا قال بعض آخر المنادى هو القرآن ، ثم جاء القول وهو إن مـن يسـمع القرآن فكأنما يتلقى الدعوة عن سيدنا محمد عليه الصـلاة والسلام .

« **ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا** » وبديهى ان المؤمن لا يؤمن إلا لكى يتلقى جزاء إيمانه من هنا فقد طلبوا جزاء إيمانهم وهو أن يفـوزوا فى الآخـرة بالنعيم والجنة ، ولما كانت الجنة لا يدخلها إلا من كان طاهرا من الأرجـاس مبرأ مـن الذنوب والخـطايا ، ولما كان ذلك يشـبه ان يكون متعذرا إن لم يكن مستحيلا لترصد الشـيطان للانسـان ، وطبيعة الانسان وما أودع فيه من شهوات وغرائز وضـعف مما يؤدى به حتما إلى الخطأ ، ومن هنا فليس أمام المؤمـن إلا أن يلجأ إلى الله ويفـزع إليه ليغفـر الذنوب ويكفـر عن السيئات والسيئة مفرد سيئات ، وهـى كل مـا يسـوء وكل انحراف عن تطبيق أوامر الله وتجنب نواهيه لا يمكن إلا أن ينتهى باساءة ، والذنب هـو التقصـير والخـطيئة ، وطلب المغفرة والتكفير بمعنى واحد وهو الستر ، والستر يكون فى الدنيا ، أما فى الآخرة فيكون باسقاطها والتجاوز عنها .

وتوفنا مع الأبرار :

احتراز لا مناص منه فـالانسان حتى بعـد أن يغفـر الله ذنوبه ، كما الشأن بالنسبة لمن يحج حجا مبرورا ، إذ يطهـر من الذنوب ويعود كما ولدته أمه ، ولكن ذلك لا يمنع بحال أن يقع من جديد فى المعاصى ، فالعبرة دائما بالخـواتيم ، وقـد يعيش الانسان طول حياته مؤمنا ، وفى لحظة واحـدة ينقلب (والعياذ بالله) إلى الكفر ، ومـن هنا كانت الدعوة إلى الله لا تتم الا بعبارة : « **وتوفنا مع الأبرار** » أى واجعل خـاتمة حياتنا ، عندما نستوفى أجلنا ، اجعل هذه الخـاتمة سـعيدة بأن نكون ممن تصفهم بالأبرار فجزاؤهم معـروف ومقـرر « **ان الأبرار لفـى نعيم** » والأبرار هـم المحسـنون فى أعمالهم ، وقد سبق تعريف البر فى سورة البقرة بمناسبة آية « **ليس البر** » .

وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد :

بعد أن فرغ المؤمنون من الدعاء بما يرجونه لأنفسـهم فى الآخرة ، بأن يغفر الله لهم ذنوبهم ويكفر عنهم ما وعدهم به على لسان الرسل ، ويكون السؤال : ما هو هذا الشىء الذى يزيد عما طلبوه من قبل ، ومـا سـوف يطلبونه مـن بعـد « **ولا تخزنا يوم القيامة** » فـلابد أن يكون هـذا المطلوب ، شىء يغاير كل ما سوف يناله المؤمن يوم القيامة ، فمـا هـو هذا الشىء ؟

إنه النصر فى الدنيا على غير المؤمنين .

نحن نأخذ بقول من قـال : إن هـذا الشىء الذى يرجـوه المؤمنون من الله سبحانه هو « **النصر فى الدنيا** » فسـورة آل عمران كلها قد نزلت بسبب حرب دارت رحاها بين المؤمنين والكافرين ، وقد انتصر المؤمنون فى أولها فلمـا أن خـالف بعضهم وعصى فقد حجب الله عنهم النصر ، فأما وقد عفا الله عنهم وصفح ، وأما وقد دعوه أن يغفر لهـم ذنوبهـم ، فقـد راحوا يسـألونه النصر الذى وعد الله به المؤمنين فى الدنيا ، قال تعالى : « **وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب** » وأما نص الوعد فقولـه : « **إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** »

ويعزز هذا الرأى فى تصورنا ما ختمت به الآية مـن قـول المؤمنين « **إنك لا تخلف الميعاد** » وتلك قضـية مـؤكدة لدى المؤمن وعليها يقوم الايمان من أساسه ، بأن من عمل للجنة فلابد واصل إليها فى الآخرة ، وإنما النجاح والرزق والنصر

فى الدنيا ، فتلك أمور علقها الله على مطلق مشيئته ، يمنحها وفقا لحكمة يعرفها وغاية اختص بعلمها ، قال تعالى : « ينصر من يشاء » فحق للمؤمنين أن يدعو طالبين النصر فى الدنيا .

ولا تخزنا يوم القيامة :

قدمنا أن المؤمنين يوقنون أن من يدخله الله سبحانه وتعالى جهنم فقد أخزاه ، وقد فسرنا الخزى أنه يبدأ من الامتهان والاذلال والفضيحة ، حتى يندرج تحت الكلمة معنى الاهلاك ، وهم هنا إذ يركزون دعاءهم فهم يسألون الله الا يخزيهم يوم القيامة أى لا يسئ إليهم بأى نوع من الاساءات معنوية كانت أو مادية .

إنك لا تخلف الميعاد :

وينتهى الدعاء باقرار صفة من صفات الألوهية والربوبية ، بأن قوله الحق ، ووعده الصدق ، وقد حاول بعض المفسرين القدامى أن يتساءل وهل فى ذلك شك وعندنا أن تقرير الواقع المحقق بالنسبة لله سبحانه وتعالى ، لا يعنى الشك فى صفاته ، فعندما نقول « انك عليم قدير » فلا يعنى ذلك شكا فى علمه أو قدرته وإنما هو تعبد لله وتقرب بذكر صفاته ، ومخاطبته بأنه « لا يخلف الميعاد » من هذا القبيل .

فاستجاب لهم ربهم انى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو انثى بعضكم من بعض .

فاستجاب بمعنى يستجيب وسوف يستجيب .

حاول نفر من المسلمين فى بعض العصور (من باب الدفاع عن النفس) أن يصوروا أن الأمر فى هذه الآية ، خاص بالمعاصرين لسيدنا محمد ﷺ وحقا كان القرآن ينزل بمناسبة معينة ، ولكن القرآن الكريم قد جاء عاما لكل زمان ومكان ، ولذلك كان التعبير بصيغة الماضى يعنى أحيانا الحاضر والمستقبل أيضا ، ذلك أن هذه الأزمنة الثلاث خاصة بالانسان وعمره المحدود ونقصه المشهود فكان له ماض وله مستقبل ، اما الله عز وجل فتنزه عن أن يكون له ماض او يكون له مستقبل ، وإنما هو الله القدرة المطلقة ، والكمال المطلق ، فهو إذا خاطبنا بلغتنا على قدر عقولنا ، فلا يجب أن يغيب عن وجداننا ولو للحظة واحدة أنه شأنه غير شأننا ، فاذا تعلل أقوام بأن صيغة الماضى فى كلمة « فاستجاب » تعنى أن القول خاص بأقوام معينين ، فهو جدواهم ، فالقول موجه للمؤمنين فى كل زمان ، يذكرون ويتفكرون ثم يرفعون أكف الضراعة إلى الله ، فيستجيب لهم وإذا كانت هذه الآية الكريمة قد نزلت بسبب المؤمنين فى عهد رسول الله فقد نزلت عامة شاملة لكل زمان ومكان .

انى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو انثى :

وليس أدل على ذلك من أن الله سبحانه وتعالى قرر سنته الخالدة ولن تجد لسنة الله تبديلا ، بأنه مسجل عمل أى انسان ، ذكر كان أو أنثى ، فى عهد رسول الله ، أو بعد عهده إلى أبد الآبدين ، وإنه لا يضيع أبدا أجر العاملين (أيا كانوا) وأيا كان عملهم ، وإن كان السياق يفيد فى الآية التى نحن بصددها ، أن الأعمال الحسنة والخيرة لن تضيع ابدا ، فالقاعدة كذلك بالنسبة للأعمال الشريرة : قال تعالى : « **من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره** » فاذا كانت الآية التى نحن بصددها ، تشير للذكر والأنثى ، فان « من » التى تعنى الاشارة إلى مجرد الكائن ، أعم وأشمل وقال تعالى : « **وان ليس للانسان إلا ما سعى وان سعيه سوف يرى . ثم يجزاه الجزاء الأوفى** » .

ومرة أخرى يطلق الله سبحانه وتعالى القول بالنسبة لجنس « **الانسان** » وهكذا نرى أنفسنا بازاء مبدأ ثابت وقاعدة مقررة يمتاز بها الاسلام على سائر ما عرفت البشرية من أديان وسوف تعرف من مذاهب (كالماركسيه) مثلا ، فلا أجناس ولا قوميات ، ولا طبقات ، بل ولا ذكورة أو أنوثة ، وإنما هو مقياس واحد لكل البشر وهو العمل الصالح الذى سوف تعرض الآية لنماذج منه ، ولكننا قبل أن نتعرض لهذه النماذج من الأعمال الصالحة ، نتوقف أمام .

بعضكم من بعض :

جملة عربية مفيدة لما تنطوى عليه من معنى وهى مؤلفة من مبتدأ وخبر ، وهى تقرر الحقيقه الأبدية وهى وحدة الجنس البشرى ، ولكنها إذ تذكر بمناسبة الذكورة والأنوثة ، فهى تقرر الطبيعة الواحدة للجنسين ، وان كلا منهما بعض الآخر ، وهى حقيقة يعيشها كل إنسان فلولا المرأة ما كان الرجل ، ولولا الرجل ما كانت المرأة ، وصدق الله العظيم إذ يقول : « **بعضكم من بعض** » وفى كتاب كتبناه منذ أكثر من أربعين سنة بعنوان « **الزواج والمرأة** » وأعدنا نشره ملخصا منذ بضعة أعوام ، تحت عنوان « **حقوق المرأة فى الاسلام** » تفضل المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بنشره ، وقد بينا فى هذا الكتاب بأسانيد من الكتاب والسنة المساواة المطلقة بين الرجل والمرأة « بعضكم من بعض » ولكن « المساواة فى الطبيعة » ، لا تعنى بحال من الأحوال « المساواة فى الوظيفة » فلكل من الذكر والأنثى دوره فى الطبيعة ، فالرجل يشارك الأنثى فى عملية « الانجاب » ودوره بعد ذلك هو أن يحمى الأنثى ويعاونها على القيام بأقدس مهمة فى الوجود وهى إعداد الطفل ليكون إنسانا صالحا .

ولما كانت السورة الآتية هى سورة النساء ولما كانت آيتها الأولى تشير لهذا المعنى ، فنحن نرجىء حديثنا المطول عن هذا الموضوع ، إلى حديثنا القادم بمناسبة سورة النساء .

ونكتفى اليوم بالاشارة إلى عظمة الاسلام وأنه لا يمكن بل يستحيل أن يكون من صنع بشر ، فحيث درج البشر فى القديم على الغض من شأن المرأة ، حتى تساءلت بعض المجامع المسيحية فى أوروبا فى العصور الوسطى « هل للمرأة روح كالرجل « واعتبرت » احبولة الشيطان » وحظر عليها دخول الكنائس . أما فى جزيرة العرب حيث انبثق الاسلام ، فقد كانت الأنثى تدفن حية فى طفولتها ، وجاء الاسلام يرفع المرأة مكانا عليا ، وبعد أن زالت حماسة الاسلام الأولى وحرارته لم يستطع أكثر العلماء علما ورفعة أن يتابع التعاليم الاسلامية ، وهى تقرر « **بعضكم من بعض** » ولأنقل لك نص ما قال به علامة من فطاحل علماء المسلمين ، قال القرطبى فى تفسيره الكبير :

« **بعضكم من بعض** » أى دينكم واحد ، وقيل : بعضكم من بعض فى الثواب والأحكام والنصرة وشبه ذلك . وقال الضحاك : رجالكم شكل نساؤكم فى الطاعة ، ونساؤكم شكل رجالكم فى الطاعة ، نظير قوله تعالى « **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض** » ويقال فلان منى أى على مذهبى وخلقى ومن هنا أرجأنا حديثنا المستفيض عن موضوع المرأة ومكانتها إلى مستهل سورة النساء .

الشيخ رشيد رضا وحقوق المرأة :

وقد كان أول ما لفت نظرنا الى المرجوم الشيخ رشيد رضا ، وفهمه العميق لروح الاسلام ، ما كتبه فى كتابه « **الوحى المحمدى** » عن حقوق المرأة فى الاسلام ، ورسالته التى سبقت ذلك بعنوان « **نداء إلى الجنس اللطيف** » .

فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأونوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب .

الجزاء على قدر العمل :

لم يقف القرآن الكريم عند حد القول بأن الجزاء من جنس العمل وأنه لن يضيع عمل عامل ذكر كان أو أنثى ، لم يقف عند التقرير « **بعضكم من بعض** » بل راح يعدد أمثلة من العمل الصالح تقوم به المرأة مثل ما يقوم به الرجل ، فلا تبخس قيد شعرة ، عن نيل « **الثواب** » والثواب عند الله بالتغاضى عن الذنوب والسيئات والدخول إلى الجنة .

فالذين هاجروا :

وأول هذه الأعمال وأعظمها على عهد رسول الله وإلى أبد الآبدين ، هى الهجرة من دار الفساد والظلم والظلام ، إلى دار الخير والرشاد ، وقد ذكر القرآن بعد ذلك « **وأخرجوا من ديارهم** » فقال بعض المفسرين إن ذلك من قبيل التفصيل بعد الاجمال ، ولكننا نخالفهم فى هذا الرأى ، فقد هاجر بعض المسلمين لأول ظهور الاسلام إلى الحبشة ، وكانت هذه الهجرة اختيارية ، فرارا بدين الله من أن يصاب بسوء ، وكان من بين المهاجرين مؤمنون ذووا مكانة ومنعة فى قومهم مثل سيدنا عثمان بن عفان .

وأخرجوا من ديارهم :

وثمة فريق آخر كان لا مناص لهم من الخروج من ديارهم نجاة بدينهم وأنفسهم فقد بدأ المشركون لا يرضون بأقل من إيذاء المؤمنين ، إيذاء يتراوح بين المقاطعة والمنابذة والاضطهاد والتعذيب ، ويصل إلى حد القتل ، ولذلك فلم يلبث القرآن الكريم أن استعمل التعبير العام الذى يتناول الحالين وهو قوله تعالى :

وأونوا فى سبيلى :

ويصبح كل من يؤذى فى سبيل الله إلى أبد الآبدين ، ممن تتحدث عنهم هذه الآية ، كما تنطبق بطبيعة الحال على كل من يخرج من دياره وبلاده ووطنه عنوة على سبيل النفى أو الاضطهاد .

هل هناك هجرة أبدية ؟

ويبقى السؤال أيمكن أن يكون فى عصرنا الحديث « هجرة » فنبادر ونقول : من الجائز أن يقال أن الهجرة المكانية لا وجود لها اليوم ، بعد أن تشابهت الأحوال والظروف فى سائر أنحاء العالم ، ولا توجد بقعة فى الأرض تخلو من المخالفات والانحرافات وذلك على خلاف الهجرة فى صدر الاسلام ، حيث كانت مكة مستقر الشرك والوثنية والحرب على سيدنا رسول الله ومن معه ، وتحولت المدينة بعد انتقال رسول الله إليها إلى معقل الاسلام والمسلمين ، واتباع رسول الله من أوجب واجبات المسلم فالهجرة المكانية فى عصرنا الحديث أصبحت غير ذات موضوع ، ولكن ستبقى دائما وإلى أبد الآبدين هجرة المؤمن إلى الله ورسوله باتباع أوامره والانتهاء بنواهيه ، ستبقى دائما وإلى أبد الآبدين هجرة الانسان من المعاصى والذنوب إلى دنيا الطهارة والاستقامة والخوف من الله ظاهرا وباطنا .

أثمة هجرة إلى الصحراء ؟

وقد تصور قوم أن يعتزلوا الناس ويهاجروا إلى الصحراء وهو خلط وتخبط يبرأ منهما الاسلام وإذا كان بعض المسيحيين فعلوا ويفعلون ذلك ، فهو على خلاف

الاسلام ، قال رسول الله ﷺ « لا رهبانية فى الاسلام »

والاسلام دين عمل وجهاد وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، وسوف تختتم السورة كلها بما يعبر عن ذلك كله « **اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون** » .

وقاتلوا وقتلوا :

وتمضى الآية لتشير إلى عنصر ثان ظهر بين اتباع رسول الله بعد هجرته إلى يثرب ، وذلك هو القتال لنصرة دين الله ورسوله ، فاذا كانت صفوة من آمن برسول الله ﷺ من أهل مكة ، قد هاجروا معه ، وأصبح يطلق عليهم اسم المهاجرين ، فان صحابة رسول الله فى يثرب ناصروه فى الحرب والقتال ، وأصبحوا يسمون بالأنصار ، وأصبحت ذروة الايمان تتلخص فى القتال ، ولا يتصورون متصوران الاستشهاد فى سبيل الله هو غاية فى حد ذاته ، كلا ، وإنما هو السبيل لنصرة الله ، أى أن الغاية هى النصرة ، ولما كان الانتصار هو ثمرة الثبات والاقدام ، وعدم الخوف من الموت ، فقد وعد الله من يقتل فى سبيل الله بما وعد . والقتال فى سبيل الله ، وعدم الخوف من الموت فى سبيله ، هو سر عظمة المسلمين وآية عزهم ، وإذا كانوا قد تدهوروا فى يوم من الأيام فلفقدانهم هذه الروح ، وإذا كنت أتفاءل بمستقبل المسلمين ، فذلك لعودة هذه الروح اليهم .

لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الأنهار :

وهذا هو جزاء المؤمنين صادقى الايمان ، أن يغفر الله ذنوبهم ، أى يسقطها ويعفو عنها ثم يدخلهم الجنة .

تجرى من تحتها الأنهار :

ولطالما استوقفنا ونحن فتية صغار التعبير بتجرى « **من تحتها الأنهار** » وربما سببت لنا بعض الارتباك فالفهم ، فتحت هى عكس فوق ، ولذلك لزم أن أنبه هنا أنها لا تستعمل هنا بهذا المعنى ، وقد اختار القرآن الكريم دائما أن يستعمل هذا التعبير ، ولكن فى القرآن الكريم كذلك ما يقطع أنها تعنى « خلال » قال تعالى على لسان فرعون : « **أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى** » سورة الزخرف .

وجاء فى سورة الأنعام بمناسبة التحدث عن قوم غضب الله عليهم » « وجعلنا الأنهار تجرى من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم » .

فدل ذلك على أننا لا يجب ان نفهم من « **تجرى من تحتها الأنهار** » غير هذه الصورة المعتادة من جريان الأنهار فوق سطح الأرض .

ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب .

أى أن إدخال الجنة هو الجزاء والمكافأة التى وعد بها الله عباده الصالحين ، والله سبحانه وتعالى عنده حسن الثواب والأصل اللغوى لكلمة الثواب بمعنى الجزاء من الفعل ، ثاب يثوب ثوبا أى رجع ، وفى المجاز ثاب إليه عقله اى رجع إليه ، ومنه « جعل البيت مثابة للناس » فانهم يرجعون اليه ويعودون ، والثواب هو ما يرجع إلى الانسان جزاء عمله ، وعلى ذلك يكون الثواب لغة هو جزاء عمل الانسان سواء كان خيرا أو شرا ولكن الاصلاح جعله قاصرا على الجزاء والحسن ، كما هو الحال فى هذه الآية « **ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب** » .

لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد . متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد . لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار نزلا من عند الله وما عند الله خير للأبرار » .

مفردات :

لا يغرنك : أى لا يوهمنك بالباطل أو يخدعك ، يقال : أخذه على غرة (بالكسر) أى على غفلة منه وعدم تحرز والمعنى هو نهى المخاطب عن الأخذ بظواهر الأمور .

تقلب الذين كفروا فى البلاد : المقصود بالتقلب هنا ، أى تحرك الذين كفروا ، فى أمن ورفاهية ونعيم خلال البلاد .

متاع قليل ثم مأواهم جهنم : المتاع هو كل ما يتمتع به ، أى ينتفع به ، ووصف القرآن الكريم ما يتمتع به الكافرون أنه « قليل » فأيا كان هذا الذى يتمتع به الكافر من مال أو جاه او سلطان فهو إلى زوال محتم فان أحدا لا يأخذ شيئا من ذلك معه إلى قبره ، والحياة فى نهاية الأمر قصيرة قصيرة ، بالقياس إلى مثوى الكافر النهائى فى « جهنم » .

وبئس المهاد :

بئس ونعم كلمتان متضادتان تشير أحداهما « بئس » إلى كل ما هو سىء وشر وظلام ، ونعم ، إلى ضد ذلك من الرمز للخير والبهجة والنور .

والمعنى هنا ما أتعس الكافر بمصيره إلى النار .

المهاد : المكان الممهد الموطأ كالفراش ، ووصف الجحيم بأنه فراش ممهد للكافرين على سبيل التهكم ، وعلى أى حال فقد سبقت بكلمة « **بئس** » اشعارا بالتعاسة والشقاء .

من المخاطب بالآية : وقد دار بحث بين قدامى المفسرين عمن هو المخاطب بالآية ، أهو سيدنا محمد عليه السلام ، أم صحابته الذين هزموا فى غزوة « أحد » فقد كان يحز فى صدورهم وينغص عليهم حياتهم ، رؤيتهم للكفار فى متعة وغنى ، يروحون ويجيئون فى طول الجزيرة وعرضها .

وكان ما جعل البعض يصرف النظر عن ان يكون القول موجها إلى سيدنا محمد ، أن الآية الكريمة استهلت بكلمة « لا يغرنك » وقد رأينا كيف أن الكلمة تعنى ما لا يتفق وشخص سيدنا محمد وأيمانه ، ومن هنا قال البعض أنه وإن كان الظاهر أن المخاطب بالآية هو سيدنا محمد ﷺ فان حقيقة المقصود بها هم جماعة المؤمنين حول سيدنا محمد ، ورأى بعض آخر أن يستبعدوا بالكلية أن يكون الخطاب موجها لسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، ونحن نرى أن كل هذه أبحاث لا غناء فيها متى كانت النتيجة واحدة فى كل الأحوال وهى الاتعاظ بما اشتملت عليه الآية

انطباقها على العصر الحاضر :

رتل الآية مرة أخرى ثم أعد ترتيلها كما فعلنا نحن ، ألست تراها وكأنها بل هى تخاطبنا نحن مسلمى أواخر القرن العشرين الا تطالبنا ، ألا يخدعنا فضلا عن أن يهولنا ويروعنا « تقلب الذين كفروا فى البلاد » ، فليسيطروا ما شاءوا على أسباب القوة ، فليزدادوا رخاء وبسطة فى العيش ، بل فليصلوا إلى القمر ، فكل ذلك قد حكم الله عليه وهو أحكم الحاكمين ، بأنه :

« **متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد** » وكدأب القرآن دائما ، لا يكاد يذكر النار والعذاب ، حتى يذكر بالجنة ونعيمها للمتقين والأبرار .

« **لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار نزلا من عند الله وما عند الله خير للأبرار** » .

النزل : ما يهيأ للنزيل ، والنزيل الضيف كأن الله فى كلمة واحدة ، أراد أن يعتبر المتقين الداخلين الجنة بمثابة من حلوا ضيوفا على الرحمن ، ولك أن تتصور ماذا يفعل الكريم العادى بضيوفه ، فكيف بأكرم الكرماء ومن لا يحد إكرامه حد ـ **وما عند الله خير للأبرار :** ولما كان كرم الله سبحانه وتعالى لا تحده حدود ، فهو بعد إن عبر بكلمة واحدة مدى ما سوف ينعم به « المتقون » من كرم مضيفهم ، فقد أضاف إن لديه مزيدا « للأبرار » والزيادة عند الله مقررة « **ولدينا مزيد** » ولا جدال أن البر بمعنى البار درجة تعلو التقوى ، فالتقوى هى اتقاء محارم الله والائتمار بأوامره والانتهاء بنواهيه ، وهى ليست بالشىء القليل أو السهل المنال وطوبى لمن يتقى الله فانه يرزقه دائما ويجعل له مخرجا من كل ضيق وشدة ، ويدخله الجنة يوم القيامة ، ولكن البر أو البار وهو المتصف « بالبر » الذى رسمه وفصله القرآن ، فهذا هو الذى يتقى ، ثم يزيد فأن تخرج الزكاة بحدودها الشرعية وبنية صادقة راضية ، فهذه هى التقوى ، ولكن أن تزيد على ذلك الانفاق فى سبيل الله على وجه الاحسان فهذا هو البر ، وهو ما يكافىء الله عليه مكافأة أبقى مقدارها وكيفيتها غيبا مكتفيا بالتعبير عنها بقوله تعالى : « **وما عند الله خير للأبرار وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب** » .

ما سوف يحقق انتصار الاسلام :

هذه الآية وأمثالها فى القرآن الكريم ، هى ما حققت انتصاره الساحق لعدة قرون ، وما سوف تحقق له النصر والغلبة فى المستقبل القريب ذلك أن الاسلام ، على خلاف أى دين آخر ، يعترف بما سبقه من الأديان السماوية وما أنزل من الكتب ، ويدعو إلى الايمان بالرسل من مثل (إبراهيم وموسى وعيسى) ومع تقرير الاسلام بأنه جاء ختاما لهذه الرسالات ، ومهيمنا عليها ، ومصححا لما وقعت فيه من انحرافات ، وما غرقت فيه من أضاليل ، فان الاسلام ، لم يشأ ان يجبر اليهود والنصارى على اعتناق الاسلام ، تاركا لهم حرية الاختيار ، ولم يشأ ان يحرمهم من الثواب ، إن هم آمنوا بما أنزل على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وعملوا الصالحات ، وقد سبق فى سورة البقرة تفصيل هذا الموقف من القرآن الكريم ، حيال « أهل الكتاب » وها هو ذا يكرره ويؤكده فى سورة آل عمران ، وقد أوشكت على نهايتها .

« **وأن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم** » .

قدمنا فيما سبق أن بعض قدامى المفسرين كلما عرضت لهم آية من هذا القبيل تتضمن الثناء على نفر من أهل الكتاب بادروا بالقول أن المقصود بهم هم من آمن بالاسلام من إعلام اليهود وعلى رأسهم عبد الله بن سلام ، وقد رددنا هذا القول على أساس انه بمجرد اعتناق اليهودى أو النصرانى للاسلام ، لم يعد يوصف بأنه من « أهل الكتاب » وإنما أصبح واحدا من المسلمين ، وكالعادة كرر البعض هذا القول بمناسبة هذه الآية ، ولكن من حسن الحظ انه ورد فيها أحاديث عن سبب نزولها تدحض هذا المعنى وتؤكد المعنى الآخر من أن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا وخاصة إذ آمن بسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وما أنزل عليه قال جابر بن عبد الله وأنس وابن عباس وقتادة والحسن ، أن هذه الآية نزلت فى النجاشى (ملك الحبشة النصرانى) ذلك أنه لما مات نعاه جبريل عليه السلام ، فقال النبى ﷺ لأصحابه « قوموا فصلوا على اخيكم النجاشى فقال بعضهم لبعض يأمرنا أن نصلى على علج من علوج الحبشه ، فأنزل الله الآية . (على ما روى القرطبى) وفى تفسير ابن جرير نحو ذلك .

والخلاصة أن النبى ﷺ طلب من أصحابه أن يصلوا صلاة الغائب على النجاشى (ومن هذه الواقعة تقررت سنة الصلاة على الغائب) ولم يرد فى سيرة رسول الله أن

النجاشى أسلم ، ولكنه حمى المسلمين الذين هاجروا إليه ، وعندما سمع ما يقوله القرآن عن سيدنا عيسى آمن به وصدقه .

وأصبح القول ينصرف لليهود والنصارى ممن يؤمنون بما « أنزل إليهم » أى التوراة والانجيل ويؤمنون فى ذات الوقت بما « أنزل إليكم » أى بالقرآن الكريم وما تضمنه من التقرير بأن التوراة والانجيل ، قد حرفا ، وأن حقيقتهما هى عبادة الله الواحد « الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .

خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا وهذه هى آية صدقهم وأنهم يؤمنون بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم ، انهم خاشعون لله والخشوع لا يكون إلا نتيجة الخوف من الله والتقوى .

أولئك لهم أجرهم عند ربهم :

هؤلاء الكتابيون ، ممن يؤمنون بالله ويحسنون العمل ويؤمنون بما أنزل إليكم وما أنزل إليهم وآية ذلك أن تراهم خاشعين لا يبيعون دينهم فى سبيل عرض من أعراض الدنيا التافهة ، هذا الصنف من الكتابيين ، «**لهم أجرهم عند ربهم**» أى أن ثوابهم لا يضيع ، طبقا للقاعدة العامة التى طالما نوهنا بها «**من يعمل مثقال ذرة خيرا يره**» .

إن الله سريع الحساب .

وإذا كان التعبير بسرعة الله فى الحساب ينطوى على معنى الانذار والتهديد ، فان السياق هنا يقطع بأن المقصود هو الوعد لا الوعيد ، وأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا ، بل إنه سريع الحساب .

يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون .

اصبروا : أمر بالصبر ، والصبر لغة هو الحبس المادى ثم استعير المعنى فأصبح الصبر بمعنى حبس النفس عن شهواتها ، أو غرائزها ، وكل ما يقتضى العقل حبس النفس عنه فى سبيل غاية سامية .

وصابروا : صيغة « المفاعلة » من صبر ، لافادة زيادة التحمل

ورابطوا : من الفعل ربط يربط ربطا فهو مرابط ، والمعنى اللغوى « شده » والرباط هو ما يربط به ولكن الرباط ،

اصبح يعنى فى الاصطلاح الاسلامى « ملازمة الثغور » والثغور هى المناطق التى قد يدهمها العدو ، وقد كانت فى القديم هى الحدود ، أما اليوم بعد وجود سلاح الطيران ، فقد أصبح كل مكان معرض لهجوم الطيران عليه يمكن أن يكون رباطا وبالجملة فإن كلمة « ورابطوا » تعنى واظبوا وحافظوا على العمل الصالح والدفاع عن أرض المسلمين هو ذروة الأعمال الصالحة .

ختام السورة

وهكذا خُتمت السورة بأعظم وأقوى ما يدعى إليه مؤمن فى مثل الظروف العصيبة التى حاقت بالمسلمين وقت نزول الآية مما مضى علينا فيما سبق مفصلا ، وكشأن القرآن دائما تشع آياته وتنادى المؤمنين إلى أبد الآبدين ، فى كل زمان ومكان والدعوة هنا هى إلى الصبر الجميل ، والمزيد من الصبر ، وملازمة الحذر واليقظة على سبيل الدوام فى مواجهة العدو

وقد وردت عشرات الأحاديث فى فضل المرابطة فى سبيل الله فليرجع اليها من يريد الاحاطة والاستقصاء فى كتب الأحاديث وفى تفاسير ابن جرير والقرطبى وابن كثير ، والجهاد فى سبيل الله ، هو ذروة الايمان

وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل .

ولا يمكن وقد عرض الحديث عن الرباط والمرابطة ، أن لا تذكر الآية المشهورة التى تأمر المسلمين إلى أبد الآبدين بالأخذ بكافة أسباب القوة ، وذلك فى أمره سبحانه : «**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة**» أى بأخذ ما فى استطاعتكم ، ويضيف القرآن الكريم «**ومن رباط الخيل**» أى الخيل المشدودة فى مرابطها على استعداد لاستعمالها فى القتال ، وعندنا إنه مهما تبدلت أسلحة الحرب وأصبحت دبابات وطائرات ، فان تجهيز هذا يدخل فى الشق الأول من الآية «**ما استطعتم من قوة**» أما الشق الثانى «**رباط الخيل**» فيجب دائما إعماله نزولا نص القرآن ، كل الذى نتصوره أن كيفية استعمال الخيل ، هو الذى يمكن أن يتطور ليناسب الظروف الحديثة ، ولكن إهداره كلية بمعنى أن الظروف تغيرت ، فقول غير مقبول ، وقد أثبتت آخر الحروب ، ان الجندى الفرد ، سيظل هو العنصر الحاسم ، ومن هنا فلا مناص من استخدام الخيول فى الحرب ، وعلى العسكرية الاسلامية ، أن تبتكر استعمالات جديدة للخيول

واتقوا الله لعلكم تفلحون :

وكشأن القرآن الكريم عندما يواسى جماهير المؤمنين ، فبعد أن يأمر بذروة ما يمكن ان يبذل من طاقة تتمثل فى الصبر والمصابرة والمرابطة ، فهو يرأف بغير القادرين على بذل هذا الجهد ، لكبر أو ضعف وعجز لا حيلة للمؤمن فيهما ، فيعود القرآن ليذكر ان القاعدة العامة للنجاة من النار والفوز بالجنة ، هى تقوى الله أى خشيته والخوف منه بالائتمار بأوامره والانتهاء عن نواهيه «**جهد الاستطاعة**» فهذا هو سبيل الفلاح «**لعلكم تفلحون**» .

انتهت سورة آل عمران بعون من الله تعالى وتتلوها سورة النساء .

إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون

فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى

تضمن هذا المقال أخطاء حدثت من المشركين وبنى إسرائيل وسيعلمها القارىء من خلال هذا المقال

قال تعالى :

« وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون .

● فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين » .

آية ١٤٦ و ١٤٧
من سورة الأنعام

المعنى

تقدم ما كان يفعله المشركون فى تحليل ما حرمه الله وتحريم ما أحله الله كما فى قوله تعالى « **وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم (يريدون أصنامهم يعطى لخدامهم) فلا يصل إلى الله** » آية ١٣٦ الأنعام .

وقالوا أيضا « **وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون . وقالوا ما فى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وأن يكن ميتة فهم فيه شركاء . .** » الآية ١٣٨ ☆ ١٣٩ الأنعام .

وقال سبحانه فى الرد على هؤلاء المشركين : « **ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز إثنين قل ، آلذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الانثيين . .** » آية ١٤٣ الأنعام « **ومن الابل إثنين ومن البقر اثنين . .** » إلى آخرها آية ١٤٤ الأنعام ، قل هذا من تصرفات المشركين وأما بنو إسرائيل فعاقبهم الله بتحريم أشياء على ذنوب ارتكبوها فقال سبحانه « **فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا** » ـ آية ١٦٠ النساء إلى آخر ١٦١ من نفس السورة كل ذى ظفر » .

فبسبب هذا الظلم قال سبحانه « **وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر . . .** »

قال ابن عباس : هو ما ليس منفرج الأصابع كالابل والنعام والأوز والبط وحرمنا عليهم من البقر والغنم شحومهما لا لحومهما ، إلا الشحم الذى فوق الظهر أو الحوايا ، أو الشحم الذى اختلط بعظم وهو ألية الضأن لاختلاط شحمها بالعصعص . فهذه الثلاثة حلال ، فالمحرم غير ذلك هو شحم الكلية والثرب بالثاء بوزن نجم وهو الشحم الرقيق الذى يكون على الكرش والأمعاء ، فالمحرم

هو الشحم الذى ينزع بسهولة لعدم اختلاطه بعظم أو لحم .

ذلك التحريم جـزيناهم بسـبب بغيهـم وعصـيانهم وإنا لصادقون فى كل ما أخبرناك به مـن تـحـريم وتحليل وبغـى وغير ذلك . فان كذبك المشركون الذين أرسلت لحاجتهم فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة لمن رجـع قـال تعـالى : « **وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمـل صـالحا ثم اهتدى** » آية ٨٢ سورة طه ، أما إذا اسـتمروا على عنادهـم فـأعلمهم بأنه تعالى لا يرد عذابه عن المجرمين .

بعـدما تقدم مـن المشركين وبنى اسرائيل وتنبيهـه سبحانه على الخـطا فيه أراد ان ينبه على أمـة محمـد اصول ما أحل وما حرم .

قال تعالى :

قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إمـلاق نحـن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفـواحش مـا ظهـر منهـا وما بطن ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحـق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ●

ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسـن حتى يبلغ اشده وأوفـوا الكيل والميزان بالقسـط لا نكلف نفسـا إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون ●

وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السـبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ●

« الآيات ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣
من سورة الأنعام »

المعنى :

يبين الله تعالى أصول المحرمات من الأعمال والأقـوال وما يقابلها من أصول الفضائل فقـال : قـل أيهـا النبى لهؤلاء المتبعين فى دينهـم لمجرد التخمين والهـوى فيما يحلون ويحرمون : تعـالوا إلى أقـرا عليكم الكلام الدال على ما حرمه ربكم عليكم ، وخص التحريم بالذكر هنا مع ان الوصايا العشر التى سيذكرها : فيها خمسـة محرمة منهى عنها ، وخمسة واجبة مـامور بهـا فـكانه يقول : المحرم هو ما نهى الله تعـالى عنه لا مـا حـرمتم

انتم ، والا فاصل الكلام : أتل ما حرم ومـا أوجـب . وإذا علمت أن من الأسـاليب العـربية الفصيحة أن يقـول الرئيس لمرءوسه اسمع ما امنعك مـن فعله لا تفعـل كذا ولا كذا وإذا علمت أن من المقرر أن الأمر بشىء نهـى عن ضده ، والنهى عن شىء أمر بضده . فاذا قلت لرجل أمرك بالصلاة فقد نهيته عن تركها ، وإذا نهيته عن الكذب فقد أمرته بتركه ، وإذا علمت كل هـذا سـهل عليك فهـم ما ياتى .

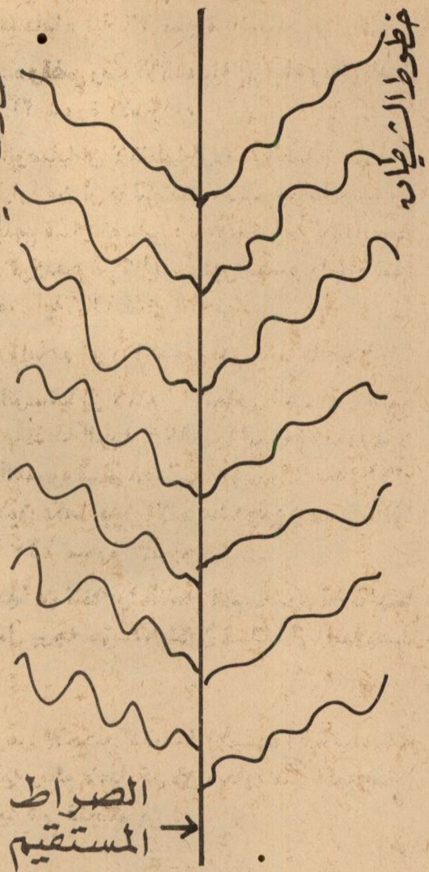

وشرع سبحانه فى بيان ما وصى بتبليغه من محظورات أو واجبات فقال : أن لا تشركو به شـيئا ، «وأن» حـرف تفسير تفيد أن ما بعدها تفسير لما قبلها انظـر مثلهـا فى قوله تعـالى : « فأوحينا إليه أن اصنع الفلك . . » آية ٢٧ سورة المؤمنون وقوله تعـالى « ونودوا أن تلكم الجنة » آية ٤٣ سورة الأعراف .

فكانه قال : قل لهم أيها النبى : تعالوا أبلغكم ما أمرنى ربى بتلاوته عليكم من وصاياه فاولها هـو ان لا تشركوا به شيئا مـن الأشياء مهمـا كانت عظيمـة فى الخلق كالشمس والقمر أو عظيمة فى المنزلة كالملائكة والأنبياء والصالحين لانهم عباد لله .قال تعالى :

« إن كل مـن فى السـموات والأرض إلا آتى الرحمـن عبدا » .

« آية ٩٣ سورة مريم » .

والثانى ممـا اتلوه عليكم وأوصـاكم به ربكم ان تحسنوا للوالدين إحسـانا كاملا وهـذا يسـتلزم ترك الاساءة وإن صغرت فكيف بالعقوق قال تعـالى : « وإذ أخـذنا ميثاق بنى إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا » آية ٨٣ سورة البقرة .

وقال تعالى : واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا » آية ٣٦ سورة النساء .

وقال تعالى : **« وقضى ربك الا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا »** آية ٢٣ سورة الاسراء .

والثالث من الوصايا أن لا تقتلوا أولادكم الصغار من أجل فقر حل بكم فرارا من أن يؤلمكم مشاهدتهم جياعا وهذا من تزيين شياطينهم قال تعالى : **« وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم »** آية ١٣٧ سورة الأنعام .

نحن نرزقكم وإياهم أى رزقكم ورزقهم علينا فلا تخافوا .

والرابع من الوصايا أن لا تقربوا المعاصى الشديدة القبح ما ظهر منها مما تفعله الجوارح كالزنا والسرقة ، وما بطن كالحسد ومنه السوء قال تعالى : **« وذروا ظاهر الاثم وباطنه إن الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون »** آية ١٢٠ سورة الأنعام .

والخامس منها أن لا تقتلوا النفس التى حرم الله قتلها إلا إذا كان القتل بوجه حق كأن تكون قاتلة أو زانية بعد إحصان .

ذلكم ما ذكر من الأحكام الخمسة فى هذه الآية وصاكم بالمحافظة عليه ربكم لاعدادكم لأن تعقلوا ما فيه الخير فتعملوه وما فيه شر فتجتنبوه .

والسادس من الوصايا أن لا تقربوا مال اليتيم بوجه من الوجوه إلا بالفعلة التى هى أحسن كحفظه وتنميته ، فحافظوا عليه إلى أن يبلغ رشده فسلموه له كما قال تعالى : **« وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم »** آية ٦ سورة النساء .

والسابع منها أن تجعلوا الكيل وافيا وكذا الميزان ، والمراد المكيل والموزون ، ولا تكونوا من المطففين الذين توعدهم الله تعالى بالهلاك فى سورة المطففين .

ولما كان الأمر بالقسط قد يوقع أهل الورع فى حرج لأن العدل المطلق لا يتحقق إلا بمثل موازين الذهب فقد تزيد حبة واحدة أو تنقص ، لكل ذلك قال سبحانه : **« لا يكلف الله نفسا إلا وسعها »** أى ما فى طاقتها فعله ، ولا يؤخذ بمثل هذه الأشياء التى لا يمكن ضبطها ، بل بالعدل المعروف عند الناس .

والثامن منها أن تعدلوا إذا قلتم قولا فى حكم أو شهادة ولو كان المحتاج إلى قولكم ذا قرابة منكم والتاسع منها أن توفوا بالعهد الذى عاهدتم الله عليه ، ويدخل فيه ما شرعه على لسان رسوله وقبلتموه بدخولكم فى الاسلام ، ويدخل فيه ما يعاهد الناس بعضهم بعضا فيما هو جائز شرعا وما يلزمون به انفسهم من نذر أو يمين ، ذلكم ما ذكر من التكاليف وصاكم ربكم به لعلكم تذكرون دائما ما فيها من المنافع فتحافظوا عليها ولا تغفلوا عنها .

والعاشر منها أن تتبعوا الشرع لأنه صراطى المستقيم المذكور فى سورة الفاتحة ، وهذه الوصية العاشرة جامعة لكل خير فهى أعم مما تقدم ولا تتبعوا سبل الضلال الكثيرة فتتفرق أى تتشعب وتبعد بكم عن سبيله المستقيم . ذلك الأمر باتباع الطريق المستقيم وصاكم به ربكم لعلكم تتقون ، وتبتعدون عما يضركم فى الدنيا والآخرة .

روى الامام أحمد عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ خط بيده على الرمل خطا ثم قال : هذه سبيل الله ، ثم خط خطوطا عن يمين ذلك الخط وشماله وقال : هذه السبل ليس منها سبيل إلا وعليه شيطان يدعو إليه ، ثم قرأ هذه الآية . ولذا أفرد سبيل الحق لأن الحق واحد ، والباطل طرقه كثيرة .

والبحث متصل إن شاء الله .

كل الكلمات أصلية
لا زائدة فى القرآن الكريم

الدكتور احمد الحوفى

هل فى أسلوب القرآن الكريم كلمات مزيدة ؟

أكثر الدارسين ينكرون اطلاق هذا التعبير على أسلوب كتاب الله تعالى ، ويسمون هذه الكلمات توكيدا أو صلة ، ولكن مجيئها للتوكيد يقطع بأنها غير زائدة ، لأنها أدت معنى ماكان يتم بغيرها .

وبعضهم يسمى مثل تلك الكلمات المقحم ، وقد يسميها البصريون الزيادة واللغو ، ويسميها الكوفيون الصلة والحشو .

والأولى كما قال الزركشى : « اجتناب مثل هذه العبارات فى كتاب الله تعالى ، فان مراد النحويين بالزائد من جهة الاعراب لا من جهة المعنى » .

قال الطرطوسى فى كتابه (عمدة الحكام فيما لا ينفذ من الأحكام) : زعم المبرد وثعلب أنه لا صلة فى القرآن ، والدهماء من العلماء والفقهاء والمفسرين على إثبات الصلات فى القرآن .

وقال ابن الخباز فى كتابه (التوجيه) : ليس فى كلام العرب زائد عن ابن السراج ، لأنه تكلم بغير فائدة ، وماجاء منه حمله على التوكيد .

ومنهم من جوز وقوع الزائد ، وجعل وجوده كالعدم ، وهو أفسد الطريق فالأجدر بنا أن نتدبر فى أسلوب القرآن الكريم ، لنتبين أن لكل كلمة ضرورتها ووظيفتها فى الجملة ، ولنستبعد ماقيل من زيادات وصلات .

وسأضرب أمثلة من آيات شتى يقاس عليها غيرها .

الكلمة الأولى
(ما)

وردت كلمة (مـا) التى زعمـوا أنهـا زائدة فى آيات عدة منها :

١ ـ قوله تعـالى : « ان الله لا يسـتحيى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها » .

نكر الطبرى رأيين فى (ما) أولهما أنها بمعنى الذى ، لأن معنى الكلام أن الله لا يستحيى أن يضرب الذى هو بعوضة فى الصغر والقلة فما فوقها مثلا ، وكان مقتضى هـذا التأويل أن ترفع كلمة بعوضة ، ولكنها نصبت من وجهين : أحـدهما أن (ما) فى محل نصـب بيضرب ، والبعـوضة صـلة لهـا فـأعربت إعرابهـا ، والآخـر أن معنى الكلام أن الله لا يستحيى أن يضرب مثلا ما بين بعوضة إلى ما فوقها ، ثم حذف نكر بين وإلى إذ كان فى نصب البعوضة ودخول الفـاء فى (فما) دلالة عليهما ، كما قـالت العـرب : هـى أحسـن الناس ما قرنا فقد ما ، يعنون مـا بين قـرنها إلى قـدمها ، ينصبون الأول والثانى ليدل النصب فيهما على المحذوف من الكلام . والرأى الآخر فى (ما) أنها صلة فى الكلام كما زعم بعض أهل العربية ، والمعنى أن الله لا يسـتحيى أن يضرب بعوضة مثلا فما فوقها ، وبعوضة منصوبة بيضرب .

وقال الزمخشرى ان كلمة (ما) ابهامية ، وهى التى إذا اقترنت باسم نكرة أبهمته ابهاما وزادته شياعا وعمـوما ، كقولك أعطنى كتابا ما ، تريد أى كتاب كان ، أو صلة للتأكيد كالتى فى قوله تعالى : « فبما نقضـهـم ميثاقهـم » كأنه قيل لا يستحيى أن يضرب مثلا حقا أو البتة ، هـذا إذا نصـبت بعوضة ، فان رفعتها كانت (ما) إسما مـوصولا ، صـلته الجملة ، لأن التقدير هـو بعـوضة فـحـذف صـدر الجملة كما حذف فى قوله تعالى : « تماما على الذى أحسن » .

ووجه آخر حسن جميل وهو أن تكون التى فيها معنى الاستفهام لما استنكفوا من تمثيل الله لأصنامهم بالمحقرات قال إن الله لا يستحيى أن يضرب للأنداد ما شاء من الأشياء المحقرة مثلا ، بله البعوضة فما فـوقها ، كمـا يقـال فـلان لا يبالى بما وهب ما دينار وديناران .

وانتصب بعـوضة بأنهـا عطـف بيان لمثلا ، أو مفعـول ليضرب ، ومثلا حال مـن النكرة مقـدمة عليه ، أو انتصـبا مفعولين لأن ضرب مضمن جعل .

وقد لخص النيسابورى ما نكره الزمخشرى .

تعقيب

التكلف واضح فيما نكره الطبرى من أن (مـا) بمعنى الذى ، لأن هذا أفضى إلى تكلف آخر فى تعليل نصب كلمة بعوضة وكان مقتضى هذا التأويل كما قال الطبرى نفسه أن ترفع كلمة بعوضة ، ولهذا نجد فيما نكره الزمخشرى أن (مـا) يصـح أن تكون بمعنى الذى ، ولكن كلمـة بعوضة مرفوعة فى هذه الحالة .

وأما القول بزيادة (ما) كما زعم بعض أهل العـربية فاننا لا نقرهم عليه .

وأما الوجـه الآخـر الحسـن الجميل الذى جنح اليه الزمخشرى فانه غير واضح .

فلم يبق إلا أن (ما) مبهمـة أدت معنى العمـوم المطلق ، فهى إسم بمعنى شئ وقع فى الآية الكريمة صفة لكلمة مثل ، أى أن الله لا يستحيى أن يضرب مثلا أى مثل ، سـواء أكان المثل بشئ عظيم أم بشئ صـغير ، بشئ تحبونه أم بشئ تكرهونه ، بشئ نافع لكم أم بشئ ضار لكم ، لأن الغـرض من ضرب الأمثال تبصيركم وهدايتكم إلى الاقرار بوحدانية الله وقدرته وأنه المستحق للعبادة .

٢ ـ قوله سبحانه وتعالى : « فبمـا رحمـة مـن الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » .

نكر الطبرى أن الأصل فبرحمة من الله و (ما) صـلة ، والعرب تجعل (ما) صلة فى المعرفة كما فى (فبمـا نقضـهـم ميثاقهم) . والمعنى فبنقضهم ميثاقهـم ، وفى النكرة كمـا فى (عما قليل ليصبحن نادمين) والمعنى عن قليل .

وربما جعلت إسما موصولا فيرفع ما بعـدها أحيانا على وجه الصلة ، ويخفض على اتباع الصلة ما قبلها ، كما قـال الشاعر :

فـكفى بنا فضـلا على مـن غيرنا
حـب النبى محمـد إيانا

إذا جعلت غير صلة رفعت باضـمار هـو ، وإن خفضـت اتبعت (من) فأعربته ، فذلك حـكمه على مـا وصـفنا مـع النكرات ، فأما إذا كانت الصلة معرفة كان التصـحيح مـن الكلام الأتباع كما قيل فى « فبما نقضهم ميثاقهـم » والرفـع جائز فى العربية .

أمـا الزمخشرى فـذهب الى أن (مـا) مـزيدة للتوكيد وللدلالة على أن لينه لهم ما كان إلا برحمة من الله ، ونحـوه « فبما نقضهم ميثاقهم » .

وأما النيسابورى فقال إنها مزيدة للتوكيد ، أما الحـكم بزيادتها فللنظر إلى أصـل المعنى وعمـل حـرف الجـر فيما بعدها ، فكأنه قال فبرحمـة مـن الله ، وأمـا افـادتها التوكيد فلاستحالة زيادة حرف لا فائدة فيه أصلا . وجـوز بعضهم أن تكون (ما) استفهامية للتعجب ، والتقدير فبأى رحمة .

وأما ابن كثير فقال : أى بأى شىء جعلك الله لهم لينا ، لولا رحمة الله بك وبهم ، وقال قتادة : (ما) صلة ، والعرب تصلها بالمعرفة ، كقوله تعالى « فبما نقضهم ميثاقهم » وبالنكرة كقوله تعالى « عما قليل » وهكذا ها هنا .

وذهب فخر الدين الرازى إلى أن (ما) استفهامية للتعجب ، ورد عليه الزركشى بأن (ما) مضافة للرحمة ، وأسماء الاستفهام التعجبى لا يضاف منها غير أى ، وإذا لم تصح الاضافة كان ما بعدها بدلا منها ، والمبدل من إسم الاستفهام يجب معه ذكر همزة الاستفهام ، وليست الهمزة مذكورة ، فدل على بطلان هذه الدعوى .

•

تعقيب

لا نوافق على أن (ما) زائدة كما ذكر الطبرى وابن كثير ، ولا على أنها زائدة للتوكيد كما ذكر الزمخشرى والنيسابورى ، لأن القول بتوكيدها ينفى أنها زائدة .

أما القول بأنها استفهامية للتعجب كما ذكر النيسابورى والفخر الرازى فقد رد عليه الزركشى كما رد عليه ابن هشام . **فلماذا لا يكون أصل الكلام : فبرحمة عظيمة من الله لنت لهم ، ثم صار الكلام فبشىء عظيم هو الرحمة لنت لهم ، على أن رحمة بدل من (ما) .**

٣ ـ قوله تعالى : « فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم »

قال الطبرى : يعنى فبنقض هؤلاء الذين وصفت من أهل الكتاب عهودهم التى عاهدوا الله أن يعملوا بما فى التوراة ، وجحودهم باعلام الله وأدلته التى احتج بها عليهم فى صدق أنبيائه ورسله وحقيقة ما جاءوهم به من عنده ، وقتلهم الأنبياء بغير حق . . . . لعناهم ، والدليل على هذا قوله تعالى : « بل طبع الله عليها بكفرهم » إذ كان من طبع على قلبه فقد لعن وسخط عليه .

ويتبين من قراءة تفسيره للآية أن (ما) زائدة .

وقال الزمخشرى : أن (ما) مزيدة للتوكيد ، والباء متعلقة بمحذوف ، كأنه قيل : فبما نقضهم ميثاقهم فعلنا بهم ما فعلنا ، أو متعلقة بحرمنا عليهم ، والتوكيد معناه تحقيق أن العقاب أو تحريم الطيبات لم يكن إلا بنقض العهد وما عطف عليه من الكفر وقتل الأنبياء وغير ذلك .

وذكر النيسابورى أن (ما) زائدة للتوكيد .

ولم يذكر ابن كثير شيئا .

تعقيب

أرجح هنا ما قلته فى الآية السابقة ، وأستصوب أن يكون أصل الكلام فبشىء قبيح هو نقضهم ميثاقهم ، على أن نقضهم بدل من (ما) .

٤ ـ قوله تعالى : « قال رب انصرنى بما كذبون . قال عما قليل ليصبحن نادمين »

•

ذكر الطبرى أن (ما) زائدة لتوكيد قصر المدة .

وذكر الزمخشرى أنها لتوكيد قلة المدة وقصرها .

وكذلك ذكر النيسابورى .

وأما ابن كثير فلم يذكر شيئا .

تعقيب

الرأى المشترك أن (ما) لتوكيد قصر المدة ، ومعنى هذا أنها أصيلة تؤدى معنى مقصودا ، فليست مزيدة .

وكأنما أصل الكلام : بعد قليل جدا من الزمن يندمون ، ثم صار الكلام : بعد جد قليل ، فأضيف المؤكد إلى المؤكد .

أو أن أصل الكلام : عن قليل من الزمن أى قليل يندمون ، ثم صار : عن أى قليل من الزمن يندمون ، فأضيف الوصف إلى الموصوف .

٥ ـ قوله تعالى : « قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ، ومن قبل ما فرطتم فى يوسف ، فلن أبرح الأرض حتى يأذن لى أبى أو يحكم الله لى ، وهو خير الحاكمين .

ذكر الطبرى ثلاثة آراء :

أولها ومن قبل فعلتكم هذه تفريطكم فى يوسف ، أى أو لم تعلموا من قبل هذا تفريطكم فى يوسف ، و (ما) فى موضع نصب .

وثانيها أن قوله « ومن قبل ما فرطتم فى يوسف » خبر ومبتدأ ، فتكون (ما) فى موضع رفع ، كأنه قيل ومن قبل هذا تفريطكم فى يوسف .

وثالثها أن تكون (ما) صلة فى الكلام ، فيكون تأويله ومن قبل هذا فرطتم فى يوسف .

وذكر الزمخشرى ثلاثة آراء أيضا :

أولها أن (ما) صلة ، أى ومن قبل هذا قصرتم فى شأن يوسف ، ولم تحفظوا عهد أبيكم .

وثانيها أنها مصدرية والمصدر مرفوع على الابتداء وخبره الظرف وهو من قبل ، أو منصوب معطوف على مفعول ألم تعلموا .

وثالثها أنها بمعنى الذى ، أى ومن قبل هذا الذى قدمتموه فى حق يوسف من الجناية العظيمة ، ومحله الرفع أو النصب على الوجهين .

وقال النيسابورى ما قاله الزمخشرى .

ولم يذكر ابن كثير شيئا .

وأما ابن هشام فقد ذكر أن (ما) اما زائدة ومن قبل

البقية ص ٣١

خصائص القصة القرآنية

كانت ردة بنى إسرائيل ، إلى الوثنية وشوقهم إلى عبادة العجل ، وفرحهم بالتمثال الذى صنعه واحد منهم ، اسمه السامرى ، من الذهب والحلى التى سرقوها من نساء مصر وبناتها ، قبل الخروج منها ، وعبور البحر إلى صحراء سيناء ، كان كل ذلك كشفا عن حقيقة نفوسهم ، وخصائصهم القومية ، التى أشرنا إليها فى الحديث السابق . وقد توالت بعد ذلك ، أحداث رواها القرآن الكريم ، بأسلوبه ولغته ، ومنهجه المعجز ، الذى كان الايجاز أظهر خصائصه ، وإغفال أسماء الأشخاص والمواقع ، الخاصية الثانية منه ؛ وامتلاء الرواية بالحكمة منها ، وقيامها من البداية حتى النهاية شاهدا لا ينتقص ، ودليلا لا يجحد على وحدانية الله ، وصدق رسالة الأنبياء ، وكذب خصوم الدين ، وضعف عزمهم ، وسوء نظرهم فى الأمور ، الخاصية التى تحيط بالقصة القرآنية وتشيع فيها ، وتميزها عن القصص المأثور عن الأمم الأخرى كاليونان والرومان والهنود ، وعن القصص الحديث ، الذى يتخذ من الامتاع والتسرية والاثارة والتشويق ، أهدافا له وغايات ، قد تسبق أو تخفى ما فى هذا القصص البارع المحكم من عظات أو دروس أو حقائق نفسية أو دلالات روحية .

الأستاذ فتحى رضوان

وقد جاءت حكاية العجل ، فى سورة الأعراف ، وفى سورة طه ، وسأنقل عن السورتين الكريمتين الآيات التى تتصل بواقعة صنع العجل الذهبى وعبادته ، وإنى أدعوك سلفا أن تحصى الكلمات التى صورت هذه الواقعة ، وأن تتبين قلة هذه الكلمات ، وامتلائها بالحركة والوقائع وبيان التطورات الضخمة التى طرأت على قبائل بنى إسرائيل التى انتسبت الى اثنى عشر سبطا من أسباط اسرائيل ، أى يعقوب بن اسحق ابن ابراهيم عليهم السلام ، مما كان يقتضى الكاتب أن يستعمل أضعاف أضعاف هذه الكلمات ، التى كان لابد أن تغيب فى اطوائها قوة هذه الاحداث وضخامتها وسرعة تتباعها ، والكشف عن الأثر النفسى لها . المباشر والبعيد فى بنى إسرائيل .

ففى سورة الأعراف قال تعالى :

« واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين ولما سقط فى ايديهم ورأوا انهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين .

ثم يقوم فاصل ، أو قل بلغة هذه الأيام يسدل ستار على هذا القسم من الأحداث ، لننتقل إلى قسم آخر ، يقول فيه تعالى :

« ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا قال بئسما خلفتمونى من بعدى ، أعجلتم أمر ربكم والقى الألواح ، واخذ برأس اخيه يجره اليه قال ابن أم إن القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى فلا تشمت بى الأعداء ولا تجعلنى مع القوم الظالمين قال رب اغفر لى ولأخى وأدخلنا فى رحمتك وانت ارحم الراحمين إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا وكذلك نجزى المفترين .. إلى قوله تعالى :

ولما سكت عن موسى الغضب اخذ الألواح وفى نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون .. »

وفى سورة طه حكاية لهذه الأحداث ذاتها ، بنفس المنهج ،

منهج الايجاز المعجز ، والتجاوز عن الأسماء ، والتفاصيل ، وامتلاء الألفاظ بحكمة الرواية والغاية منهـا ، ولكن كتاب الله يتناول هذه الأحداث فى سورة طه ، بنظـم مباين ، حتى يكاد يقوم فى الوهم ان الرواية هناك عن وقائع غير تلك التى روتها آيات سورة الأعراف فالاستهلال فى الحالين مختلف ، وسوق الأحداث مغاير تماما ، والتفاصيل الصـغيرة ، توزع على وجه يجعل الرواية كلها وكأنها شىء جديد لم نقرأه من قبل فى سورة أخرى من سور القرآن هى سورة الأعراف .

لكنا سنرى أن الحوادث فى الموضـعين تتلاحـق وتتابع فى سرعة وأن الألفاظ تتماسك فى قوة ، وأن الصورة تبدو حية نابضة قوية، قال تعالى فى سورة طه :

« وما أعجلك عن قومك يا موسى ؟ قـال هـم أولاء على اثرى وعجلت إليك رب لترضى قال فانا قد فتنا قومك من بعدك واضلهم السامرى فرجع موسى إلى قومه غضبـان اسفا قال يا قـوم الم يعـدكم ربكم وعدا حسـنا افـطال عليكم العهد ام اردتم ان يحـل عليكم غضـب مـن ربكم فاخلفتم موعدى » .

قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزارا مـن زينة القوم فقذفناها فكذلك القى السامرى فـأخرج لهـم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله مـوسى فنسى افلا يرون الا يرجـع إليهـم قـولا ولا يملك لهـم ضرا ولا نفعا .

ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنمـا فتنتم به وأن ربكم الرحمن فاتبعونى واطيعوا أمرى قـالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجـع إلينا مـوسى قـال يا هـارون مامنعك إذ رايتهم ضلوا الا تتبعن ، افعصيت امرى قـال يابن أم لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى انى خشيت أن تقـول فرقت بين بنى إسرائيل ولم ترقب قولى قال فما خـطبك يا سامرى قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضـة من اثر الرسول ، فنبذتهـا وكذلك سـولت لى نفسى قـال فاذهب فان لك فى الحياة ان تقول لا مساس وأن لك موعدا لن تخلفـه وانظر إلى إلهـك الذى ظلت عليه عاكفـا لنحرقنه ثم لننسفنه فى اليم نسفا »

ولننظـر فى آيات السـورتين ، لنرى كيف أن الحـوادث تزاحمت فى هذه الألفاظ القليلة أولا ، ثم لنرى أيضـا كيف أن الحكمة من سوق هذه الأحداث ، تأتى عرضا فى الحديث بألفاظ قليلة أيضا ، فلا تبدو كالمواعظ الثقيلة التى تضـيق بها النفس ويزور عنها السمع ثانيا ، لنرى الحدث الضـخم يأتى فى اثر الحـدث الكبير ، بدون مقـدمات أو تمهيد لكن القارىء يفهم ، ولا يتسـاءل عن المقصود بالألفـاظ التى أوردته .

« يبدأ الحديث فى آيات سورة الأعراف يقول الله تعـالى : واتخذ قوم موسى من بعده مـن حليهـم ، عجـلا جسـدا له خوار » .

فانظر كم فهمنا من هـذه الألفـاظ فـأولا نعـرف ان الحديث عن قوم موسى ، ثم عن شىء جرى بينهم فى حالة غيابه ، أمـا بالموت ، أو بالسـفر ، أو بالذهـاب إلى الله ليناجيه إنمـا جـرى مـن هؤلاء ، شىء ، فى حين لم يكن موسى بينهم أو معهم .

وقد أفضى لنا كلام الله بأن هؤلاء اتخذوا عجـلا ، يصـدر عنه خوار وله جسد . وهـذا كله شىء غير مسـبوق فى حياة الأمم ، والتى حدثنا عنها القرآن إلا قبل أن يأتيهم الرسل . ثم تأتى الموعظة فى أعقاب هـذه الواقعـة ، فى صـورة بيان جانب مـن الواقـع **(ألم يروا أنه لا يكلمهـم ولا يهـديهم سبيلا ، اتخذوه وكانوا ظالمين)** ثم يسجل كيف ثاب هؤلاء إلى رشدهم لأن ما قارفوه هو ظلم لأنفسهم وكفر بخـالقهم **(قـالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفـر لنا لنكونن مـن الخاسرين)** . وتستمر الموعظة والحكم أيضا فى قول الله تعالى على لسان موسى : **بئسما خلفتمونى من بعـدى** ، ثم يعود الحديث إلى سـوق الوقـائع **« والقـى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه »** . إلى آخر ما جاء فى سورة الأعراف .

فاذا انتقلنا إلى سورة طه نرى الاستهلال جميلا ورائعـا ومثيرا للاهتمام يوجـه فيه الله الخـطاب إلى مـوسى **« وما أعجلك عن قومك يا موسى ، قال هم أولاء على أثرى وعجلت إليك رب لترضى »**

ثم يختتم الحديث عن هذه الوقائع بالختام الذى يبدو منه أن الوثنية كلها باطل زائل وزائف ، فقـد قـال مـوسى عليه السلام إلى السامرى الذى صنع هذا التمثال : **وانظـر إلى إلهك الذى ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه فى اليم نسفا ، إنما إلهكم الله الذى لا إله إلا هـو وسـع كل شىء علما .**

وقد تناول المفسرون هذه الوقائع المجملة ، الخـالية مـن التفاصيل التى لا تقدم فى بيان الحدث أو تؤخر ، ولا تزيد من تأثر القارىء أو السامع إحاطة بحـكمته ، أو إدراكا لمعناه ، فابدأوا وأعادوا ، وسأنقل إليك هنا بعض ما قـالوا ، لنرى الفارق الكبير بين هـذا الأسـلوب السـامى ، الرصـين والوقور ، وهذا الترخيص فى القول ، والاختلاف والاتفـاق فيما لا معنى له ، لا نفع فيه .

جاء فى تفسـير القـرطبى : روى فى قصص العجـل ، أن السامرى ، واسمه موسى بن مـظفر يدعى إلى قـرية تدعى سامرة ، ولد عام قتل الأبناء فى عهد فرعون مـوسى ، وأخفته

أمه في كهف جبل فغداه جبريل فعرفه لذلك ، فأخذ حين عبر البحر على فرس وديق ، أى فرس تشتهى الفحل أى الذكر ، ليتقدم فرعون في البحر قبضة من أثر حافر الفرس ، وهو معنى قوله «فقبضت قبضة من أثر الرسول» ، وكان موسى قد وعد قومه ثلاثين يوما ، (يذهب خلالها لملاقاة ربه ومنجاته) فلما أبطأ في العشر الزائدة ، ومضت ثلاثون ليلة قال السامرى لبنى اسرائيل - وكان مطاعا فيهم أن معكم حليا ، من حلى آل فرعون ، وكان لهم عيد يتزينون فيه ويستعيرون من القبط الحلى فاستعاروا لذلك اليوم ، فلما اخرجهم الله من مصر وغرق القبط بقى ذلك الحلى في أيديهم ، فقال لهم السامرى إنه حرام عليكم ، فهاتوا ما عندكم فنحرقه ، قيل : هذه الحلى ما أخذه بنو إسرائيل من قوم فرعون بعد الغرق ، وأن هارون قال لهم : إن الحلى غنيمة ، وهى لا تحل لكم ، فجمعها في حفرة حفرها فأخذها السامرى وقيل استعاروا الحلى ليلة ارادوا الخروج من مصر ، وأوهموا القبط أن لهم عرسا أو مجتمعا ، وكان السامرى سمع قولهم «**اجعل لنا الها كما لهم آلهة**» وكانت تلك الآلهة على مثال البقر ، فصاغ لهم عجلا جسدا أى مصمتا غير أنهم كانوا يسمعون منه خوار وقيل : قلبه الله لحما ودما . وقيل أنه لما ألقى تلك القبضة من التراب في النار على الحلى صار عجلا له خوار ، فخار خورة واحدة ولم يثن ثم قال للقوم : هذا إلهكم وإله موسى فنسى «يقول نسيه ها هنا وذهب بطلبه فضل عنه : فتعالوا نعبد هذا العجل . فقال الله لموسى وهو يناجيه : فأنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامرى» فقال موسى : يارب هذا السامرى ، أخرج لهم عجلا من حليهم فمن جعل له جسدا ؟ - يريد اللحم والدم - ومن جعل له خوارا ؟ فقال الله سبحانه أنا فقال وعزتك وجلالك ما أضلهم غيرك «قال صدقت يا حكيم الحكماء ، وهى معنى قوله : ان هى إلا فتنتك وقال الضحاك : كان السامرى احتال بأن جوف العجل ، وكان به الريح حتى جاء من ذلك ما يحاكى الخوار ، وأوهمهم أن ذلك إنما صار كذلك لما طرح في الجسد من التراب الذى كان أخذه من تراب قوائم فرس جبريل .

لعلك تعجب معى أن يحتوى تفسير جليل كتفسير القرطبى ، على هذه الغرائب ، وقد يزيد عجبك ، إذا قرأت في التفسير ذاته ، في تفسير قول الله تعالى (**ولما رجع موسى إلى قومه غضبان اسفا إن (موسى عليه السلام كان إذا غضب طلع الدخان من قلنسوته ورفع شعر بدنه جبته» اى ثوبه .**

وقد قال الشيخ عبد الوهاب النجار في كتابه القيم «قصص القرآن» : اما قول السامرى فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها) فمعناها على ما اخترت : انه قبض قبضة من أثر الرسول ، أى تعليمه واحكام التوحيد التى جاء بها الرسول فنبذتها أى ألقيتها واهملتها وكذلك سولت لى نفسى .

وقال الشيخ النجار في تفسير (بصرت بما لم يبصروا ؟) التى قالها السامرى لموسى عليه السلام ، انه رأى عجلا تتوافر فيه شيات وصفات عجل ابيس وكان بصر بنى إسرائيل لم يلتفت إليه ، فاخذ من نساء بنى إسرائيل الحلى التى اخذوها من بنات ونساء مصر ، قبل عبور البحر ، فاستولى عليها ، ثمنا لهذا العجل . وكان الأزهر قد كون لجنة لمناقشة كتاب الشيخ عبد الوهاب النجار ، لما شاع أن فيه أخطاء ومخالفات دينيه فتساءلت اللجنة في اى سوق وجد السامرى هذا العجل ، وهل انتقل من مصر إلى سيناء مع بنى إسرائيل او وجده هناك .

وهكذا ترى أن هذه التفاصيل والجزئيات التى أغفلها القرآن إغفالا لكيلا تشغل عقول الناس وأذهانهم بمثل هذه السفاسف ، أبى المفسرون الا أن يملأوا بها كتبهم وأن يشتجر حولها نزاعهم ، ويشتد خصامهم ، وهى آخر الأمر ، لغو من اللغو .

وقد شارك الشيخ رشيد رضا فيما **تورط فيه هؤلاء المفسرون فنقل عنهم بعض ما شغلوا به انفسهم فقال : وقد اختلف المفسرون في ذلك العجل هل صار لحما ودما له خوار واستمر على كونه من ذهب إلا انه يدخل فيه الهواء فيصوت كالبقر ؟ على قولين والله اعلم . روى القول الاول عن قتادة واخرج ابن أبى حاتم عن الضحاك انه خار خورة واحدة ولم يثن ومن قال انه حلت فيه الحياة عللوه بان السامرى راى جبريل حين جاوز ببنى إسرائيل البحر ، مرة رواية عند نزوله على موسى (عليهما السلام) راكبا فرسا ما وطىء بها ارضا إلا حلت فيها الحياة واخضر النبات ، فاخذ من اثرها قبضة فنبذها في جوف ذلك العجل فصار حيا له خوار ، وفسروا بهذا ما حكاه الله تعالى عنه في سورة طه ولكن قال بعض هؤلاء إن خواره كان بتاثير دخول الريح في جوفه وخروجها من فيه .**

وكما اختلف المفسرون في العجل امن ذهب صنع أم كان من لحم ودم ، وهل خار مرة واحدة ولم يثن أم استمر يخور وهلكان مصدر حواره أنه حى ، أو لأن الهواء كان يدخل من دبره ويخرج من فمه ، كذلك اختلفوا فالسامرى كان في رأى يهوديا . اسمه موسى أيضا ، وولد في العام الذى ولد فيه موسى وهو العام الذى أمر فيه فرعون مصر بقتل كل ذكر يولد لليهود ، ولكن القرطبى نقل عن ابن عباس رضى الله عنه أن السامرى كان من قوم يعبدون البقر أى من أهل الهند

كما فى بعض الأخبار ، فوقع بأرض مصر ، فدخل فى دين بنى إسرائيل بظاهره ، وفى قلبه ما فيه من عبادة البقر ، وقيل كان رجلا من القبط ، وكان جارا لموسى وآمن به وخرج معه وقيل كان عظيما من عظماء بنى إسرائيل من قبيلة تعرف بالسامرة وهم معروفون بالشام ، وقال سعد بن جبير : كان من أهل كرمان .

وفى سورة المائدة ، أورد القرآن الكريم ، جانبا آخر من حياة بنى إسرائيل ، وفى شبه جزيرة سيناء ، حيث مارسوا حياة الحرية لأول مرة فى حياتهم ، بعد أن اكتمل لهم قليل من الاحساس بالقومية . إذ كانوا قبل ذلك ، قبائل ، لا تدين بالولاء لحاكم ولا تعرف انتماء لأرض ، ولا ينفذ فيها قانون مستقر ثابت ، فهم أحفاد إبراهيم ، وإبراهيم عليه السلام كان من مدينة (أور) فى جنوب العراق فعبر نهر الفرات وجاء إلى أرض الكنعانيين ثم هاجر إلى مصر ، ثم عاد إلى كنعان ، ثم مضى إلى الحجاز ومعه ابنه اسماعيل عليهما السلام حيث أقاما معا ببيت الله الحرام ، ثم ترك إبنه اسماعيل ، ليصهر إلى قبيلة جرهم ، العربية ثم ليكون أبا لعرب الشمال العدنانيين .

فحياة إبراهيم وحياة لوط ، ابن اخيه الذى هاجر معه إلى مصر ، ثم تركه إلى جانب من الأردن ، هى حياة التنقل والتجول والبحث عن الكلأ والمرعى ، والأمن والسلام ، ومن بعده جاء حفيده يعقوب ، حينما مكن الله لابنه يوسف فى مصر وجعله عزيزها امينا على خزائن الأرض .

ومن ثم فان بنى إسرائيل حينما حررهم الله تعالى من ربقة حكم فرعون ، اخلدوا إلى النظام المصرى ، واطمانوا إليه ، وإن كان الخسف ينالهم ، والهوان فى بعض الأحيان يركبهم ، إلا انهم لم يالفوا من قبل ، حياة مستقرة يحكمها قانون نافذ فى الجميع ، يحدد لكل نشاط مجالا ، ولكل مجال حدودا ، ويعلو الناس جميعا ، ملك ، فيه من الاله صفات ، ومن الحاكم الأعلى خصائص ، وفى ظله نشات المعابد والقصور ، وتشق الترع وتبنى الجسور وتزرع الأرض فى مواسم معروفة وتقاليد مرعية وللناس أعياد يذكرونها وعادات يحبونها ولمصر جيوش وأساطيل هى الغاية فى النظام والقوة ، يدين لسكانها العالم المعمور ، وهى حيثما تذهب تعلم وتشيد وتبنى ويحسب الكل حسابها .

هذا كله تخلل شعور بنى إسرائيل فاصبحوا من حيث يشعرون أولا يشعرون ، مصريى الهوى ، لا يطيب لهم إلا طعام المصريين ، ولا يحلو لهم إلا نيلها وهواؤها ، ولا يخاطب مشاعرهم إلا دينها وثقافتها ، ولا يخطف أبصارهم إلا رواء المعابد المصرية وبريق ملابس الكهان ، ولا يسكر أسماعهم إلا أناشيد معابد رع وآمون .

لذلك هالهم ان يتركوا فى شبه جزيرة سيناء وكبرت عليهم - كما سبق القول - النقلة من الدين الواضح المعالم ، وبين المصريين ، إلى ما دعاهم إليه موسى من دين لم تعلن بعد أحكامه ولم تتداول الألسن والأفهام قواعده وضوابطه ، ولم ينشا له نظام ولم يبن له معبد ، ولم ينتخب له حبر ، ومن ثم فان التوراة لا تقول كما يقول القرآن الكريم ان السامرى هو الذى صنع تمثال العجل من ذهب نساء مصر وبناتها ، بل تقول شيئا عجيبا ، إذ تقرر أن الذى صنع هذا التمثال ودعا بنى إسرائيل للتعبد ، بها هو (هارون) عليه إسرائيل ، أخو موسى رسول الله ونبيه وكليمه . فوزير موسى الذى طلب نبى الله أن يشد أزره به هو الذى ارتد إلى الوثنية - فى رأى التوراة - وهو الذى ارتكب أكبر أوزارها ، إذ صنع بيده أول أصنامها وأوثانها . ومنطق القرآن والاسلام يرفض هذا رفضا صريحا وقاطعا ، ومن ثم فانه لا غرابة ولا مفارقة حين ترى التوراة أيضا حيرة بنى إسرائيل عندما ذاقوا طعم الحرية لأول مرة ، فى فترة لم يكن رسول الله إليهم ولا نبيهم قد ناجى ربه عند جبل (حوريب) ولم يتلق بعد الألواح ، التى وضعت لهم أساس حياتهم ولم يكن فى رأى التوراة التى بين أيدى الناس الآن - أن يملأ الفراغ الذى خلقه غياب اخيه موسى عليهما السلام - ومن ثم فقد كان لا مناص من أن يسد جوعهم بشىء من الدين ، وأن يملأ فراغهم ، بما ألفوه وعرفوه ، فى أرض مصر ، فكان لهم هذا التمثال ، الذى صنع على شكل عجل أبيس .

ولكن الاسلام والقران ، ينزهان الرسل جميعا وفى مقدمتهم رسل الله إلى بنى إسرائيل ، من المعصية والخطأ العظيم ، دع عنك الكفر والوثنية الصريحة .

وقد يكون من الممكن أن نفهم قول الله تعالى فى سورة المائدة قال الله تعالى : « وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم ، إذ جعل فيكم انبياء ، وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين ، ياقوم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين ، قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها ، فان يخرجوا منها فانا داخلون ، قال رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهما ، ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين . قالوا ياموسى إنا لن ندخلها ابدا ، ماداموا فيها ، فاذهب انت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون . قال رب إنى لا املك إلا نفسى واخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين ، قال ، فانها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون فى الأرض ، فلا تاس على القوم الفاسقين . » .

ولا شك فى أننا نحتاج إلى وقفة طويلة أمام هذه الآيات

البينات ، ولكن قد يكون فى الوسع أن نعجل ببعض ما يجب التنويه به والاشارة إليه هنا .

أول ما يتعين إليه الاشارة هو أن سفر الخروج ، سكت تماما عن هذه الواقعة ، فلم يذكرها من قريب ولا من بعيد ، وإنما ذكر ما يمكن أن يكون تلميحا إليها ذلك ماورد فى هذا الموضع من بيان المواقف الضعيفة التى قامت بين موسى وقومه ووصفه إياهم بصلابة الأعناق ، ورميهن بالتمرد على خالقهم .

وثانى ما يحسن إليه الاشارة ، أن التوراة لم تذكر قط ، إن موسى وهارون عليهما السلام فكرا فى العبور إلى تلك الأرض التى قالت التوراة أنها لبنى إسرائيل كذلك فعل القرآن الكريم ، فتحريم الأرض المقدسة لا الأصل فيه أنه عقاب لبنى إسرائيل ، وكان يمكن أن يستثنى منه نبيا الله موسى وهارون والذين اتبعوهما بايمان وإحسان .

ولكن هذا العبور كان نعمة من الله وحسنة من حسناته إلى شعب بنى إسرائيل ، فلما ثبت أن هذا الشعب غير جدير بهذه النعم من جهة وانه يرفضها تماما من جهة أخرى ، فلم يكن فى الوسع أن يسبق موسى وهارون قومه وحدهما فيكونان نبيين بلا شعب يؤمن بهما ، ويتبعهما وينفذ أحكام الله فى الأرض الجديدة .

الأمر الثالث ان موسى وهارون عليهما السلام لم يدخلا الأرض المقدسة ، بل لم يرياها ، ولم يقع نظرهما عليها ، وإن كان الله – على حد رواية التوراة – قد أمر موسى وحده – أن يصعد إلى جبل (نبو) ، وينظر إلى ارض الموعد دون أن يدخلها وأحبار اليهود لأمر ما ، لم يريدوا لنبيهم أن يدخل الأرض المقدسة دونهم ، وان يكون كل حظه بعد هذا الجهاد العظيم ، والعناء الجسيم ، والحياة المضطربة والمضطرمة ، ان يلقى نظرة من فوق جبل يراها ، وتذهب نفسه حسرات ، إذ رفض ابناء قومه ان يطيعوا الله ، ويقبلوا فريضة الجهاد فيقومون بها وضريبة الايمان فيؤدونها وكان ختام هذا السعى المتصل ، أن يدخل موسى ومن ورائه شعبه هذه الأرض ، فيقوم لهم سلطان ، ويجتمع لهم شمل أمة ، ويمضون فى تنفيذ أحكام الله .

الأمر الرابع ، أن التوراة ، تقول إن موسى وهارون ماتا فى البرية ، فى أولى سنى التيه ، فقد مات – على حد عبارتها – على الفسجة أى الأكمة التى هى من رمل أحمر ، ودفن هناك ، خفيت معالم قبره ، وكان هارون قد مات قبل أخيه – وكان هارون أكبر الأخوين – ودفن فى جبل من جبال سيناء .

ولابن خلدون ، عبارة تستحق أن تذكر هنا ، فقد قال أن نفس بنى إسرائيل كانت صغيرة ، لأنهم رئموا الذل والهوان فى ملك مصر والمصريين ومن كان كذلك لا يصلح لقتال ولا استقلال ، ولذلك ذابت قلوبهم فى صدورهم ، وملأ الخوف انفسهم حين أمروا بقتال أولئك الجبارين .

وقد فات ابن خلدون أن العيب ليس عيب الحكم المصرى ، إذ لو كان بنو إسرائيل أهل قتال ، وكانوا جديرين بالحرية ، آنذاك ، لما قبلوا العيش فى مصر ، ولواصلوا ترحالهم ، وانتقلوا من أرض إلى أرض ، كما كان الحال مع جدهم الأكبر أبى الأنبياء ، ولكنه لأنهم لم يكونوا سوى قبائل رعى ، فقد طابت لهم المعيشة فتجردوا من خصائص المحاربين ، وفضائل المقاتلين .

ويقول الشيخ عبد الوهاب النجار : إن الله أراد بعقاب التيه أن يمضى الوقت الذى يمكن يفنى فيه الجيل ، الذى رفض طاعة موسى ، وتمرد على حكم الله . فينشأ جيل ملأ صدره من هواء الصحراء ، وتلقن من ترامى أطرافها واتساع أعطافها درسا فى الحرية ، والحرص عليها والعض على النواجذ من اجلها ونبت من بين صفوفهم ، قائد شجاع ، هو يوشع بن نون ، غلام موسى عليه السلام .

وفى حديث آخر قادم باذن الله / نتناول نصوص سورة المائدة على ضوء هذه الحقائق .

بقية مقال « كل الكلمات أصلية لا زائدة فى القران الكريم

متعلقة بفرطتم ، واما مصدرية هى وصلتها فى موضع رفع الابتداء وخبره من قبل ، أو فى موضع نصب عطفا على أن وصلتها ، أى ألم تعلموا أخذ أبيكم الموثق وتفريطكم .

تعقيب

لا اعتراض إلا على القول بزيادة (ما)

ولكن هل هناك ما يمنع من أن تكون نافية ، لأن كبير أبناء يعقوب يذكر إخوته بأنهم عاهدوا أباهم على بذل أقصى الجهد فى الرجوع بشقيق يوسف إلى أبيهم « **قال لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتاتتنى به إلا أن يحاط بكم ، فلما أتوه موثقهم قال : الله على ما نقول وكيل** » .

وهو يضيف إلى هذا التذكير تحذيرا من نقض العهد ، وتهكما بهم إذ زعموا لأبيهم من قبل أنهم ما فرطوا فى المحافظة على يوسف ، وهم يعلمون أنهم مفرطون ، كما تقول لشخص سرق منك وأنت تعلم أنه السارق وهو يعلم أنك تعلم : أنت لم تسرق منى قط ، ساخرا منه ومتهكما به .

ومجيء (ما) نافية فى الآية الكريمة على هذه الصورة يكفل التهكم بالمخاطبين ، وتذكيرهم بالجريمة التى اقترفوها من قبل ، وهم يوشكون أن يقترفوا مثلها الآن ، وهذا لا يحوجنا إلى تاويل .

من أمثال القرآن الكريم

فضيلة الشيخ
أحمد كامل الخضري

تحت هذا العنوان . تكلمنا على بعض الأمثال الواردة فى كتاب الله تعالى من أول سورة البقرة إلى آخر سورة النحل . . .

ونتابع الكلام ـ بفضل الله تعالى ومعونته وتوفيقه ـ على بعض الأمثال الواردة فى سورة الكهف وما بعدها . . وقبل أن نتكلم على ذلك . نذكر السبب الذى جعلنا نكتب عن أمثال القرآن الكريم . فنقول وبالله التوفيق :ـ

كنت فى أحد المساجد فى يوم من أيام الجمعة المباركة ذلك اليوم العظيم . الذى جعله الله تعالى عيداً أسبوعيا للمسلمين . يجتمعون فيه فى بيوت الله . لأداء فريضة الله . والاستماع إلى آداب شريعته الغراء . ويتعارفون ويتعاونون على الخير لأنفسهم ولدينهم . وتقوى روابط الأخوة والمحبة بينهم . . تحقيقا لقول الله تبارك وتعالى « **إنما المؤمنون إخوة** » . . .

فاستمعت إلى قارىء السورة وهو يتلو قوله تعالى « واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا » وهى الآية ٣٢ من سورة الكهف إلى آخر الآية ٤٢ منها . . .

فانفعلت نفسى بهذا المثل الرائع العظيم . . واتجهت لأن أكتب عليه . . ووفقنى الله سبحانه وتعالى للكتابة عليه تحت عنوان (من أمثال القرآن) ونشر فى العدد ١٢ من السنة ٣٤ لشهر ذى الحجة الحرام سنة ١٣٩٦ هـ .

ورأيت بعد ذلك ـ بتوفيق الله عز وجل ـ أن أتابع الكلام على بعض الأمثال الواردة فى كتاب الله تعالى من أول سورة البقرة . . لما فيها من الخير العظيم . والفضل العميم . .

وقد قال العلماء والمفسرون إن الأمثال فى القرآن الكريم . هى أحد أقسامه السبعة . . .

ونحن الآن بين يدى سورة الكهف المباركة . التى اشتملت على روائع القصص والأحداث والتوجيهات الكريمة السامية . . .

وقد ذكر الله فيها مثلين رائعين ـ المثل الأول . الذى تكلمنا عليه فى مقالنا الأول المشار إليه ـ والمثل الثانى فى قوله عز وجل « **واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شىء مقتدرا ، المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا** » .

أمر الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم . صلوات الله وسلامه عليه . أن يضرب لقومه مثلا للحياة الدنيا وزينتها وبهجتها وسرعة زوالها وفنائها . . بالنبات الذى يخرج من الأرض بسبب ماء المطر الذى ينزل من السماء ويختلط به فيلتف ويتكاثف ويزدهر . . ولكنه لا يلبث أن يصبح يابسا هشيما متكسرا تنسفة الرياح وتذروه وتجعله كأن لم يكن . . . وبين سبحانه أن المال والبنين التى يغتر بهما المحبون للدنيا . المغرورون بها . ليست من زاد الآخرة . وإنما هى من زينة الحياة الدنيا . وأن الباقيات الصالحات . التى هى زاد الآخرة . خير عند الله تعالى يثيب عليها الثواب الجزيل . وتحقق الآمال المرجوة فى الدار الآخرة . دار البقاء والخلود ـ فذلك قوله تعالى « **واضرب لهم** » أى اضرب يا محمد وبين لقومك « **مثل الحياة الدنيا** » أى فى نضرتها وبهجتها وزينتها وسرعة فنائها وزوالها وانقضائها « **كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض** » أى كالنبات الذى ينبت من الأرض : مختلف الألوان والطعوم بسبب ماء المطر الذى ينزله الله عز وجل من السماء . . فيختلط بالأرض « **فأصبح هشيما تذروه الرياح** » أى ولكنه لا يلبث أن يصبح ويصير هشيما متكسرا يابسا تنسفه الرياح

وتطيره وتذهب به . . وتجعله كأن لم يكن «**وكان الله على كل شيء مقتدرا**» أى قادرا على الانبات والزرع والخلق . وعلى الابادة والاهلاك . . . «**المال والبنون**» التى يفتخر بهما المحبون للدنيا . المغرورون بها . الغافلون عن الآخرة «**زينة الحياة الدنيا**» يعنى انها ليست من زاد الآخرة . وليست من وسائل الاعداد لها «**والباقيات الصالحات**» التى هى أعمال الخير والبر . وهى زاد الآخرة «**خير عند ربك ثوابا**» أى جزاء «**وخير أملا**» أى خير ما يأمله المرء ويرجوه فى الدار الآخرة . التى هى دار البقاء والخلود والنعيم المقيم ـ قال على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه ـ **المال والبنون حرث الدنيا . والأعمال الصالحة حرث الآخرة . وقد يجمعهما لأقوام** ـ يعنى أن الله تبارك وتعالى قد يتفضل على بعض عباده بالسعادتين الدنيوية والأخروية . . وفى ذلك يقول القائل . . «**ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا**» .

وقال ابن عباس رضى الله عنهما ـ **إن الباقيات الصالحات هى قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله اكبر ـ وقيل هى الصلوات الخمس . . وقيل هى كل خير يعمله العبد ـ فهى تبقى له . وينعم بثمراتها فى الآخرة . . .**

وأخرج الامام مالك رحمه الله فى الموطأ عن سعيد ابن المسيب رضى الله عنه أن الباقيات الصالحات . **هى قول العبد . الله أكبر وسبحان الله . ولا إله إلا الله . ولا حول ولا قوة إلا بالله . . .**

وأخرج الامام مسلم رحمه الله فى صحيحه . عن أبى هريرة رضى الله عنه قال . قال رسول الله ﷺ (**لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله اكبر أحب إلى مما طلعت عليه الشمس**) . . .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه . عن النبى ﷺ أنه قال (**استكثروا من قول الباقيات الصالحات . . قيل وما هن يا رسول الله ؟ . . . قال . . التكبير والتهليل والتسبيح والحمد لله . ولا حول ولا قوة إلا بالله**) . . .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال . قال رسول الله ﷺ (**إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا ـ قلت يا رسول الله وما رياض الجنة؟ . . . قال المساجد . . قلت وما الرتع ؟ . . . قال رسول الله ﷺ . . سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر**) . . . أخرجه الترمذى رحمه الله . .

فعلى العبد أن يعمل دائما للآخرة وان يذكر الله عز وجل بكافة أنواع الذكر والا يغتر بالدنيا . وأن يشكر الله تعالى على كل نعمة ينعم بها عليه . . .

نسأله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من أهل طاعته ورضوانه . . .

يقول جل ذكره فى سورة الحج «**يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ، ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوى عزيز**»

بين سبحانه وتعالى هنا مثلا رائعا لهؤلاء المشركين . الذين أشركوا مع الله فى العبادة تلك الأصنام التى ينحتونها بأيديهم ثم يخرون ساجدين إليها . مع أنها عاجزة كل العجز عن خلق الذباب الذى هو أحقر الحيوانات . حتى لو اجتمعوا وتعاونوا وتساندوا على هذا الخلق . . .

وبين سبحانه ان هذا الذباب لو سلب هذه الأصنام شيئا مما كان المشركون يصنعونه عليها كالزعفران والعسل ونحوهما . فانها تعجز عن استنقاذه وإعادته لضعفها وعجزها .

وبهذه العبادة الباطلة . عطل هؤلاء المشركون عقولهم . ولم يقدروا الله حق قدره . ولم يدركوا عظمته التى لا حد لها . فهو سبحانه القوى على الاطلاق . العزيز الغالب الذى لا يشاركه فى ملكه احد ـ فذلك قوله سبحانه «يأيها الناس» هذا نداء عام للناس لجمعهم وخطورة ما يلقى عليهم وما يبين لهم من الروائع والأعاجيب . . و «ضرب مثل» اى بين لكم أمر رائع عظيم «فاستمعوا له» اى تنبهوا له واستمعوا إليه استماع تدبر وإمعان وتفكر وتامل «إن الذين تدعون من دون الله» أى إن الآلهة الباطلة التى تعبدونها من دون الله تبارك وتعالى . من الأصنام والأوثان . التى هى أحجار صماء تصنعونها بأيديكم ثم تعبدونها وتخرون ساجدين إليها «**لن يخلقوا ذبابا**» يعنى أنها عاجزة كل العجز . وأنها لا تستطيع أن تخلق شيئا حتى الذباب الذى هو أحقر الحيوانات وأخسها وأضعفها «**ولو اجتمعوا له**» أى أن هذه الأصنام لا تستطيع خلق الذباب . حتى ولو تعاونت وتضافرت وتساندت على هذا الخلق . فهى عاجزة عجزا تاما عن ذلك . «**وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه**» روى أن المشركين **كانوا يطلون أصنامهم بالزعفران وانواع الطيب . ويضعون على رءوسها العسل . فكان الذباب يقع عليها . وياكل منها . . فبين سبحانه أن هذا الذباب الحقير . حينما يسلب هذه الآلهة الباطلة هذه الأشياء . فانها تعجز عن استردادها وإعادتها «ضعف الطالب والمطلوب»** أى أن **هذا الذباب الذى يطلب الحصول على هذه المواد الموضوعة على الأصنام ضعيف . والأصنام التى يطلبها الذباب لينال منها هذه**

المواد ضعيفه أيضا – وقيل الطالب الصنم . والمطلوب الذباب . أى لو طلب الصنم أن يخلق الذباب لعجز عنه – ولا شك أن الأصنام أضعف من الذباب . فكلاهما ضعيف . ولكن الأصنام أضعف لأن الذباب مع حقارته فهو حيوان يتحرك ويتنقل . أما الأصنام فانها أحجار جامدة لا تحس ولا تتحرك «**ما قدروا الله حق قدره**» أى أن هؤلاء المشركين بلغ من سخفهم وحمقهم وضلالهم فى عبادتهم لهذه الأصنام . أنهم ما قدروا الله سبحانه وتعالى حق قدره .. وما عرفوا له عظمته – فهو القادر على كل شىء . الخالق لكل شىء . الفعال لكل شىء . الرزاق الوهاب . النافع الضار – ولو قدروه حق قدره . وعرفوه حق معرفته . ما أشركوا معه فى العبادة هذه الأصنام التى لا تضر ولا تنفع . والتى هى عاجزة كل العجز عن خلق أى شىء مهما كان حقيرا «**إن الله لقوى عزيز**» إن هنا لتأكيد المعنى المراد . وكذلك اللام فى قوله لقوى فهو سبحانه وتعالى قوى قوة لا حد لها . عزيز غالب لا يغلبه شىء . وهو ينصر أولياءه وأحباءه . وينتقم من أعدائه . والجاحدين لفضله وعظمته ونعمه ...

وهذا المثل من أبلغ ما أنزله الله تبارك وتعالى فى القرآن الكريم فى شأن تجهيل المشركين وتسفيه عقولهم وضلالهم . حيث وصفوا بالألوهية التى تقتضى القدرة على الخلق والابداع . وعلى جلب المنافع ودفع المضار . وعلى الاحاطة التامة بالمعلومات كلها . والتصرف الكامل فى جميع الأشياء – صورا وتماثيل جامدة لا تدرك ولا تفعل . وهى عاجزة كل العجز عن التصرف والخلق والنفع والضر – واشركوها فى العبادة مع الله العلى القدير ..!!

ومن الطرائف التى تروى . أن أعرابيا كان لا يستسيغ عبادة الأصنام وتقديم القربان لها .. فرأى يوما ثعلبا يعلو على رأس صنم من الأصنام ويبول عليه .. فقال على الفور ... فسبحان الله العلى العظيم ...

وعلى العاقل أن يأخذ العبرة من هذا المثل الرائع . وأن يتأمل كيف أن الحق تبارك وتعالى . يسلط أضعف خلقه . وأخس حيواناته . وهو الذباب . على من زعم المشركون أنها آلهة . بل إن الذباب . هذا الحيوان الصغير الحقير . قد يسلطه الله على الانسان . أى إنسان . فينال منه ويؤذيه ...

فقد عرف أن الذباب يحمل الميكروبات الضارة بالجسم كميكروب الكوليرا والسل والأمراض المعوية وأمراض العيون وغيرها ...

فواجب المسلم أن يتدبر هذا كله . وأن يقف على مصادر الضرر فيتحاشاها . ويصون نفسه منها .. ويعرف مصادر النفع فينتفع بها ويسوق منها الخير لنفسه وللناس جميعا ...

والذباب هذا الحيوان الحقير . طالما ضايق الناس فى حياتهم ومعاشهم . وسلب راحتهم . ونغص عليهم . وعطل أعمالهم . وأصابهم بأضرار جسيمة ...

روى أن الخليفة أبا جعفر المنصور كان جالسا يوما مع أصحابه . فالح عليه الذباب وضايقه وأضجره .. فدخل عليه أحد العلماء الأجلاء . فسأله قائلا هل تعلم . لماذا خلق الله الذباب ؟ ... فقال على الفور نعم .. ليذل به الجبابرة .. فسكت المنصور ...

قال علماء اللغة .. إنما سمى الذباب ذبابا لأنه كلما ذب ودفع .. آب ورجع ..

وهو من أرذل الحيوانات وأقذرها .. ومن أشدها جهالة . لأنه يرمى نفسه فى المهالك ..

وهو يتولد من القاذورات والمواد المتعفنة : ويعيش أربعين يوما ...

وقد روى أن المصطفى عليه الصلاة والسلام كان لا يقع عليه الذباب أصلا .. ومن طبيعة الذباب أنه لا يقع على أوراق شجرة اليقطين أى القرع – ولذلك لما نجى الله سبحانه وتعالى يونس بن متى عليه الصلاة والسلام من بطن الحوت . أنبت عليه شجرة من يقطين حتى لا يقع عليه الذباب فيؤذيه ... وذلك بقوله عز وجل فى سورة الصافات **(وأنبتنا عليه شجرة من يقطين) ...**

ومن واجبنا جميعا . وواجب أولى الأمر فينا . أن نعمل متكاتفين متساندين على التخلص من الذباب وإبادته إبادة تامة . مهما كلفنا ذلك من جهد ومال ...

وإن كل من يعمل فى هذا السبيل . ينال من الله تبارك وتعالى جزاء عظيما وثوابا جزيلا ...

وديننا الحنيف يدعو إلى العمل على صيانة الأمة من أى ضرر ينزل بها أو يصيبها – يقول سيدنا رسول الله ﷺ (لا ضرر ولا ضرار) أخرجه الحاكم رحمه الله فى مسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما ...

لهذا كله .. فاننى أدعو الناس جميعا . وفى مقدمتهم أولى الأمر فينا . أن يعملوا على التخلص منه وإبادته ... والله سبحانه وتعالى ولى التوفيق ..

والكلام متصل .. فالى العدد القادم إن شاء الله ☆

القصة القرآنية والكرامة الآدمية

● الدكتور عبد الغنى الراجحى ●

العالم هو كل ما سوى الله من كائنات . وسمى عالما لأنه معلم وعلامة لوجود خالقه وموجده ، والعوالم منها مادى كثيف ومنها روحانى لطيف ، عالم مشهود منظور ، وعالم غيبى غير محسوس برغم أنه موجود ، كالروح والنفس والملائكة والشياطين . والعالم الأول المحسوس والمنظور منه علوى سماوى كالسماء والكواكب والنجوم وما يشبه ذلك ، ومنه سفلى أرضى هو الأرض وما فوقها من إنسان وجماد ونبات وحيوان . من أجل الانسان وحده كان كل شيء وخلق كل شيء . والانسان خليفة الله فى أرضه ، سخر الله له كل شيء وأحاطه بعوالم من الحيوان والنبات والجماد يتعايش معها ويمارس حياته متفاعلا معها . وإذا نظرنا إلى سلم الموجودات الأرضية وجدناها كما يقول المناطقة ، جماد . ثم نبات . ثم حيوان . ثم إنسان . الجماد هو القاعدة والانسان هو القمة ، يتلوه فى شرف الوجود ثم النبات ثم الجماد . يشترك الانسان مع النبات فى الجنس البعيد وهو الموجود النامى . ثم يشترك مع الحيوان فى الجنس القريب .وهو المتحرك بالارادة والاحساس وهو مع الحيوان يتنوع إلى ناطق وصاهل وناهق وما شابه ذلك . فالانسان كما يقول المناطقة حيوان ناطق . والمقصود بالنطق العقل والتفكير . وهو الميزة التى رفع الله بها درجة الانسان عن سائر الحيوانات كما قال الشاعر .

لولا العقول لكان أدنى ضيغم
أدنى إلى شرف من الانسان

وبمقدار ماتقوى فى الانسان معالم الحيوانية والحسية والشهوية والمادية ينحط إلى حضيض البهيمية . وبمقدار ما تقوى فى الانسان معالم العقلية والفكرية والانسانية يرتفع إلى درجات أسمى فى شرف الوجود والكينونة ، والرسل والديانات والكتب السماوية والدعاة والمصلحون والعباقرة والمفكرون ، هى العناية الالهية التى هيأتها رحمة الله للنوع الانسانى لتصعد به من دركات البهيمية والمادية والحسية إلى درجات الملائكية والعقلية والقيم الروحية والمثالية التي تجعل الانسانية فى أبهج صورها وأسمى كمالاتها . وتحفزها على التشبه بالكمالات الربانية على قدر الطاقة البشرية . وقديما قال فلاسفتنا الاسلاميون فى تعريف الحكمة أنها التشبه بالكمالات الربانية على قدر الطاقة البشرية . فالكمالات الربانية والوصايا الدينية والحكمة بهذا المعنى ثلاثتها يشد بعضها أزر بعض كما يؤخذ من قول الله تعالى فى الحكمة« **يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب** ، سورة البقرة وقوله تعالى « **فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما** » النساء وقوله تعالى عن المسيح عيسى ابن مريم « **ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل** » آل عمران وبرغم أن الهدف من خلق الانسان فى الأصل هى هذه الحكمة وحث الانسان إلى تحقيقها فى دنياه وممارسة جميع شئونه فى حياته على ضوئها . إلا أننا بكل أسف نجد أن الانسان أسرع استجابة وتجاوبا وانصياعا للنزعات الحسية والمادية والشهوية منه إلى نزعات الحكمة والعلم والدين والمنطق السليم والقيم الروحية . ومن عجب أن الانسان بنفسه يحس بذلك ويشعر به ، وينعاه على نفسه ، ويطلب النجاة منه والخلاص ، كأنما هو مشدود برباط وثيق إلى نزعات الشر والفساد والحسيات والشهوات ، ينادى بأعلى صوته من يفك وثاقه ويطلق عنانه . نرى ذلك واضحا فى مثل قول القائل :

إنى بليت بأربع ما سلطوا
إلا لأجل شقاوتى وعنائى
إبليس والدنيا ونفسى والهوى
كيف الخلاص وكلهم أعدائى ..؟

ومن تأمل قصة آدم فى القرآن الكريم وجد أن هذه الظاهرة فى الانسان كانت موضع حوار وأخذ ورد بين الله وملائكته ، فإنه لما قال لهم عند خلق آدم إنى جاعل فى الأرض خليفة . يخلفنى فى الأرض بعمارتها بالعدل والحكمة والكمالات ويخلق بعضه بعضا على مدار الأيام . عاجلته الملائكة قائلة له أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟ كانوا قد عرفوا ذلك مسبقا من اللوح المحفوظ أو قالو . باجتهادهم لسوابق دلت عليه أو كان الله قد قال لهم ذلك فى المحكى لكن الحكاية لم تذكره . فتعجبوا سائلين عن الحكمة من خلق مخلوق فيه الشر والفساد وسفك الدماء وجميع نوازع الشر والانحراف بينما هم متخصصون لطاعة الله تسبيحا وتحميدا وتقديسا . فأجابهم سبحانه وتعالى بقوله . إنى أعلم ما لا تعلمون . أعلم ما لا تعلمون من الحكمة من خلقه والغاية من وجوده ، فانه كما سيكون فيه بعض فساد وانحراف وسفك للدماء وكفران وممارسة للمعاصى والرذائل التى لم يخلق لها ، إلا إنه سيكون فيه مع ذلك الطائعون والعابدون والأنبياء والمرسلون والحكماء والمصلحون ومن يقيمون العدل وينصرون الحق ويجعلون الفضيلة شعارهم والكمالات رائدهم . ثم هو النوع الذى خصه الله بميزة العلم والتعلم واستنباط المجهول من المعلوم وعمارة الكون والسيطرة على جميع الكائنات بما أعطاه الله من القوى المعينة له على ذلك وعلى رأسها القوى العقلية والفكرية والعلمية . فهو الترجمة الحقيقية والتجسيد العملى الحى لارادة الله فى عمارة هذا الكون وازدهار الحياة فيه . تلك رسالة لا يقوى عليها ولا يصلح لها : إلا هذا النوع من المخلوقات ، لا ملائكة مقربون . ولا جن عفاريت . ولا شياطين متمردون . وأغلب الظن إن ذلك كله هو التكريم والتفضيل الذى ذكره الله تعالى فى قوله فى سورة الاسراء « **ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا** » وفى هذا الموضع نفسة نجد أن الله تعالى أبرز للملائكة ميزة آدم وخصيصته بطريقة عملية . حيث علم آدم أسماء الأشياء كلها ، ثم عرض الأشياء على الملائكة ، وقال لهم أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم . وهذا إقرار منهم بالعجز والجهل بأسماء هذه الأشياء . وهنا يقول الله لآدم أنبئهم بأسمائهم . فأنبأهم آدم بما لم يعلموه وهنا قال الله لهم « **ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون** »؟ وبعد أن ظهرت كرامة آدم وميزته على الملائكة أمرهم الله أن يسجدوا له سجود تحية وتعظيم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين . وهنا نجد أن الله رفع قيمة العلم على قيمة العمل فآدم لم يعمل شيئا ولكنه علم . والملائكة عملت الطاعات لاكنها لم تعلم وهذا شبيه بقوله تعالى لخاتم رسله « **فاعلم انه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك** » فالعلم هو الأصل قبل العمل . « **وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إنى أعلم**

ما لا تعلمون . وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ، قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم . قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون . وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين . » هذه هى النصوص المتعلقة بهذه المسألة فى قصة آدم كما وردت فى سورة البقرة .

ومن الظواهر القصصية فى قصص القرآن الكريم أن المعنى الأصل الواحد يتكرر ذكره فى أكثر من سورة وأكثر من موضع بعبارات وأساليب وتراكيب مختلفة تفننا وتنويعا وتشويقا للقصة ومؤثراتها الوجدانية . فبينما نجد أن هذه المعانى التى أشرنا إليها قد وردت فى سورة البقرة فى هيئة حوار ومقاولات بين الله والملائكة نعود فنجد أنها تكرر ذكرها فى سور أخرى بصورة أخرى فيها أمر الله أمرا جازما بسجود الملائكة لآدم بمجرد خلقه مع الاشارة إلى استحقاقه هذا السجود لما أودع الله فيه من كمالاته ونفخ فيه روحه وأهله تأهيلا تاما لخلافة الأرض ، الدور الذى لا يستطيع غيره من المخلوقات أن يضطلع به . وذلك حيث يقول الله فى سورة الحجر « وإذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين » .

وفى سورة – ص – « إذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين » .

بهذا الوضوح كشفت القصة القرآنية عن مدى تكريم الله للنوع الانسانى وأكدت أن الهدف من خلقه والحكمة من وجوده هو عمارة الكون وممارسة الحياة فى الدنيا بشعار العلم والايمان والحكمة والفضيلة وتحقيق الحق والعدل بين الناس والترقى فى سلم الوجود إلى درجات عليا يشرف منها على نعيم خالد وسعادة غامرة وسلام بين بنى البشر الذين تجمعهم أبوة واحدة هى آدم وأمومة واحدة هى حواء . هذه المعانى التى أخذ القرآن يركز عليها فى أكثر من موضع فى مثل قوله تعالى فى سورة الحجرات « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » وقوله تعالى « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا » سورة النساء .

كلمة :

■ اتق الله حيث ما كنت .
واتبع السيئة الحسنة ، تمحها ..
وخالق الناس بخلق حسن ..

نبى الاسلام

تأملات في البيان القرآني

الصورة القرآنية

الدكتور ابراهيم عوضين

ويلاحظ المتامل فى البيان القرآنى أنه ـ فى مجال إبراز المجرد فى صورة المحسوس الشاخص ـ يقدم صورة الاستحالة بكل عقباتها وحواجزها، بحيث يراها المتامل فى إطار من الحركة المادية كما يرى الكائنات الحية تتحرك رائحة جائية وتتكلم وتنفعل وتتاثر.

وإذا كنا فى المقال السابق وقفنا أمام معنوى موغل فى البعد عن إدراك الانسان فاننا هنا أمام معنوى أشد إيغالا فى البعد، بحيث يجد المتامل نفسه فى متاهات لا يدرى معها لنفسه اتجاها ولكن البيان القرآنى يسقط كل هذه المعوقات عن الادراك بابراز هذا المعنوى فى صورة مادية شاخصة حية تتحرك وتنتقل من مكان إلى مكان ومن حال إلى حال.

هذا المعنوى الذى حوله التجريد إلى طلسم غامض بعيد عن إدراك الانسان هو المستحيل.

والذى جعل المستحيل بعيدا عن إدراك المتامل مضمونه الذى استقر فى النفوس والعقول.. أنه يتعلق دائما بالعدم، والعدم من أعسر الأمور على استساغة العقل وأدوات الادراك.

ولكن البيان القرآنى حين تعرض له لم يقدمه بتراكماته التى تحجبه عن المتامل، بل قدمه فى هيئة أخرى تحوله إلى مشهد واقع يتضمن الحدث والحركة، بحيث يبرز من خلال ذلك ما يقصد بالمستحيل.

اقرأ معى فى ذلك قول الله عز وجل فى سورة الأعراف:

«إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط، وكذلك نجزى المجرمين»

نلاحظ أن الآية الكريمة تحدثنا عن الذين كذبوا بآيات الله واستكبروا عن النظر فيها والتأمل، وركبوا رءوسهم الفارغة فلم يتمهلوا فى الحكم عليها بالقبول أو الرفض، بل هم يدينون بالرفض من غير روية ولا مراجعة، فلا يأتيهم شىء من عند الله إلا ويواجهونه بالتكذيب والتعالى والتكبر.

هؤلاء الجفاة الغلاظ لا مكان لهم فى جنة الله، ولا مجال لأن يعتذروا حين تنتهى بهم الحياة إلى معرفة الحقيقة، وتكشف عن عقولهم وعيونهم الغشاوة التى أحاطوا نفوسهم بها... فاستجابة الدعاء ودخول الجنة أمر مستحيل لا يمكن تصوره لمثل هؤلاء.

وهنا يأتى دور الصورة البيانية التى يقصد بها البيان القرآنى إلى تجسيم هذا المعنى المجرد وتشخيصه حتى يكون أمام كل إنسان تهديدا واضحا ووعيدا بينا لا خفاء فيه ولا غموض.

ومن ثم قدم استحالة تفتيح أبواب السماء لهؤلاء ودخولهم الجنة فى صورة مادية محسوسة تتراءى أمام الأعين تعلق على ذلك على ولوج الجمل فى سم الخياط.

والجمل هو ذلك الحيوان الضخم المعروف، وسم الخياط هو ثقب الابرة الذى لا يتسع إلا للخيط الرفيع الدقيق.

وعلى المتامل أن ينظر فى تلك اللوحة ليرى مدى السخرية من تلك المحاولة الهزيلة التى لا تحقق غير السخرية من عقل هذا الحيوان الساذج الذى تسول له نفسه أن يدخل جسمه الضخم فى ذلك الثقب الضيق المتناهى فى الضيق الذى قد تسده شعرة واحدة من شعرات هذا الجمل.

ولا تقف محاولة الجمل على إدخال جسمه فى ذلك الثقب ، بل تتعدى ذلك إلى محاولته اجتياز ذلك المعبر وولوجــه إلى الجهة الأخرى .

فالصورة تقدم استحالة تحقيق مطمع هؤلاء المكذبين المستكبرين ، والسخرية اللاذعة من هذا المطمع والتفكير فيه .

إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنهـا لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط . . »

●●●

ولقد رأى بعض المفسرين فى لفظ الجمل غير الحيوان المعروف ، فقال إن الجمل فى اللغة كذلك يعنى الحبل الغليظ ، وهذا أنسب إلى الايلاج فى سم الخياط لتكون عناصر الصورة متناسبة ، فالحبل هو خيط غليظ لا يتصور إيلاجه كما يولج الخيط فى سم الخياط . ومن هنا تبرز الاستحالة .

ولا أدرى لهذا من سبب ، فالجمل بمعنى الحيوان الضخم يضفى على الصورة ما لا يضفيه الجمل بمعنى الحبل الغليظ من السخرية والاستهزاء بهؤلاء الجاهلين المكذبين المستكبرين ، وسذاجة عقولهم ، وضيق تفكيرهم ، وسيطرة الخوف عليهم بحيث يندفعون مع ضخامتهم المادية تلك إلى ذلك الثقب الضيق محاولين ولوجه واجتيازه .

ويقرر ذلك الذى أميل إليه هنا أن الآية الكريمة أسندت الولوج إلى الجمل وجعلته من فعله ، ولم تجعله واقعا عليه ـ وهذا يرشد إلى أن الجمل كائن حى يصدر عنه فعل ، ولو كان غير ذلك لجاءت الآية بالفعل واقعا عليه لا صادرا منه فكان يقال : حتى يولج الجمل فى سم الخياط ، بدلا من قوله تعالى : « . . . **حتى يلج الجمل فى سم الخياط** » ، فالجمل الذى يلج جمل حى . ذو إرادة ، يصدر عنه فعل ، وليس حبلا مفتولا جامدا .

هذا إلى أن الصورة تتسق بذلك مع الواقع الذى جاءت الصورة لابراز المستحيل فيه ، فالأصل أن هؤلاء المكذبين المستكبرين يحاولون أن يدخلوا الجنة ، والبيان القرآنى يقرر أن هؤلاء فى محاولتهم تلك كالجمل الذى يحاول أن يلج فى سم الخياط .

وبذلك تكون الصورة ممثلة لواقع هؤلاء المكذبين المستكبرين إذ يدفعهم الغرور والطمع إلى أن يصنعوا صنيع الجمل الضخم أمام سم الخياط الضيق الذى لا يشك كائن فى ضيقه ، فاذا كان من الممكن أن يلج الجمل هذا المعبر كان من الممكن أن يلج هؤلاء المكذبون المستكبرون المعبر الضيق كذلك إلى الجنة .

ومن ثم تبرز الصورة بذلك البناء استحالة دخول هؤلاء الجنة دون أن تحيل على الذهن أو التامل فى تيه العقليات .

●●●

وبعد فهذه نماذج للصورة القرآنية التى قصد بها البيان القرآنى إبراز المعنويات فى صورة حسية وإخراجها من مجال الادراك العقلى المحدود الذى يحدده التيه العقلى بما يشمله من إيغال فى الفراغ المطلق . . . إخراج الصورة من هذا المجال إلى مجال الرؤية المادية المحسوسة الملموسة التى تتراءى أبعادها جميعا من خلال التحركات القصصية التى تمنح الصورة الحياة ، وتقربها إلى المتلقى بحيث يرى المضمون كما هو فى حقيقته وواقعه من غير حاجة إلى تفسير أو شرح .

وإنما أكتفى فى هذا المقصد البيانى بهذه الطائفة من الصور ـ مع كثرة ألوانها ـ حرصا على عدم الاطالة ما دام فيما قدمنا ما يتيح للمتأمل أن يقف على هذا الضرب من الصورة القرآنية ويتمكن معه من إدراك بعض أسرار الاعجاز البيانى فى القرآن الكريم .

وإنما أكتفى فى هذا المقصد البيانى بهذه الطائفة من الصور ـ مع كثرة ألوانها ـ حرصا على أن نستمتع فى تأملاتنا تلك بأكبر قدر من مظاهر الاعجاز البيانى فى القرآن الكريم .

●●●

وإذا كنا فى تأملاتنا تلك قد عايشنا الصورة البيانية فى القرآن الكريم فى مختلف مقاصدها فاننا نستطيع أن نقرر من خلال تلك المعايشة ـ أن أهم ما يظهر لنا من مقومات تلك الصورة هو أنها بناء فنى حى صادق .

١ ـ فالمتأمل فى الصورة القرآنية يجد أنها تعتمد على كل النواحى الفنية فى التعبير والتصوير ، فالكلمة منتقاة مختارة لتؤدى دورها فى مكانها بحيث لا يقوم مقامها غيرها من مترادفات اللغة ، وكلما تعمق المتأمل فى تأملاته كشف من الأسرار البيانية لكل كلمة ما يجعله مفتونا كل الفتنة بهذا التقدير والاختيار فى البناء الكلامى فى تجهيز الصورة وحبكها .

والألوان تقدم من واقع واضح مكشوف تماما فلا تجد صبغا أهمل وضعه فى مكانه ، ولا تجد لونا جاء فى غير إبانة . ولكن اللون المطلوب فنيا موضوع فى مكانه الذى يستدعيه . . . بحيث يجد المتأمل تكاملا تاما بين ما يستدعيه الواقع الحى وما يستدعيه الواقع التعبيرى ، فليس أحدهما بمعزل عن الآخر ، وإنما هما وحدة واحدة يكمل بعضها البعض الآخر .

قضايا فكرية فى فهم العربية فى الأسلوب القرآنى

الحروف المقطعة

الدكتور محمد بدرى عبد الجليل

وظلت هذه المعانى فى وعى العرب مدركة متمثلة شعرا فيما ينشده الشعراء وحكما فيما يجيزه النقاد فتناقله الرواة وقبولا فيما يرتضيه أولو الأمر فيجزلون عطاء ويحققون طلبة ويلبون رغبة إلى أن تقادم العهد وأصاب الشعر ما أصابه وواكبه ما كان من تغيير أسموه تجديدا لا بما أشرنا إليه يمت صلة بالقديم ولكنه تجديد يبت صلة بالقديم وهى إشارتهم إلى التجديد المبتدع لا التقليد المتبع ، وظنوا أنهم غيروا شكلا وما اعتقد الناس أنهم غيروا شكلا ومضمونا على يد من عمدوا إلى ذلك عمدا أو هربوا إلى التخفف مما لم يستطيعوا مسايرته قوالب فنية استقرت أصولها المتعارفة وقوانينها المتوارثة من عهد غير قريب وليس ببعيد عنا أمر ذا التخفف فيما أريد نثرا مشعورا أو شعرا منثورا مما شغل الناس فترة وتجد فى ذلك أقوالا :

لا تبك هندا ولا تطرب إلى دعد
واشرب على الورد من حمراء كالورد
فلا تحسب هذا لها الغدر وحدها
سجيته نفس كل غانية هند
وكل يدعى وصلا بليلى
وليلى لا تقر لهم بذاكا

وإن شئت فانظر معى فى الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى إلى بشار بن برد وقد « قيل لبشار إنك لتجىء بالشىء الهجين المتفاوت . قال : وما ذاك ؟ قال : قلت بينما تقول شعرا تثير به النقع وتخلع به القلوب مثل قولك :

إذا ما غضبنا غضبة مضرية
هتكنا حجاب الشمس أو تمطر الدما
إذا ما أعرنا سيدا من قبيلة
ذرى منبر صلى علينا وسلما

تقول :

ربابة ربة البيت
تصب الخل فى الزيت
لها عشر دجاجات
وديك حسن الصوت

فقال : لكل وجه موضع : فالقول الأول جد وهذا قلته فى ربابة جاريتى ، وأنا لا آكل البيض من السوق ، وربابة هذه لها عشر دجاجات وديك فهى تجمع لى البيض (وتحفظه عندها) فهذا عندها من قولى أحسن من :

● قفا نبك من ذكرى حبيب منزل ●

عندك .

وإن شئت فانظر معى إلى هذه الرواية التى تفيد بأن بشار بن برد كان يحشد شعره إذا أعوزته القافية والمعنى بالأشياء التى لا حقيقة لها ، فمن ذلك أنه أنشد يوما شعرا له فقال فيه :

● غنى للغريض يابن قنان ●

فقيل له : من ابن قنان هذا ؟ لسنا نعرفه من مغنى البصرة ؟

قال : وما عليكم منه ؟ ألكم قبله دين فتطالبوه به ، أو ثار تريدون أن تدركوه أو كفلت لكم به ، فاذا غاب طالبتموه باحضاره ؟

قالوا : ليس بيننا وبينه شيء من هذا . وإنما أردنا أن نعرفه . فقال : هو رجل يغنى لى ولا يخرج من بيتى ، فقالوا : إلى متى ؟ قال : مذ يوم ولد إلى يوم يموت .

ثم نجد اشارة صاحب العمدة تقف أمام الظاهرة ظاهرة الأسماء موقفا ما . فيختلط الأمر على المتناولين بعد أن ضاع القصد من المنتج والقابل جميعا فى هذه الفترة الباكرة : بله ما وصل الينا لدى الأتراك وما وصم بعصور الانحطاط .

ولننظر إلى حرف قرآنى متتبعين لأقوالهم وقد عرضنا غيرها ضمن حديثنا عن الحروف بعامة بيد أننا نتتبع اليوم بعضا فى حرف القاف .

١ ـ صاحب الخواطر السوانح فى أسرار الفواتح ٦٥٤ هـ يتحدث عن (ق) على أنها قسم ثم يذكر أن (ق) لها من العدد الحسابى مائة ـ هذا العدد يشير إلى أسماء الله تعالى وهى تسعة وتسعون اسما ورد بها حديث الترمزى وتمامها اسمه الأعظم المكنون فى غيبه الذى لا يختص به الا أكرم عباده عليه فى وقته فكأنه سبحانه وهو أعلم أقسم بأسمائه التى أشار إليها فى هذه الفاتحة . . وصرح بها فى أثناء السور حيث قال : « ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها » ثم يقول وهى حرف واحد فى الخط ثلاثة فى اللفظ .

ونقول إن الاشارة لأسماء الله الحسنى وردت فى أربعة مواضع هى :

« ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها » « أيا ماتدعوا فله الأسماء الحسنى » « الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى » « هو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى » ولو كان المراد من (ق) الأسماء الحسنى لكان أولى السور بذكر شيء من هذا هى سورة (ق) بله التكرار فى أكثر من سورة عدا (ق) مع ضمية أن حساب الجمل مرفوض منه أصلا ومنهى عنه شرعا .

٢ ـ صاحب التبيان فى أقسام القرآن ٧٥١ هـ ص ٤٢٥ يرى غير رأى ابن أبى الأصبع فبعد أن يقول : الصحيح أن (ق) و (ن) و (ص) بمنزلة حم وألم وطس تلك حروف مفردة وهذه متعددة وقد تقدمت الاشارة إلى بعض ما فيها قبل ـ يذكر أن ها هنا قد اتحد المقسم به والمقسم عليه وهو القرآن فأقسم بالقرآن على ثبوته وصدقه ، وأنه حق من عنده . **ولذلك حذف الجواب ولم يصرح به لما فى القسم من الدلالة عليه أو لأن المقصود نفس المقسم به كما تقدم بيانه . ثم أخذ سبحانه فى بيان عجب الكفار من غير عجيب بل بما لا ينبغى أن يقع سواه ، كما قال سبحانه « الر تلك آيات الكتاب الحكيم أكان للناس عجبا أن أو حينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم »** فأى عجب من هذا حتى يقول الكافرون **« إن هذا لساحر مبين »** ؟ وكيف يتعجب من رحمة الخالق عباده وهدايته وإنعامه عليهم بتعريفهم على لسان رسول الله ﷺ بطريق الخير والشر وما هم صائرون إليه بعد الموت ، وأمرهم ونهيهم حتى يقابل ذلك بالتعجب ونسبة ما جاء به إلى السحر ، لولا غاية الجهل والظلم ، وأن العجب كل العجب قولهم وتكذيبهم كما قال تعالى **« وأن تعجب فعجب قولهم »** .

٣ ـ أما فى بدائع الفوائد فقد كان له حديث آخر عن (ق) إذ يقول ص ١٧٣ « وتأمل السور التى اشتملت على الحروف المفردة كيف تجد السورة مبنية على كلمة ذلك الحروف المفردة كيف تجد السورة مبينة على كلمة ذلك الحرف فمن ذلك (ق) والسورة مبنية على الكلمات القافية من ذكر القرآن وذكر الخلق وتكرير القول ومراجعته مرارا والقرب من ابن آدم وتلقى الملكين قول العبد وذكر الرقيب وذكر السائق والقرين والالقاء فى جهنم والتقديم بالوعد وذكر المتقين وذكر القلب والقرون والتنقيب فى البلاد وذكر القيل مرتين وتشقق الأرض والقاء الرواسى فيها أو بسوق النخل والرزق وذكر القوم وحقوق الوعيد ولو لم يكن الا تكرار القول والمحاورة .

وسر آخر وهو أن كل معانى هذه السور : مناسبة لما فى حرف القاف من الشدة والجهر والعلو والانفتاح .

وهى كما نرى ـ نظرة للصورة الصوتية للحرف بما هو حرف ونقول أولا : نثبت تحفظا إزاء هذا الوصف الصوتى للقاف ، **ثانيا :** لا علاقة البتة بين المعنى والبناء وإلا لاتحدت اللغات وامتنع تغير الدلالات ، وما قيل من علاقات قائمة لا يطرد وان جرى بعضها هذا المجرى فبطلت الصناعة وتحمل العلل ولا تعدم الخرقاء علة كما تقول العرب ، **ثالثا** ما عرضه لا يعد وأن يكون مما أسميناه بلواحق الدلالة ، **رابعا** . وعلى فرض جدلى صحة اعتبار هذا الاطار فأين اطراده عند ابن القيم وابن أبى الاصبع فى سورة الشورى المفتتحة بـ (حم عسق) ؟

٤ ـ صاحب البحر المحيط ٧٥٤ هـ فى ص ١٢٠ من الجزء الثامن ـ السطر السادس يقول : **« وق » حرف هجاء وقد اختلف المفسرون فى مدلوله على أحد عشر قولا متعارضة لا دليل على صحة شيء منها فاطرحت نقلها فى كتابى هذا وهو بحكم ذلك يكشف عن رأيه فيما سبق من رأى ، وفى**

سورةالشورى يصرح قائلا : وذكر المفسرون فى « حمعسق » أقوالا مضطربة لا يصح منها شىء كعادتهم فى هذه الفواتح ضربنا عن ذكرها صفحا .

٥ ـ صاحب بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز يتحدث عن مقصود السورة فيقول ص ٤٣٧ جـ ١ « إثبات النبوة للرسول ﷺ وبيان حجة التوحيد والاخبار عن إهلاك القرون الماضية وعلم الحق تعالى بضمائر الخلق وسرائرهم وذكر الملائكة الموكلين على الخلق المشرفين على أقوالهم وذكر بعث القيامة وذل العاصين يومئذ ومناظرة المنكرين بعضهم بعضا فى ذلك اليوم ، وتغيظ الجحيم على أهله وتشرف الجنة بأهلها والخبر عن تخليق السماء والأرض وذكر نداء اسرافيل بنفخة الصور ووعظ الرسول ﷺ الخلق بالقرآن المجيد فى قوله « فذكر بالقرآن من يخاف وعيد » .

٦ ـ صاحب محيط المحيط يقول هى الحرف الحادى والعشرون من حروف المبانى ويقال لها بالعبرانية والسريانية قف ومعناها النقرة لأن صورتها تشبه النقرة من الرأس وفى حساب الجمل عبارة عن مائة من العدد ، (ق) فعل أمر من وقى وسورة (ق) هى الخمسون من سور القرآن سميت بذلك لافتتاحها بهذا الحرف مفردا حيث يقول « قۤ والقرآن المجيد » .

وهى كما نرى ـ نظرة للصورة الكتابية للحرف بما هو دال على معنى عبر عنه بصورته ونقول إن هؤلاء جميعا ومن لف لفهم يقال لهم متى وقع الاحتمال بطل الاستدلال ونحن ـ على هدى من الاطار الذى أردنا به أن نرد للمسائل ما لها وننفى عنها ما ليس منها ـ نقول إن (ق) وردت فى سورتين هما : سورة ق وسورة الشورى وهما سورتان مكيتان تجد فى (ق) حديثا عن تعجبهم البعثة وتعجبهم من البعث وأمر الأولى بين أيديهم دلائله وبراهينه أما أمر الثانية فكيف يتم وضعه نصب أعينهم ؟ سورة (ق) تعالج ذلك و (ق) حيث وجدت تجدها معالجة لذلك ففى سورة (ق) نجد التتبع فاذا كان لك من صديق دلائل الصداقة صدقا فان ورد منه خبر ما لم يقع بعد فأنت تحكم على صدقه بما له لديك من تصديق ، ومن ثم كان الحكم بما نعلم على ما لا نعلم والذى خلق سماء رفعت بغير عمد وزينت بكواكب ولا ترى فيها فروجا إذ خلقت على هذه الصورة ، والأرض مبسوطة عليها الجبال الثوابت وفيها من كل صنف حسن تبصرة لكل عبد راجع إلى ربه متفكر فى بدائع صنعه « تبصرة وذكرى لكل عبد منيب » ولا ريب فى أن المتتبع لهذه المظاهر يوقن أن القادر على هذا الذى نراه حين يخبر عن مقدرته على شىء آخر لم نره يكون صادقا قادرا جديرا بالتصديق .

وهو الذى نزل من السماء ماء مباركا كثير المناف وكان به الانبات أشجارا وثمارا وما يحصد برا وشعير والنخل بما لها من فرط ارتفاع وكثرة انتفاع حوامل بما فيها من تراكم طلع وكثرة ثمر ، وهذا الماء به إحيا الأرض الجدبة التى لا نماء فيها وكما يخرج هذا النبت من الأرض الموات يكون خروج الناس أحياء بعد الممات

وكان هذا تمثيلا على القائف أن يقتبس الأشباه بالنظائر فيعرف ما لم يكن له حصول بعد ويوقن أن البعث كائن وسيكون ساعتها الحساب والعقاب المؤجل وان أرادوا أن يقفوا على ذلك فلينتظروا وانظر المتتبع لما كان من العذاب المعجل وليراجعوا أخبار قوم نوح وأصحاب الرس وثمو وعاد وفرعون وإخوان لوط وأصحاب الأيكة وقوم تبع ث طفقت تتحدث الآيات عن أخبار الغيب ، ومن صدق فى أخبا الماضى والحاضر هو الصادق فى أخبار الآتى والمستقبل ث كانت أوامر للرسول ﷺ متعلقة بقدرة المولى فى هذا الصدد

وفى الجزء الخاص بقاف فى الشورى يتحدث عن المستقبل بلفظ الماضى تحقيقا للوقوع فيقول : « وترى الظالمي لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مرد من سبيل ، وتراه يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفى ، وقال الذين آمنوا أن الخاسرين الذين خسرو أنفسهم وأهليهم يوم القيامة إلا أن الظالمين فى عذاب مقيم » مستدلا على تحقيق ذلك وتصديق بما عرض له م موضوع ماثل أمام الناس فى كل زمان ومكان لا يستطيعو فيه تصرفا ، ولا عما أريد لهم تحولا وهو موضوع الانجا فمن يستطيع أن يتحكم فى شخص الموضوع أو نوعه وها هو ذا العلم يحث خطاه وأمام ما اختص به الله نفسـ يقف عاجزا ذلك فيما يقرره الله تعالى « لله ملك السموا والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لم يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشا عقيما إنه عليم قدير وهو مظهر من مظاهر القدرة الت على هدى منها يعرف المتتبع قدرة الله فيما لم يتم بعد أما ناظريه .

فما معنى قاف ؟ وهى صورة الخط للفظ أو إن شئ صورة الرسم للأداء . قالت العرب قاف الأثر عرفه وقف الأثر اتبعه مثل قفوت أثره وقال الشاعر :

كذبت عليك لا تزال تقوفنى
كما قاف آثار الوسيقة فائ

ونسب هذا البيت صاحب اللسان للقطامى وابن بر نسبه للأسود بن يعفر والقائف الذى يتتبع الآثار ويعرف ويعرف شبه الرجل بأخيه وأبيه .

وإلى اللقاء إن شاء ا

من أخلاق القرآن

التحدث بنعمة الله

فضيلة الدكتور
احمد الشرباصى

التحدث من الحديث ، والحديث تدل مادته على وجود أمر بعد أن لم يكن ، والحديث بمعنى الكلام من هذا الباب ، لأنه كلام يحدث منه الشىء بعد الشىء . وحداثة السن كناية عن الشباب وأول العمر . هكذا تقول اللغة ، وفى تاج العروس أنه جاء فى حديث الحسن : « حادثوا هذه القلوب بذكر الله تعالى ، فانها سريعة الدثور » أى أجلوها بالمواعظ ، واغسلوا الدرن عنها ، وشوقوها حتى تنفو عنها الصدأ الذى تراكم عليها . وتعاهدوها بذلك .

والتحدث بنعمة الله تبارك وتعالى خلق من أخلاق القرآن الكريم ، وفضيلة من فضائل الاسلام العظيم ، وجانب من هدى الرسول عليه الصلاة والتسليم .

وقد جاء ذكر التحدث بنعمة الله عز شأنه ذكرا صريحا فى قول الله سبحانه مخاطبا سيدنا وقائدنا ورائدنا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، وذلك قوله فى « **وأما بنعمة ربك فحدث** » أى ما جاءك من الله تعالى من نعمة وكرامة كالنبوة أو القرآن أو جميع الخيرات الأخرى ، فحدث بها واذكرها وادع إليها . وقال ابن كثير : كما كنت عائلا فقيرا فأغناك الله سبحانه ، فحدث بنعمة الله عليك . كما جاء فى الدعاء المأثور النبوى : « **اجعلنا شاكرين لنعمتك ، مثنين بها عليك ، قابلين لها ، وأتمها علينا** » وقيل أن المعنى : انشر ما أنعم الله به عليك بالشكر والثناء والتحدث بالنعمة والاعتراف بها شكر . وللرازى فى تفسير هذه الآية عبارة يقول فيها : إذ وفقك الله فراعيت حق اليتيم والسائل ــ وذلك التوفيق نعمة من الله عليك ــ فحدث بها ليقتدى بك غيرك . ومنه ما روى عن الحسين بن على عليه السلام أنه قال : إذا عملت خيرا فحدث إخوانك ليقتدوا بك . إلا أن هذا إنما يحسن إذا لم يتضمن رياء ، وظن أن غيره يقتدى به . ومن ذلك أنه لما سئل أمير المؤمنين عليا عليه السلام عن الصحابة ، أثنى عليهم وذكر خصالهم ، فقالوا له : فحدثنا عن نفسك . فقال ، مهلا فقد نهى الله عن التزكية .

فقيل له : أليس الله تعالى يقول : **وأما بنعمة ربك فحدث ؟** .

فقال : فانى أحدث ، كنت إذا سئلت أعطيت ، وإذا سكت ابتديت ، وبين الجوانح علم جم ، فاسألونى .

ويقول الله تبارك وتعالى فى شأن ذكر نعم الله والتحدث بها فى سورة البقرة : « **اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم** » : أى لا تغفلوا عن نعمتى التى أنعمت بها ولا تناسوها ، بل اذكروها ، واشكروها قولا وعملا .

ولقد قال المحققون : التحدث بنعم الله تعالى جائز مطلقا ، بل مندوب إليه إذا كان الغرض منه أن يقتدى غيره به ، أو أن يشيع شكر ربه بلسانه ، وإذا لم يأمن على نفسه الفتنة والاعجاب فالستر أفضل . ولذلك يقول الحسن رضى

الله عنه : إذا أصبت خيرا ، أو عملت خيرا ، فحدث به الثقة من إخوانك وكان عمرو بن ميمون يردد قوله :إذا لقى الرجل من إخوانه من يثق به يقول له : رزقه الله من الصلاة البارحة كذا وكذا .

ولا شك أن الرجل الذى يحلى نفسه ويجمل ذاته بفضيلة التحدث بنعم الله سبحانه – قولا وعملا – رجل جدير بالتقدير والمثوبة والأجر من خالقه تبارك وتعالى لأن هذا التحدث يدل أولا على تقدير النعمة – ويدل ثانيا على روح الاعتراف والاقرار بفضل خالقها وواهبها . ويدل ثالثا على أن النعمة وجدت لديه الأرض الطيبة التى تثمر خير الاثمار ولذلك يعد التحدث بالنعمة من أكرم خصال الأنبياء وفضائلهم ، وهذا زعيمهم محمد كان أحرص الناس على التحدث بفضل ربه ، وأسرع الناس إلى عبادته وشكره ، وكلما قال له أحد من خاصته : لم تجهد نفسك فى العبادة ، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فيجيب قائلا : **« افلا أكون عبدا شكورا »** ؟

وقد أشار القرآن إلى أن التحدث بالنعمة وشكرها من فضائل الأنبياء فقال فى سورة النمل على لسان سليمان **« رب أوزعنى أن اشكر نعمتك التى أنعمت علىّ وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وادخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين »** أى ألهمنى أن أشكر نعمتك التى مننت بها علىّ وعلى والدى ، وأن أعمل عملا تحبه وترضاه ، وإذا توفيتنى فألحقنى بالصالحين من عبادك ، والرفيق الأعلى من أوليائك .

وفى الجزء الأول من كتابى « **أخلاق القرآن** » تحدثت عن فضيلة الشكر خلال عشر صفحات ، ومن هذا الحديث ندرك عمق الصلة بين فضيلة الشكر وفضيلة التحدث بنعمة الله ، لأن الشكر هو تصور النعمة وإظهارها ، وضده الكفر ، وهو نسيان النعمة وسترها ، بل توسع بعضهم فى تصوير الشكر فوصفه بأنه مقابله النعمة بالفعل والقول والنية فيثنى على المنعم بلسانه ، ويذيب نفسه فى طاعته ، ويعتقد أنه موليها .

ويروى أبو نضرة قوله : كان المسلمون يرون أن من شكر النعم التحدث بها . ومن جميل صنع الله بنا أنه جعل شكرنا للناس على معروفهم داخلا ضمنا فى شكر الله تعالى ، فروى الترمذى وأبو داود قول الرسول ﷺ :

« لا يشكر الله من لا يشكر الناس »

وروى أبو داود الحديث التالى : « من أبلى بلاء فذكره فقد شكره ، ومن كتمه فقد كفره » . وروى أيضا : « من أعطى فوجد فليجز به ، فان لم يجد فليثن به ، فمن أثنى به فقد شكره ، ومن كتمه فقد كفره » .

ومن مظاهر فضيلة التحدث بنعمة الله تبارك وتعالى أن يتمتع الانسان تمتعا معقولا مقبولا معتد لا بما ساق الله اليه من نعم وخيرات وآلاء ، والرسول صلوات الله وسلامه عليه يقول فى هذا الشأن : **« إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده »** .

وعن مالك بن فضلة الجشمى : كنت عند رسول الله ﷺ جالس ، فرآنى رث الثياب ، فقال : ألك مال ؟ . قلت : نعم يا رسول الله من كل المال إذا آتاك الله مالا ، فلير أثره عليك .

والتحدث بنعمة الله عز وجل شأنه يتضمن الثناء على الله المنعم المتفضل ، ولابن القيم فى « مدارج السالكين » عبارة تبين الصلة بين التحدث والثناء ، يقول فيها :

« الثناء على المنعم المتعلق بالنعمة نوعان : عام وخاص فالعام وصفه بالجود والكرم والبر والاحسان ، وسعة العطاء ، ونحو ذلك . والخاص التحدث بنعمته : والاخبار بوصولها إليه ، من جهته ، كما قال تعالى : **« وأما بنعمة ربك فحدث »**

وفى هذا الحديث المأمور به قولان ، أحدهما أنه ذكر النعمة ، والاخبار بها ، وقوله : أنعم الله على بكذا وكذا . قال قعائل : يعنى اشكر ما ذكر من النعم عليك فى هذه السورة ، من جبر اليتيم ، والهدى بعد الضلال ، والاغناء بعد العيلة .

والتحدث بنعمة الله شكر ، كما فى حديث جابر مرفوعا : « من صُنع إليه معروف فليجز به فان لم يجد ما يجزى فليثن ، فانه إذا أثنى عليه فقد شكره ، وإن كتمه فقد كفره ، ومن تحلى بما لم يعط كان كلابس ثوبى زور »

فذكر أقسام الخلق الثلاثة : شاكر النعمة المثنى بها ، والجاحد لها والكاتم لها ، والمظهر أنه من أهلها ، وليس من أهلها ، فهو متحل بما لم يعطه .

وفى أثر آخر مرفوع : من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بنعمة الله شكر ، وتركه كفر ، والجماعة رحمة والفرقة عذاب » .

والقول الثانى : أن التحدث بالنعمة المأمور به فى هذه الآية : هو الدعوة إلى الله ، وتبليغ رسالته ، وتعليم الأمة . قال مجاهد : هى النبوة . قال الزجاج : أى بلغ ما أرسلت به ، وحدث بالنبوة التى آتاك الله . وقال الكلبى : هو القرآن أمره أن يقرأه .

والصواب أنه يعم النوعين . إذكل منهما نعمة مأمور بشكرها ، والتحدث بها . وإظهارها من شكرها » وضد التحدث بالنعمة هو جحود النعمة وانكارها . والجحود رذيلة من اقبح الرذائل ، وخصوصا إذا كانت النعمة من الله تبارك وتعالى ، والقرآن الكريم يقول فى سورة النحل عن أخساء من الناس :

« يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون »

أى يعرفون نعم الله الكثيرة الغزيرة التى أنعم بها عليهم ، أى يعرفون أنها من عند الله تبارك وتعالى ، ثم لا يتحدثون بها ، ولا ينسبونها إلى خالقها وواهبها . بل يقولون أنهم ورثوا ذلك عن آبائهم . أو قد عرفهم رسول الله ﷺ بهذه النعم ، وقررهم بها ، فاقروا ، ولكنهم قالوا إنها جاءت بشفاعة أهلنا أو هم يعرفون نعم الله تعالى ، لأنهم يتمتعون بها ويتقلبون فيها ، ولكنهم ينكرونها بترك الشكر عليها ، فهم يعرفون باقوالهم ، وينكرونها بأفعالهم ، أو يعرفونها بقلوبهم وينكرونها بألسنتهم ، أو يعرفونها عند الشدة ، وينكرونها عند الرخاء .

ويقول الله تبارك وتعالى فى سورة النمل عن طائفة من الجاحدين : « وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين » أى أنكروا آية الله سبحانه فى ظاهر أنفسهم ، وعلموا فى أنفسهم أنها من عند الله عز شأنه ، ولكنهم جحدوها وعاندوها ، ظلما من أنفسهم ، واستكبارا عن اتباع الحق ، فانظر كيف عاقبة أمرهم فى إهلاك الله جل جلاله إياهم .

نسأل الله عز شأنه أن يوفقنا فيجعلنا بفضله ورحمته من المزدانين بفضيلة التحدث بنعمه وآلائه . وأن يباعد بيننا وبين رذيلة الجحود والنكران ، إنه سميع مجيب .

بقية مقال « تأملات فى البيان القرآنى »

وكذلك الظلال والايحاءات لا يحرص عليها البيان القرآنى فى صورة إلا حيث يطلبها الواقع وتحتاجها الصورة ، ولن تجد صورة مظللة بظلال يخفى من أحداثها شيئا كما لن تجد صورة مظللة بظلال لا وجود لها فى الواقع الحى .

والأحداث التى يصورها البيان القرآنى أحداث ذات صلة وطيدة بالوسط البيانى الذى تقدم فيه ، فليست الصورة لوحة شاذة ، وإنما هى تكملة للبناء البيانى قبلها متصلة تماما بما بعدها ، بحيث لا تقطعك عن التلاوة القرآنية ، ولا تفصل بعض البيان عن البعض الآخر .

٢ - والمتأمل فى الصورة القرآنية يجد أنها تعتمد على كل مظاهر الحياة التى تبرز فيها المواقف والأحداث بحيث لا تغفل همسة واحدة من همسات أفرادها ولا حركة من حركاتهم فأنت بالصورة تنتقل إلى عالم الحدث أو ينقل أمامك هذا العالم لترى وتشاهد كل ما يجرى فيه ولتسمع كل صوت يصدر ، وتحس بكل انفعالة فى أعماق أشخاصها حتى لكأنك أوتيت بهذه الصورة كل أجهزة التحسس والتصنت والكشف لترى ما على السطح كما ترى ما يجرى فى الأعماق . فالصورة القرآنية تقدم الحدث أو الموقف من أبعاد يذهل عنها الكائن المخلوق ولا يدركها إذا وقف أمامها فى الحياة الواقعة . وبذلك تضمن الصورة هنا التميز والتفرد عن كل عمل فنى للمخلوق . . . وبهذا تصبح الصورة مشهدا حيا يكاد المتأمل ينسى معه أنه أمام نسيج بيانى يحكى عن غائب أو ينقل ما حدث . ويخيل إليه أنه مشارك فى الأحداث مشاهد للوقائع .

ولا ريب فى أن هذا أحد أسرار الاعجاز البيانى فى النسق القرآنى ، وتقرير واقعى لقول الله سبحانه وتعالى :

« لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » .

المناسبة والفاصلة

اعلم أن المناسبة فى تسمية القرآن وسوره بأسماء وصفات ، أن لكل اسم أو صفة مدلولا مرادا . . وقد ميز الله كتابه عن غيره فى التسمية . فالعرب يسمون كتابهم : ديوانا . والقدر منه : قصيدة وبيت وقافية . . أما القرآن فهو : الكتاب . والقدر منه : سورة وآية وفاصلة . .

ومن بين أسماء القرآن وصفاته أنه الكتاب ، للضم الواقع بين حروفه وكلماته . والشفاء ـ لازالته أمراض القلوب . والذكر ـ للتذكير بالوعد والوعيد . والنور ـ لما يستنار به . والفرقان ـ لتفريقه بين الحق والباطل . .

وأما تسمية الطائفة من الآيات باسم السورة ـ فاعلم أنه توقيفى . وهل هى من السؤر المهموز ، ومعناه : البقية ؟ أو هى من سور البلد المحيط بها ؟ . . أو هى من التسور وهو الصعود والارتفاع ؟ . .

الدكتور محمد عبد المنعم القيعى

وقد تسمى السورة باسم مذكور فيها . وهذا هو الغالب وقد تسمى باسمين فأكثر ، لوجود هذا فيها : إما باللفظ أو بالمعنى ـ كسورة الفاتحة . .

وقد تسمى السورة باسم فرد من أفراد ذكروا فيها : كسورة هود ـ لأنه تكرر ذكره فيها أربع مرات . ولئن كان نوح تكرر ست مرات . إلا أنه له سورة سميت باسمه لم يقع فيها ذكر سواه ، فكانت به أنسب . . ولم تسم سورة باسم آدم اكتفاء بسورة الانسان . ولم تسم سورة باسم موسى أو عيسى ، لأنه اكتفى بتسمية سورة باسم أم عيسى . .

ويقال : تسمى سورة القصص بسورة موسى . وكذلك سورة طه . وفى صحة ثبوت ذلك نظر . .

وأما الفاصلة : فكلمة تقع فى آخر الآية ـ كالقافية فى آخر الشطرة ، من بيت الشعر . .

وقال بعض العلماء : الفواصل : حروف متشاكلة فى المقاطع ، يقع بها أفهام المعانى . .

وفرق الدانى بين الفواصل ورءوس الآى ، فقال : الفاصلة : هى الكلام المنفصل عما بعده ، والكلام المنفصل قد يكون رأس آية وقد لا يكون . وكذلك الفواصل يكن رأس آية وغيرها ، فكل رأس آية فاصلة ، وليس كل فاصلة رأس آية . .

قال الجعبرى : من الفواصل ما هو توقيفى وقف عليه النبى ﷺ ، ومنه ما هو قياسى . وهو الذى يلحق بالموقوف عليه لشبه بينهما . .

وقال غيره : تقع الفاصلة عند الاستراحة بالخطاب لتحسين الكلام بها ، وهى الطريقة التى يباين القرآن بها سائر الكلام . وسميت بذلك أخذا من قوله : (كتاب فصلت آياته) . .

ومن المعلوم أن اللفظ فى القرآن يتبع المعنى ، وكلام البشر تتبع المعنى فيه الألفاظ . فكلامهم لا يخرج عن التكليف . .

ومن الاحكام التى استنبطت من تتبع رءوس الآى اتضح أنها :ـ

١ ـ تقديم المعمول على عامله ليختم بالعامل نحو : (وإياك نستعين) وتقديم المفعول ليختم بالفاعل نحو : (جاء آل فرعون النذر) . .

وقد يختتم بتأخير الصفة ويقدم عليها ما يمكن أن تكون صفة له نحو : (لنريك من آياتنا الكبرى) فيمكن أن تكون (الكبرى) صفة للآيات ، وأن تكون (من) بيانية و (الكبرى) مفعول ثانى . . والتقدير : لنريك الكبرى من آياتنا . .

٢ ـ تقديم ما هو متأخر فى الزمان : (فلله الآخرة والأولى) مراعاة للفواصل . .

٣ ـ تقديم الفاضل على الأفضل مراعاة أيضا للفاصلة (رب هارون وموسى) . .

٤ ـ تقديم الضمير على ما يفسره نحو (فأوجس فى نفسه خيفة موسى) . .

٥ ـ تقديم الصفة المكونة من جملة فعلية على الصفة المفردة نحو : (كتابا يلقاه منشورا) فجملة يلقاه ـ صفة . وهى جملة فعلية قدمت على الصفة المفردة ليختم بالمفردة (منشورا) . .

٦ ـ حذف ياء المنقوص نحو : (الكبير المتعال) . .

٧ ـ حذف ياء الفعل غير المجزوم نحو : (والليل إذا يسر) . .

٨ ـ حذف ياء الاضافة نحو : (فكيف كان عذابى ونذر) . .

٩ ـ زيادة حرف المد نحو : (وتظنون بالله الظنونا) . .

١٠ـ صرف مالا ينصرف نحو : قوارير قوارير) . .

١١ـ إيثار تذكير اسم الجنس كقوله : (اعجاز نخل منقعر) . .

١٢ـ إيثار تأنيثه نحو : (اعجاز نخل خاوية) . .

١٣ـ الاقتصار على أخذ الوجهين الجائزين نحو : (فاولئك تحروا رشدا) بفتح الشين والراء ، مع جواز ضم الراء وسكون الشين فى قوله : (قد تبين الرشد) لكنه فتح هناك مراعاة للفواصل . . وكل فاصلة ينظر إلى ما قبلها أو ما بعدها من الآيات ، لتتضح مراعاة الفواصل . .

١٤ـ إيراد الجملة على خلاف المطابقة لما رد بها عليه من الاسم والفعل . . فمثلا قوله : (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر ، وما هم بمؤمنين) لم يقل : وما آمنوا مراعاة للفواصل . .

١٥ـ إيراد أحد القسمين مخالفا للقسم الآخر فى الصيغة نحو : (فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » ولم يقل الذين كذبوا . .

١٦ـ إيراد أحد جزأى الجملتين على غير الوجه الذى أورد نظيرها من الجملة الأخرى نحو : (أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) لم يقل : اتقوا . والصدق والتقوى ، يجتمعان بخلاف ما قبله من الصدق والكذب . .

١٧ـ إيثار أغرب الألفاظ نحو : (الحطة) فى موضع ، و (لظى) فى آخر ، و (سقر) فى ثالث ـ مراعاة للفواصل . .

١٨ـ اختصاص كل من المشتركين بموضع كالألباب ، ليوافق الأنصار . والنهى ـ ليوافق أخرى . .

١٩ـ حذف المفعول نحو : (وما قلى) . .

٢٠ـ الاستغناء بالافراد عن التثنية نحو : (فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى) . .

٢١ـ الاستغناء بالمفرد عن الجمع نحو : (واجعلنا للمتقين إماما) . .

٢٢ـ الاستغناء بالمثنى عن الافراد : (ولمن خاف مقام ربه جنتان) . . إذا كان الاخبار لكل فرد على حدة من الانس والجن . . فان كان الاخبار لهما ـ فالمثنى على بابه . والأقرب أن يجعل هذا من باب الاستغناء بالمثنى عن الجمع ، لأنها جنات . .

٢٣ـ الاستغناء بالجمع عن المفرد (لابيع فيه ولا خلال) . .

٢٤ـ إجراء غير العاقل مجرى العاقل نحو : (وكل فى فلك يسبحون) . .

٢٥ـ الاتيان بصيغة المبالغة نحو : رحيم ، وعليم ، وقدير . .

٢٦ـ إيثار بعض أوصاف المبالغة على بعض نحو : (إن هذا لشىء عجاب) . . أوثر على عجيب . .

٢٧ـ الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه نحو : (ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى) فلو لم يفصل لقال : وأجل مسمى لكان لزاما . .

٢٨ـ إيقاع الظاهر موقع الضمير نحو : (إنا لا نضيع أجر المصلحين) ولم يقل : أجرهم . .

٢٩ـ وقوع مفعول موقع فاعل نحو : (حجابا مستورا) أى سائرا . .

٣٠ـ وقوع فاعل موقع مفعول نحو : (عيشة راضية) . .

٣١ـ إيقاع حرف مكان غيره نحو : (بأن ربك أوحى لها) أى إليها . .

٣٢ـ حذف الفاعل ونيابة المفعول نحو : (وما لأحد عنده من نعمة تجزى) . .

٣٣ـ إثبات هاء السكت نحو : (ماليه) . .

٣٤ـ الجمع بين المجرورات نحو : (ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا) والأحسن الفصل بين حروف الجر الثلاثة ، لكنه جمع للفاصلة . .

٣٥ـ العدول من الماضى إلى المستقبل نحو : (فريقا كذبتم وفريقا تقتلون) . .

واعلم أن هذه الأمور وإن كانت فى ظاهرها على خلاف المشهور مراعاة للفواصل ، فانى لا أسلم أن مجرد مراعاة الفاصلة فقط هو الوحيد الذى اقتضى الخروج عن المشهور . بل فى كل موضع من هذه المواضع ما يبرره من التقديم والتاخير . .

وصلى الله على معلم الناس الخير ☆

فوائد اختلاف القراءة

فضيلة الشيخ محمود حافظ برانق

فى العدد السابق من مجلة منبر الاسلام الغراء : كان البحث عن أقسام القراءة وفى بحثنا هذا : سنتكلم عن « فوائد اختلاف القراءة » فنقول وبالله التوفيق :
لاختلاف القراءة وتنوعها فوائد :

أولا : التخفيف على الأمة : حيث إن كل قبيلة من قبائل العرب كان لها لسانها الخاص بها . ولهجتها المتميزة بها عن غيرها . فمنهم المحقق أو المبدل أو المسهل للهمز ومنهم القاصر أو الموسط أو المشبع للمد ، ومنهم الفاتح أو المقلل أو المميل لذوات الياء ، ومنهم المظهر أو المدغم أو المختلس لبعض الحروف ، ومنهم المفخم أو المرقق لبعض الراءات بشروط ، ومنهم المغلظ أو المرقق للامات كذلك ، ومنهم الساكت على الساكن قبل الهمز وغيره ، ومنهم الفاتح أو المسكن لياءات الاضافة ، ومنهم المثبت أو الحاذف لياءات الزوائد .

فلو ألزمت قبيلة ما بلهجة غيرها لم تتعودها لعثر وثقل النطق عليها . فكان من التيسير أن نزل القرآن الكريم جامعا لهذه اللهجات تحقيقا لقوله تعالى « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مذكر » .

ثانيا : إظهار فضل الأمة المحمدية وبيان شرفها على سائر الأمم ، إذ لم ينزل كتاب سماوى على أمة من الأمم السابقة : إلا على وجه واحد ! أما القرآن فقد نزل على عدة لغات وأوجه « أنزل القرآن على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه » ولا يخفى أن طلب القراءة بما تيسر هو أمر متروك لكل قبيلة أن تقرأ القرآن وفق لهجتها وما درج عليه لسانها تيسيرا وتسهيلا وهذا تكريم وتشريف للأمة التى نزل القرآن بلسانها « **وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين** » .

ثالثا : اعظام أجر الأمة المحمدية حيث إنهم لا يألون جهدا فى تحقيق ضبط القراءة كلمة كلمة بل حرفا حرفا فى نطقة وتجويده بالهيئة المستحقة له المستمدة من الحضرة المصطفوية من حيث مراعاة مقادير المدود والغنات وتفاوت الامالات وتتبع المعانى واستنباط الحكم والأحكام الشرعية واللغوية المستنبطة عن هذا التغاير .

رابعا : إظهار الأسرار الخافية فى كتاب الله تعالى وصيانته عن التبديل على ما فيه من هذه الأوجه واللغات الكثيرة . ومع هذا فهو محفوظ من أى تغيير تحقيقا لقوله تعالى : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) الحجر و « كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير » هود .

خامسا : بيان إعجازه بايجازه : إذ تنوع القراءات بقراءة الكلمة بأكثر من وجه يقوم مقام الآيات ، ولو جعلت دلالة كل لفظ آية مستقلة لم يخف ما فيه من التطويل . ولهذا : كان قوله تعالى فى سورة المائدة « فاغسلوا وجوهكم وايديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين » وقراءة « أرجلكم » بالنصب والجر فى اللام . كان ذلك منزلا للغسل والمسح فالغسل للأرجل والمسح للخف واللفظ واحد فى المصحف . وقد قام ذلك مقام آيتين .

وإليك بعض الأمثلة لكلمات قرئت بأكثر من وجه بما لا يقتضى تضادا أو تناقضا فان هذا محال فى كلام الله تعالى « أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » النساء .

وذلك فى نحو « الصراط » فقد قرئت بالصاد والسين والاشمام . وهو خلط الصاد زايا بحيث لا تكون صادا خالصة أو زايا خالصة .

ونحو « **أصدق ، ويصدر » فقد قرئتا بالصاد والاشمام المذكور .**

البقية ص ٥٥

صور من القرآن الكريم

فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون

«لو اجتمعت العقول البشرية وتدارست فى كيفية رسم لوحة، توضح جوانب الجمال فى حديقة مزدحمة بالأشجار المثمرة، مزهرة بما فيها من ورود وازهار، مفاخرة بطيورها المغردة التى تحول سكونها إلى سيمفونية رائعة تشنف الآذان، ثم .... فى لحظات يتحول ذلك الجمال الرائع إلى نقيضه؛ فالاشجار أصبحت كالصريم، والورود والأزهار أمست كهشيم محتضر، وتهجرها الطيور المغردة، ليسكنها البوم والغربان ...، أقول: لو اجتمعت تلك العقول ـ لعجزوا عن الاتيان بمثل ما صوره القرآن الكريم عن قصة أصحاب الجنة كما وردت فى سورة القلم».

فضيلة الشيخ محمد متولى المراكبى

والصورة تبدأ بقوله تعالى «**إنا بلوناهم**» أى أهل مكة «**كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون**» وأصحاب الجنة الذين تعنيهم الآية هم قوم فى بلاد اليمن ورثوا حديقة عن أبيهم وكان رجلا صالحاً يجمع الفقراء والمساكين عند اعتزامه جمع الثمار، فيعطيهم الحقوق التى فرضها الله على الأغنياء من زكاة وصدقة، فلما توفى أوعز الشيطان إلى أبنائه بأن يكفوا عن إخراج الزكاة والصدقات موسوسا لهم بأن أبناءهم أحق بها من الفقراء والمساكين، فاستجابوا لوعود الشيطان وعزموا على حرمان الفقراء من حقوقهم، وأكدوا ذلك بأن أقسموا على جمع الثمار فى الصباح الباكر من غير إخبار الفقراء والمساكين بهذا الموعد، فكان عقاب الله العاجل الذى صورته الآية الكريمة «**فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون**» أى علم الله سبحانه وتعالى بعزمهم فأمر سيدنا جبريل عليه السلام أن يحولها ـ بأمر الله ـ من حالة الجمال التى هى عليها إلى قطع من الفحم شديد السواد يعبر عنه القرآن الكريم بقوله «**فأصبحت كالصريم**»، كل هذا تم ـ بأمر الله ـ فى لحظات لا تقاس من الزمن، وكان أصحابها لا يزالون يجهلون ما نزل بها من عذاب الله.

وفى الصباح الباكر بدأوا رحلتهم وقد صمموا على فعل ما يغضب المولى سبحانه وتعالى من حرمان للفقراء والمساكين بطريقة يصورها القرآن الكريم بأسلوب رائع فيقول «**فتنادوا مصبحين ـ أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين**» وهذا الترتيب الدقيق يبين لنا جمال اللوحة التى يرسمها القرآن الكريم لهؤلاء القوم، فهم يتجمعون فى الصباح ووجهتهم الحديقة ليجنوا ثمارها وألسنتهم تعبر عما انطوت عليه صدورهم من الحرمان للفقراء كما يصوره المولى تبارك وتعالى بقوله «**فانطلقوا وهم يتخافتون ـ ألا يدخلنها اليوم عليكم مسكين**» وهو تصوير بليغ لحالهم حين ذهابهم إلى الحديقة، فالتخافت هو الحديث فى السر، واستعمال نون التوكيد يوضح إصرارهم على فعل هذا العمل المنكر ثم يقول القرآن «**وغدوا على حرد قادرين**» أى انطلقوا وهم فى كامل الاستعداد لجنى الثمار؛ فآلات الحصاد معهم، والطريق إلى الحديقة سهل، والثمار ـ كما كانوا يظنون ـ قطوفها دانية ....

ثم تغيرت اللوحة تماما من الحسن إلى القبح لدرجة جعلتهم عند رؤيتها يحسبون أنهم ضلوا الطريق «**فلما رأوها قالوا إنا لضالون**» وكأنهم أصيبوا بانهيار عصبى لما رأوه من عقاب الله ، فأرادوا - فى أول الأمر - أن يخففوا وقع الصدمة على نفوسهم ، فزعموا بأنهم ضلوا الطريق ، وأنه لا يمكن أن تكون تلك الحديقة حديقتهم ، فهذه خربة وحديقتهم عامرة ، ثم إنهم حتى الأمس القريب كانوا متأكدين من جمال ثمارها وزروعها ، ولا يقبل العقل البشرى بأن يحل هذا الخراب فى لحظات بسيطة . . . . إلا أن ذهول المفاجأة بدأ يخبو رويداً رويداً ، وتظهر الحقائق واضحة جلية أمام أعينهم فقالوا : «**بل نحن محرومون**» أى حرمنا الله من خيراتها جزاء عزمنا على حرمان الفقراء من حقوقهم . وهذه الآية بقدر ما فيها من تأثر لما حدث لهم ، فإن فيها ما يفيد بأنهم استعادوا صوابهم وفهموا بأن ما نزل من عقوبة ، إنما هو بسبب عزمهم على فعل ما يغضب الله سبحانه وتعالى - من أكل حقوق الفقراء والمساكين - ولذلك نراهم فى الآيات التالية يتبادلون الاتهامات التى تدور حول مسئولية كل منهم فى هذا الفعل الذى اعتزموه «**قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون - قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين - فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون**» أى أن كل واحد منهم يلقى بالمسئولية على الآخر زاعما أنه المحرض على هذا العمل ، ثم فى النهاية يصدرون حكما على أنفسهم بأنهم جميعا مخطئون «**قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين**» وهو اعتراف صريح منهم بأنهم اتبعوا خطوات الشيطان ، فزين لهم أن ثمارهم سوف تنقص بما يأخذه الفقراء والمساكين ، فكان عزمهم على منع الصدقات التى جعلها الله مطهرة ومزكية للأموال ، فاستوجب ذلك عقاب الله سبحانه وتعالى لهم على مجرد العزم ، وحرموا رزقا كان قد هيىء لهم .

ثم كان عقابهم وحزنهم على ما فرط منهم بمثابة التوبة النصوح ، فرفعوا أكفهم إلى المولى سبحانه وتعالى متضرعين إليه قائلين «**عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها ، إنا إلى ربنا راغبون**» فاستجاب لهم ربهم - كما يقول المفسرون - وعوضهم عن جنتهم هذه جنات فيها من كل الثمرات ، وخلد القرآن الكريم قصتهم فصورها لوحة ، كى يعتبر بها المخلوقات على مر الأيام والعصور ، وأضاف إليها رسول الله ﷺ من توجيهاته الرشيدة ما وضح بعض جوانبها الخفية فقال «**إياكم والمعاصى ، فإن العبد ليذنب الذنب فيحرم به رزقا كان قد هيىء له** ، ثم قرأ قوله تعالى : **إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة** . . . .»

فليعتبر أولو الألباب ، وليتحرزوا فى عزمهم عن الشرور ، وليخلصوا نياتهم لله «**فإنما الأعمال بالنيات**» كما أخبر رسول الله ﷺ ، وليعلم الجميع بأن العذاب الذى نزل بهؤلاء القوم سببه مجرد العزم على حرمان الفقراء والمساكين من حقوقهم وهى الصدقات ، متوهمين أن ذلك سيزيد من أموالهم ، وقد أخبرنا رسول الله ﷺ بعكس ما يتوهم هؤلاء وأمثالهم فقال «**ما نقص مال من صدقة**» وأعلمنا الله سبحانه وتعالى بأن الصدقات تطهير للأموال وزكاة لها فقال «**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها**» وفى آية أخرى يوضح الله سبحانه وتعالى بأن هذه الصدقات قرض حسن لله يضاعفه لنا فيقول جل شأنه «**إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم**» .

وفقنا الله إلى التأمل والتفكر والتدبر فيما جاء فى قرآنه الكريم ، وأن يكون زادنا منه هو النور الذى يهدينا إلى الطريق المستقيم .

من دقائق القرآن

السر فى تكرار ضمير الفصل فى بعض الايات :-

للتكرار فى القرآن صفة خاصة اقتضت تفرده بدواع أخرى فوق التى استنبطها البلغاء من تتبعهم للتكرار فى كلام العرب فما ذكره البلغاء من تلك الدواعى يمكن تسميته بالدواعى الجزئية أو الذاتية على معنى أنها ترتبط بالمقامات التى ترد فيها - أما دواعى التكرار فى القرآن فيمكن وصفها بأنها دواع كلية موضوعية أى أنها أشبه ما تكون بالقواعد او القضايا العامة ومن هنا اتبع القرآن فى التكرار نمطا مميزا لا يمكن لأحد أن ينسج على منواله أو يقرب من مجاله وقد أضاف هذا النمط المتميز لونا فذا إلى ألوان الاعجاز التى بدت فى آيات القرآن الكريم وفى مقدمة الأسباب التى جعلت نمط التكرار فى القرآن متميزاً تستحيل محاكاته .

الدكتور عبد المنعم سيد حسن

إن الكتاب العزيز لا يمكن تجريده عن وصفه بالأبدية والموضوعية ولا يمكن النظر إليه على أنه قصيدة تروق أخيلتها لبعض الأذواق دون بعض أو رسالة ترتبط بمناسبة خاصة ولا يمكن النظر إليه على أنه كتاب تناول موضوعا محددا أو عالج قضية معينة بل لابد لمن يتدبر آياته أن يضع فى حسابه أنه كتاب أنزله الله للعامة والخاصة من الناس بحكم طبيعة رسالته التى لم تنط بطبقة أو جماعة والتى اختارها الله ليختتم بها وبكتابها وبدينها حديثه إلى البشر من كل لون وجنس وفى كل بقعة وصقع وكتاب هذا طابعه لابد أن ينفرد كلامه بما لا يتسنى للبشر التفرد به والذى لابد من تيقنه أن كل تكرار فى القرآن لابد أن يضيف جديدا أو يؤكد فكرة أو يثبت عقيدة وهكذا نتبين أن كل مكرر فى القرآن قد أغنى وأثرى وأفاد وأكد سواء فى ذلك ماكرر لفظه ومعناه وما كرر معناه فقط . وأنى وإن لم يكن لى فى ميدان النقد الأدبى باع ولا ذراع لموقن أن النقاد واجدون فى ظاهرة التكرار فى القرآن ما يخصب افكارهم ويغنى بيانهم ويضيف الجديد إلى اتجاهاتهم ونظرياتهم والله يقول الحق وهو يهدى السبيل . تلك فذلكة عن مناحى التكرار فى القرآن وأهدافه قدمتها بين يدى هذا المقال عن تكرار ضمير الفصل فى بعض آى الذكر الحكيم .

ويستخدم ضمير الفصل فى اللسان العربى للتوكيد وما يقرب منه ويؤدى مؤداه ومن ثم جعله البلغاء طريقا من القصر أى تخصيص شىء بشىء ويؤتى به فى كلام العرب ليفصل بين المتلازمين كالمبتدأ و الخبر فى قوله تعالى (أولئك هم الصادقون) وكاسم ان وخبرها كقوله تعالى (إن هذا لهو القصص الحق) وكاسم كان وخبرها فى قوله تعالى (كانوا هم اشد منهم قوة) كما يفصل به بين ما يشبه الشرط والجواب كقوله تعالى (الذى خلقنى فهو يهدين) وإنما أشبهت هذه الجملة أسلوب الشرط لانها بدأت باسم الموصول الذى يشبه الشرط فى العموم ومن ثم دخلت الفاء على خبره كما تدخل الفاء على جواب الشرط ولعل السر فى تسميته بهذا الاسم يرجع الى ما يقع به من الفصل بين المتلازمين ولا محل له من الأعراب عند البصريين وهو الراجح وقد استخدم القرآن ضمير الفصل فى نمط آخر غير الذى اعتاد العرب أن يستخدموه للالماح إلى اختصاص الله سبحانه وتعالى بأفعال تتوهم نسبتها إلى غيره ومن امثلة ذلك قوله تعالى (وانه هو اضحك وابكى وانه هو امات واحيا) وقوله تعالى (وانه هو اغنى واقنى وانه هو رب الشعرى) .

فقد أتى بضمير الفصل فى هذه الآيات مكررا ليعمق فى أذهان الناس اختصاصه سبحانه بما تضمنته من أفعال هى الاضحاك والابكاء ، والأمانة . . والاحياء والاغناء والاقناء ، وإنما احتاج الناس لتركيز ذلك فى أذهانهم لما قد

يتوهم من إسناد هذه الأفعال إلى أسبابها المألوفة والمباشرة ، فقد يسند الاضحاك إلى ما يسر والابكاء إلى ما يحزن وقد يظن البعض أن الموت فى بعض صوره يتسبب عن فعل الانسان كالموت الذى ينشأ من العدوان بالقتل ، وقد كان الكفار يعتقدون أنهم يموتون ويحيون بتأثير طبيعة الحياة الدنيا فيهم بل حصروا إهلاكهم فى أفعال الدهر وتقلباته كما يحكى الله عنهم وذلك فى قوله تعالى : **(وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم الا يظنون)** وقل مثل ذلك فى جانب الاغناء والاقناء فان كثيرا من الناس يربطونهما بما أتوا من أسباب المهارة والتفنن فى الكسب .

كما حكى عن قارون قوله **(إنما اوتيته على علم عندى)**

وكانت بعض القبائل فى شبه الجزيرة العربية تتخذ النجم المسمى بالشعرى الها من دون الله لما رأو من ضخامته أو لما سمعوا من أثره ، فلا غرو إزاء تلك العقائد الباطلة أن يؤتى بضمير الفصل لتأكيد نسبة هذه الأفعال إلى الله وحده ، وتأكيد ربوبيته سبحانه للشعرى ، ليثبت لعابدى ذلك النجم أن الله هو الذى يتحتم عليهم أن يخصوه بالعبادة ، ومما يؤكد أن كل كلمة فى القرآن توضع فى موضعها الاتيان بضمير الفصل مع الأفعال التى هى مظنة الاشتراك من قرب أو بعد كما فى الآيات التى مثلنا بها فى حين تخلو الآيات المجاورة لها واللاحقة بها من ضمير الفصل كما فى قوله تعالى :

(وانه خلق الزوجين الذكر والأنثى ، من نطفة إذا تمنى وان عليه النشاة الأخرى) وفى قوله تعالى **(وانه أهلك عادا الأولى وثمود فما أبقى)** حيث لا تدعى الشركة فيما تضمنته هذه الآيات من خلق الزوجين والنشأة الأخرى وإهلاك عاد وثمود ومما يلفت النظر الاتيان بضمير الفصل فى جانب الاماتة والاحياء وعدم الاتيان به فى جانب خلق الزوجين ، مع ملاحظة أن ما قدمناه من توهم الشركة فى جانب الاماتة والاحياء ، ومع ملاحظة أن كلا من خلق الزوجين والاماتة والاحياء يصدق عليه أنه خلق وجوابنا عن ذلك والله أعلم بمراده أن تقسيم الكائنات الحية إلى ذكر وأنثى معدود من الافعال التى لم تدع البشرية الشركة فيها ذلك بان الذين نسبوا الاماتة والاحياء الى طبيعة الحياة وتقلباتها لم يؤثر عنهم نسبة تقسيم الكائنات الحية إلى ذكر وأنثى لغير الله تبارك وتعالى ، أو هم بالاحرى قد سكتو عن نسبة ذلك إليه او غير ذلك فهم محجوجون مفحمون بهذ التقسيم الذى ينبىء عن قدرة خارقة لا تكون إلا للواح القهار فيقال لهم إذا نسبتم حياتكم وموتكم إلى الدن والدهر فلمن تنسبون خلق الزوجين الذكر والانثى ولا دخل للطبيعة فى الذكورة والأنوثة ولا تستطيع أن تهبهم او تضن بهما أو تتدخل فى توزيعهما على الكائنات وم أمثلة استخدام ضمير الفصل فى التأكيد قوله تعالى عل لسان ابراهيم عليه « السلام » .

(الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقي وإذا مرضت فهو يشفين) فقد أتى بضمير الفصل فى جان الهداية وقد يلتمسها غير المؤمن من أسباب سطحية يخي إليه أنها توصله إلى مقصوده كذلك أتى به فى جانب الاطع والاسقاء ، وقد يظن بعض السذج استقلال الانسان بهم حين يباشر ما اعتيد من أسباب العمل وطرق السع كما أثر عن البعض الملاحدة أنه لما سمع قوله تعالى :

(قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بم معين) .

قال نأتى به من الأرض بالفأس والمعول .

كما أتى به فى جانب النعمة بالشفاء وقد يكل بعض الناس الشفاء إلى الدواء فلا بدع إذا استخدم ضمير الفصل ف مقام تحدث ابراهيم عليه السلام بآلاء ربه عليه لتأكيد ضآل ما اعتاده البشر من وسائل إلى جانب قدرة الله عز وج ويلاحظ المتأمل فى تلك الآيات وما بعدها أنه لم يؤت بضمي الفصل فى جانب ما تضمنته الأيتان المحكيتان عن إبراهي فى قوله تعالى : **(والذى يميتنى ثم يحيين ، والذى أطم ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين)** حيث لا تدعى الشرك ولا تتوهم فى الاماتة والاحياء وغفرانه الخطاي مما يسترعى الانتباه أنه أتى بضمير الفصل فى جان الاماتة والاحياء فى اية النجم ولم يؤت بها فى جانبهما فى آ الشعراء حيث تدعى الشركة أو تظن جهلا ـ وكفرا من تأث الطبيعة فيهما من جانب الملحدين ولا يدعى شىء من ذلك م جانب إبراهيم عليه السلام ، فالمقامان مختلفان والسياق متباينان وما احكم القرآن فى مخاطبة العقول ووضع ك كلمة مع صاحبتها .

الفكر القرآني و دعوة ابن تيمية

فى المقالة الثانية أشرنا إلى أن الخطأ دخل على الفلاسفة المسلمين فى آرائهم فيما يتصل بخلق الكون والنبوة والوحى لاعتقادهم فى الملائكة ، ما اعتقده الفلاسفة قبلهم من فرس ويونان ، وسموهم بالعقول ، كما سماهم هؤلاء السابقون لهم . فكانت هذه أصول ومقدمات فاسدة جاءت كل نتائجها التى ترتبت عليها فاسدة كما تقدم .

وفى هذه المقالة نبين ما الذى آلت إليه عقيدة هؤلاء المتفلسفة فى الملائكة نتيجة أخذهم بآراء السابقين لهم من اليونان والفرس وغيرهم ، وتركهم أوصافهم كما جاءت فى القرآن الكريم والحديث الشريف . ثم نقدم بيان القرآن الكريم والحديث الشريف فى أمر هؤلاء الملائكة وأوصافهم .

الدكتور ابراهيم هلال

فالعقل عند الفلاسفة السابقين هو الروح المجردة عن المادة . وقد يطلقون على هذه الروح عقلا ، وقد يسمونه مفارقا ، أى مفارقا للمواد ، والأجساد لا يسكن فيها ، وفى انفصال عنها دائما كما أن روح الانسان إذا فارقت جسده كانت مفارقة للمادة التى هى الجسد .

وهؤلاء الفلاسفة من اليونان والفرس قد ظنوا فى الملائكة هذا الظن بقدر ما صورت لهم عقائدهم ذلك فسموها بناء على ذلك باسم العقل ، والعقول ، وهم يقصدون بها مجرد أرواح لا جرم لها ، فهى إلى المعانى أقرب ليس فيها شىء من الجسمية وبناء على ذلك ليس لها من الارادة ، والحركة ، ما أثبته الله سبحانه للملائكة التى تتحرك وتنزل وتصعد فجاء الفلاسفة الاسلاميون ، وأخذوا هذا المسمى أو هذه المسميات عند هؤلاء السابقين وأطلقوها على الملائكة فسموهم عقولا ، وسموا الملك عقلا وجبريل بالعقل الفعال . فاخضعوا ما يسمعون من اسم الملائكة فى القرآن الكريم لأسماء هذه الفلسفات ، على اختلاف فيما بينهم واضطراب فى تحديد مسمى هذه العقول ، فأكثرهم جعلها أعراضا ، وبعضهم جعلها جواهر ومعنى أنها أعراض كما يقول ابن تيمية (أنها ليست حية ناطقة ليس لها شىء من صفات الملائكة) .

وفى الواقع فاننا إذا نظرنا الى العلاقة بين أسماء هذه العقول ومسمياتها ، وجدنا أنها عندهم ليست جواهرا ، وإنما هى معان أقرب ما تكون الى الخيال ، ليس فيها شىء من الحياة ، ولا من الارادة ، ولا مما تتصف به الملائكة التى نؤمن بها فى الأديان السماوية ، ومن أوصافهم لها : أنها أشعال نورانية يراها المرء فى نفسه لا خارجا عن نفسه ، كما يرى النائم فى منامه صورا يخاطبها ، وكلاما يسمعه ، وذلك فى نفسه .

وفى هذا المعنى يقول مؤلف كتاب (مشكاة الأنوار) : سواء أكان هو الامام الغزالى أو غيره « وأما الأنوار العقلية المعنوية فالعالم الأعلى مشحون بها ، وهى جواهر الملائكة » وكانت نتيجة هذا الخطأ فى فهم حقيقة الملائكة ، وعدم الاعتقاد فيهم على ما جاء فى القرآن الكريم ، أن أخطأ كل من تكلم بهذه الفلسفات أو تأثر بها فى فهم الوحى ووصفه فنجد صاحب مشكاة الأنوار أيضا يصف الوحى ويعلله بناء على هذا الاعتقاد السابق فى الملائكة فيقول : (أن الخيال الكثيف إذا صفى ورفق ، وهذب ، وضبط ، صار موازيا للمعان العقلية وغير حائل عن إشراق شىء منها) .

ويعلق ابن تيمية على ذلك بقوله : كيف يصيبون فى تكييف الوحى وتفسيره (وهم لم يثبتوا للملائكة من الصفة إلا مجرد ما علموه من نفوسهم مجرد العلم للعقول) والحركة الارادية للنفوس) . أى أنهم لا يعدون أن يكونوا قوى عقلية أى ذاكرة تعى العلم فقط وقد يكون لها مجرد الميل والرغبة والارادة التى لنفس الانسان أو روحه دون أن يكونوا أجسادا يعرجون وينزلون ويذهبون ويجيئون .

ثم يرد على ذلك بقوله : (ومن المعلوم أن الملائكة لهم من العلوم والأحوال والارادات والأعمال ما لا يحصيه إلا ذو

الجلال ، ووصفهم فى القرآن الكريم بالتسبيح والعبادة لله أكثر من أن يذكر هنا ، كما ذكر تعالى فى خطابه للملائكة وأمره لهم بالسجود لآدم وذلك فى أكثر من آية فى القرآن الكريم ، وقوله تعالى :

فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار ، وهم لا يسأمون) . وقوله تعالى : إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون) وحديثه عنهم فى حمل العرش فى قوله تعالى **(الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا) .**

وقوله (إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا) وقوله تعالى : **فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها) .**

(تعرج الملائكة والروح إليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) .

ويرد أيضا بما جاء فى الصحيحين عن جابر بن سمرة عن النبى ﷺ قال : **(ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها ؟ قالوا : وكيف تصف الملائكة عند ربها ؟ قال : يتمون الصف الأول ، ويتراصون فى الصف) . وفى الصحيح عن عروة عن عائشة زوج النبى ﷺ** أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول : **(أن الملائكة تنزل العنان ـ وهو السحاب ـ فتذكر الأمر قضى فى السماء ، فتسترق الشياطين السمع ، فتسمعه فتوحيه إلى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم)** وأمثال هذه الأحاديث الصحاح مما فيه ذكر الملائكة الذين فى السموات ، وملائكة الهواء والجبال وغير ذلك كثير . وكذلك الملائكة المتصرفون فى أمور بنى آدم ، مثل قوله ﷺ فى الحديث المتفق عليه ، حديث الصادق المصدوق ، إذ يقول : (أن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما نطفة ، وأربعين يوما علقة ، وأربعين يوما مضغة ، ثم يبعث إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات فيقال : أكتب رزقه وأجله وشقى أم سعيد ، ثم ينفخ فيه الروح) .

ثم يتجه ابن تيمية إلى بيان أن للملائكة أيضا القدرة على التشكل فى الصور وفى هذا أيضا إثبات وتأكيد لايجابيتهم وحركتهم الادارية وأنهم يذهبون ويجيئون وليسوا على ما قال الفلاسفة من أنهم مجرد أرواح أو معان ، أو أشعال نورانية يراها المرء فى نفسه لا خارجا عن نفسه ، فيأتى فى كتابه نقض المنطق بما جاء فى الصحيح عن عائشة (رضى الله عنها) أن الحارث بن هشام قال **(يا رسول الله كيف يأتيك الوحى ؟ قال : أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو أشده على فيفصم عنى وقد وعيت ما قال ، وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأعى ما يقول)** ثم يقول : **وإتيان جبريل إلى البنى ﷺ تارة فى صورة أعرابى وتارة فى صورة دحية الكلبى ومخاطبته وإقراؤه إيا كثيرا أعظم من أن يذكر هنا) .**

وأمثال هذه النصوص التى يذكر فيها من أصناف الملائك وأوصافهم وأفعالهم ما يمنع أن تكون على ما يذكرونه مـ العقول والنفوس أو أن يكون جبريل هو العقل الفعا وتكون الملائكة الالهيون هى القوى الصالحة ، والشياطي هى القوى الفاسدة كما يزعم هؤلاء .

ثم يعمد ابن تيمية إلى مادة اسم الملك والملائكة فيبين أ طبيعة الكلمة تدل على الوجود الايجابى القائم بذاته والحركة ، والتنقل ، والذهاب والمجىء فيقول : (فان اسـ الملائكة والملك يتضمن أنهم رسل الله ، لأن أصل كلمـ (ملك) مالك على وزن مفعل مأخوذة من (المالك) وهـ الرسالة ، فأصل المادة الارسال ، وقد قال تعالى فى ذلـ **(جاعل الملائكة رسلا))** فاطر : فهم رسل الله فى تنفيـ أمره الكونى الذى يدبر به أمر السموات والأرض ، وأمـ الدينى الذى تنزل به الملائكة فهم على غير ما تقول بـ الفلاسفة : قائمون بذواتهم ليسوا أعراضا ولا معانـ متحركون ذوو إرادة وتنفيذ ، **(لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون)** فليسوا جامدين فى أماكنهـ لا يتحركون وليسوا بمثابة المرايا ، ينعكس فيهم ما فى عل الله ليعكسوها بدورهم إلى النفوس التى سمت إليهم ، وإنمـ الله هو العليم ، وهو الذى استأثر بعلم الغيب (وعنده مفاتـ الغيب لا يعلمها إلا هو) وغيرها من الآيات والأحاديـ الشريفة التى تنفى أن يكون الملائكة على صفات هـذ العقول أو الوسطاء الرحانيين كما يقول الصابئة .

وفى النهاية يرد ابن تيمية نظرية هؤلاء الفلاسفة ـ الفيض ، والتى تصور أن الكون فاض عن الله عن طريـ عشرة عقول أو ملائكة أو أحد عشر ، أو تسعة عشر كمـ يزعم البعض ويحصرون عدد الملائكة فى ذلك فيقول (وملائكة الله لا يحصى عددهم إلا الله كما قال تعالـ **(وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهـ إلا فتنة للذين كفروا ، ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتا والمؤمنون ، وليقول الذين فى قلوبهم مرض ، والكافرو ماذا أراد الله بهذا مثلا ؟ كذلك يضل الله من يشاء ، ويهد من يشاء ، وما يعلم جنود ربك إلا هو) .... فالذى الكتاب والسنة من ذكر الملائكة وكثرتهم أمر لا يحصر حتى قال النبى ﷺ (أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا ملك قائم أو قاعد أو راكع ، أو ساجد) .**

ثم يقول « فمن جعلهم عشرة أو تسعة عشر ، أو زعم أ التسعة عشر الذين على سفرهم العقول والنفوس » فهذا مـ جهله بما جاء من الله ورسوله ، وضلاله فى ذلك بين إذ

تتفق الأسماء فى صفة المسمى ولا فى قدره كما تكون الألفاظ المترادفة » .

وبعد . فاذا كان ابن تيمية قد اتخذ هذا الموقف من الفلاسفة المسلمين ومن آرائهم فى قضايا الوجود والنبوة والوحى وأبان أنهم أخطأوا ، لأنهم لم يبدأوا من القرآن الكريم والسنة الشريفة ، ولم ييمموا وجوههم نحوها فى طلب معرفة هذه القضايا ، والاجابة عن الاستفسارات التى وجهت نحوها ، وإنما فتنوا بمعرفة الأوائل ، وفلسفتهم ومنطقهم ، فانه قد أعطاهم حقهم فيما تفوقوا فيه على هؤلاء الفلاسفة السابقين من اليونان وغيرهم وسجل لهم عبقريتهم كمفكرين إسلاميين ، وباحثين ممتازين مسلمين قد مسهم شعاع من عبقرية الفكر القرآنى وبعد نظره ، وإن كانوا لم يوفقوا فيما هدفوا إليه ، ذلك لأن الأصول الفاسدة التى بدأوا بها قادتهم إلى النتائج الفاسدة كما تقدم . وهو يقول فى ذلك : (وصنف ابن سينا كتبا زاد فيها بمقتضى الأصول المشتركة أشياء لم يذكرها المتقدمون ، وسمى ذلك العلم الالهى وتكلم فى النبوات والكرامات ومقامات العارفين بكلام فيه شرف ورفعة بالنسبة إلى كلام المتقدمين) (يعنى من اليونان كأرسطو وأفلاطون) وان كان عند العلوم الالهية النبوية فيه من القصور والتقصير والنفاق والجهل والضلال والكفر ما لا يخفى على من له أدنى بصيرة بالعلم والايمان . وإنما راج على من سلك طريق المتفلسفة لأنه قرب إليهم معرفة الله والنبوات والمعجزات والولاية بحسب أصول الصابئة الفلاسفة لا بحسب الحق فى نفسه .

ولهذا فالفلاسفة المتمحضون الباقون على محض كلام المشائين ، يرون أن ابن سينا صانع المليين فيما قال فى النبوات وقضايا الألوهية والوجود ، لما رأوا من تقريبه ومحاولته الجمع بين الفلسفة والشريعة الإسلامية .

وجهلوا فيما قالوا وكذبوا . لم يصانع . ولكن قال بموجب الحق ، وبموافقة أصولهم العقلية ما قاله من الحق الذى أقر به . كنتيجة طبيعية لمنهج اتخذه ، واعتقد فيه أنه الصواب فقاده فى هذا الجانب الالهى إلى ما وقع فيه من أخطاء .

وهكذا يتبين لنا أن طريق القرآن هو طريق الايمان وطريق الفكر المنتج والأصيل والعقل الهادى الى سواء السبيل .

بقية مقال « فوائد إختلاف القراءة »

ونحو « **عليهم ، وإليهم ، ولديهم ، وفيهم** » فقد قرئت الهاء بالضم والكسر .

ونحو « **القدس** » **وعقبا ، وعربا** » فقد قرئت كل من الدال القاف والراء بالضم والاسكان . وقد وجه كل ذلك على أنه لغات بعض القبائل العربية وكلها مع تغايرها لا تناقض بينها وتدور حول معنى واحد .

ونحو « **مالك يوم الدين** » قرئت « **مالك** » باثبات وحذف الألف . والمراد من القراءتين واحد : هو الله سبحانه : لأنه مالك يوم الدين وملكه .

وكذلك « **بما كانوا يكذبون** » بالبقرة قرئت بفتح الياء وإسكان الكاف وتخفيف الذال وقرئت بضم الياء وفتح الكاف وتشديد الذال . والمراد من القراءتين واحد . وهم المنافقون : لأنهم يكذبون فى أخبارهم : ويكذبون النبى ﷺ .

وكذلك « **كيف ننشزها** » بالبقرة قرئت بالراء والزاى . فالأول بمعنى أحياها والثانى بمعنى رفع بعضها إلى بعض حتى التأمت فضمن الله تعالى المعنيين فى القراءتين هذا : وكل ما صح عن النبى ﷺ من ذلك فقد وجب قبوله ولم يسع أحدا من الأمه رده ولزم الايمان به وأن كله منزل من عند الله تعالى : إذ كل قراءة منها مع الأخرى بمنزلة الآية **يجب الايمان بها كلها واتباع ما تضمنته من المعنى علما وعملا لا يجوز ترك موجب إحداهما لأجل الأخرى ظنا أن ذلك تعارض . وإلى ذلك أشار عبد الله بن مسعود رضى الله عنه بقوله « لا تختلفوا فى القرآن ولا تتنازعوا فيه فانه لا يختلف ولا يتساقط ، ألا ترون أن شريعة الاسلام فيه واحدة ، حدودها وقراءاتها وأمر الله فيها واحد » .**

النشر لابن الجزرى

ومن المهم جدا معرفة توجيه القراءة من لغة العرب للوقوف على مدى صحة القراءة ومدى تطابق الميزان الذى أشرنا إليه فى مقالنا السابق . وموافقة اللغة ، واحتمال الرسم العثمانى لها ، وصحة سندها .

وقد اعتنى بذلك الأئمة ووضعوا للتوجيه كتبا : كالحجة لأبى على الفارسى والكشف لمكى والمحتسب فى توجيه الشواذ لابن جنى وهو من مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الاسلامية واتحاف فضلاء البشر للدمياطى .

هذا وبالله التوفيق

العلم فى القرآن

والله أعلم بما وضعت

وعدنا فى المقال السابق مع الرحمن جل جلاله أن نكمله فنقول وبالله التوفيق .

للرحمن تجليات رحمانية تحدثنا عنها الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تنقلنا من عالم الأشباح إلى عالم الأرواح وتقذف بنا فى راموز اللطائف الربانية وآية آيات التجليات الرحمانية شفاعة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم وبحمد الله نبدأ بورد ما أفاض به الرحمن على بعض علماء تفسير الآيات القرآنية فالامام الجليل الحافظ ـ عماد الدين أبو الفدا اسماعيل بن كثير يذكر فى مؤلفه شارحا قول الله تعالى « من ذا الذى يشفع عنده إلا باذنه » « وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى » « ولا يشفعون إلا لمن ارتضى » ويقول رضى الله عنه : وهذا من عظمته وجلاله وكبريائه عز وجل انه لا يتجاسر احد على أن يشفع لأحد عنده إلا باذنه له فى الشفاعة كما فى حديث الشفاعة « آتى تحت العرش فاخر ساجدا فيدعنى ما شاء الله أن يدعنى ثم يقال ارفع رأسك وقل تسمع واشفع تشفع ـ قال ـ فيحد لى حدا فادخلهم الجنة » .

والتوالد أو التكاثر العذرى (البكرى) قد يحدث طبيعيا وبانتظام فى حيوانات كالعجليات والمن والتربس وفى كثير من أنواع النمل والنحل والزنابير والقشريات وفى كثير من غير الفقاريات الأخرى حتى أن ذكورها قد لا تشاهد مطلقا فى بعض الأنواع . وفيما يلى أمثلة قليلة على هذه الظاهرة .

١ ـ فى حالة العجليات ـ حيوانات مائية صغيرة من عديدات الخلايا ـ تضع الأنثى بيضا فى مختلف فصول السنة وللبيض صورتان :

(ا) بيض الصيف وله قشرة رقيقة ـ وينقسم عذريا فتتكون منه إناث . وحين يكون الوسط المائى مناسبا من حيث الحرارة والغذاء فان الأناث الناضجة تضع بيضا لينقسم ويكون إناثا . وهكذا دواليك . وبهذا تتكون أجيال بعد أجيال كلها إناث فى إناث دون ما احتياج إلى الذكور .

(ب) لكن إذا طرأ على الوسط المائى ظروف لا تناسب حياة هذه الحيوانات فان بعض الاناث ـ لا كلها تضع بيضا صغيرا الحجم يتكون منه ذكور فقط . أما الاناث الأخرى فتبقى على عهدها إذ تضع بيضا كبير الحجم يتكون منه إناث فقط . وكل هذا يتم بالتوالد العذرى . وحين تتاح الفرصة لاجتماع ذكر مع أنثى فانه يخصب بيضها فيتكون بذلك بيض مخصب أى لاقحات تعرف باسم « بيض الشتاء » تغلفه قشرة سميكة مقاومة للظروف السيئة ويمكن لهذا البيض أن يبقى ويعيش فترة طويلة دون انقسام بل أنه يحتفظ بحيويته مقاوما لظروف صعبة كالجفاف الشديد والبرودة القارسة . فاذا تصادف وانتقل هذا البيض إلى بيئة مناسبة محمولا فى تيارات مائية أو عالقا بأرجل حيوانات أخرى كالطيور المائية أو حتى محمولا على متن رياح عاصفة ، فان بيض الشتاء هذا يبدأ فى الانقسام لتتكون منه إناث تتوالد عذريا من جديد فى بيئتها الجديدة المتاحة ليتكون بعد ذلك أجيال من الاناث بواسطة بيض الصيف دون تدخل من الذكور .

وهكذا نجد أن الله تعالى قد هيأ مثل هذه الحيوانات الضعيفة لمواجهة مشاكلها بنجاح عظيم (وكل ميسر لما خلق له) .

٢ ـ يتكاثر برغوث الماء (حيوان مائى صغير يعرف علميا باسم الدافنيا من مجموعة القشريات التى تتبع مفصليات الأرجل) يتكاثر عادة بالتوالد العذرى ، إذ تكون الاناث هى السائدة طول العام فتضع البيض الذى ينقسم تباعا لتكوين أجيال من الاناث دونما احتياج إلى ذكور . ولكن حين يحين الشتاء فيبرد الجو أو حين يقل الغذاء أو تطرأ ظروف غير

الدكتور احمد حسنين القفل

ناسـبة للحياة الطبية فـان بعض البيض يفقس عن ذكور صغيرة تتزاوج مع الاناث وهـذه يمـكنها بعـد التزاوج أن كون بيضا مخصبا (لاقحات) تختزنها الأم فى كيس ملحق جسمها (كيس الحضانة أو الذرية) وحين تنسلخ الأم يظل بيض كامنا فى حالة سـكون داخـل جلد الانسـلاخ حتى ربيع القادم . ولذا فان هذا البيض المخصـب والذى تغلب واسطته الحيوان على ظروفه القاسية شتاء يعرف « ببيض شتـاء » تمييزا له مـن « بيض الصـيـف » قليل المح الصغار) والذى يتكاثر به الحيوان عذريا فى العادة .

٣ ـ وفى حشرات كالمن ـ آفة تصيب كثيرا من المحـاصيل الخضروات ـ فان الأنثى « تلد » عذريا إناثا وهذه عندمـا لغ « تلد » عذريا أيضا . وهكذا تتكون أجيال تلو أجيال من لاناث قـد تربو على الخمسـين جيلا متعـاقبة . ولكن قبل شتاء تتولد ذكور وإناث عذريا وحين تتزاوج يتأتى عنهـا يض مخصب (لاقحات) يمـكنه أن يتحمـل فترة الشـتـاء ظروفه القاسية حتى إذا حان الربيع يفقس هذا البيض عن اث ترجع إلى عهدها من تكوين أجيال متعاقبة عن طـريق توالد العذرى .

٤ ـ وفى طائفة النحل يوجد مـع الملكة ذكور ، ولكن الملكة تقبل التلقيح إلا مرة واحدة ومـن ذكر واحـد . وحين يتم ك فان الملكة تحتفظ بالحيوانات المنوية التى حصلت عليها أسورة فى كيس (قابلة منوية) يمكنها أن تتحكم فيه فتحا إغلاقا بارادتها وعلى حسب احتياجات طـائفتها ، فـاذا طلب الحال تكوين ذكور فان ذلك يتم عن بيض غير مخصب كاثر عذريا أما إذا شاءت الملكة إنتاج شـغالات أو ملكات انها تخصب البيض بما تفـرج عنه مـن حيوانات منوية . هكذا يفعـل النمـل وكثير مـن الحشرات الاجتمـاعية شابهة .

٥ ـ وفى حشرة تعرف بحشرة العصا أو الغصن الجـاف Stick inse فقد أمكن للعلماء تربيتهـا فى المعمـل لأجيال عديدة متعاقبة بالتوالد العذرى دون أن يعثر على ذكر واحد وال هذه الأجيال . وحتى حين ظهر ضمن أجيالها أفـراد صغر حجما من الاناث العادية وظن أنه ذكور فقد لوحـظ ن هذه لا تقـوى على تلقيح الاناث بل لا تميل سـلوكيا إلى ك لأنها بالتشريح لا تملك أعضاء الجنس الخصبة .

ويتضح من الأمثلة السابقة ـ وهناك عشرات مـن الأمثلة تذكر ـ أن بيضة الأنثى يمكن أن تنقسم فتعطى ذرية دون حتياج إلى ذكور تمدها بالحيوانات المنوية لاخصابها (وقد حظ فى الأمثلة السابقة أن الذكور كانت توجد فقط فى وقت زمات أى حين تجد ظروف سـيئة وأن البيض المخصـب ن وسيلة لتفادى هـذه الظـروف الصـعبة لقدرته على احتفاظ بحيويته وقتا أطول فى بيئات أقل ملاءمة) .

لكن ما نلاحظه من الأمثلة السابقة ـ وغيرها ـ هو أنهـا جميعا تتصل بحيوانات غير فقارية . والسؤال الذى يطـرح نفسه الآن هو :

هل يوجد توالد عذرى فى الفقـاريات ومنهـا الثدييات التى من بينها الانسان؟؟»

والمشاهد والشائع أن كل الفقاريات تتوالد عن طـريق لقـاء الأنثى بالذكر ، أى عن طـريق اللاقحـــات ولكن المراجع العلمية تسجل :

١ ـ بالنسبة للتوالد العذرى الطبيعى فان اثنين مـن العلماء قاما بتجربة على الدجاج الرومـى فعـزلا أثناء بحثهما عددا من الاناث غير الناضـجة عن الذكور ، أى قبل وصول الاناث إلى مرحلة البلوغ وعندما بلغت هذه الاناث فوضعت بيضها غير المخصب وضـع العـالمان عددا منه (٢٧٨) بيضة فى حضانة معدة للتفـريخ وقـد نجح من هذا العدد الكبير مـن البيض بيضـتان اثنتان فقط فى الانقسام لانتاج كتكوتين امـكنهما أن يواصـلا نموهما . وهذه تبدو نسبته ضـئيلة لا يعتدبهـا ، ولكن الانقسام العذرى قد حدث على أى حال .

٢ ـ لكن تجارب التوالد العذرى الصناعى والتى فيها يعـرض البيض غير المخصب إلى عوامـل خـارجية تجـريبية تؤدى إلى تشـجيع البيض على الانقسـام ـ تماما كما لو كان قـد دخله واندمـج فيه حيوان منوى ـ هذه التجارب تسجلها كثير من المراجع العلمية ، وسوف نكتفى هنا بأمثلة عن الفقاريات فقط :

(ا) تبين بالتجـربة أن التوالد العـذرى فى بيض الدجاج الرومـى غير المخصـب تزيد نسـبته كثيرا عما سبق ذكره إذا ما عزلت الاناث عن الذكور لكنها ظلت على مقربة منهـا بحيث تسـمع الاناث أصـوات الذكور باستمرار . وقد فسر العلمـاء ذلك بان صـوت الذكر قـد يثير فى الأنثى مشاعرها العصـبية وقـد تتاثر بالتبعية غدد وهرمونات فيها قد تؤدى بدورها إلى تغيير طبيعى أو كيماوى حول البيضة أو فيهـا وهـذا التغيير يؤدى بدوره إلى تشجيع البيضة غير المخصبة على الانقسـام وبالتالى زيادة نسبة التكاثر العذرى .

(ب) أمكن إجـراء تجـارب على حيوانات تتكاثر طبيعيا بتلاقى الأنثى مـع الذكر وإخصـابه للبيض . فقـد أمـكن بتجارب صناعية حث البيض غير المخصب لهذه الحيوانات وتشجيعه على الانقسام وانتاج أجنة دون احتياج للحيوان المنوى ـ والعوامل التى استخدمت ونجحت فى هذا الصـدد كثيرة منها على سبيل المثال تعريض البيضة غير المخصـبة لدرجة حرارة مرتفعة نوعا ما (صـدمة حـرارية) ومنهـا انتزاع نسبة من المحتوى المائى للبيضة (تجفيف جـزئى)

ومنها المعاملة بجرعات اشعاعية محتملة وغير قاتلة ، ومنها الوخز أو الاحتكاك لأحداث حساسية خاصة ومنها استخدام مواد كيماوية (أملاح خاصة أو أحماض معينة أو قلويات معلومة التركيز) بل إن إصابة البيضة مرضيا بأنواع من الفيروسات قد يشجعها على الانقسام . وقد أجريت مثل هذه التجارب ـ باستخدام أحد العوامل السابقة ـ على بيض غير مخصب للضفادع والأرانب والخنازير ونجحت نسبة ضئيلة من هذا البيض فى الانقسام وتكوين الأجنة . لكن المراجع العلمية لم تسجل شيئا عن التوالد العذرى فى الانسان .

والسؤال المطروح الآن هو : هل يمكن تفسير معجزة ولادة سيدنا عيسى من أمه العذراء مريم عن طريق التوالد ؟ أو بمعنى آخر ، هل نجحت بيضة غير مخصبة من مبيض العذراء مريم فى أن تنقسم عذريا ـ باذن ربها ـ من تكوين جنين على النحو المشار إليه فى التوالد العذرى الطبيعى أو حتى الصناعى السابق ؟ .

والاجابة العلمية هى بالنفى طبعا . إذلو حدث هذا التوالد العذرى فى بيضة امرأة تركيبها الوراثى الجنسى طبيعى لكان الجنين الناتج أنثى . ذلك لأن البيضة فى المرأة تحتوى على الصبغى الجنسى (س) فاذا تضاعف هذا بالانقسام العذرى فسوف يكون (س س) ثم تواصل البيضة بعد ذلك انقساماتها فيتكون الجنين وخلاياه ذات تركيب وراثى جنسى (س س) الخاص بالاناث .

لكن الله سبحانه وتعالى وهب سيدتنا مريم ذكرا هو سيدنا عيسى عليه السلام . والتركيب الوراثى الجنسى للذكر فى خلايا جنينية يجب أن تكون بها الصبغى (ص) » فمن أين سيجىء الصبغى (ص) مع أن السيدة مريم لم يمسسها بشر ؟ .

العلم يسجل حالات عن حيوانات فيها الذكور منفصلة عن الاناث ومتميزة عنها وتتزاوج الذكور مع إناثها تزاوجا عاديا يؤدى إلى إيجاد لاقحات تنتج الأجنة طبيعيا . لكن العلم يسجل فى ذات الوقت وجود أفراد شاذة بين هذه الحيوانات تعرضت طبيعيا أو تجريبيا لعوامل معينة من حرارة أو غذاء معين أو هرمونات . . الخ وقد أدت هذه العوامل إلى أن يوجد فرد واحد أو أكثر بين أفرادها العديدة بحيث يحمل هذا الفرد جهازا تناسليا مذكرا مع جهاز تناسلى مؤنث ـ بعكس أفراد مجموعته الذى توجد فيها الذكور منفصلة عن الاناث ـ أى أن الفرد الواحد يكون « أنثى مذكرة » أو « ذكر مؤنث » يمكنه إنتاج بيض وحيوانات منوية فى آن واحد ومعنى ذلك أن يكون لمثل هذا الفرد الشاذ فى مجموعته مبيض فى جهة ينتج البيضات وخصية فى الجهة المقابلة تنتج الحيوانات المنوية أو قد تمتزج خلايا المبيض مع خلايا الخصية فيتكون « مبيض خصوى » أو « خصية مبيضية » ولهذا فان العلماء يطلقون على هذه الظاهرة اصطلاح « الامتزاج الجنسى » وهى ظاهرة تخالف الظاهرة الأخرى المعروفة اصطلاحا « بالتخنث والتى فيها يحمل الفرد الواحد طبيعيا جهازا تناسليا مذكرا مع جهاز تناسلى مؤنث وهكذا تكون كل أفراد نوعه . . ومن هنا يتضح الخلاف بين ظاهرتى الامتزاج الجنسى والتخنث ففى الحالة الأولى يكون الفرد المالك للجهازين شاذا بين أفراد نوعه المنفصلة الجنس طبيعيا بينما فى حالة التخنث يكون الفرد المالك للجهازين طبيعيا لأنه يشابه فى ذلك كل أفراد نوعه (والديدان الكبدية وديدان الأرض قليلة الأشواك أمثلة لحالات التخنث) .

ولنضرب فيما يلى أمثلة لحالات من الامتزاج الجنسى .

١ ـ فى حشرة أبى دقيق الكريت تتميز الذكور عن الاناث بصفات ظاهرية وأخرى تشريحية . لكن قد توجد حشرة بالغة تحمل صفات ظاهرية للذكر على إحدى جانبيها وللأنثى على الجانب الآخر وإذا ما شرحت هذه الحشرة لوجد لها من الداخل مبيض يقابل الجانب الذى به الصفات الظاهرية للأنثى وخصية تقابل الجانب الآخر .

٢ ـ سجلت حالة الامتزاج الجنسى أيضا فى الضفادع والشائع أن الضفدعة فيها الذكر المتميز عن الأنثى ظاهريا وتشريحيا لكن قد توجد ضفدعة شاذة بين آلاف الأفراد الطبيعية وهذه الضفدعة الشاذة تكون خليطا فى أوصافها الظاهرية وعند تشريحها قد يوجد لها خصية على جانب ومبيض على الجانب الآخر أو قد تمتزج خلايا المبيض بخلايا الخصية فيصبح العضو التناسلى هذا « مبيضا حضويا » أو « خصية مبيضية » .

٣ ـ وفى الطيور سجلت حالات كثيرة من ظاهرة تعرف بالانعكاس الجنسى وفيها تسلك الاناث فى أعمارها المتأخرة مسلك الذكور مع أنها بدأت حياتها إناثا عادية تضع البيض وتقبل الذكور . وقد أظهر التشريح فى مثل هذه الحالات أن الأنثى التى سلكت مسلك الذكور أخيرا يوجد لها على الجانب الأيسر مبيض خصوى (امتزاج المبيض مع الخصية) وخصيته كاملة فى الجانب الأيمن . وقد سجلت مثل هذه الحالات فى الدجاج المنزلى وبعض أنواع من الطيور البرية (كالكنارى) . ويمكن التعرف على مثل هذه الطيور بصفاتها الخارجية من تلوين الريش الذى يمثل على الجانب الأيسر من جسمها مظاهر الأنثى وعلى الجانب الأيمن مظاهر الذكر . ويعزى العلماء هذه الظاهرة إلى فعل الهرمونات الجنسية أو إلى مواد كيماوية أو إلى تراكيب وراثية غير عادية (تركيب جنسى ثلاثى) غير أن العلماء

لاحظوا أن كثيرا من الأجنة التى تبدأ بتراكيب وراثية جنسية غير طبيعية قلما تكمل دورة حياتها ، ونسبة ضئيلة منها هى التى تصل إلى حالة البلوغ (دجاج الرود أيلاند الأحمر) .

٤ ـ وإذا انتقلنا إلى الثدييات ـ والانسان حيوان ثديى فاننا نلاحظ أن حالات الامتزاج الجنسى قليلة أو نادرة . ومع ذلك فان الرأى العلمى يقول أن الجنين فى الحيوان الثديى يبدأ وفيه هرمونات الجنس الذكرية والأنثوية ثم يتغلب أحدهما على الآخر ـ فى الحالات الطبيعية ـ تبعا للتركيب الجنسى الوراثى للجنين من ذكورة وأنوثة فيتطور الجنين إلى ذكر إذا كان تركيبه الجنسى الوراثى (س ص) وإلى أنثى إذا كان تركيبه (س س) .

وقد سجلت حالة من الامتزاج الجنسى لامرأة فى الهند شوهد أن نهدها يأخذ حجمه بالكامل على جانب واحد من صدرها (مظهر الأنوثة) ويقابله حلمة ضامرة فى الجانب المقابل (مظهر الذكورة) وحدث ذلك بالنسبة لشعر الذقن إذ تواجد فقط فى النصف المقابل لحلمة الثدى الضامرة ـ ومعنى ذلك أن هرمونى الذكورة والأنوثة يسريان معا فى دم هذه المرأة وأن غدة اللبن (الثدى) الناضجة أو الضامرة تستجيب كل منهما للهرمون المناسب لها .

ولقد سجل الطب أخيرا حالات لأفراد من بنى الانسان يولدون ويصلون إلى مرحلة الشباب ويمتلك الفرد منهم جهازا تناسليا معقدا لا هو بالذكر الخالص ولا هو بالأنثى الخالصة . وقد يتدخل الطب جراحيا فى بعض هذه الحالات فيستأصل الطبيب الجراح الجهاز الأقل نموا وتطورا بحيث يصبح الفرد بعد العملية الجراحية رجلا أو امرأة يصلح كل منهما لأداء وظيفته التناسلية .

وقد سجل العالم « كرت استرن عام ١٩٦٠ فى كتابه : أساسيات الوراثة فى الانسان ـ المجلد الثانى ـ صفحة ٤١٩ ـ ٤٢٠ » حالات من التراكيب الوراثية الجنسية الشاذة فى بعض النساء ، وأدت إلى عقمهن جميعا . كما أشار إلى مثل هذه الحالات علماء آخرون (ميللر عام ١٩٦٤ ، سوانسن وزملاؤه عام ١٩٦٧) والتراكيب الشاذة مثل (س صفر ـ س ص) ☆ (س صفر ـ س س) ☆ (س س ـ س ص) (س س ـ س س ص) ☆ (س س ـ س س س) ☆ (س صفر ـ س س ـ س س س) .

وقد لاحظنا من سياق الكلام السابق عن الامتزاج الجنسى أن أسباب هذه الظاهرة قد ترجع إلى عوامل حرارية أو غذائية أو إشعاعية أو نفسية . وإذا نحن وضعنا نصب الأعين عبارة « والله أعلم بما وضعت » ثم لاحظنا ما سجله القرآن الكريم من عوامل اختص الله بها السيدة العذراء مريم لأمكننا أن نلاحظ ما يأتى عن العوامل الالهية التى تعرضت لها :

١ ـ أن الله سبحانه وتعالى اختص مريم برعاية خاصة منذ ولادتها فقد تقبلها سبحانه لعبادته ورباها على عينه وانبتها نباتا حسنا . وهذا مصداق لقوله تعالى :

فتقبلها ربها بقبول حسن ، وأنبتها نباتا حسنا » آل عمران .

٢ ـ أن الله سبحانه وتعالى رباها فى خيره واختصها برزق خاص ، وأولاها عنايته من حيث التربية الجسدية والروحية ، وهيأ لكفالتها زكريا الذى كان حين يدخل معبدها يرى الأرزاق التى ساقها الله إليها ، وما كان يتوقعها ، فقد قيل إنه كان يرى عند مريم الفاكهة فى غير أوانها . وقد كان رزق الله لها بغير حساب . وحسب مريم هذا الغذاء الروحى والجسدى الالهى . يقول سبحانه :

وكفلها زكريا ، كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا ، قال : يامريم أنى لك هذا ؟ . قالت : هو من عند الله ، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب » ـ آل عمران .

٣ ـ أن الله سبحانه وتعالى اصطفاها وطهرها وفضلها على نساء العالمين . وأعدها بذلك إعدادا إلهيا هو العليم به وحده لتكون أما لنبى يولد بدون أب ولكى تصبح هى وابنها آية للعالمين . يقول سبحانه :

« وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين » ـ آل عمران .

« إذ قالت الملائكة يامريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين » ٤٥ ـ آل عمران .

« إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه » ١٧١ ـ النساء .

« وجعلنا ابن مريم وأمه آية وأويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين » ٥٠ ـ المؤمنون .

وأخيرا ، فانى لا أشك فى أن لهذه العوامل الالهية مجتمعة أثرها فى التركيب البنائى الوراثى لسيدتنا مريم على النحو الذى أراده الله لها ، والذى لا يعلم سره إلا هو وحده سبحانه . ولا أستطيع أن أختم مقالتى إلا بمثل ما بدأ نهاية ، وهى قوله تعالى « والله أعلم بما وضعت » وعلم الله فوق علم البشر الذين حكموا عليها بأنها أنثى .

بقيت كلمة إضافية وهى أن لفظ « عيسى » ورد فى القرآن خمسا وعشرين مرة : فى ثلاث آيات (٨٧ ـ ١٣٦ ـ ٢٥٣) من سورة البقرة ، وخمس آيات (٤٥ ـ ٥٢ ـ ٥٥ ـ ٥٩ ـ ٨٤) من سورة آل عمران ، وثلاث آيات

البقية ص ٦٩

هذا الإنسان
الذى كرمه ربه

الدكتور عبد الغنى عبود

تلقى الحياة الانسانية المعاصرة على الانسان ظلالا كثيفة من الشك ، الناتج عن القلق والاضطراب والضيق وانعدام الأمن ، والذى ينعكس فى صورة تساؤلات تبدو للبعض سخيفة حمقاء ، وتبدو للبعض الآخر فلسفية عميقة ، وينظر إليها فريق ثالث بسخرية واستهزاء . وعلاج تلك المشكلة لا يكون ـ فى نظرى ـ سوى باليقين والرجوع إلى الله وحده ، حيث تطمئن القلوب ، وتزول الاضطرابات وينفرج الضيق ، ويتحقق الأمن وعندئذ يزول الشك ، وتنقشع ظلاله فينعم الانسان بحياته ، ويعيش فيها راضيا مرضيا .

ومن تلك التساؤلات التى يثيرها البعض ما يتعلق بهذا الانسان . . الذى كرمه ربه ، وبقصة الانسان على الأرض نبدأ فى هذا العدد عرض تصور القرآن الكريم لهذا الانسان ، ورأى الاسلام فيه ، ولماذا خلقه ربه ، ولماذا كرمه ؟ وفى تصورى أن الانسان المعاصر فى حاجة إلى أن يعرف ذلك كله حتى يعرف هدفه فى الحياة ، وعندما يعرف الانسان هدفه ، فان حياته يكون لها معنى ، وإلا فسيعيش ضائعا قلقا . . كما هو حاله اليوم .

ويحكى الحق سبحانه هذه القصة فى عرض موجز ، ولكنه رائع حيث يقول :

ـ وإذ قال ربك للملائكة : إنى جاعل فى الأرض خليفة ، قالوا : أتجعلُ فيها من يُفسِد فيها ويَسفِكُ الدماء ، ونحنُ نسبح بحمدك ونقدس لك ؟ قال : إنى أعلمُ ما لا تعلمون (البقرة)

تبدأ القصة بارادة إلهية يعلم الحق سبحانه وحده سرها ، ويبدى الملائكة (تحفظهم) إن صح هذا التعبير ، ولكنهم يتلقون الرد بأنها إرادة الله ، فلا يكون أمامهم - وهم المسبحون بحمده والمقدسون له - سوى أن يتقبلوا أمر ربهم راضين .

ويستمر العرض القرانى الكريم للقصة فيقول :

- « **وإذ قلنا للملائكة : اسجدوا لآدمَ ، فسَجدوا ، إلا إبليس ، ابَى واستكبَر وكان من الكافرين** « البقرة » .

ويسأل الحق سبحانه إبليس عن سر (تمرده) وعصيانه لأمر ربه ، وهو سبحانه به أعلم ، ولكنها العدالة الالهية وموجبات العرض القصصى فى كتاب الله المحكم ، فيكون (عذر أقبح من ذنب) :

- « **قالَ : ما مَنَعك الا تسجد إذْ أمرتُك ؟ قال : أنا خير منه ، خلقْتَنى مِنْ نَار ، وخَلَقْتَه مِنْ طِين** » (الأعراف) .

وما كان إبليس ليبقى - وقد فجر عن أمر ربه - فى الملائكة المقربين ، وإنما كانت العدالة الالهية تقضى بأن يدفع ذلك (الفاجر) الثمن :

- (**قالَ فاهبط مِنهَا ، فما يَكُونَ لكَ أن تَتَكَبر فيهَا ، فاخرج ، إنك من الصاغرين**) (**الأعراف**) .

- (**قال فاخْرجْ مِنها ، فانك رَجيم . وإن عليكَ لَعْنَتى إلى يوم الدين** (ص -) .

وما كان إبليس الفاجر لينهى القصة عند هذا الحد ، فطبيعته التى ظهرت على حقيقتها أمام أمر الله سبحانه ، وقد كان من المقربين إليه - كان لابد أن تدفعه إلى التآمر والكيد لهذا الانسان الذى كرمه ربه ، وفضله عليه ، مع أنه - فى نظر نفسه - خير منه ، فماذا هو فاعل ؟

إنه يطلب من ربه فرصة ، يثبت فيها أنه على حق يوم رفض أن يسجد لهذا الانسان ، فتقضى العدالة الالهية أن تكون له تلك الفرصة ، التى تبدأ بها ملحمة الصراع بين الخير والشر على الأرض :

(« **قالَ ربِ فانظرْنى إلى يوم يبعثون . قال : فانكَ مِن المنظرين . إلى يَوم الوقت المعلوم . قالَ : فبعزتك لأغوينهم أجمعين . إلا عبادَك مِنهُم المخْلصين**) (ص) .

(**قال : انظرنى إلى يوم يبعثون قال : إنك من المنظرين . قال : فبما أغويتنى لأقعدن لَهُم صراطك المستقيم . ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم ، وعن أيمانهم وعن شمائلهم ، ولا تجد أكثرهم شاكرين** .

قال : أخرج منها مذموما مدحورا ، لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين (الأعراف) .

وتبدأ قصة انتقام إبليس من آدم وبنيه منذ ذلك اليوم ، وتستمر القصة إلى اليوم ، وإلى أن تقوم الساعة . لقد أسكن الله سبحانه ادم وزوجه الجنة ، تتمة لتكريمه ، الذى بدأه يوم خلقه بيديه ، وأمر الملائكة أن يسجدوا له . . . وأمره سبحانه لحكمة يراها - والأمر له وحده - أن يتمتعا بكل ما فيها من خير ، وأن يأكلا من ثمار كل أشجارها ، إلا شجرة واحدة نهاهما عنها ، فتكون هذه الشجرة نفسها هى مدخل الشيطان اللئيم إلى نفسيهما ، وتكون مخرجهما من الجنة :

(**وقلنا : يا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة ، وكلا منها رغدا حيث شئتما ، ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين . فازلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه ، وقلنا : اهبطوا بعضكم لبعض عدو ، ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين**) (**البقرة**)

(**ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة ، فكلا من حيث شئتما ، ولا تقربا هذه الشجرة ، فتكونا من الظالمين . فوسوس لهما الشيطان ، ليبدى لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما ، وقال : ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة ، إلا ان تكونا ملكين ، أو تكونا من الخالدين . وقاسمهما : إنى لكما لمن الناصحين . فدلاهما بغرور ، فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما ، وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ، وناداهما ربهما : الم انهكما عن تلكما الشجرة ، واقل لكما : إن الشيطان لكما عدو مبين**) (الأعراف)

ونجح إبليس اللئيم فى أن يتسلل إلى نفس آدم ، بالغش والخديعة ، وبالمكر والدهاء ، فأوقعه فيما سبق أن وقع هو فيه ، من عصيان لله ، مع الفارق بين عصيان ، وعصيان فعصيان إبليس عن قصد مبيت ، وعن كبرياء مجنونة . . . أما عصيان آدم فعن غير قصد ، وإنما هو عن غفلة وضعف وتكاسل . . . ومن ثم اختلفت النتيجة . . .

ويُقر آدم بخطئه ، ويعترف بذنبه ، ويتوب إلى ربه ، فيغفر الله الغفار التواب له ، ويتوب عليه :

(**قالا : ربنا ظلمنا انفسنا ، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين**) (الأعراف)

. (**فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ، إنه هو التواب الرحيم**) (البقرة)

ولم يعد لآدم مكان فى الجنة ، وإنما صار عليه ان ينزل إلى الأرض ليبدأ - وبنوه - ملحمة الصراع الأزلى مع الشيطان ، وليكون المحك الحقيقى للتوبة ، ولتكون الجنة - فى نهاية ذلك الصراع - قاصرة على أولئك الذين يكونون أهلا لها من بنى آدم ، ممن يستطيعون أن يتخذوا من الشيطان عدوا لهم ، يعلنون عليه الحرب ،

من أصول المعاملات فى القرآن الكريم

إن الناظر فى القرآن الكريم يجد أن أصول المعاملات يندرج معظمها تحت آيات ثلاث :

١ - الآية الأولى : قول الله سبحانه وتعالى « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون »

٢ - الآية الثانية : قول الله سبحانه وتعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم . ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما » .

٣ - الآية الثالثة : قول الله سبحانه وتعالى « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم غير محلى الصيد وأنتم حرم إن الله يحكم ما يريد » .

وأصول المعاملات التى بينتها هذه الآيات الكريمة نوجزها فيما يأتى الأصل الأول : المحافظة على الأموال والمال هو كل ما يتقوم بأن يكون له قيمة يتعامل به الناس على أساسها سواء كان نقدا أو عروض تجارة أو غيرهما .

مقدمة من أصول المعاملات

الدكتور على أحمد مرعى

موقف الشريعة الاسلامية من المال : إن الناظر فى نصوص هذه الشريعة الاسلامية الغراء ، فى كتابها أو فى سنة نبيها . يرى أنها تدفع إلى العمل وكسب المال .

لا يحد هذا بحدود ولا يقيد بقيود سوى أن يكون العمل مباحا فى نظر الاسلام وأن يكون كسب المال من طريق حلال . فالله سبحانه وتعالى يقول : « **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون** » ويقول سبحانه « **هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور** » فالشرط فى العمل وكسب المال أن نراقب الله فى اكتسابه ، وأن نعمل ونحن واثقون من أننا سنقف بين يدى الله تعالى فى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم » ولا ينجو فيه إلا من حاسب نفسه ، وراقب الله فى كل تصرفاته .

هذا فى اكتساب المال ، أما فى إنفاقه فقد أباح لنا الاسلام أن ننفق من أموالنا كما نشاء شريطة ألا ننفقها فى محرم ، وألا نمنعها من حق ، وأن يكون رائدنا فى انفاقها قول الله تعالى : « **ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا** » .

وفى الآيه الأولى من الآيات الثلاث التى قدمناها يؤكد القرآن وجوب المحافظة على المال بنهى كل واحد من المسلمين عن أن يأخذ مال غيره بطريق غير مشروع كالسرقة والغصب والرشوة والربا والفسق وغيرها كما تشمل الآية أيضا نهى الانسان عن إضاعة مال نفسه

بانفاقه فى المعاصى لأن قوله تعالى « أموالكم » يراد بها أموال الانسان نفسه كما يراد بها أموال الغير ونحن منهيون عن الاستيلاء عليها بغير حق . وعن إنفاقها فيما لا يفيد ثم خصت الآية بعد هذا التعميم حالة قد يظن ظان أن الاستيلاء فيها على مال الغير مباح وهى حالة الترافع إلى الحكام بشأن مال متنازع عليه ، فيحكم القاضى حسب ما يظهر له بموجب البينة التى تقام عنده ويكون حكمة لغير صاحب المال فى الحقيقة ، فحذار ثم حذار أن يظن هذا الانسان أن حكم الحاكم يبيح المال المحرم عليه ويجب على من حكم الحاكم لصالحه وهو غير صاحب حق فيما حكم له الحاكم به أن يرد المال إلى صاحبه الحقيقى ولا يأخذ منه شيئا : وقد نص الرسول ﷺ على هذا فيما ترويه أم سلمة عنه قال « **إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلى ولعل بعضكم أن يكون الحن بحجته من بعض فاقضى له نحو ما اسمع منه . فمن قضيت له بشىء من حق أخيه فلا ياخذه فانما اقطع له قطعة من النار** » .

والحاكم لا شىء عليه فى هذا الحكم ما دام قد اجتهد فى الوصول إلى الحق وإنما الاثم على من أكل مال اخيه ظلما وهو يعلم ذلك ومع هذا يصر على المطالبة به وأكله بالباطل أما من يعلم أن المال ماله وطالب به وأخذه فهو فى عفو الله حتى وإن كانت الحقيقة غير ذلك ، دليل هذا قوله تعالى فى آخر الآية الأولى « وانتم تعلمون » وتأتى الآية الثانية بما أتت به الآية الاولى من وجوب المحافظة على الأموال والنهى عن أكلها بالباطل مقدمة لذلك بنداء المؤمنين بوصف الايمان حتى يكون ذلك دافعا لهم إلى فعل ما يدعو إليه ذلك الايمان ، والتزام ما جاءت به الآية التى حددت بهذا النداء من المحافظة على الأموال والبعد عن أكلها بالباطل .

ويأتى بعد هذا قوله تعالى « **إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم** » ليقرر الأصل الثانى من أصول المعاملات هو تبينة القاعدة الفقهية « الأمور بمقاصدها » فاذا كان القصد من التصرف أكل أموال الناس بالباطل فهو محرم قطعا ، وأما إذا كان القصد الانتفاع وتبادل التجارات التى يصلح بها حال الأفراد ولا تستغنى عنها المجتمعات . فهذا مأذون فيه من الشرع ، ولا شئ فيه ما دام قد استوفى شروط صحة هذا التصرف وأهمها الرضا من الجانبين وهذا معنى قوله تعالى « **إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم** » والرضا من أعمال القلب وله دليل يدل عليه شرعا وهو الايجاب والقبول وكل تجارة يشترط فيها هذا ويقوم مقام الايجاب والقبول المعاطاة وهذا فى الاشياء اليسيرة التى نقوم بها فى حياتنا اليومية كشراء خبز وسكر وطعام وما شاكل ذلك على

الراجح . فالمشترى يعطى الثمن والبائع يعطى السلعة . ولهذا سمى بيع المعاطاة وقد دلت الآية على إباحة كل تجارة ما دامت صادرة عن رضا المتعاقدين ، ولكن هذا التعميم قد استثنى منه بعض أنواع من التجارة حرمها الشارع لما فيها من الضرر بالفرد والجماعة كبيع الخمور ونحوها ، أو لما فيها من تغرير وجهالة . كبيع الغرر المعدوم ، أو لما فيها من استغلال لحاجة المسلم كالربا أو ما شاكل ذلك من البيوع التى حرمها الله فى كتابة أو على لسان رسول الله ﷺ .

وقد استدل بهذه الآية من نفى خيار المجلس : وجه الدلالة ان الآية تقتضى حل التصرف فى المبيع بمجرد الايجاب والقبول ولا دخل للتفرق وعدمه فى هذا وإلى هذا ذهب الحنفية والمالكية .

ويرى الشافعى والليث وغيرهما ان البيع يتم عن تراض ويبقى المتبايعان بالخيار ماداما فى مجلس العقد ويدل لهذا مارواه ابن عمر عن النبى ﷺ قال « المتبايعان بالخيار مالم يتفرقا » فعموم الآية مخصوص بالحديث .

الأصل الثالث . من أصول المعاملات المحافظة على النفس فكل معاملة يترتب عليها إهدار دم المسلم بدون حق فهذه معاملة محرمة لا تحل أبدا كمن استأجر إنسانا لقتل مسلم فهذا عقد باطل ولا يحل تنفيذه بحال ، والناظر فى نصوص الشريعة يراها جاءت بالمحافظة على النفس والنهى عن الاعتداء عليها ، وأكدت هذا المعنى فى آيات كثيرة منها قوله تعالى فى الآية الثانية التى نحن بصددها « **ولا تقتلوا انفسكم** » أى لا يقتل أحدكم نفسه فينتحر أو يتناول ما يؤدى إلى قتل النفس من السموم وغيرها مما حرمه الله ونهى عنه كالمخدرات بجميع أنواعها ولا يقتل أحدكم غيره فلا يقتل بعضكم بعضا ، أما قاتل نفسه فيعذبه الله بالكيفية التى قتل بها نفسه فهو على هذا الحال فى نار جهم أبدا ، أما قاتل غيره فيكفى أن تقرأ عن عقابه قوله تعالى : « **ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما** » .

ومن علم هذا ابتعد عن كل معاملة تؤدى إلى قتل النفس مهما جرت من المنافع الظاهرة فمآلها الوبال والخسران .

وتجىء رحمة الله ختاما لهذه الآية التى نهى فيها عن إضاعة الأموال وقتل الأنفس ليخبرنا سبحانه وتعالى بأنه نهى عما نهى رحمة بنا : فاذا اجتنبنا ما نهى عنه كان لنا الهدوء والاستقرار فى الدنيا والآخرة .

الأصل الرابع : من أصول المعاملات الوفاء بالعقود وهو الذى ذكره سبحان فى قوله « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » وهذا أصل عظيم تدور عليه سائر المعاملات سواء كانت بين الله سبحانه وتعالى وبين عباده أم كانت بين العباد بعضهم وبعض ، ولهذا بدئت الآية بنداء المؤمنين بوصف الايمان يرغب اليهم التزام ما يوجبه هذا الوصف العظيم فيبادروا إلى التنفيذ ويسارعوا إلى العمل مسارعة من لا يعرف سآمة ولا مللا ، وكيف يسأم أو يمل وهو يؤدى عبادة تدخله فى عداد المؤمنين الصادقين .

ومعنى أوفوا بالعقود : أدوا ما التزمتم أداءه .

والعقود جمع عقد . وهو فى الأجل الربط والمراد بالعقود هنا هى العهود التى ألزمنا الله بها . وتعبدنا من الواجبات والمندوبات والبعد عن المحرمات فهذا كله وغيره من الأحكام الشرعية قد التزمناه بقبولنا للايمان ، فهو بمثابة العقد من الله سبحانه وتعالى بالتزام احكامة والوقوف عند حدوده ، وتشتمل العقود أيضا العهود التى تقع بين الناس فى معاملاتهم ومناكحاتهم . وسائر ما يقع بينهم من التزامات . فهذا كله يجب الالتزام والوفاء به . وهذا العموم مستفاد من قوله تعالى « أوفوا بالعقود » فهل يقى هذا العموم على حالة بحيث يجب الوفاء بكل عهد ولو كان ممنوعا شرعا ؟ كمن تعاقد مع إنسان على سرقة آخر أو قتله ؟

الحق إن هذا العموم استثنى منه العقود المحرمة شرعا . والعهود التى نهت عنها شريعة الاسلام ، فهذه لا يجب الوفاء بها بل لا يجوز الوفاء بها ، فمن تعاقد مع إنسان على قتل آخر أو سرقته يجب عليه عدم الوفاء بهذا العهد وهو معاقب على قصده هذا وعلى عهده وعلى تنفيذ هذا العهد فكلها جرائم لكل منها عقابه ، ومن هذه العهود التى يحرم الوفاء بها حلف الجاهلية على الباطل . حيث كان يعقد الواحد منهم او القبيلة حلفا مع الغير على التناصر بحق او بغير حق ، فابطل الاسلام هذا التناصر المحرم ، وجعل للوفاء بالعهد قاعدة عامة تنظم شانه وهى قوله تعالى «وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان» وكان ذلك فى الآية التالية للآية التى أمر فيها بالوفاء بالعقود.

ثم بدأت الآية فى تفصيل بعض هذه العهود التى ألزمنا الله بها ، فبين أنه أحل لنا بهيمة الأنعام من الابل والبقر والغنم ، واستثنى منها ما حرم علينا فى كتابه وسنة نبيه وذلك فى قوله تعالى « إلا ما يتلى عليكم » وما يتلى شامل للكتاب والسنة بدليل قوله سبحانه وتعالى « واذكرن **ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفا خبيرا »** والمراد بالحكمة هنا هى السنة النبوية التى تتلى مع القران فى بيت النبى ﷺ مبينة ومفصلة وموضحة للناس ما أنزل عليهم من ربهم . وما أراد الله إلزامهم به من أحكام .

وقال سبحانه وتعالى « **أحلت لكم بهيمة الأنعام** » ولم يقل أحلت الأنعام . ليشمل التعبير القرآنى الأنعام التى ذكرناها وما كان على شبهها مما لم يرد فيه تحريم كالظباء وحمر الوحش ونحوها .

وقوله سبحانه « **غير محلى الصيد وانتم حرم** » حال من الكاف فى قوله « أحلت لكم » والمعنى أحلت لكم بهيمة الأنعام حال كونكم غير محلى الصيد فى حال الاحرام وتحريم الصيد فى حال الاحرام لا حرج فيه ولا تضييق على المكلف فى تحريمه . بعد أن بين سبحانه أنه أحل لنا بهيمة الأنعام .

والمراد بالصيد هنا صيد البر فهو الذى يحرم صيده على المحرم ، أما صيد البحر فهو حلال للمحرم وغيره ، يوضح هذا قوله سبحانه وتعالى « أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما واتقوا الله الذى إليه تحشرون » .

ثم يختم الله هذه الآية بقوله : إن الله يحكم ما يريد فالحكم لله وحده يبيح ما شاء ويحرم ما شاء . وينهى عما يشاء .

وما علينا إلا التسليم والقبول والانقياد ما دمنا قد ارتضينا الاسلام دينا فلنتبع ما جاء به محمد ﷺ عن ربه جل جلاله . ولنترك اهواءنا وشهواتنا . مستعينين على ذلك بالله فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم والله اعلم ☆

بقية مقال « هذا الانسان الذى كرمه ربه »

ويقهرونه حيثما كان : أما أولئك الضعفاء من بنى آدم ، ممن يضعفون امام الشيطان ، وممن يتخذونه وليا لهم من دون الله ، فماواهم النار - معه - وبئس المصير :

(قلنا : اهبطوا منها جميعا ، فإما ياتينكم منى هدى ، فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار ، هم فيها خالدون) (البقرة)

قال : اهبطوا بعضكم لبعض عدو ، ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين . قال : فيها تحيون ، وفيها تموتون ، ومنها تخرجون) . (يابنى آدم لا يفتننك الشيطان كما أخرج ابويكم من الجنة ، ينزع عنهما لباسهما ، ليريهما سوءاتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون) (الأعراف)

الخليل عليه السلام

من خـــلال

تحـدث الله (تعـالى) عن إبراهيم (عليه السـلام) فى مواضع كثيرة من القرآن الكريم، عند ضرب الأمثلة بالرسل السابقين، وحين الحديث عن الناس الأولين. وقد ورد ذلك فى نحو ست عشرة سورة، هى: إبراهيم والبقـرة والأنبياء والذاريات والزخرف والشعراء والعنكبوت ومريم والنحل والحجر وهـود والأنعـام والتوبة وآل عمـران والحـج والصافات. وربما يظـن أن أكثر هـذه السـور حـديثا عن إبراهيم سورة إبراهيم، ولكن البحث فى القرآن الكريم، يرد هذا الظن، ويظهر أن سورة الصافات أكثر السـور حـديثا عنه، ويبين أن فى حـديثها عنه خـطوطا تكاد تكون كاملة وكافية لرسم قصته رسما دقيقا. وبمقارنة عدد الآيات التى تتحدث عن إبراهيم فى سـورة إبراهيم، بتلك التى تتحـدث عنه فى سورة الصافات، نجد أن الآيات التى تتحدث عنه فى الأولى سبع آيات (من الآية ٣٥ إلى الآية ٤١)، ونجـد أن الآيات التى تتحـدث عنه فى الثانية خمس وثلاثون آية (من الآية ٧٩ إلى الآية ١١٣).

وحينما نردد النظر فى الآيات التى تتحـدث عن إبراهيم فى القرآن الكريم، تلوح لنا خـلال خمس مضيئة لهذا النبى الكريم، هى: الذكاء والايمان والرحمة والشجاعة والكرم.

الأستاذ عارف الحجاجى

وفى اعتقادنا أن أول هذه الخلال الخمس وأهمهـا الذكاء [الـ]ذى دفعه إلى إطالة التأمل فيما حوله كمفكر، ثم التساؤل [عـ]ن كنهـه كفيلسـوف. ولا شـك فى أن هـذا الذكاء، وذلك [الـ]تأمل، قـد أبعداه عن عبادة الأوثان، إذ أنه أدرك بذكائه [و]عقله، أنها لا تضر ولا تنفع، ودفعاه إلى البحث المستمر [الـ]جاد عن خالق الكون، فحسبه الكوكب مرة، وخاله القمر [تـ]ارة، وظنه الشمس طـورا، حتى أنتهـى به البحـث إلى [إد]راك أنه هو الذى أبدع هذه الأشياء جميعا، وأنه هو الذى [خـ]لق الانسان، وهو الذى يطعمه ويسقيه، وإن مرض فهـو [يـ]شفيه، ويميته ثم يحييه.

ويظهـر ذكاء إبراهيم كذلك فى مناقشـتـه لأبيه، وفى [مـ]حاورته لقومه، وفى محـاجاة الملك الكافـر له: «ألم تر [إلـ]ى الذى حـاج إبراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك إذ قـال [إبـ]راهيم ربى الذى يحيى ويميت قـال أنا أحيى وأميت [قـ]ال إبراهيم فان الله ياتى بالشمس من المشرق فات بهـا [مـ]ن المغرب فبهت الذى كفر».

ولننظر إلى هذا الحـديث الذى دار بين إبراهيم وقـومه [حـ]ين أتوا به ليسألوه عمن كسر الأصنـام، ولنسـتمع إليه كيف يجيبهم إجابات ذكية، وكيف يسألهم هو بدوره أسئلة بارعة تحرجهم وتظهر جهلهـم: «وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون، قـالوا مـن فعل هـذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين، قالوا سمعنا فتى يذكرهـم يقـال له إبراهيم، قالوا فاتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون، قـالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم، قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون، فرجعوا إلى أنفسـهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون، ثم نكسوا على رءوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقـون، قـال أفتعبدون مـن دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم، أف لكم، ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون».

ويجىء إيمان إبراهيم تاليا لذكائه، وهـو نتيجـة طبيعية له، إذ دفعه إلى الايمان بأن الله خالق السـموات والأرض: «قال بل ربكم رب السموات والأرض الذى فـطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين». إلا أن إيمانه لم يمنعه مـن أن يسأل الله (تعالى) أن يريه كيف يحيى الموتى، ليطمئن قلبه ويزداد إيمانا: «وإذ قـال إبراهيم رب أرنى كيف تحيى

الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى » .

كان إبراهيم ، فضلا عن ذلك ، إنسانا رحيما بالغ الرحمة ، وقد تجلت رحمته فى مواقف كثيرة ، كموقفه من أبيه ، حين أشفق عليه ، وحاول جاهدا أن ينقذه من الضلال ويهديه إلى الصراط المستقيم : « **واذكر فى الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا ، إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا ، يا أبت إنى قد جاءنى من العلم مالم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا ، يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا ، يا أبت إنى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا** » . ولكن والده لم يقابل كل هذه التوسلات إلا بالاعراض والتهديد بالرجم والهجران : « **قال أراغب أنت عن آلهتى يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرنى مليا** ».

ولم يغضب إبراهيم من أبيه ، ولم يثر عليه ، بل مضى ليستغفر الله له : « **قال سلام عليك سأستغفر لك ربى إنه كان بى حفيا** » . وظل إبراهيم يستغفر الله لوالده : « **واغفر لأبى إنه كان من الضالين** » . إلا أنه لما يئس من أبيه ، وعلم أنه لن يتبعه ، وعلم كذلك أن يوم القيامة « **يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم** . » توقف ـ آسفا ـ عن الاستغفار له : **وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم** » .

وما كان إبراهيم يستغفر لأبيه فحسب ، بل كان يستغفر لأبنائه وللمؤمنين : « **ربنا اغفر لى ولوالدىّ وللمؤمنين يوم يقوم الحساب** » . وكان من فرط رحمته بالناس ، يدعو الله أن يرسل فيهم رسولا يتلو فيهم الآيات ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم : « **ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم** » . ولا يدعو إبراهيم بالخير للمؤمنين فحسب ، بل دعته رحمته إلى أن يدعو به للكافرين أيضا : « **وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ، ومن كفر فأمتعه قليلا** » .

ولما جاءت الرسل إلى إبراهيم تبشره بمولد طفله الحليم ، وتنبئه بأنها مهلكة قوم لوط ، دفعته رحمته إلى أن يحاول ثنى العقاب : « فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا فى قوم لوط ، إن إبراهيم لحليم أواه منيب ، يا إبراهيم ، اعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك وإنهم آتيهم عذاب غير مردود « . ولما أدرك أنه غير قادر على رد العقاب عن قوم لوط ، حاول أن ينبههم إلى لوط الصالح الأمين : « **قال إن فيها لوطا ، قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين** » .

وليس أدل على رحمة إبراهيم من قوله مخاطبا ابنه اسماعيل : « **قال يابنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى** » . وما نرتاب فى أن كل من يقرأ هذه الآية الكريمة ، يتألم أشد الألم ، حين يتخيل هذا الرجل الصالح مقبلا على إبنه ليفضى إليه برؤيته ، ويسأله رأيه فى هذا الأمر العظيم ، ويشفق عليه إشفاقا ، لأنه وجد نفسه بين نارين : نار معصية الله ، ونار ذبح إبنه الحبيب ، ولإيمانه الصادق العميق بالله ، آثر ذبح إبنه ، ولطيبته الكبيرة ، ولرحمته البالغة ، أبى ألا أن يستشيره ويفضى إليه بالأمر كله ، بهذه العبارة التى تقطر حنانا وأسى .

كما كان إبراهيم حليما رحيما مع أهله وقومه وأعدائه ، كان أيضا شجاعا جريئا . وليس ثمة تعارض بين الخلتين ، فكثيرا ما تقترن الرحمة بالشجاعة فى الانسان الواحد . ولا شك فى أن النبى أحوج الناس إلى الرحمة والحلم ، حتى يجذب إليه الناس ، ولا ينفضوا من حوله ، وهو أيضا أحوج إلى الشجاعة والجرأة حتى يجهر بدعوته فيهم دون خوف أو تردد . .

وتتجلى شجاعة إبراهيم فى مواطن كثيرة من حياته : تتجلى فى مواجهته لأبيه ، ومجادلته له ، وفى محاورته لقومه ، وتسفيهه لدينهم ، وحملته على أصنامهم ، وفى رده على الملك المتجبر الكفور ردا قويا مفحما ، وفى إجابته لقومه عند محاكمتهم له ، ورميه لهم بالجهل والسفه . فابراهيم رغم حلمه ورحمته ، لم يتردد فى مصارحة أبيه بخطئه : « **وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة إنى أراك وقومك فى ضلال مبين** » . ولم يتردد أيضا فى الجهر بأنه برىء عن هذا الشرك ، وبأنه يؤمن بالله الذى خلق السموات والأرض : « **قال يا قوم إنى برىء مما تشركون ، إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين** » .

وليس بمستغرب على رجل لمثل هذه الشجاعة ، التى دفعته إلى أن يجهر بدعوته ، وأن يبذل روحه وابنه فى سبيل الله ، وفى سبيل العقيدة التى آمن بها ، ليس بمستغرب على مثل هذا الرجل أن يكون كريما سخيا ، كأحسن ما يكون الكرم والسخاء . وليس أدل على كرمه وسخائه من موقفه من ضيوفه الغرباء : « **هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين ، إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون ، فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين ، فقربه إليهم قال ألا تأكلون** » .

الجانب الحضارى فى القرآن الكريم

منذ انبثقت ينابيع الحكمة ثرة فياضة، مع أول آيات تعطرت بها أنفاس الكون يحمل أرجها الطيب سفير السماء «جبريل».. ليسكبه شذى فواح العبير، على من اختاره ربه للرسالة وأكرمه بالنبوة سيدنا ومولانا رسول الله محمد بن عبد الله عليه أزكى الصلوات وأتم التسليمات.. ثم يصيح به فى صوت مأنوس وفى عبارات عذبة، لها إشراقة الفجر، ووضاءة الشمس، ليصب فى سمعه هذا الهتاف الندى ويقول له: «اقرأ باسم ربك الذى خلق، خلق الانسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذى علم بالقلم، علم الانسان ما لم يعلم..».. منذ أن بدأ هذا الاحتكاك، وتم ذلك التفاعل، بدأ الظلام ينقشع، وأخذ يغمر الانسانية نور جديد غامر.. «يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار»..

الدكتور عبد الفتاح محمد سلامة

وإذا شئنا التعرف على الجانب الحضارى الخصب فى كتاب ربنا، فاننا سنلفيه رحب الآفاق، سامق الهامات، فسيح الجنبات.. وما ذلكم إلا لأن القرآن المجيد جاء ليصنع الحضارة الشامخة فوق أرض الاسلام، ويشيد دعائم المدنية البانخة على صعيد التوحيد... وهذا يعنى أنه سفر الحضارة الأمثل، الذى يعلم الناس أصول الحياة، وقوانين العمران، ويضىء لهم منادح الليل العريض...

وما الحضارة الحقة فى أسمى مضمون لها، وأخلب حلة ترفل فيها: «إلا تفاعل مبدع حى مثمر خلاق بين ملكات الانسان التى بها استحق أن يكون قمينا بالخلافة عن الله فى أرضه... وبين ما بثه الله فى كونه وأودعه فى ملكوته من نواميس وأسرار فاذا ما غدا الانسان كائنا راقيا، يتسامى فى أسلوب تعامله مع الكون والحياة، فانه يصبح فى ذلك الحين كائنا حضاريا فى مكان مرموق...

وتسألنى بربك: لم نزل القرآن؟ ولم هطل وكيفه وهمع غيثه؟ ولم جعله ربنا مسك الختام فى سلسلة الكتب المقدسة؟... وأجيبك فى التو واللحظة: إن غاية القرآن الراشدة وبغيته النبيلة هى: أن يخلق الانسان الحضارى صاحب العقل المنطلق، والفكر اللماح، والفهم اليقظ، والبصر السديد..، الانسان البشرى المتكامل الطموح الذى يعيش فى زمالة مع الحق والخير والجمال، ذا العواطف المصقولة، والمشاعر المستنيرة، والأحاسيس الملهمة.. الذى يصنع الحياة الطاهرة، ويغذيها من مواهبه بكل ما هو جليل وجميل وخالد ومقدس...

قال تقدست أسماؤه محددا وظيفة الكتاب التى نزل لأجلها: «ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين...»... «وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين»... «تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعاملين نذيرا»... «وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم» «وإنه لذكر لك ولقومك».... ويروى البخارى فى صحيحه عن سيدنا رسول الله ﷺ أنه قال: «ما من نبى إلا وأوتى ما عليه أمن البشر، وإنما كان هذا الذى أوتيته وحيا، فأنا أرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة...».

ولست بهذا آسير فى أودية الخيال، أو أهيم فى مهامه الجدال، أو ألقى القول على عواهنه... كلا وربى ثم كلا.. فان تلك حقيقة يرسلها حرة أبيه لا تعرف المواربة من له أدنى ملاحظة فى كتاب الله الكريم... فهو الدستور الخالد الذى ربط الانسان بالكون ربطا عضويا، وجعله لبنة من لبناته، وركيزة من ركائزه.. وإلا فأى كتاب غير القرآن هتك أستار التقليد، وحطم أصنام الجمود، وأزاح من

طريق العقل الصخور وجلاميد الحجارة ؟ . . وأى دعوة غير دعوة القرآن الهمامية أزالت عن البصر غشاوته ، وبددت عن القلب نكده وحيرته ، فارتوى بذلك الانسان ونقع به غلته ؟ . . .

ها هو ذا القرآن يفتح أمام الانسان مساتير الكون ، ويعرض عليه صفحة هذا الوجود ، ويطلعه على الآفاق السيالة فى وحدة متسقة ونغمة حنون ، ثم يهيب به أن يهتك هذه الأستار ، وينغمس فى هذه الأنوار ، ويرى تعاقب الليل وكر النهار ، ويرقب عن كثب اعتراك الأمواج بين طيات البحار ويرى تحركات النجوم والكواكب والأقمار كل فى مدار ، ويشاهد الرياح وهى تعبث بغصون الأشجار ، ويتأمل فى قطرات الندى كيف تتفتق الورود وتتفتح الأزهار ، ليهتف عن بصيرة واعية ويقول : **الله خالق كل شىء وهو الواحد القهار . . .»**

يا قوم : اقرءوا معى هذه الآية من سورة البقرة ، وقفوا أمامها فى خشوع العابدين ، وجلال الناسكين . . . « **إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون . . .** » . . .

إن القرآن هنا : يغذى الفكر ، ويشد المشاعر ، ويضرب على أوتار القلوب ، ويعزف على قيثارته الربانية أعذب الألحان بأخلد بيان . . حتى يصحو الانسان من الغفلة ، ويزيح عن نفسه الهموم الثقال ، فاذا به يقف أمام كون الله فى مواجهة حاسمة ، متدبرة متأنية باحثة منقبة مستقرئة مستقصية وهو بهذا يكون محتفظا بعزته الانسانية ، تياها بكرامته الآدمية ، ولا يغدو فى قرآن مع هؤلاء الذين نظمهم ربنا مع العجماوات فى سلك واحد : لأنهم ألغوا عقولهم ، وبلدوا حواسهم ، فانكمشت جوارحهم عن الغاية التى نيطت بهم . . قال تعالى يصف هؤلاء الشاردين :

« **ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون . . .** »

الله أكبر ! ماذا أقول ؟ إن كتابا يولى جانب الفكر من الانسان هذه العناية الفائقة ، ويضفى عليه تلك القداسة ، لهو جد قمين بأن يكون دستور الحياة ، ومنهاجها القويم ، وحارسها الأمين . . على كر الدهور ومرور العصور . . .

ولقد حلق القرآن بالفكر فى سماء لا تطاولها سماء . . . عندما اعتبره قمة باذخة شامخة بها يعرف الانسان كيف يعبد الله ويذكره . . روت كتب الصحاح عن السيدة عائشة رضى الله عنها : أن جماعة من أصحاب رسول الله عليه صلوات الله وسلامه سألوها : حدثينا عن أعجب شىء رأيته من رسول الله . . فبكت وقالت : لقد كان أمره كله عجبا . . ثم قالت : كانت ليلتى من رسول الله فنمت ثم نام معى ، فقال لى : يا بنت الصديق : ذرينى أتعبد لربى . . . فقلت : أنت وذاك ، فداك أبى وأمى يارسول الله . . . فقام إلى قربة ماء ، فتوضأ ، ثم قام يصلى لربه ، فأطال القيام ثم ركع فأطال الركوع ، ثم سجد فأطال السجود ، ثم استمر على هذا حتى انشق الفجر ، فأتيته فاذا هو جالس يبكى . . فقلت : يارسول الله : ما يبكيك ؟ هل أوشكت الساعة أن تقوم ؟ فقال الرسول : ومالى لا أبكى وقد أنزل الله على الليلة هذه الآية : « **إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب . .** » . . ثم قال الرسول العظيم : « ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتفكر . . . » . . بالله ما أجل القرآن وما أسماه . . ويصيح نبى القرآن العظيم ورسوله الصادق الأمين بملء عقيرته ليسمع البشرية قاطبة : « تفكر ساعة خير من عبادة ستين عاما » . . « تفكروا فى آلاء الله ولا تفكروا فى ذاته . . »

وأخالنى لست فى حاجة إلى توجيه نظرك إلى ما بثه الله فى كتابه الخالد من آيات تحث على الفكر وتدفع إلى النظر الباحث المدقق الذى يربط بين الأثر والمؤثر ، وبين السبب والمسبب ، وبين المقدمة والنتيجة . . . وذاك لعمر الحق طريق الوصول إلى الحقيقة الكبرى التى تحرك الكون كله من أوله إلى آخره . . وهى حقيقة يدركها كل من أمعن النظر ، وأرسل الفكر ، وأطلق العقل من إساره ، وسار تحدوه هداية الفطرة ، وتأخذ بيده نزاهة المقصد . . وذلك تماما ما وقع للرجل الأعرابى الساذج البسيط ، الذى رزقه الله إنارة فى بصيرته ، وإلهاما فى طبيعته . . حيث كان يسير فى أرض صحراء فى رمال وعثاء ، فألفى بعيرات فى الطريق . . فنظر إليها مليا ، وهمس إلى نفسه نجيا ، ثم صاح بمنطق الفطرة الصافى الذى لم يلتث بلوثة الخرف ، ولم تغله عوادى التعقيد والالتواء ، ليدلى بهذا الاعتراف الخطير الجليل : « إذا كانت البعرة تدل على البعير ، والأثر يدل على المسير ، فان سماء ذات أبراج ، وأرضا ذات فجاج ، كل ذلك يدل على اللطيف الخبير . . . » . .

هذه نتيجة يصل إليها الانسان الذى يرسل النظر إثر النظر ، ويتبع الفكرة إثر الفكرة . . وتلك قضية يتعلق بها مصير الآدمى ، ويرتبط بدائرتها كيان المسلم ، رعاها القرآن هذه الرعاية ، وخلع عليها هذه العناية ، وكساها فخرا ومنقبة ، بل إنه رفع من قدرها ، وشب من نارها ، وضاعف قواها فى تحريك النفوس لها ، ودعا القلوب إليها ، واستثار لها من أقاصى الأفئدة صبابة وكلفا ، وقسر الطباع

على أن تعطيها محبة وشغفا . . وتلك لمسات باهرة من كتاب الله المبين . .

ولأجل أن يبرز القرآن هذا الجانب المهم فى حياة الانسان ، يطالعك بهذه الصورة التى تقشعر لهولها الأبدان ، بما تحويه من فداحة الخطب ، ووخامة المغبة . . وهى صورة سوف يكتوى بها ناس حمقى ، ويتجرع غصصها ومرارتها فئة مارقة من الفكر الأصيل ، والعقل الرشيد ، فغدت عقولهم وأفكارهم باهتة شاحبة هزيلة ، نحيلة صفراء . . وذلك حيث يحكى القرآن هذا الموقف المثير بكل ما يحويه من صور وحركات ومنطلقات وأبعاد . .

وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير ، إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهى تفور ، تكاد تميز من الغيظ كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها الم يأتكم نذير ، قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شىء إن أنتم إلا فى ضلال كبير ، وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ماكنا فى أصحاب السعير ، فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير . . » . . .

ذاك جانب خطير مسه القرآن بعصاه السحرية ، ووضع عليه بلسمه الشاف فاذا به يتحول إلى حياة ماجدة ومدنية فاضلة ، وحضارة قعساء . .

وإنك لو شرقت أو غربت ، أعرقت أم أشأمت ، تبحث وتنقب فى بطون الكتب فانك لن تجد كتابا مجد الفكر وأعلى من شأنه ، وكرمه وكرم أصحابه . . كما فعل القرآن . . فتراه يحدثك عن القراءة والعلم والكتابة والقلم فى أسلوب يبهر العقل ، ويستولى على مجامع القلب . . ولو ذهبت تحصى الآيات التى تدور حول الفكر والعلم والنظر والبحث والقراءة . . لأعياك الحصر ، ولانقطعت نفسك من شدة البهر . . قال تعالى : « **إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون** » « **إن فى ذلك لآية لقوم يعلمون** » . . . « **إن فى ذلك لآيات أفلا يسمعون** » « **ن والقلم وما يسطرون** » . . وغير ذلك كثير وكثير . .

هذا مجال قدسى منير من المجالات التى يحلق فيها الجانب الحضارى فى قرآن الله الخالد ، وهى كثيرة متعددة ، وفى نفس الوقت مشعة مضيئة . . وقد باركها كتاب ربنا ونفخ فيها من روحه الوثابة ، فأعطت أتباعها عطاء سخيا مباركا ، وكانت لهم منبعا دافقا يروى الظماء ، ويريح ذا الغل الصادى . .

وقد روى عن رسول الله صلوات الله عليه أنه قال : بينما رجل نائم يقلب نظره فى السماء رأى نجوما فقال : أشهد أن لك خالقا : فاطلع الله عليه فغفر له » .

وهل الحضارة إلا نتاج الفكر الرشيد ، والعقل السديد ؟ أما وقد جاء القرآن ليزكى الفكر الانسانى ويتسنم به الذرا الشاهقة . . فانه بلا ريب كتاب الحضارة الأرفع ، وسجل المدنية الأبدع . .

بقية مقال « والله أعلم بما وضعت »

(١٥٧ ـ ١٦٣ ـ ١٧١) من سورة النساء ، وست آيات (٤٦ ـ ٧٨ ـ ١١٠ ـ ١١٢ ـ ١١٤ ـ ١١٦) من سورة المائدة وآية واحدة (٨٥) من سورة الأنعام وآية واحدة (٣٤) من سورة مريم ، وآية واحدة (٧) من سورة الأحزاب ، وآية واحدة (١٣) من سورة الشورى ، وآية واحدة (٦٣) من سورة الزخرف وآية واحدة (٢٧) من سورة الحديد ، وفى آيتين (٦ ـ ١٤) من سورة الصف ـ وجميع هذه الآيات مدنية فيما عدا آيات الأنعام ومريم والشورى والأحزاب .

وفى الآيات السابقة نسب عيسى إلى أمه مريم فى ست عشرة آية ، وجاء غير منسوب لها فى تسع آيات فقط .

وجمع القرآن بين « عيسى » كنية أو صريحا وبين أمه فى الآية الواحدة من خمس آيات هى :

- **« إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم » ٤٥ ـ آل عمران .**
- **« إذ قال الله ياعيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك . . . » ١١٠ ـ المائدة .**
- **« وإذ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين . . . » ١١٦ ـ المائدة .**
- **« إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم . . . » ١٧١ ـ النساء .**
- **« وجعلنا ابن مريم وأمه آية . . . » ٥٠ ـ المؤمنون .**

وأكرم بهذا كله من تكريم

والله تعالى أعلم

١ = ٣

وهذا صحيح

لأول مرة في تاريخ التأمين

مبالغ التأمين الأساسية

المستثمرة تتضاعف إلى أكثر من

ثلاثة أضعافها

هذا هو أكبر استثمار تأميني

توفره لك

الوثيقة

الماسية

لكافة الاستعلامات إملأ الكوبون المرفق

وارسله إلى :

شركة التأمين الأهلية المصرية

القاهرة ٢٣ و٢٤ شارع قصر النيل تليفون ٩٧٩١٠٠

الاسكندرية ٣٣ شارع سعد زغلول ٨٠٢٣٢٨

القاهرة ص.ب ٥٨٠ الاسكندرية : ص.ب ٤٤٦

الاسم -

العنوان -

شاهندة

التشريع الإسلامى

الحدود وحكمة تشريعها وأثر تطبيقها

فضيلة الشيخ محمد خاطر

انتهينا فى حديثنا السابق من بيان الخلاف بين الفقهاء فى مسالة (هل الحدود زواجر فقط أم هى زواجر وجوابر) أى تزجر عن الوقوع فى الجرم كما تجبر ما حصل من إثم وتطهر من الذنب.

وقد وعدنا بتفصيل الحديث فى مسالة (هل التوبة قبل إقامة الحد تسقطه أم لا تسقطه وإذا كانت تسقط الحد فهل هذا الاسقاط فى كل الحدود أم فى بعضها).

وإليك البيان :

لقد اتفق الفقهاء على أن التوبة تسقط العقوبة المقررة لجريمة الحرابة إذا حدثت التوبة قبل القدرة على المحارب وذلك فيما يمس حقوق الجماعة . أما ما يمس حقوق الأفراد فلا يسقط بالتوبة فالمحارب إذا أخذ المال فقط ثم تاب قبل القدرة عليه سقطت عنه عقوبة القطع بالتوبة ولكنه يلزم برد المال ، وسند الفقهاء فى ذلك قول الله تعالى :

إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم (سورة المائدة)

أما باقى العقوبات المقررة بالحدود الأخرى فقد اختلف الفقهاء بشأن سقوطها بالتوبة من عدمه إلى آراء ثلاثة :

الرأى الأول : وهو لبعض فقهاء الشافعية والحنابلة إذ قد ذهبوا إلى أن التوبة تسقط العقوبة فى جميع الحدود الأخرى كما أسقطتها فى الحرابة ، وحجتهم فى ذلك أنه إذا كانت التوبة قد أسقطت جريمة الحرابة عن المحارب وهى أشد الجرائم فمن باب أولى أن تدفع التوبة عقوبة ما دون الحرابة من الجرائم إذا ما كانت الجريمة مما يتعلق بحق الله أى أن تكون من الجرائم الماسة بحقوق الجماعة كالزنا والشرب وألا تكون مما يمس حقوق الأفراد كالقتل والضرب

واستندوا فى رأيهم هذا إلى أن القرآن الكريم ذكر حد السارق واتبعه بذكر التوبة إذ يقول جل شأنه : **(والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم)** . وكذلك يقول الرسول ﷺ : (التائب من الذنب كمن لا ذنب له) . ومن لا ذنب له لا حد عليه - وقد قال الرسول ﷺ فى ماعز لما أخبر به ربه « هلا تركتموه يتوب فيتوب الله عليه » .

وقد اشترط أصحاب هذا الرأى لتسقط التوبة العقوبة أن تكون الجريمة مما يتعلق بحق الله وألا تكون مما يمس حقوق الأفراد كما اشترط بعض هؤلاء الفقهاء أن تكون التوبة مصحوبة بإصلاح العمل وهذا الشرط يقتضى مضى مدة يعلم بها صدق التوبة . ولكن البعض الآخر من هؤلاء الفقهاء أصحاب هذا الرأى يكتفى بالتوبة ولا يشترط إصلاح العمل - وهذا الرأى بتفصيلاته كلها يؤدى الى تعطيل العقوبات كما قلنا سابقا . . . .

الرأى الثانى : وقد ذهب إليه فقهاء الحنفية والمالكية وبعض الفقهاء فى مذهبى الامام الشافعى والامام أحمد - وهو أن التوبة لا تسقط إلا فى جريمة الحرابة فقط للنص الصريح الذى ورد بشأنها .

وذلك لأن الأصل أن التوبة لا تسقط العقوبة يدل على ذلك أن الله جل شأنه أمر بجلد الزانى والزانية فقال : **(الزانية**

والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) . فجعل الجلد عاما للتائبين وغير التائبين - وقال تعالى : (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) فجعل القطع للتائب وغير التائب .

وقد أمر الرسول ﷺ برجم ماعز والغامدية وقطع يد الذى أقر بالسرقة وقد جاءوا تائبين معترفين على أنفسهم يطلبون اقامة الحد عليهم وقد سمى الرسول ﷺ فعلهم توبة فقال فى حق الغامدية لقد تابت توبة لو قسمت على سبعين من أهل المدينة لو سعتهم ومع هذا فقد أمر الرسول باقامة الحد .

وأصحاب هذا الرأى لايرون شبها بين المحارب وبين غيره من المجرمين حتى يقاس أحدهما على الآخر - فالمحارب يكون غالبا غير مقدور عليه ، ولما كانت جريمته بالغة الخطورة على المجتمع جعل جزاء التائب فيها قبل القدرة عليه سقوط عقوبته تشجيعا للمحاربين على التوبة والامتناع عن الافساد فى الأرض ، أما المجرم العادى فهو شخص مقدور عليه دائما فليس ثمة ما يدعو لاسقاط العقوبة عنه بالتوبة بل أن العقوبة هى التى تزجره عن الجريمة .

كما أن القول بسقوط العقوبة بالتوبة يؤدى إلى تعطيل العقوبات لأن كل مجرم لا يعجز عن ادعاء التوبة (راجع بدائع الصنائع ج ٧ كتاب الحدود) .

الرأى الثالث : لابن تيمية وتلميذه ابن القيم وهما من الحنابلة . وعندهما إن العقوبة تطهر من المعصية وأن التوبة تطهر من المعصية وتسقط العقوبة فى الجرائم التى تمس حقا لله فمن تاب من جريمة من هذه الجرائم سقطت عقوبته إلا إذا رأى الجانى نفسه أن يتطهر بالعقوبة .

فاذا اختار أن يعاقب عوقب بالرغم من توبته (أنظر أعلام الموقعين ج٢) ويترتب على هذا الرأى أن من عدل عن إتمام جريمته تائبا تسقط عنه العقوبة إذا كانت الجريمة مما يمس حقا لله أى حقا من حقوق الجماعة لأن الرأى عندهم أن التوبة تطهر من المعصية وتسقط العقوبة وذلك فى حالة عدم طلب الجانى نفسه أن يعاقب - أما إذا كانت الجريمة تمس حقا للأفراد فلا تسقط العقوبة .

وإذا كنا قد وعدنا أن نبين فى هذا الفصل الغاية من العقاب وتقريره وبيان أهدافه فى اسعاد البشرية بالمحافظة على النفس والدين والعقل والمال والعرض وهى الضرورات الخمس كما يعبر عنها الفقهاء - فكان لا بد من تجلية ذلك .

وإلى لقاء فى حديثنا التالى إن شاء الله نبين ذلك بالتفصيل . . .

كلمة :

■ **يؤدى حق الصلاة من يتوجه إلى الله ولا يشعر بشىء فى صلاته غير حضور الله وحده .**

وصلاتك فى الجماعة لا تحجب عنك الحضرة الالهية ، لأنها تلقى فى خلدك أن الجنس البشرى كله يتوجه فى نفس واحد وبنفس واحدة إلى مقام الله . .

إنها « صلاة الانسان » - وليست صلاة هذا الانسان أو ذاك . !

عباس محمود العقاد

المصلحة المقصودة للشارع في شرع الأحكام

المعنى الذى يطلق عليه اسم المصلحة ينظر إليه بنظرتين :

ينظر إليه من جهة العباد بمقياس المعرفة البشرية ، وبباعث الرغبة فى نيل حظوظ النفس وتحصيل ملاذها على أى وجه اتفق ذلك لهم فى الحياة الدنيا ، فهذا النظر لا يتفق فيه العباد إلا بمدارك عقولهم وحكم تجاربهم فى المصالح ، وقد ينبو حكم هذا النظر عن غرض الشارع فى تقدير المصالح ، والمفاسد التى يعنيها ولا تنضبط معه معانيها ، فمن أجل ذلك لم يكن هذا النظر بهذا الطريق للمصلحة ، هو المقرر لمعنى المصلحة المقصودة للشارع وهى التى نعنيها بالقول : بأن جلب المصلحة هو مبنى الشريعة .

وينظر إليه من جهة الشرع من حيث أن الشارع وحده هو المستقل بمعرفتها وبضبط حدودها وتميز معناها ، والكشف عنها وسط الركام من المناظر التى تشبهها ، وليست منها فهذا النظر وحده دون النظر الاول هو مناط صحة القول بأن المصلحة هو مبنى الشريعة .

الدكتور محمد سعاد جلال

وإنما يذهب هذا المذهب لامرين :

أولها : القول بأن الشرع من الوحى والوحى معصوم : فالشرع المبنى على الوحى فى حقيقته الأساسية معصوم .

وإذا كان الشرع فى حقيقته الأساسية معصوما لزم أن يكون حاكما على العقل فى تقرير المصالح ، لأن العقل ليس بمعصوم ابتداء فان الشرع أخذ بأنفه عن الشرود إلى منادى الهوى والخطا ، لا ما نعاله من الحركة والنظر فيما هو من سبيله لأن العقل من حجج الله على العباد ، ويعمل الوحى المعصوم فى رقابته ، وسد طريق الانحراف على خطواته :

والثانى : أن الشرع يقدر المصلحة على أساس يختلف اختلافا بينا عن المقياس الذى يقدر هداية العقل :

الشرع يقدر المصلحة على أساس وجود حياتين للعباد : حياتهم فى الدنيا وحياتهم فى الآخرة ، وأن حياتهم فى الدنيا مرتبطة بحياتهم فى الآخرة ، وأن مصلحتهم فى الدنيا مرتبطة بمصلحتهم فى الآخرة مقدرة بهذا الارتباط : وأن تقدير مصلحة العباد فى الدنيا منظور فيه إلى أنها لا تناقض مصلحتهم فى الآخرة .

أما العقل فانه لا سبيل له إلى معرفة الحياة الآخرة ـ فهو حين يقدر مصالح الناس إنما يقدرها بناء على المقتضيات المنظورة له فى أمور الدنيا فقط وهذا الأساس لا يكفى فى تقدير المصلحة والاحاطة بها شرعا .

وهذا لا يعنى بالضرورة أن يكون حكم العقل فى تقدير المصلحة مخالفا لحكم الشرع دائما . فان مما يحكم العقل بكونه مصلحة يندرج تحت اسم المصلحة بحكم الشرع ، وإن اختلف أساس التقدير فى كل منهما .

مقاصد الشريعة

الشريعة كلها موضوعة على ركنين :

أحدهما حفظ المقاصد الكلية التى يكون بها انتظام الخلق فى حياتهم ، ويتم عليها استصلاح وجودهم فى الدنيا .

والثانى التكاليف الشرعية التى جعلت ذرائع موصلة لتحقيق حفظ هذه المقاصد التى يعبر عنها بالمصالح ، لأنها هى فعلا مصالح موضوعة من الشارع ومقصودة له بالحفظ لحفظ النظام الأمثل فى حياة العباد المبنى عليها .

وهذه المصالح تنقسم إلى ثلاثة اقسام باعتبار قوتها ، فى ذاتها وأصالتها فى معناها

أولها فى الرتبة، وقوة الحكم، والمصالح الضرورية.

وثانيها المصالح الحاجية.

وثالثها المصالح التحسينية.

فأما المصالح الضرورية فمعناها أنها لابد منها فى قيام مصالح الدين والدنيا بحيث إذا فقدت لم يضر مصالح العباد على استقامة بل على تهارج وفساد ـ وفوت حياة.

وفى الآخرة فوت النجاة والنعيم والرجوع بالخسران المبين.

وهذه المقاصد الضرورية خمسة: حفظ الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال.

وهى معتبرة فى كل ملة.

ومقصود الشارع من حفظها كما نقول إنما هو إقامة الحياة الانسانية للناس على المستوى الأمثل الذى يتوفر فى تكوينه المقومات الأصلية لبناء الوجود الانسانى الصحيح، من وجهة نظر الاسلام، وبالصورة التى يرضاها فى قيام العلاقات الاجتماعية والانسانية التى تقوم بين الناس، وفى الدلالة على طريق تلبية المطالب الحيوية وعلاج المشاكل التى يفرضها عليهم وجودهم المقدر لهم فى الدنيا، وبما ينبسط بين أيديهم بعد ذلك من أسباب النجاة والنعيم فى الآخرة.

وحفظها بتقريرها من جانب الوجود، ومنع الفساد عنها من جانب العدم.

فأصول العبادات من الايمان بالله، والنطق بالشهادتين، والصلاة، والزكاة والصيام، والحج، وما إليها راجعة إلى حفظ الدين.

والعادات من المطاعم والمشارب والملبس والمسكن وما إليها راجعة إلى حفظ النفس والعقل.

والمعاملات وهى ما يرجع لمصلحة الانسان مع غيره كانتقال الأملاك بعوض أو بغير عوض بالعقد على الرقاب والمنافع، والابضاع، راجعة لحفظ النسل والمال وراجعة لحفظ النفس والعقل أيضا لكن بواسطة العادات وذلك هو حفظها من جهة الوجود.

وأما الجنايات ـ فعل الجنايات ـ فهو ما يعود على ذلك البناء كله بالابطال. فشرع فيها من الأحكام ما يدرأ ذلك الابطال ويتلافى تلك المصالح. فشرع الحد والجهاد، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لحفظ الدين، والقصاص والدية لحفظ النفس، والحد لحفظ العقل، والنسل والقطع والتضمين لحفظ المال.

وذلك هو حفظها من جهة العدم.

أما الحاجيات فهى المصالح المفتقر إليها من حيث إرادة التوسع على المكلفين ورفع الضيق فى الغالب إلى الحرج والدخول فى الشقة اللاحقة بفوت المطلوب.

فاذا لم تراع هذه المصالح فى سياسة التشريع دخل على المكلفين فى الجملة الحرج والمشقة، لكن لا تبلغ مبلغ الفساد العادى الواقع أو المتوقع فى المصالح العامة.

وهى ايضا متمثلة فى العبادات والعادات، والمعاملات، والجنايات ففى كل هذه المواد الأربعة تقدم الشريعة أسلوبا فى الأحكام يتضمن التوسعة ورفع الحرج عن المكلفين.

فمثاله فى العبادات الرخص المخففة للمشقة عن المكلف كرخصة السفر والمرض فى الفطر وقصر الصلاة أو ادائها قاعدا.

وفى العاديات كاباحة الصيد، والتمتع بالطيبات مما هو حلال ماكلا ومشربا ومسكنا وملبسا ومركبا، وما كان كذلك.

وفى المعاملات، كالقراض والمساقاة والسلم، والغاء التوابع فى العقد على المتبوعات كثمرة الشجرة ومال العبد.

وفى الجنايات كالحكم بالموت، والقسامة وضرب الدية على العاقلة وتضمين الصناع وما أشبه ذلك.

وأما التحسينات: فالمراد بها ما يرجع إلى التحسين والتزيين فى تكاليف الشريعة، والأخذ بأحسن المناهج فى العادات والمعاملات وتجنب الأخلاق المدنسات التى تأنفها العقول الراجحات.

وهى جارية، كسابقتها فى العبادات، والعادات، والمعاملات والجنايات.

ففى العبادات، كشرع إزالة النجاسة، والأخذ بأنواع الطهارة، وستر العورة، وأخذ الزينة، والتقرب بنوافل الخيرات من القربات والصدقات وغيرها.

وفى العادات: كآداب الأكل والشرب، وتجنب المآكل والمشارب النجسة، والخبيثة، وما شاكلها.

وفى المعاملات كالمتع من بيع النجاسات، وفضل الماء والكلأ واتخاذ الحد الوسط بين الاسراف والتقتير فى تناول المباحات من مطالب النفس، وسلب العبد منصب الشهادة والأمامة وسلب المرأة منصب الأمامة وإنكاح نفسها على غير مذهب الحنفية، وطلب العتق وتوابعه من الكتابة والتدبير.

وفى الجنايات كمنع قتل الحر بالعبد فى القصاص ومنع قتل النساء والصبيان والرهبان فى الحرب واشباه ذلك.

— ٢ —

مكملات هذه المراتب

كل مرتبة من هذه المراتب الثلاثة فلها تكاليف شرعية

تبعية تكمل هذه التكاليف الشرعية الأصلية التى تخدمها وتوصل إليها مما لو فرضنا فقده لم تخل بوجود هذه المصالح المخدومة.

وذلك حاصل فى الضرورات والحاجات والتحسينات.

فأما الضرورات: ففيما يتعلق بمصلحة الدين كصلاة الجمعة والجماعة مما يعد من شعائر الدين الظاهرة المعلمة بجلاله والتمكين لمعناه فى نفوس الخلق فان ذلك تكميل لمصلحة المحافظة على الدين مع أن أصل المحافظة على هذه المصلحة حاصل بالفرائض الأصلية لا ينخرم مع الاستغناء عن هذه المشروعات المكملة.

وفيما يتعلق بمصلحة المحافظة على النفس فذلك كطلب المماثلة فى القصاص فانه تكميل لمصلحة حفظ النفس من حيث تمنع ملاحظته فى القصاص احتمال توازنه العصبية بسبب قتل إلا على بالأدنى مع أن أصل المحافظة على النفس حاصل بأصل القصاص. وحكمته من الزجر والتشفى موفرة حاصلة أيضا.

وفيما يتعلق بحفظ العقل فهو كتحريم قليل المسكر الداعى شرب قليله إلى كثيره، فانه تكميل لمصلحة حفظ العقل مع أن حفظ هذه المصلحة حاصل بتحريم المقدار المسكر فعلا.

وكذلك تحريم النظر للمرأة الأجنبية، فانه تكميل لمصلحة المحافظة على النسل من حيث تجرى العادة بافضائه إلى الزنا مع أن أصل المحافظة على النسل حاصل بتحريم الزنا نفسه.

وتحريم الربا فانه مكمل لمصلحة حفظ المال فان الربا زيادة مالية بغير مقابل تمثيل إضاعة المال، مع أن أصل حفظ المال يوجد بغير هذا التحريم.

وأما فى الحاجات: وهى المبنية على إزالة المشقة ورفع الحرج فمثالها فيما يتعلق بالدين سقوط سجود السهو فى أداء صلاة الجمعة فان المقصود منه رفع الحرج عن المصلين مع ازدحامهم وكثرة عددهم يعد مكملا للتخفيف الحاصل فى صلاة الجمعة يجعلها ركعتين. فان ذلك راجع لحفظ الجمعة.

وفيما يتعلق بالنفس جواز الجمع بين الصلاتين للمسافر فانه يعد مكملا للتخفيف على المسافر يعد جواز قصره للصلاة فان ذلك راجع لمنع إجهاد النفس.

وفيما يتعلق بالمال جواز الأشهاد، والكفيل والرهن فى البيع أن قلنا أنه من الحاجات فان المقصود منه زيادة التوثيق منعا من احتمال مشقة المنازعة بين آل المتبايعين.

وفيما يتعلق بالعقل: فكتحريم حمل الخمر وبيعها للغير، بعد تحريم القليل غير المسكر منها.

فان ذلك يعد فى باب الحظر من قبيل الاحتياط المادى المساوى لمكملات رفع الحرج فى باب المامور به: فانه فى الفهم البعيد راجع إلى رفع الواقع على النفس بمنازعة الرغبة فى المحظور عنها لو دخلت فيما يكون من مقدمات أسباب مواقعته والتورط فيه.

وفيما يتعلق بالنسل فكاعتبار الكفء ومهر المثل فى الصغير فان ذلك لا تدعو إليه حاجة النكاح: فان زواج الصغيرة أصلا معدود من قبيل الحاجيات إذ لا يدعو إلى إنشائه توقان شهوة ولا الحاجة للتناسل ولكن يدعو إليه مصلحتها الحاجية فى تقييد الخاطب الكفء واستغنامه للانتفاع به فى المستقبل.

ثم أن من مكملات ذلك اشتراك الكفء ومهر المثل فانه أدنى إلى دوام الألفة بينهما وحسن عشرتهما فى مستقبل حياتهما الزوجية بعد بلوغها.

وأما التحسينات: فما يتعلق منها بالدين فهو كآداب الأحداث، ومندوبات الطهارة.

وما يتعلق بالنفس فكانتقاء الطيب من اللحم، واستعذاب الماء، واتخاذ الحسن من الثياب، وكالتعطر والتجمل مما وردت فيه السنة فانه زيادة عن الشبع والنظافة.

وما يتعلق بالعقل فكالنهى عن اللغو والاصغاء إليه، وكالنهى عن الجلوس فى مجالس المتعاطين للخمر. فان مصير ذلك لحفظ العقل.

وما يتعلق بالمال فكتحسين العمل فى التجارة والسعى فى مناكب الأرض إليها.

وما يتعلق بالنسل: فكاختيار الزوجة ذات الجمال بعد أن تكون ذات دين، كما قال فى الحديث: أن نظر إليها سرته. وأشباه ذلك.

ومن امثلة هذه المسألة بصفة عامة: أن الحاجيات كالتبع للضروريات، وأن التحسينات كالتتمة للحاجيات فان الضروريات هى أصل المصالح كلها التى تستخدم لتحقيق عامة أحكام الشريعة. تمت.

الإعجاز العلمى للسنة النبوية

الرحمة فى القتال

منذ أن وقع أول عدوان على الأرض على إنسان حيث قتل قابيل هابيل . . دون نظر إلى رابطة الأخوة . . الأخوة الكاملة التامة من الأب والأم وبلا اعتبار لبشاعة العدوان ووحشية القتل . . فلقد حرص المعتدى على أن يكون عدوانه عدوانا عميقا بحيث ينتهى بالموت لخصمه وهذا ماكان فى أول عدوان . . وهذا ما حرص بعد ذلك كل مقاتل أن يسير فى طريق أسلافه وان يباشر المعتدى ما باشره أجداده . . فكانت الحروب حيث تتقاتل الجماعات . . وتتصارع الفئات وكان الحرص من الجماعات المتقاتلة والفئات المتصارعة على أن عدوانها سائدا وقتالها عميقا . . استهدافا للقتل والتدمير والافناء . .

الدكتور عبد الرزاق نوفل

وكلما تعاقبت الأجيال . . وتقدم الفكر . واتسعت الآفاق . . كلما كان للحرب فى ميدان البحث العلمى مكان الصدارة فى الاهتمام . . والأولوية فى الاجتهاد . . فوجدنا أن معظم استخدامات العلوم فى كافة العصور كانت أهمها وأولها فى مجال الحرب . . بل وحتى الآن والانسان يعتبر فى هذا العصر قد تفوق على كل من كانوا من قبله من أسلافه حضارة ومدنية وخلقا وإنسانية . . فان كل مكتشفاته المحلية تستخدم أولا فى الحرب . . فالانشطار النووى . . والانقسام الذرى . . والصواريخ ذات الرؤوس الملوثة . . كل هذا بعض ما استخدمه الانسان فى هذا الجيل فى حربه . . أو أعده للتطوير مستقبلا للقتال . .

ولقد كان للتدمير الرهيب الذى يسببه الحرب عموما . . وخاصة بعد الاكتشافات العلمية الحديثة . . وكذلك للويلات البشعة التى يعانيها الناس . . كل الناس فى وقت الحرب . ممن يحاربون وممن لا يحاربون . . إذ يتم الضرب فى الحرب من البر والبحر والجو وبأسلوب وحشى مما يؤثر فى مساحات تتجاوز يقينا ميدان الضرب . . بل إن من الاشعاعات والآثار ما يصيب الجهات النائية عن الحرب . . البعيدة عن ميدان الضرب . . ويكون جو الأرض عموما . . كان لذلك أثره فى قيام وحدات متصلة وصيحات عالية لعقد مؤتمرات واجتماع هيئات عقب كل حرب . . وبعد أن يكتشف العالم مدى ما أصاب النساء والأطفال والشيوخ والعجزة . . بقدر ما نال المدن الآمنة . . والصناعات القائمة . . والحضارات الشامخة . . حيث تدمر المدن . . وتهدم الصناعات . . وتنعدم الحضارات . . فوجدنا فى أواسط القرن الحالى أى منذ بضعة عشرات السنين فقط تحركا لوضع قانون الحرب . . بحيث يكون قانونا دوليا يستهدف أولا حماية المدن التى لا تضم أهدافا عسكرية . . ولا حشودا قتالية . . فيطلق عليها اسم المدن المفتوحة ليحرم ضربها أو الاعتداء على سكانها . . كما تهدف إلى تحريم استخدام الأسلحة السامة أو ذات الأثر الطويل . . كما تحرم ضرب الأماكن التى توضع عليها العلامات المميزة كدور العلاج والمصحات النوعية رحمة بالمرضى والمصابين بالعاهات أو التخلف . . وكانت التقارير المقدمة والدراسات التى أعدت والمسجلة بالكلمة والصورة عن مدى ما ينال الأبرياء والضعفاء من عدوان وما يلحق بالانتاج كله من إعدام هى السبيل إلى الدعوة لاصدار القوانين والتوصيات التى تدعو إلى تحقيق بعض الرحمة فى القتال والحفاظ على سلامة من توجب الرحمة رعايتهم والعناية بهم . . لا حربهم والعدوان عليهم . .

وما وصل العلم إلى ضرورة الأخذ به . . ومازال موضع البحث الجاد ودراسة وسائل فرضه فرضا . . والالتزام به أمرا . . قد سبقت به السنة النبوية المطهرة

البقية ص ٨٢

هذا هو الإسلام قوام البشرية

تعدد الزوجات

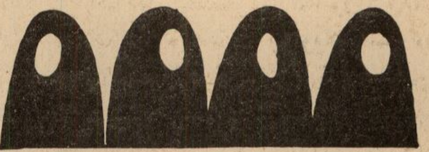

فضيلة الشيخ محمود إبراهيم طيره

فى هذا التشريع الحكيم تعدد الزوجات توخيت أن يكون هذا المقال وما يليه ، لأن المناوئين للاسلام الحاقدين عليه . المتربصين به الدوائر ممن يناصبونه العداء بغيا وحسدا من عند أنفسهم يتخذون من تعدد الزوجات ، وموضوعى الطلاق ونصيب المرأة فى الميراث قواعد ، يطلقون منها سهامهم عليه ، ولكن لا فقد خاب والله فألهم ، وطاشت سهامهم ، فان الاسلام أشبه مايكون بالجبل الأشم المنيع ، يرد الطرف وهو كليل ، وتتكسر على قممه الروابى ، الرياح الهوج والعواصف المدمرة ويبقى الجبل هو الجبل ، فى شموخه وعظمته .

إنه الدين المتين الذى يدرع بالحق المبين فلا تنفذ إليه سهام المعتدين صنع الله الذى أتقن كل شىء وهو الحكيم العليم بمصالح العالمين فماذا يمكن أن يفعل العبد فيما صنع الرب ؟ أكمل الله الاسلام وجمله ووعد بحفظه من كيد الكائدين ، فقال سبحانه « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » : وقال (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) !

وما أصدق مايقول سيدنا الرسول عليه الصلوات (إن هذا الدين متين ، فأوغلوا فيه برفق ، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه) إن مثل من يتطاول على الاسلام يحاول النيل منه مثل من ينطح الصخرة ليوهنها فيدمى رأسه وتبقى الصخرة هى الصخرة فى صلابتها ومتانتها وكانما هو المقصود بقول القائل :ــ

كناطح صخرة يوما ليوهنها
فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

إنه لو جاز للحصى فى الأرض أن ينطق لصرخ فى وجوه القوم مستنكرا ــ كفاكم كفاكم تعلقا بأذيال المحال ، فان نجوم السماء أقرب إليكم منالا مما تشتهون وهل يضير الأسد الهصور طنين أجنحة الذباب ، أو مكر الثعالب وعواء الذئاب ؟

كيد الثعالب والذئاب لضيغم
كغثاء سيل ضاع فى الوديان

ولقد أباح الاسلام تعدد الزوجات كما تنص الآية الكريمة (وإن خفتم الا تقسطوا فى اليتامى ، فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع) . وكان الاسلام حكيما فى إباحة تعدد الزوجات بشروطها التى سنتعرض لها فيما بعد ، حيث كان يهدف إلى وضع حد لحياة البوهيمية والحيوانية التى كان العالم يعيشها قبل مبعث المصطفى ﷺ فلقد كانت الحياة الجنسية السائدة ، فوضى مشوشة لا ضابط لها ولا رابط ولا قانون يحكمها ولا نظام تسير عليه ، وإنما كان العالم يخبط فيها خبط عشوا ويتخبط على غير هدى ورشاد ، وينقاد لها تبعا لهواه ، ونزولا على إرادة نفسه الأمارة بالسوء وإرضاء لشهواته ونزعاته

ونزواته ، من غير ما وازع من خلق ورادع من ضمير ؟

وإذا كانت هذه الفوضى تأخذ أشكالا متعددة ، وتختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة فانها كانت فى مجموعها تشكل عارا وشنارا ، وهوانا وصغارا ، وتصور للرائى مناظر مؤذية مخزية تقزز النفوس وتصدع الرؤوس ، وتقلق الأعصاب ، وتقطع نياط القلوب ، أسى وحسرة على تردى البشرية من درجات الانسانية إلى دركات الحيوانية وعلى هذه الصورة المفزعة ؟ ولقد كانت هذه الحالة أثرا لما كان من استرقاق النساء واتخاذ الأقوياء والأغنياء العدد الكثير منهن للاستمتاع والخدمة وأكثر مما كان منها فى البلاد الحارة التى فتن أهلوها بشهوة الاستمتاع ، وكثرة التنقل بين الحسان وصغار السن من الفتيات وكان ذلك عند بعضهم استرقاقا خالصا ثم تطور إلى الجمع بين الحرائر والاستمتاع بالجوارى المملوكات ، ويحدثنا الباحثون فى تاريخ البشر وطبائعهم أن قدماء اليونان من الأثينيين ، كانوا يبيعون النساء فى الأسواق ويبيحون تعدد الزوجات بغير حساب بل لقد أباح الاسبرطيون ما هو أدهى من ذلك وأمر باباحة تعدد الأزواج للمرأة الواحدة دون تعدد الزوجات للرجل الواحد] . . وكان التعدد من غير حدود منتشرا فى أوربا عند الغولوا فى زمن سيزار ، كما كان معروفا عند الجرمانيين فى عهد [تاسيت] ثم عرف الأوربيون فى القرون الأخيرة عن تعدد الزوجات إلى البغاء والسفاح واتخاذ الأخدان ولقد كانت النساء عند أولئك الوثنيين مهينات كالاماء ، مستباحات الأعراض . . بل إن الزوجات كانت تباع فى انجلترا فيما بين القرنين الخامس والحادى عشر ، كما يقرر ذلك الفيلسوف الانجليزى « هربرت سبنسر » فى كتابه . علم وصف الاجتماع وأغرب من هذا ما حدث أخيرا فى القرن الحادى عشر ، وهو القانون الذى سنته المحاكم الكنسية وينص على أن للرجل أن يعير زوجته إلى رجل آخر لمدة يحددها الرجل المعارة إليه المرأة . وأمعن من ذلك فى الغرابة ، ما كان للحاكم من حق ـ الاستمتاع بامرأة الفلاح مدة أربع وعشرين ساعة فور عقد زواجها على هذا الفلاح . . وكان بعض الوثنيين فى أمريكا الشمالية ـ كما يروى الباحثون ـ إذا تزوج أحدهم بامرأة حلت له جميع أخواتها ، وقالوا إن هذا قد انتشر كثيرا فى كولومبيا وغيرها . . على هذه الصورة البشعة المروعة كان العالم غارقا فى طوفان الفوضى الجنسية ، حتى جاء الاسلام الحنيف بصلاحه وإصلاحه فشرع تعدد الزوجات لكن فى نظام محكم وأحاطه بالضمانات التى تجعله أدنى إلى الخير وأبعد ما يكون عن الشر منعا لهذه الفوضى ، وإنقاذا للمرأة من الهوان الذى كانت تعانيه واستعادة لكرامتها المفقودة ، ورعاية للذرارى ، بالحرص على أن يكونوا أطفالا شرعيين لهم فى الحياة حقوقهم ورعاية شؤونهم وينتسبون لآبائهم لا لقطاء مشردين ضائعين لا يعرفون لهم آباء ، وهم محرومون من كل رعاية وحقوق . . ولقد أدرك المنصفون من فلاسفة العالم ومفكريه وذوى الرأى فيه فضل الاسلام العظيم فى هذا التشريع الحكيم ، فراحوا يشهدون له ويطرونه بل إن بعضهم يذهب إلى أن الاسلام ضرورة حيوية لابد للعالم منه . وكم كنت أود أن أستعرض كل أقوال هؤلاء الفلاسفة والمفكرين فى هذا المقام لولا أن المقال لا يتسع له ، ولهذا سأقتصر على ذكر نموذجين إثنين من كلام حكيمين من أكبر علماء الاجتماع والتاريخ ـ وما لا يدرك كله لا يترك كله ـ لعل فيهما العبرة للمتفرنجين منا الذين يعيبون هذا التشريع الحكيم ويعارضونه أيضا . يقول الدكتور غوستاف لوبون الفرنسى » فى كتابه « حضارة العرب » لا أريد هنا أن أبين الأسباب التى جعلت الشرقيين يقولون بتعدد الزوجات بل أذكر أن تعدد الزوجات الشرعى عند الشرقيين خير من تعدد الزوجات الخبيث المؤدى إلى زيادة اللقطاء فى أوربا . ويجزم الفيلسوف الانجليزى « برنارد شو فى كتابه التزويج » بأن الدولة الانجليزية ستضطر إلى إتخاذ الاسلام دينا لها قبل انقضاء هذا القرن ، بل لقد نقلوا عنه أنه جزم بأن شعوب أوربا وأمريكا كلها ستهتدى بالاسلام قبل انقضاء قرن من الزمان والآن فلنستعرض مزاعم المتحاملين على الاسلام الذين تغلى فى صدورهم مراجل الحقد عليه ثم نكر بالرد عليها وتفنيدها ، ولكأنى بقائلهم يرفع عقيرته ويقول : إن تشريع الاسلام القاضى بتعدد الزوجات لا يتفق مع تطور مظاهر الحضارة والمدنية . ولا تستسيغه الطبقة المستنيرة من المفكرين والمثقفين فهو تشريع قديم مضى زمنه ، لا يلائم متطلبات العصر الحاضر وهو إنما يروق للرجل العادى المتخلف ويرضى مزاجه فى أن يكون له زوجتان وثلاث ، لاسيما أهل الريف الذين يهوون كثرة الأولاد بتعدد الزوجات هذا فضلا عما فى تعدد الزوجات من إهانة للزوجة الأولى ، وإذلال لها وجرح لشعورها وكيف يستقيم القول بأن الاسلام قدر المرأة وكرمها بما لم يقدرها ويكرمها به دين من الأديان مع ما فى التعدد من إهانات لها ومعاناة وتحقير ؟ وهل من تكريم المرأة أن يؤتى لها بامرأة أخرى تقاسمها عيشها ، وتشاركها فى زوجها وقد يكون فيها ما يجذب الزوج إليها ، فتستحوذ عليه شيئا فشيئا ، ولربما فى النهاية تنتزعه منها انتزاعا فتحطم حياة الزوجة الأولى ، وتهدم مستقبلها ، وتقضى عليها القضاء الأخير .

وفى ردى عليهم أقرر أن من الأمور التى لا تقبل الجدل ، أن سيدنا محمد بن عبد الله عليه السلام خاتم الأنبياء ، وأن

دينه خاتم الأديان ، أنزله الله سبحانه ليكمل به شرائع السابقين فكان عين الكمال وكان الدين العام الخالد ، الباقى على ظهر هذه الأرض ما بقيت الدنيا ، **الصالح المصلح للبشرية منحها حريتها ، وكفل لها سيادتها .**

وصان كرامتها وضمن لها سعادة الدنيا ونعيم الآخرة ، قال ربنا جل ثناؤه (**من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون**) وقال تبارك وتعالى (**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا**) وبحكم أن الاسلام دين عام خالد ، جعل الله فيه من المرونة ما يساير بها كل نهوض وتقدم ويتمشى مع كل حضارة ومدنية ، ولكن أية حضارة وأية مدنية ؟ إنها الحضارة النافعة للرفعة العظيمة ، والمدنية الحقة ، البانية الباهرة ، وليست الحضارة الضارة المتدنية الأثيمة ، ولا المدنية الزائفة الجانية الخاسرة ، فان الاسلام يجافيهما ويقاومهما بكل حزم وعزم وعلى هذا يكون القول بأن الاسلام تشريع قديم مضى زمنه ، ولا يتفق مع تطور مظاهر الحضارة والمدنية قولا هراء ، ولغوا من الكلام ، أملاه التعصب المقيت ! والاسلام الحنيف حينما شرع تعدد الزوجات لم يجعله ضربة لازب ، وواجبا على كل زوج أن يباشره ، كلا ولم يجعله مندوبا يثاب المرء عليه ، ولكن جعل الاسلام تعدد الزوجات رخصة للزوج يستعملها عند الحاجة الملحة ، والضرورة المقتضية ، شخصية كانت أو اجتماعية فالشخصية كأن تصاب الزوجة بمرض يقعدها عن تأدية واجباتها كزوجة ، وكأن تكون الزوجة عاقرا لا تلد ، والزوج عنده الاستعداد للانجاب وهو يشتهى أن يكون له أولاد ، يحملون إسمه ، ويصلون نسبه ، فضلا عن أنهم هم ثمرة الزواج ، والزوج فى جميع هذه الحالات حريص على زوجته ، لا يدور بخلده أبدا أن يطلقها ؛ لأنه لا ذنب لها ولا جريمة ، ولكنه قضاء الله الذى لا إرادة لها فيه ، فلو أن الدين فى هذه الأوضاع أوجب على الزوج أن يقتصر عليها ، ولم يبح له أن يتزوج بأخرى ، فماذا يكون حاله ؟ إنه من غير شك يكون بين أمرين لا ثالث لهما ، إما أن يعيش على الكبت والضياع والحرمان من الذرية ، وإما أن ينحرف ويلجأ إلى الحرام ، وكلا الأمرين مر وغير طبيعى ، فتخلصا من مثل هذا الحرج الذى يقع فيه الزوج ، أباح له الاسلام أن يتزوج بامرأة أخرى للضرورة وللضرورة أحكامها على أن الزوجة العاقلة الرشيدة ، المحبة لزوجها ، الحريصة عليه ، فى مثل هذه الحالات تقدر ظروفه وتعذره ، وتقابل الوضع الجديد بصدر رحب غير ناقمة ولا غاضبة ، وإننا نعرف أسرا ونسمع عن أسر كانت فيها الزوجة المريضة أو المسنة أو العاقر ، تحث بعلها وتحرضه على الزواج ، بل إن بعضهن كن يقمن بالسعى لاختيار الزوجة الجديدة المناسبة للزوج ، فاذا ما اقترن الرجل بها ، صارت الزوجة القديمة صديقة لها ، وكأختها ، وعاشت الاثنتان فى تفاهم وتعاون ، ووئام وسلام ، فاذا أنجبت الزوجة الجديدة ، قامت القديمة باحتضان الأطفال وخدمتهم ورعاية شؤونهم ، فيشبون متعلقين بها أكثر من أمهم الحقيقية . . ولا يكون تعدد الزوجات مثار النزاع والخصام فى البيت ، إلا إذا كان التعدد لغير ضرورة حاكمة ، أو حاجة مستلزمة ، بل يكون قوة واقتدارا بقصد المتعة فقط والزواج الذى يقع على هذه الصورة يمكن تسميته « زواج المزاج » لأن الرجل فى هذه الحالة لا يباشره رغبة فى أن يكون أبا لأطفال تقر عينه بهم ، وإنما يريدها إرضاء لمزاجه الشخصى فحسب ، كى يحصل على أكبر قدر من اللذة والاستمتاع ، وليس ثمة شك فى أن الزوجة الأولى تحس بأن زوجها قد اعتدى عليها ، وغدر بها ، فتغضب وتثور ، وتشعر بنار الغيرة تتقد فى صدرها ، عندما ترى ضرتها الجديدة قد أقبلت لتفسد عليها حياتها ، وتنغص عيشها ، وينتزع من قلبها حبها لزوجها وإخلاصها ، وتحل محله الكراهية والبغضاء ، والحقد الدفين والرغبة الأكيدة فى الانتقام ! ومن هنا يبدأ الخلاف والشقاق ، والنزاع والخصام ، ولعمرى — إن مثل هذا الزواج الغادر ، القاهر العابث ، هو الشرارة التى تمس مخزن المشاكل والمتاعب ، فتفجره تفجيرا يجعل البيت نارا تلظى ، يكتوى بها كل من فيه وزواج كهذا حاشا للاسلام أن يبيح تعدد الزوجات من أجله ! هذا وقد اقتضت مشيئة الله سبحانه ، أن يكون النساء أكثر عددا من الرجال كما تنطق بهذا الاحصائيات العالمية ، كما أن من الظواهر الاجتماعية والسنن الكونية ، أن يدفع الله الناس بعضهم ببعض بحكم تنازع البقاء ، كما تنطق به الآية الكريمة (**ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض**) **ولهذا تشتعل نيران الحروب بين الحين والحين تأكل الأخضر واليابس** . . وقد شهدنا فى أوائل هذا القرن العشرين حربين عالميتين ، كما شهدنا بعدهما أربع حروب فى الشرق الأوسط ، وقد ذهب ضحية هذه الحروب ملايين الرجال ، تاركين وراءهم الآلاف المؤلفة من الأرامل ، فضلا عن العنس الكثيرات ! فياليت شعرى — إلى أن يذهب ملايين النساء هؤلاء ؟ ومن الذى يأويهن ويعولهن ويدير شئونهن ويحفظ عليهن شرفهن وأعراضهن وقد يكون لأغلبهن أولاد صغار يحتاجون إلى تربيتهم والانفاق عليهم ، ورعاية شؤونهم فمن الذى يقوم لهن ولهم بذلك كله ؟ اللهم لا أحد ، ومن ثم يعشن مشردات ممزقات ضائعات فى خضم الحياة ، وقد تدفعهن الحاجة الماسة إلى الانزلاق فى مهاوى الرذيلة ،

البقية ص ٨٢

مواقيت الصلاة

اليوم	١٣٩٨ هجرية	١٩٧٨ ميلادية	فجر ق	فجر س	شروق ق	شروق س	ظهر ق	ظهر س	عصر ق	عصر س	مغرب ق	مغرب س	عشاء ق	عشاء س
الثلاثاء	أول صفر	١٠ يناير	٢١	٥	٥٢	٦	٢	١٢	٥٣	٢	١٣	٥	٣٥	٦
الأربعاء	٢	١١	٢١	٥	٥٢	٦	٣	١٢	٥٤	٢	١٤	٥	٣٦	٦
الخميس	٣	١٢	٢١	٥	٥٢	٦	٣	١٢	٥٥	٢	١٤	٥	٣٦	٦
الجمعة	٤	١٣	٢١	٥	٥٢	٦	٣	١٢	٥٥	٢	١٥	٥	٣٧	٦
السبت	٥	١٤	٢١	٥	٥٢	٦	٤	١٢	٥٦	٢	١٦	٥	٣٨	٦
الأحد	٦	١٥	٢١	٥	٥٢	٦	٤	١٢	٥٧	٢	١٧	٥	٣٩	٦
الإثنين	٧	١٦	٢١	٥	٥٢	٦	٥	١٢	٥٨	٢	١٨	٥	٣٩	٦
الثلاثاء	٨	١٧	٢١	٥	٥١	٦	٥	١٢	٥٩	٢	١٩	٥	٤٠	٦
الأربعاء	٩	١٨	٢٠	٥	٥١	٦	٥	١٢	٠٠	٣	٢٠	٥	٤١	٦
الخميس	١٠	١٩	٢٠	٥	٥١	٦	٦	١٢	١	٣	٢٠	٥	٤١	٦
الجمعة	١١	٢٠	٢٠	٥	٥١	٦	٦	١٢	١	٣	٢١	٥	٤٢	٦
السبت	١٢	٢١	٢٠	٥	٥١	٦	٦	١٢	٢	٣	٢٢	٥	٤٣	٦
الأحد	١٣	٢٢	٢٠	٥	٥١	٦	٦	١٢	٣	٣	٢٣	٥	٤٤	٦
الإثنين	١٤	٢٣	٢٠	٥	٥٠	٦	٧	١٢	٣	٣	٢٤	٥	٤٤	٦
الثلاثاء	١٥	٢٤	١٩	٥	٥٠	٦	٧	١٢	٤	٣	٢٥	٥	٤٥	٦
الأربعاء	١٦	٢٥	١٩	٥	٤٩	٦	٧	١٢	٥	٣	٢٦	٥	٤٦	٦
الخميس	١٧	٢٦	١٩	٥	٤٩	٦	٧	١٢	٦	٣	٢٧	٥	٤٧	٦
الجمعة	١٨	٢٧	١٨	٥	٤٩	٦	٨	١٢	٧	٣	٢٧	٥	٤٧	٦
السبت	١٩	٢٨	١٨	٥	٤٨	٦	٨	١٢	٧	٣	٢٨	٥	٤٨	٦
الأحد	٢٠	٢٩	١٨	٥	٤٨	٦	٨	١٢	٨	٣	٢٩	٥	٤٩	٦
الإثنين	٢١	٣٠	١٧	٥	٤٧	٦	٨	١٢	٩	٣	٣٠	٥	٥٠	٦
الثلاثاء	٢٢	٣١	١٧	٥	٤٧	٦	٨	١٢	٩	٣	٣١	٥	٥٠	٦
الأربعاء	٢٣	أول فبراير	١٧	٥	٤٦	٦	٩	١٢	١٠	٣	٣٢	٥	٥١	٦
الخميس	٢٤	٢	١٦	٥	٤٥	٦	٩	١٢	١١	٣	٣٣	٥	٥٢	٦
الجمعة	٢٥	٣	١٦	٥	٤٥	٦	٩	١٢	١٢	٣	٣٣	٥	٥٢	٦
السبت	٢٦	٤	١٥	٥	٤٤	٦	٩	١٢	١٢	٣	٣٤	٥	٥٣	٦
الأحد	٢٧	٥	١٥	٥	٤٤	٦	٩	١٢	١٣	٣	٣٥	٥	٥٤	٦
الإثنين	٢٨	٦	١٤	٥	٤٣	٦	٩	١٢	١٤	٣	٣٦	٥	٥٤	٦
الثلاثاء	٢٩	٧	١٣	٥	٤٢	٦	٩	١٢	١٤	٣	٣٧	٥	٥٥	٦

القضاء في الإسلام

شهادة النقل

النقل عرفا هو أخبار الشاهد عن سماعه شهادة غيره أو سماعه إياه لقاضى . فيدخل نقل النقل ويخرج الأخبار بذلك لغير القاضى ويجوز نقل شهادة على الشاهد الأصلى وتسمى شهادة النقل وإنما تصح بشروط ستة هى :

أولهما - ان قال الشاهد الأصلى للناقل عنه - أشهد على شهادتى أو نحو ذلك مما يرادفه كأنقلها عنى وما هو بمنزلة ذلك . كما أفاد بقوله أو سمعه يؤديها عند الحاكم . أو بسماعه يؤديها بمنزلة قوله أشهد على شهادتى . وأما إذا سمعه يخبر غيره بأنى قد شهدت على كذا فلا ينقل عنه . نعم إذا سمعه يقول لغيره أشهد على شهادتى فهل للسامع النقل عنه ؟ فيه خلاف والمشهور الجواز لأن المعنى قال لغيره أشهد . . الخ فيجوز ولو لغير المخاطب من السامعين وتشمل كل نقل النقل لأن الراد ولو تسلسل .

ثانيها : أن يغيب الأصل وهو رجل فلا يصح النقل مع حضور الأصل إذا كان رجلا وأما المرأة فيصح مع حضورها لأن شأن النساء عدم الخروج فى الدعاوى .

ثالثها - أن تكون الأصلى بمكان لا يلزمه الأداء منه كمسافة القصر . وظاهرة فى الحدود وغيرها وهو مذهب سحنون وقال ابن القاسم فى الغيبة لا تكفى فى الحدود ثلاثة الأيام بل لابد من الزيادة عليها وهو ما مشى عليه الشيخ بقوله - ولا يكفى الحدود الثلاثة الأيام . وفيه اشكال لأنه إذا كان على مسافة القصر ولم يبعد أكثر من ثلاثة أيام لم يلزم الأصلى الاتيان لمحل الحكم لمسافر فلم يجز النقل عنه . وعطف على قوله وغاب قوله أو مات الأصل أو مرض مرضا يعسر معه الحضور عند الحاكم .

الدكتور
محمد عبد المنعم
خميس

رابعها ـ ألا يطرأ للأصل فسق أو عداوة للمشهود عليه قبل الأداء بخلاف طروء جنون للأصل بعد تحمل الأداء فلا يضر فى النقل عنه كالموت والمرض .

خامسها ـ الا يكذب الناقل أصله فان كذبه حقيقة أو حكما لشكه فى أصل شهادته لم يصح النقل عنه قبل الحكم بشهادة النقل وإلا بأن كذبه بعد الحكم بها مضى الحكم ولا غرم على الناقل ولا على أصل المكذب له .

سادسها ـ إذا نقل عن كل واحد إثنان متغايرا له وباثنين نقلا عن هذا وعن الآخر وبثلاثة نقل إثنان منهم عن زيد وأحدهما مع الثالث عن عمر وليس أحد الناقلين أصلا أدى شهادته بلا نقل عنه لأنه إذا كان أحدهما أصلا ثبوت الحق بشاهد فقط لأن الناقل المنفرد كالعدم . ونقل فى الزنا أربعة عن كل من الأربعة صادق بستة عشر وبأربعة فقط نقلت عن كل من الأربعة وبغير ذلك كما علم مما قبله •ونقل أربعة فى الزنا منهم عن كل إثنين من الأصل كأن نقل عن زيد وعمر ونقل الآخران عن بكر وخالد فيكفى . فان نقل إثنان عن ثلاثة وعن الرابع إثنان آخران لم تصح خلافا لابن الماجشون بأن شهادة الفرع لا تصح إلا إذا صحت شهادة الأصل لو حضر . والرابع لو حضر مع الاثنين الناقلين لا تصح شهادته معهما لنقص العدد وجاز تلفيق ناقل أى معه فى الزنا وغيره كأن ينقل إثنان عن إثنين فى الزنا مع أصلين وجاز تزكية ناقل أصله الناقل هو عنه . وجاز نقل امرأتين عن رجل أو عن امراة مع رجل ناقل عنهما عن نكر لا مع رجل أصلى بمنزلة رجل واحد . ولا نقل لواحد إذ هو كالعدم كامر ـ فيما يشهد فيه وهى الأموال وما آل إليها وما لا يظهر إلا للنساء كالولادة وعيب الفرج إلا فى طلاق وقصاص .

بقية مقال « الرحمة فى القتال »

وأمر به سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أربعة عشر قرنا من الزمان . . بحيث لو استجاب العالم لسنته . . والتزم بأوامره . لما كانت هناك حاجة إلى قوانين تصدر . . وإن صدرت لا تنفذ وإن صدرت ونفذت فبلا روح . . وبلا اقتناع . إذا ما انجد الفارق بين قانون يضعه البشر . . وأمر يوصى به الله لرسوله للبشر . . فما كان الرسول ليعلم لو لم يعلمه الله وما كان يصدر ما أصدر لولا أنه استمع إلى وحى الله . ولقد جاء فى صدر أمره القتالى (لا تقتلوا شيخا فانيا ولا صغيرا ولا امراة) .

كما انه أصدر أمره إلى خالد بن الوليد حين بعث به فى إحدى الحملات الحربية الذى نصه : (لا تقتل امراة ولا ذرية . . ولا عسيفا) .

والعسيف هو العامل فى الحقل أو المصنع أو أى موطن إنتاج . . أى أن سيدنا رسول الله ﷺ بامره هذا قد وضع دستور الرحمة فى القتال حيث طالب بالحفاظ على المدن . . والمصانع القائمة . . والحرث والنسل . . وعلى النساء فى الأطفال والضعفاء وهو ما لا يزال العالم يسعى إلى موضع التنفيذ بين الدول باعتباره إنه أسمى صور الرحمة فى العلاقات الانسانية .

بقية مقال « هذا هو الاسلام قوام البشرية »

الحياة ، وقد تدفعهن الحاجة الماسة إلى الانزلاق فى مهاوى الرذيلة ، حيث تشيع الفاحشة فى الناس ، وتنتشر الأمراض البدنية والخلقية تفت فى عضد المجتمعات ، وتنخر فى عظامها ، وتحمل عوامل اضمحلالها ثم انحلالها . فرحمة من الله تعالى بعباده ، وإنقاذا لملايين الأزواج من الأرامل والعنس والأيتام ، ومنعا للعديد من الأمراض والشرور والآثام ، شرع العليم الحكيم ، الرحمن الرحيم ، تعدد الزوجات بشروطه ، وعلى هذا فان هذه الظواهر بما تخلفه من آثار على الوجه الذى أسلفنا ، تشكل الضرورة الاجتماعية لتعدد الزوجات ، وإنى لأقول عن يقين يملأ نفسى لأن يكون النساء فى عصمة الرجال ضرائر ، أشرف لهن وأكرم ، من أن يكن فى حوزة الشيطان فواجر ! . وللموضوع بقية تأتى فى مقال تال باذن الله ، وهو الموفق والمعين .

سبل السعادة فى القرآن الكريم

الحب

٣ ـ حب الأسرة . لا يستقيم حال ولا يهدأ بال إلا إذا عم الحب الأسرة . وآيات القرآن الكريم فى تعميق الحب فى نفوس أفراد الأسرة ضافية . إذ على أساسه يتكون المجتمع المتراحم . فقوام المجتمع ولبنته الأولى . الأسرة . تماما كما يتكون الجبل الشاهق من حبات الرمل . والبحر العظيم من قطرات المياه .

ونواة الأسرة رجل وامرأة اقترنا اقترانا شريفا . فيجب أن يكون مبنيا على سكن النفس واطمئنان القلب حتى يصبح آنسا . ويضحى عاطفة كريمة . ومشاعر نبيلة . وتعاونا بناء قال الله تعالى : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » المودة . المحبة . والرحمة . الرأفة وقال جل شأنه : هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها : أى ليألفها ويسكن بها . فلا ألفة بين روحين أعظم مما بين الزوجين . فمقتضى هذا الاقتران زرع المحبة المتبادلة بين الزوجين ومن لوازم هذه المحبة .

الدكتور دياب عبد الجواد عطا

(أ) أن يكون الزوج عطوفا على زوجته . بارا بها . لا يستأثر بشىء دونها . مؤديا لحقوقها . مرشدا لها إلى طريق الفلاح والنجاح . حاثا لها على طاعة ربها . والسير على سنن دينها . يسكب فى مسامعها قول الله تعالى « **وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما** » رائده فى هذه المحبة قول الله تعالى « **وعاشروهن بالمعروف** » والمعنى كما قال ابن كثير : طيبوا أقوالكم لهن . وحسنوا هيئاتكم بحسب قدرتكم . كما تحب ذلك منها فافعل أنت بها مثله . ورائده كذلك قول الرسول عليه السلام : « أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وخياركم خياركم لنسائهم » . وقد سأل رجل النبى ﷺ ما حق زوجة أحدنا عليه ؟ فقال ﷺ : « أن تطعمها إذا طعمت . وتكسوها إذا اكتسيت . ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر الا فى البيت » .

(ب) ومن لوازم محبة الزوجة لزوجها . أن تكون له مطيعة . تكن له الود . وتظهر له الاحترام . تلبى نداءه . وتستجيب لرغباته فيما لا ينافى الدين ولا يغضب رب العالمين قال الله تعالى : « **الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله . . .** » ومعنى « **الرجال قوامون على النساء** » أن الرجل قيم على المرأة هو رئيسها وكبيرها والحاكم عليها ومؤدبها إذا

اعوجت . ومعنى « **فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله** » أن النساء الصالحات مطيعات لازواجهن فتحفظ المرأة الصالحة زوجها فى غيبته فى نفسها وماله . ومن هنا كانت المرأة التى هذا سلوكها خير النساء فى نفسها ونعمة الله على زوجها فعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال « خير النساء امرأة إذا نظرت إليها سرتك . وإذا امرتها أطاعتك وإذا غبت عنها حفظتك فى نفسها ومالك » وليست طاعة الزوج ذلة كما تتوهم بعض النساء الحمقاوات . بل هى السعادة الأبدية فعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة » .

(ج) والمحبة تدعو كلا من الزوجين أن يكون أمينا على سر الآخر ولا يفش عنه خبرا . فليس هناك من يطلع على دقائق الأسرار ويرى عظيم المحاسن وجليل المساوىء كما يكون من الرجل مع امرأته والمرأة مع زوجها . قال تعالى « **هن لباس لكم وانتم لباس لهن** » ولذلك قال رسول الله ﷺ . « إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة . الرجل يفضى إلى امرأته وتفضى إليه ثم ينشر أحدهما سر صاحبه » .

وبهذه المثل تجد الزوجة فى زوجها قلبا رحيما وراعيا أمينا . ويجد الزوج فى زوجته خير نزل وأفضل مقام . فاذا أثمر النكاح أعز ثمراته وأتى أهم مقصوده وهم الأولاد تحتم عليهم محبة والديهم وتحتم على الوالدين محبتهم .

ومحبة الوالدين لأولادهم تستلزم أن ينيروا لهم طريق الحياة بالارشاد والتقويم والتهذيب . قال تعالى « **وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها** » .

وأن يعدوهم ليكونوا أعضاء نافعين لمجتمعهم يشيعون الخير فى أمتهم . قال تعالى . مثنيا على الأب المثالى بذكر نصائحه لابنه ـ « **يابنى اقم الصلاة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك إن ذلك من عزم الأمور** » .

وأن يزيلوا من أنفسهم التعالى والكبرياء والغطرسة والحماقة وينشئوهم على لين الجانب قال تعالى : « **ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور . واقصد فى مشيك واغضض من صوتك** » وقال « **ولا تمش فى الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا** » وعن أبى موسى عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال « ما نحل والد والدا من نحل أفضل من أدب حسن » .

ومحبة الأبناء للوالدين هى الرمز للاعتراف بالجميل . فعليهم طاعتهم فى غير معصية الله . ولقد بلغ الاسلام شأواً كبيرا فى طاعة الوالدين وحسن صحبتهما والمبالغة فى إكرامهما والاحسان إليهما . قال تعالى : **ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن وفصاله فى عامين ان اشكر لى ولوالديك إلى المصير . وإن جاهداك على ان تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا** » .

والمحبة تكون على امتداد العمر . بل تكون آكد عند الضعف . وتستمر بعد وفاتهم قال تعالى « **وقضى ربك ان لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا** » ومجمل المعنى أن الله تعالى وصى بأن لا يعبد غيره وأمر أن يحسن إلى الوالدين فاذا بلغ الكبر أحدهما أو كلاهما والابن موجود فلا يسمعهما قولا سيئا حتى ولا التأفيف الذى هو أدنى مراتب السىء ولا ينهرهما ولا ينفض يده عليهما . ولما نهاه عن القول القبيح والفعل القبيح أمره بالقول الحسن والفعل الحسن فقال « **وقل لهما قولا كريما** » أى لينا طيبا حسنا بتأدب وتوقير وتعظيم وأن يتواضع لهما ويدعو لهما بالرحمة .

ولما سئل الرسول ﷺ هل من حق للوالدين بعد وفاتهما ؟ قال : نعم الدعاء والاستغفار لهما . وإنفاذ عهدهما . وإكرام صديقهما . وصلة الرحم التى لا رحم له إلا من قبلهما .

ولقد ضرب سيدنا اسماعيل عليه السلام المثل الأعلى للابن الصالح المحب لأبيه المعين له وأقدم على الموت بنفس راضية فأصبح ذكرا يشنف الآذان سماعه . ولحنا جميلا تهدىء النفس روعته . وفى ذلك يقول الله تعالى « **فلما بلغ معه السعى قال يا بنى إنى ارى فى المنام انى اذبحك فانظر ماذا ترى . قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين** » .

فاذا انتقلنا خطوة نجد أن للأسرة بقية وهم الأقرباء الذين يرتبط بعضهم ببعض بصلة النسب أو العصوبة أو الرحم كالأخوة والأخوات والأعمام والعمات والأخوال والخالات وجميع القرابات . ولوثيق صلة هؤلاء بعضهم ببعض جعلهم الاسلام يتوارثون كل على حسب درجته من القرابة وجعل لهم حقوقا . قال تعالى : « **وآت ذا القربى حقه** » والحق هو البر والصلة . وإعطاء هذا الحق سبيل الفوز فى الدنيا والآخرة قال تعالى « **فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون** » وفى هذا المعنى يقول الرسول ﷺ « تعلموا من انسابكم ما تصلون به أرحامكم فان صلة الرحم محبة فى الأهل مثراة فى المال منسأة فى الأثر » .

وقد قرن الله تقواه بتقوى الأرحام حيث قال « **واتقوا الله**

الذى تساءلون به والأرحام » قال الضحاك فى تفسيرها : **اتقوا الله الذى تعاقدون وتعاهدون به واتقوا الأرحام أن تقطعوها ولكن بروها وصلوها .**

ودليل محبة هؤلاء الصلة والزيارة واعانة المحتاج منهم عند القدرة . فاذا لم تتيسر الاعانة المادية فالصلة بالزيارة والقول الجميل . قول تعالى : « **واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا** » أى إذا سألك أقاربك ومن أمرناك باعطائهم وليس عندك شىء وأعرضت عنهم لفقد النفقة فعدهم بسهولة ولين بأنه إذا جاء رزق الله فسنعطيكم إن شاء الله .

وإذا كانت محبة ذوى الأرحام واجبة فجفاؤهم دليل بغضهم . وهذا مسلك كريه . جالب للخزى واللعنة والشقاء فى الدنيا والآخرة فقد قال الله تعالى « **والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار** » وعن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « أيما رجل أتاه ابن عمه يسأله من فضله فمنعه منعه الله فضل يوم القيامة » فاذا سادت المحبة الأسرة وجدت القوة والتماسك فيوجد المجتمع القوى المتماسك .

(٤) حب المجتمع . لقد اعتبر الاسلام ائتلاف المشاعر وتوحيد الصفوف وجمع الكلمة قوام الأمة وسر نهضتها وعنوان رقيها وحضارتها . وهذا لا يتأتى إلا فى مجتمع يسوده الحب بين جميع أفراده . ومن هنا نهى الاسلام عن كل ما من شأنه أن يحدث صدعا بوشاية كاذب أو مفرق بين الجماعة . قال تعالى « **يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين** » .

كما نهى عما فيه مساس لفرد من أفراد المجتمع فقال تعالى « **يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب** » وأوعد العيابين والطعانين بالعذاب فقال تعالى « **ويل لكل همزة لمزة** » والهماز هو الذى يعيب الناس فى وجودهم . واللماز هو الذى يعيبهم فى غيبتهم . قال الربيع بن أنس : الهمزة يهمزه فى وجهه واللمزة من خلفه . وقال مجاهد : الهمزة باليد والعين . واللمزة باللسان وقال ابن عباس : همزة لمزة . طعان معياب .

وجعل الاسلام عنوان المجتمع الفاضل الأخوة قال تعالى « **إنما المؤمنون إخوة** » بل إن المجتمع العظيم هو الذى تسوده روح الايثار قال الله تعالى « **والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة . ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** » وجاءت وصاية الاسلام بالمعاملة الطيبة لكل من تقلهم أرض وتظلهم سماء . مهما تعددت مشاربهم واختلفت عقائدهم قال تعالى « **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا** » ولعلك تدرك السر فى التعبير بالجار ذى القربى ثم بالجار الجنب أى جار بصرف النظر عن ديانته وعقيدته فالكل أبناء وطن واحد . وبتوضيح أكثر تأتى الآية الكريمة « **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين** » .

ولأن هذه التعاليم السمحة سائدة فى أرض الكنانة مصرنا الحبيبة تجدا أبناءها جميعا مسلمين ومسيحيين يقفون صفا واحدا فى وجه الغازى والمعتدى مهما رفع من شعار فسرعان ما يدركون زيف هذا الشعار كما حدث فى قتال الصليبيين . كما أنهم يقفون صفا واحدا فى وجه الالحاد والملحدين . فكانت فرحة المسلم والمسيحى متساوية فى اجتثاث الروس وقطع دابرهم من أرضنا الطيبة . وما أن تتحرك الفتنة لتنفث سموم التفرقة حتى يتصدى لها الجميع فيقضوا عليها فى مهدها ويرجع أهل الفتنة خائبين خاسرين .

(٥) حب الوطن : وطن الانسان عزيز عليه . ومحبب إليه فهو قرة عينه . ونبض قلبها فبهوائه يحيى .وبمائه يرتوى وبخيراته ينعم . وفى ترابه يحفظ جسده فلم يكن عجيبا أن يكون حبه من الايمان . وحينما أكره الرسول على الهجرة من مكة وقف قبالته واللوعة فى قلبه والدمعة فى عينه يناجيها قائلا : إنك أحب أرض الله إلى . ولولا أن قومك أخرجونى منك ما خرجت » ثم خاض المعاكص الضاربة من أجل استردادها ولم تهدأ نفسه إلا بعد فتحها . وما شرع الجهاد إلا ذودا عن حياضه. وحماية لمقدساته وردا للظالم وردعا للمعتدى ودفاعا عن الدين والشرف .قال الله تعالى « فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة » وقال « **إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم** » .

واعتبر الاسلام الموت فى سبيل الله هو الحياة الخالدة الباقية ولفرط ما يجد من الهناء يتمنى لو رجع مرات أخريات ليجاهد فيقتل فيقول الله تبارك وتعالى « **ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل احياء عند ربهم**

يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

والجهاد فى سبيل الله أربح تجارة وأعظم غنم وأجزل ثواب وأوفر عطاء وهو دعامة النصر والمزيد من التحرير . قال الله تعالى « **يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم . واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين** » .

وألوان الدماء التى تتقاطر من جروح المجاهدين هى شارات الشرف التى يعرف بها المجاهد يوم القيامة وريح المسك التى تفوح منه يوم القيامة وسلم الرقى عند لقاء ربه فقد قال ﷺ « من جرح جرحا فى سبيل الله جاء يوم القيامة ريحة كريح المسك ولونه لون الزعفران عليه طابع الشهداء . . . »

والجهاد شرع من أجل الوطن سواء دفاعا عنه أو تحريرا له . لا كما يدعى حضومه بأن الاسلام انتشر بحد السيف . لقد كذبوا فيما افتروا . وبئس ما قالوا .

كبرت كلمة تخرج من افواههم إن يقولون إلا كذبا » .

والأدلة على ذلك كثيرة نذكر منها قوله تعالى « **لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى** » وقوله « **وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر** » فاعتناق الاسلام جاء عن حب فى تعاليمه وسماحته والكلمة الطيبة وإقامة الحجة فى لين ورفق فهذا أمر الله لرسوله « **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن** » .

كما أن أول آيات الجهاد نزولا تدل على أن الجهاد شرع لتحرير الوطن ورد المغتصب منه قال تعالى « **اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير . الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق إلا ان يقولوا ربنا الله . . .** » .

فحب الوطن عقيدة المؤمن يضحى بروحه من أجل عزته وكرامته وتحريره . وقد تغنى الشعراء بحبه قديما وحديثا . قال ابن الرومى .

وحبب أوطان الرجال إليهم
مآرب قضاها الشباب هنالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم
عهودا بالصبا فحنوا لذلكا

ومن منطلق الحب العميق للوطن تحيى أرواح الشهداء الذين رووا أرضه بدمائهم فى كل معركة وعلى رأسها معركة النصر الكبيرة فى العاشر من رمضان كما يحيى الأبطال الذين خاضوا المعارك وكتبت لهم الحياة ليتمموا النصر الأكبر باذن الله .

وتحية من الأعماق للرئيس المؤمن الذى دعاه حب وطنه أن يصدر قرار العبور عندما كان قرار الحرب حزما . وأن يسلك طريق السلام عندما رأى السلام عزما فسر على بركة الله ولا تلتفت إلى من وصفتهم بالأقزام . فعين الله تحرسك وعنايته تكلؤك حتى يحقق الله الأمن والأمان لوطننا الحبيب .

قول :

« خير بيوت المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه ، وشر بيوت المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه » .

حديث شريف

صلة الأرحام

يخصّ الإسلام بعض الفئات لما بينها من علاقات وصلات وروابط وأواصر قربى أو رابطة صداقة وجوار وقد أشار الى هذه الأنواع قوله تعالى :

« واعبدوا الله ولاتشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إنّ الله لا يحب من كان مختالا فخورا » .

الأستاذ محمد حسين الجلالي

وهذه الصلات على الترتيب :

١ ـ الله سبحانه : بالعبادة الخالصة لرابطة الربوبية .

٢ ـ **الوالدان :** الأب والأم .

٣ ـ **ذو القربى :** الأرحام لرابطة النسب .

٤ ـ **اليتيم :** الذى مات والده وهو لم يبلغ .

٥ ـ **المسكين :** الفقير الذى لا يملك قوت يومه .

٦ ـ **الجار ذى القربى :** صاحب القرابة والجوار معاً .

٧ ـ **الجار الجنب :** الجوار بجنب البيت ممن لا قرابة له .

٨ ـ **الصاحب بالجنب :** الصديق والصاحب فى سفر أو مهنة .

٩ ـ **ابن السبيل :** الذى انقطع فى الغربة من أهله .

١٠ ـ ما ملكت أيمانكم : من الاماء والعبيد .

وقد تكفلت الشريعة الاسلامية تفصيل هذه العلاقات التى تجمع علاقة الانسان بربه ونفسه والمجتمع وتفصيلها فى كتب الفقه أن الصلة ـ مادياً ومعنوياً ـ لمن له القدرة عليها أمر يحبذه العقل والمنطق السليم وحيث لا يتيسر ذلك للجميع فإذاً فلنبدأ بمن يتيسر وهم الأقارب الذى تجمعهم واياك لحمة النسب ، وهم (الأرحام) .

قال تعالى : « واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً » .

وقال : « وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله » .

فهؤلاء لهم حقوق يجب مراعاتها ، وصلات يجب أداؤها فعلى المسلم أن يكرم خاله وخالته براً بأمه ، ويعطف على عمه و عمته إكراماً لأبيه ، وهكذا أولادهم بتوقير الكبير والعطف على الصغير وعيادة المريض ومواساة الضعيف .

والرّحم :

يراد به الأقارب عرفاً ممن يجمعهم رحم واحد بنسب معروف ـ قريب أو بعيد ، ذكراناً أو إناثاً ، وقيل غير ذلك وطبيعى ان تكون هناك مراتب متفاوتة : (منها) واجبى النفقة كالأب والابن والزوجة .

(ومنها) المحرمات بالنسب كالأخوة والأخوات والأعمام ، والأخوال .

(ومنها) قرابة الرجل من جهة الأب والأم وان تكثر الواسطة فتأكد الصلة باختلاف مراتب القرب والبعد .

والصلة :

تتحقق بالعطف والاحسان والرعاية وهى واجبة فى الجملة ، قال الشهيد الأول : « الواجب هو ما يخرج به عن القطيعة فان قطيعة الرحم معصية ، بل هى من الكبائر والمستحب ما زاد على ذلك ، فتختلف الصلة باختلاف الزمان والمكان والأفراد والحالات والعادات فصلة الفقير بتحسين حالته الاقتصادية مادياً ومعنوياً ـ كالتزاور ، وصلة الأقران الأماثل بالهدية والزيارة فان الزيارة أيسر مراتب الصلة وكذا السلام بالمباشرة أو المراسلة ، فقد قال ﷺ « صلوا أرحامكم ولو بالسلام » ثم إن الصلة تبتدى بجلب النفع فى حالة السراء وتنتهى بوجوب الانفاق فى حالة الضراء وبينهما مراتب متفاوتة .

وصلة الرحم بالاضافة إلى انها عمل صالح توجب المودة

و التعاطف والتماسك فى الاسرة وبالنتيجة فى المجتمع لذلك ورد فى الحديث أنه يمد فى العمر وتدفع ميتة السوء وتدفع البلاء قال تعالى :

«فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا فى الأرض وتقطعوا ارحامكم أولئك الذين لعنهم الله فاصمهم وأعمى ابصارهم» .

فجعل تعالى قطيعة الرحم فساداً فى الأرض ، فان فساد الأسرة فساد المجتمع وفساد المجتمع فساد الحياة ، فانك تجد الأسرة المتمسكة بصلة الرحم فيما بينها تشملهم البركة فى حالهم ومآلهم وتعمهم السعادة والاطمئنان وبالعكس الأسرة المتقاطعة عاقبتها الذل والعار والدمار .

فى رحاب السنة :

١ ـ قال : ﷺ ما من خطوة احب إلى الله من خطوتين خطوة يسد بها صفاً فى سبيل الله وخطوة إلى ذى رحم قاطع يصلها .

٢ ـ قال:ﷺ ان المعروف يمنع مصارع السوء وأن الصدقة تطفىء غضب الرب وصلة الرحم تزيد فى العمر وتنفى الفقر . . .

٣ ـ قال : ﷺ من مشى إلى ذى قرابة بنفسه وماله ليصل رحمه اعطاه الله عز وجل اجر مائةشهيد وله بكل خطوة اربعون الف حسنة ويمحى عنه اربعون الف سيئة له من الدرجات مثل ذلك وكانما عبد الله مائة سنة صابراً محتسباً .

٤ ـ قال : ﷺ صلة الرحم تعمر الديار وتزيد فى الأعمار وان كان اهلها غير خيار .

٥ ـ قال : ﷺ صلة الرحم تزيد فى العمر وصدقة السر تطفىء غضب الرب وان قطيعة الرحم واليمين الكاذبة لتذران الديار بلاقع من أهلها .

٦ ـ قال : ﷺ صل رحمك ولو بشربة من ماء وافضل ما يوصل به الرحم كف الأذى عنها .

٧ ـ قال : ﷺ أوصى الشاهد من امتى والغائب منهم ومن فى أصلاب الرجال وأرحام النساء الى يوم القيامة ، أن يصل الرحم وان كانت منه على مسيرة سنة فان ذلك من الدين صلوا ارحامكم ولو بالتسليم .

٨ ـ قال الامام السجاد عليه السلام ـ يا بنى انظر خمس
فلا تصاحبهم ولا تحادثهم ولا ترافقهم فى طريق . . إي
ومصاحبة القاطع لرحمه فإنى وجدته ملعوناً فى كتاب الله
وجل .

٩ ـ قال الامام الباقر عليه السلام : صلة الأرح
تزكى الأعمال ، و تدفع البلوى وتيسر الحساب وتنس
الأجل .

١٠ ـ قال الامام الباقر عليه السلام : اذا قطع
الأرحام جعلت الأموال فى أيدى الأشرار .

١١ ـ قال الامام الصادق عليه السلام : الذنوب الت
تعجل الفناء ـ قطيعة الرحم .

١٢ ـ قال الامام الصادق عليه السلام : إن صلة الرح
تزكى الأعمال ، وتنمى الأموال وتيسر الحساب وتدف
البلوى وتزيد فى العمر .

١٣ ـ قال الامام الصادق عليه السلام : صلة الأرح
تحسن الخلق وتسمح الكف وتطيب النفس وتزيد فى الرز
وتنسىء فى الأجل .

١٤ ـ قال الامام الصادق : إن صلة الرحم والبر ليهونا
الحساب ويعصمان من الذنوب ، فصلوا أرحامكم وبر
بإخوانكم ولو بحسن السلام ورد الجواب .

١٥ ـ قال الامام الصادق عليه السلام : اتقوا الحالق
فانها تميت الرجال قيل : وما الحالقة ؟ قال : قطيعة الرحم

١٦ ـ قيل : للصادق عليه السلام : إن لى ابن عم أصل
فيقطعنى حتى لقد هممت لقطيعته إياى أن أقطعه ، قال إن
إذا وصلته وقطعك وصلكما الله جميعاً وان قطعته وقطع
قطعكما الله .

١٧ ـ وقيل للصادق عليه السلام : تكون لى القرابة عل
غير أمرى ألهم حقّ ؟ قال عليه السلام : نعم ، حقّ الرّح
لا يقطعه شىء واذا كانوا على امرك كان لهم حقّان ، حق
الرحم وحقّ الاسلام .

وهكذا هو حقّ الرّحم فى الاسلام ، فكما تدين تدا
وما تفعله مع ارحامك سيعاملك ارحامك فى المستقب
العاجل والآجل .

الحب وحلاوة الإيمان

دخل أبو إدريس الخولانى مسجد دمشق فوجد جمعا من الناس يحيطون برجل مهيب الطلعة فسأل عنه فقالوا هذا معاذ ابن جبل صاحب رسول الله ﷺ والناس من حوله منذ صلاة العصر يلتمسون منه لدينهم فلم يستطع أن يصل إليه أبو إدريس ولما كان صباح الغد وجده يصلى بالمسجد فانتظر حتى فرغ ليسلم عليه قائلا له.. إنى أحبك فى الله، وإذ بسيدنا معاذ بن جبل يقول له ثلاثا: آلله ليعلمه أهمية هذه العبارة ثم يأخذ بردائه ويقول.. أبشر فانى سمعت رسول الله ﷺ يقول «وجبت محبتى للمتحابين فى وللمتجالسين فى وللمتزاورين فى وللمتباذلين فى».

الأستاذ عبد الله محمد كامل

ونسوق هذه الحادثه لدلالتها على مفهوم الحب فى الاسلام وكيف تكون العاطفة الاسلامية طريقا إلى أعلى درجات القرب من الله العلى القدير بل غاية الايمان ومهمة الاسلام وذلك بعد أن تشتتت العواطف الانسانية نحو ما يرديها واتجهت الأحاسيس البشرية بعيدا عن دينها وربها وصار الحب فى غير الله شغل الكثير من العباد ومناط سعيهم ومجال حديثهم مستخدمين هذه الكلمة ستارا للمعاصى وزيحا للفضائل ودفنا للحياء فى حين أنها كلمة المؤمنين الذين ساروا فى طريق الله وإحساس الصادقين فى المعرفة بالله وغناء المحبين لرسول الله ﷺ **«ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله»** البقرة والآية السابقة واضحة فى الحديث عن غريزه الحب وخطورة توجيهها فالوجهة المطلوبة أن تكون كل المشاعر مسبحة بحمد ربها متغنيه بفضل باريها عارفة بقدر منشيها وخالقها وأن تكون كل الأحاسيس فى عبادة ربها ساعية مجده بين رهبة ورغبة وخوف ورجاء وإلا انشغلت هذه العواطف بغير الله ورسوله فصار العبد أقرب إلى البعد عنه إلى القرب وأدنى إلى الطرد منه إلى الوصل إذ كيف يدعى الايمان من لا يحس به وكيف يزعم الاسلام من تتأبى عاطفته عليه.

ولنتدرج فى الايمان لنرى أن أسهل شىء هو النطق بكلمتى الشهادة وترددها ثم تجد الفجوة بين النطق بها وبين مقتضياتها فتجد من اللازم أن يصحب النطق إقتناع عقلى بالوحدانيه المطلقة لله تعالى وبالكمال اللانهائى للذات الالهية ثم الاطمئنان القلبى إلى أنه تعالى القادر المقتدر المعطى المانع الضار النافع منه كل رحمة وإليه كل منتهى وله كل جلال وجمال فيتولد الحب وتتعلق المشاعر بمن لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو السميع البصير ويصبح للايمان حلاوة وللعبادة لذة وللاسلام طعما وروحا فيحب الانسان فى الله ويبغض فى الله ويعطى فى الله ويمنع فى الله وكان ذلك مصداقا لقول حبيبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه أنس **«من أحب فى الله وأبغض فى الله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان»** فقد يكون الايمان مجرد تصديق لا يخضع له الوجدان أو اعتقاد لا تتأجج له العاطفة فيكتوى الانسان بنار الشوق إلى

المحبوب وينشغل بذكر علام الغيوب حبا وهياما ووجدا وغراما ويصير كل من دله عليه وأرشده إليه حبيبا له ويصير كل قريب من الله قريبا منه وكل حبيب لله حبيبا له وبهذا يصبح أحب الخلق إلى نفسه سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم فهو الحبيب الأول والمحب الأول جاءنا كل الخير على يديه هداية ونورا ورحمة وشفاعة وإرشادا وضياء فتح الله به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا تزكية للمؤمنين وهداية للحائرين ورحمة للعالمين وبشيرا ونذيرا للخلق أجمعين وهو القائل عن نفسه صلى الله عليه وسلم « **أنا حبيب الله والمصلى على حبيبى فمن أراد أن يكون محبا للحبيب فليكثر من الصلاة على الحبيب** » وبهذا يتبلور الاتجاه الصادق لمن أراد الله ربا وارتضاه إلها وعرف أنه وحده الحق الواحد الأحد الفرد الصمد ويتحدد الطريق أمام من رغب الصلة بخالق الأرض والسموات أن يسلك سبيل الحبيب الأول محمد عليه أزكى الصلوات وأتم التسليمات وفى هذا يقول رب العزة « **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم** » آل عمران. فيتلقف التابع الهدى منه ويستضيء السالك بالنور الآتى به ويتجه إليه محبا مغرما صبا مشوقا يطلب رضاه وهديه وشفاعته وقربه متبعا لا مبتدعا مسلما لا مجادلا موقنا لا متشككا فيزداد إيمانا وإحساسا بحلاوة الايمان ويرقى فى الاسلام والأخذ بعزائم الرجال فيستهين بكل شىء فى سبيل رضا الله ورسوله ويتحمل كل مشقة من أجل نظرة رضا ولحظة أنس بل تصير كل المتاعب راحة وكل المشقات هونا ويقول الله تعالى فى ذلك « **ولكن الله حبب إليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون** » الحجرات. أنظر إلى وصف الله لهم بأنهم الراشدون فليس الرشد مجرد المعرفة بالعقل أو الاحاطة بالمعلومات أو استظهار المقالات ولكن الرشيد من ملك زمام عواطفة ثم أطلقها فى سبيل الله فكان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وصار كتاب الله ربيع قلبه ونور بصره وجلاء همه وحزنه وصار ذكر الله أنشودته وأغنيته وراحة باله وهدوء نفسه « **ألا بذكر الله تطمئن القلوب** » قلوب العاشقين السالكين وقلوب العارفين الواصلين وصار الصحابة وآل البيت الكرام أهل وداده وأنسه وأحق بتكريمه ونظره ملتمسا هديهم متمنيا قربهم عارفا بفضلهم وإمامتهم وسبقهم ومكانتهم وكان للجهاد فى سبيل الله سباقا وللصلاة قواما وللعبادات شواقا ممتثلا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: **حين سئل عن أحب الأعمال إلى الله قال: الصلاة لوقتها قيل: ثم اى قال بر الوالدين قيل: ثم اى قال: الجهاد فى سبيل الله** . فان من أحب أحب رضا المحبوب واجتهد فى طلب مرضاته وإحسانه وصار أحب إليه من المال والنفس والولد « **لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا اباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون** » المجادلة.

ويؤيد هذه الآية ماروى فى شأن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو الفاروق حين سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « **لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما** » **ولكن صدق سيدنا عمر يجعله يقول للرسول صلى الله عليه وسلم أنه يجد هذا الحب غير أنه أقل من حبه لنفسه التى بين جنبيه فيكون تأكيد النبى الكريم صلى الله عليه وسلم بأن الايمان لا يكمل إلا بأن يكون الحب لله ولرسوله أكبر حتى من النفس** وحينئذ يظهر الايمان الحق لدى سيدنا الفاروق ليقول يارسول الله الآن أنت أحب إلى من نفسى التى بين جنبى . .

وحين يكون الايمان على هذه الشاكلة تصير الدنيا كلها أغرودة تترنم بالسعادة وبهجة تنطق بالفرحة وعملا مثمرا فى سبيل الله ويصبح الكون كله مع الانسان محبا مزهرا مسبحا بحمد الله شاكرا لنعمه فلا تجد السوء ولا الفحشاء ويهرب الحقد والحسد والشقاق ويحل التعاون والوفاق ويعم السلام والوئام فياترى من هم المحبون وما صفاتهم ومن الذى يحبه الله ويرتضيه لذلك لقاء بيننا وقبل اللقاء نتلاقى على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ابن عباس: « **إن لله جلساء يوم القيامة عن يمين العرش وكلتا يديه يمين على منابر من نور وجوههم من نور ليسوا بأنبياء ولا شهداء ولا صديقين قيل: من هم يارسول الله قال: المتحابون بجلال الله تبارك وتعالى** » وإلى أن نلتقى مع الأحباب نتغنى بقول أحد المحبين يصف بعض نفحات الحب .

إذا تعرض عبدى
لنيل فضلى تحلى
بحلة الحسن منى
وبالشهود تملى
ألبسه حلة حسنى
حتى يرى الوجه يجلى
يحبه كل خلقى
والحب منى قبلا
يحبه كل قلب
مطهر لى صلى
يراه أهل ودادى
نورا هدى يتجلى

فاللهم نسألك نورك ومحبتك ومحبة رسولك واحشرنا فى زمرة الصالحين .

الدعـوة
والدعـاة

يشرف على تحرير هذا الباب

- منصور الرفاعى عبيد
- فؤاد هيبه
- على عيسى

حديث إلى الأمة

على حين فترة من الرسل أرسل الله سيدنا محمدا صلوات الله وسلامه عليه إلى الناس أجمعين على اختلاف أجناسهم وتباين لهجاتهم بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا فصاح فى البشرية الغافلة : أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا : قولوا لا إله إلا الله تفلحوا وتفوزوا : وظل صلوات الله وسلامه عليه يهتف فى الانسانية لعلها تستيقظ وتفىء إلى أمر الله وتستقيم على شرعه وتلتزم بمنهجه : ومازال صوته يتردد على إرادة الخير تنتصر فى دنيا الناس وكان صلوات الله وسلامه عليه يريد لهذه الرقاب ألا تخضع إلا لله والجباه لا تعنو إلا للخالق القادر وأخذ الرسول ﷺ يدعو إلى الله سرا ثلاث سنوات إلى أن نزل عليه قول الله : « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين » .

وصعد الرسول ﷺ على جبل الصفا وأخذ يصيح « يا بنى فهر يا بنى عدى يا بطون قريش فاجتمعوا حوله فى ذهول وكان الرجل إذا لم يستطع الخروج أرسل من يستطلع له الأمر حتى احتشد جمع عظيم وتجمع خلق كثير وهنا وجه النبى ﷺ سؤالا لهذا الحشد فقال لهم أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقى ؟ قالوا

نعم ماجربنا عليك كذبا فقال لهم إنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد إنى رسول الله إليكم » ومما لا شك فيه أن الذى جمع هذا الجمع بصوته وسألهم عن مدى تصديقهم له وأكدوا له أنه غير متهم وأنه الصادق الأمين ثم أعلن أمام هذا الحشد العظيم خبر نبوته بصراحة تامة وحدد لهم مهام مهمته وأنه كلف بهذا من قبل السماء إنه بهذا يملك من الشجاعة والجراة قدرا كبيرا وأنه لن يلين أبدا أمام المغريات والتحديات وبهذا الاعلان الصريح تهاوى مركز الاصنام وتزعزع مكان سدنتها وأحس عبادها أنهم أمام قوة رهيبة فبدأ الوجوم يظهر على الوجوه ولقد أذهل القوم تلك المفاجأة خاصة وأن صاحب الدعوة تدرج فى الخطاب حيث أخذهم بمقدمة منطقية أفضت إلى نتيجة قاطعة تتمثل فى ردهم عليه : ما جربنا عليك كذبا أبدا . وبينما الناس فى وجوم انطلق من وسط الجموع الحاشدة منكرا جهورا يقول : تبا لك يا محمد ألهذا جمعتنا : وكان الصوت للشقى أبى لهب الذى كان يعرف حقيقة النبى محمد : أصله وفصله : مدخله ومخرجه : إلا أن أبا لهب حاول أن يحافظ على الزعامة الهاوية والسيادة المهددة : وإذا كان هذا هو رأى أبى لهب فإن أبا جهل شاركه فى هذا العناد والتمسك بالباطل والانقياد الأعمى للخرافات المستحكمة : روى ابن إسحاق قال : حدثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى أنه حدث أن أبا سفيان بن حرب وأبا جهل بن هشام والأخنس ابن شريق خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله ﷺ وهو يصلى من الليل فى بيته فأخذ كل رجل منهم مجلسا يستمع فيه وكل لا يعلم بمكان صاحبه فباتوا يستمعون ليلة حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فتلاوموا وقال بعضهم لبعض لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم فى نفسهم شيئا ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثانية وتواصوا بما تواصوا به عادوا وباتوا على نحو ما فعلوا فى الليلة الأولى ولكنهم عادوا فى الليلة الثالثة وتكرر ما حدث فقال بعضهم لبعض لا نبرح حتى نتعاهد ألا نعود فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان فى بيته فقال أخبرنى يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها وسمعت أشياء وما عرفت معناها . قال الأخنس وأنا كذلك ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته فقال يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال ماذا سمعت ؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا وأعطوا فأعطينا حتى إذا تحاذينا على الركب وكنا كفرسى رهان قالوا منا نبى يأتيه الوحى من السماء فمتى ندرك مثل هذا ؟ والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدقه فقام عنه الأخنس وتركه : وصدق الله العظيم **« فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون »** : لقد كان للطبقية أثر فى المجتمع ولقد استولت على نفوس القوم عصبية عمياء فكانوا لا يرون أمامهم إلا الثروة والمال والبنين وتلك هى مقومات المجتمع من وجهة نظرهم لهذا أنكروا أن يكون النبى الذى يحمل الرسالة من فقراء القوم وغاب عنهم بأن الفقر هو فقر النفوس والغنى هو غنى القلوب والله يختار لرسالته من يشاء وهو سبحانه أعلم حيث يجعل رسالته . إن مقومات الحياة الفاضلة خلق كريم ومثل عليا وقيم عظيمة ومبادئ فاضلة وهذا ما تميز به محمد عن سائر الناس لقد أخذ يبلغ رسالة ربه وأهل مكه فى غيهم سادرون ولأصنامهم عابدون وكانوا يقولون أهذا الذى جعل الآلهة إلها واحدا وتواصوا فيما بينهم على الاكثار من عبادة الأصنام ثم قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم : فما صده ذلك عن المضى فى دعوته والانطلاق فى رسالته ولقد اتخذ المشركون كل طريق ووسيلة توصلهم إلى الغاية التى تعاهدوا عليها وهى ـ وأد الدعوة ـ وتفريق أتباعها : وفى سبيل ذلك تنوعت أسلحتهم فكثيرا ما شنوا الحرب النفسية على شخصية الداعى وتفننوا فى هذا اللون للتشهير به صلوات الله وسلامه عليه فقالوا عنه : ساحر ـ كاذب ـ كاهن ـ شاعر ـ مجنون :

وتولى القرآن الكريم الدفاع عنه والرد عليهم : « ما أنت بنعمة ربك بمجنون » : « وما علمناه الشعر وما ينبغى له » : « إنا كفيناك المستهزئين » : فلما فشل هذا اللون من الحرب أقاموا حوله حصارا إقتصاديا وحاصروه ومن معه فى شعب بنى هاشم لا يبيعون له ولا لأتباعه ولا يشترون منهم ولا يتزوجون منهم ولا يزوجونهم وفشل هذا السلاح كسابقه فلم يتأثر المسلمون ولم تضعف عزائمهم ولم تهن نفوسهم : « فما وهنو لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا » . اعتمدوا على ربهم واعتصموا بدينهم وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فلما فشلت تلك الأسلحة أرسل المشركون الوفود للمفاوضات مع أبى طالب الذى كان هو خطر الدفاع الأول بالنسبة للنبى وأتباعه فلاينوه وعرضوا عليه الفداء نظير تسليمه لمحمد يقتلونه فلما فشل هذا العرض لأنه يدل على سخافة عقلية المشركين ولذلك كان رد أبى طالب عليهم أتعطونى ابنكم أغذيه لكم وتأخذون ولدى فتقتلوه : فلما وجدوا أن الملاينة لا تجدى رفعوا سلاح التهديد بإعلان الحرب من الوفد الغاضب على أبى طالب المدافع وقالوا له : يا أبا طالب إن لك فينا سنا وشرفا ومنزلة ولقد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا وإنا والله ما نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعيب لآلهتنا حتى تكفه عنا أو ننازله وإياك حتى يهلك أحد الفريقين : ولقد أرسل العم إلى ابن أخيه لأنه قدر عاقبة الأمر ووازن بين قوته وقوة القوم فإذا هم أكثر عددا وقوة ولم يدر بخلده أن صاحب الدعوة لن يعبأ بوعد ولا وعيد ومن ثم عندما قال العم وهو مشفق وجل يابن أخى إن قومك قد جاءوا إلىّ فقالوا كذا وكذا فأبق علىّ وعلى نفسك ولا تحملنى من الأمر ما لا أطيق : وسكت النبى ﷺ برهة ووقف الزمن ينظر ماذا يخرج من فم محمد الذى أحس أن عمه قد تخلى عنه وأنه فقد ذلك القلب الحانى الذى كان يلوذ

به فى الشدائد والأزمات وماذا سيفعل محمد . أيكف عن الدعوة إرضاء لعمه ولقريش : أم يقف وحده ويواجه القوم . لقد أطرق إطراقة ثم تكلم القدر على لسانه فحسم الأمر وحدد الوجهة الصحيحة لمسار التاريخ وقال : **والله يا عمى لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر لن أتركه حتى يظهره الله أو أهلك دونه :** إن خطة قريش فشلت ومؤامراتها تبددت فى الهواء ولقد عصم الله رسوله وأيده بالمعجزات لهذا رجعوا إليه وقالوا له **« لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرأه »** فرد عليهم بما علمته السماء **« قل سبحان ربى هل كنت إلا بشرا رسولا »** إن النبى لم يسأل الناس أجرا على دعوته كما أنه لم يطلب أن يكون زعيما سياسيا أو صاحب أمر ونهى ولقد عرضوا عليه ذلك فأبى ورفض بل إنهم طلبوا منه أن يبتعد عن الفقراء والعبيد ولكن توجيه السماء يرن فى أذنيه ويحدد له أن الدعوة لا تفرق بين غنى وفقير ولا بين عظيم وحقير وما عليه إلا أن يصدع بأمر السماء : **وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر** » واستمر الرسول ﷺ فى دعوته لا تثنيه التهديدات ولا يغريه ما يعرض عليه إلى أن وصلت أخبار الدعوة إلى وفد من طلائع النور من أهل يثرب الذين جاءوا لأداء الحج وزيارة البيت وتم لقاء بينهم وبين الداعى العظيم عرض عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن وأراد الله بهم خيرا فكان ركبهم ركب فلاح ووفدهم وفد خير ثم تمت بيعة العقبة الأولى وعدد الذين بايعوا اثنا عشر رجلا . قال ابن اسحاق : **بايعهم رسول الله على ألا يشركوا بالله شيئا ولا يسرقوا ولا يزنوا ولا يقتلوا أولادهم ولا يأتوا ببهتان يفترونه بين أيديهم وأرجلهم ولا يعصوه فى معروف ثم قال رسول الله : فإن وفيتم فلكم الجنة وإن غشيتم من ذلك شيئا فأخذتم بحده فى الدنيا فهو كفارة له وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة فأمره إلى الله عز وجل إن شاء عذب وإن شاء غفر** ثم رجع الوفد وأرسل الرسول ﷺ معهم مصعب بن عمير الذى كان يؤمن بسيادة العقيدة التى شرح الله . بها صدره لهذا ضحى بالأهل والوطن وسار فى حر الهواجر بين قوم لا يعرفهم واقتحم الصعاب وتحمل المشاق وهذا عمل فدائى رائع وعمل بطولى رائد وعنصر من عناصر النجاح : إنه كان يعتمد بعد الله واخلاصه وصدقه على الكياسة والفطانة وسرعة التصرف وما تعلمه من معلمه ومرشده العظيم . لهذا نجح السفير الأول للاسلام فى نشر المبادئ الفاضلة وتوصيل آيات القرآن الكريم إلى كل منزل فى يثرب . ومصعب بن عمير من الدعاة العظام الذين تحلوا بالصبر وسعة الأفق وحسن الاستنباط لقد اعتمد فى دعوته على توجيهات القرآن وصار كذلك إلى أن تمت بيعة العقبة الثانية فى جوف ليلة من ليالى التشريق ووقف التاريخ وقد كتم أنفاسه على فم شعب بمكه ليسجل ما دار من حوار بين رسول الله والأنصار : ولقد كان للتخطيط أعظم نجاح فى تلك البيعة لأن العمل المنظم الذى يعتمد على التخطيط الدقيق يوصل دائما للغاية المرجوة . لقد اختار الرسول نقباء هذه البيعة اثنى عشر نقيبا لأنه قسم المجموعة إلى أسر كل أسرة لا تزيد عن عشرة وعلى كل أسرة نقيب يتميز بالدراية والكفاية وحمل النقباء المسئولية وهذا عمل تنظيمى – ظهر لأول مرة فى الجزيرة العربية لم يسبق له مثيل لهذا تمت البيعة بنجاح وأدت الغاية المرجوة لها وإذا كان أمرها قد انكشف للمشركين الذين طاردوا أهل يثرب ولكنهم خابوا وخسروا ونجح أهل الايمان فما كان من المشركين إلا أن تآمروا على قتل النبى وصحبه فأمره الله بالهجرة من مكة إلى المدينة . لقد اجتمع المشركون فى دار ندوتهم واتفقوا على تخطيط معين يتسم بالغدر والخيانة ولكن :

دعهم يشيدوا على الأمواج صرح منى
هم يمكرون وعند الله ما مكروا
مرسوم ربك قد جاء الأمين به
وحميا لأحمد أن هاجر لمن طهروا

ولقد خطط النبى للهجرة تخطيطا دقيقا رسم لكل شخص دوره وحدد لكل فرد مهمته واستعمل السرية التامة فى حركة الانتقال ولقد ملئت قلوب القوم إيمانا فتركوا ديارهم وأموالهم وأولادهم وهاجروا حبا فى سبيل الله وتلبية لداعى الايمان وتجمعا حول صاحب الدعوة . لقد نصروا الله فى أنفسهم فنصرهم الله وخططوا لحياتهم فنجحوا : والهجرة فيها دروس مستفادة لكل مسلم . عليه أن يقرأ فيها وأن يتصفح تاريخها وأن يرى تلك البطولات الخارقة التى وقعت من الصحابة الأمجاد الذين باعوا أنفسهم لله فداء لدينهم فكتب الله لهم النصر وأعلى قدرهم وقال عنهم « **أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون** » فلنذكر أنفسنا بهذه الذكريات التى تنفع المؤمنين . خاصة وأن أمتنا اليوم فى حاجة أن تتعلم من دروس التضحية والايثار مما تحلى به المهاجرون والأنصار . فالمهاجرون بذلوا وضحوا وتحملوا الصعاب وصبروا . أما الانصار فقد تبوؤا الدار والايمان وضربوا أروع الأمثلة على الايثار والبذل بلا منّ ولا رياء فالهجرة فيها دروس ودروس فلنعلم أنفسنا ولنستفد من تلك الذكريات . والله يقول . **ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله .**

ان هجرتنا اليوم هى ان نهجر المعاصى وان نتحلى بالخلق الكريم وان نكثر من ذكر الله الذى يقول الحق وهو يهدى السبيل .

منهج الإسلام في تربية الشباب

وقامت دولة

فضيلة الشيخ
منصور الرفاعي عبيد

كان نجاح الهجرة من مكة إلى المدينة فتحا جديدا ونصرا مبينا للاسلام وللمسلمين بقيادة النبى العظيم سيدنا محمد ﷺ . . وكانت الهجرة هى اللبنة الأولى لقيام دولة جديدة فى وسط الجزيرة العربية المعروفة بشدة حرها وكثرة جبالها ووديانها قامت دولة فتية أفرادها متماسكون مترابطون متحابون متعاونون وفوق هذا وذاك صلة بالله واعتمادا عليه وثقة به . . هذه الدولة عند قيامها وتأسيس مبادئها وتأصيلها على ظهر الأرض كان فى المجتمع الانسانى دولتان الروم فى الغرب وفارس فى الشرق وكانت كل دولة قد أصابها الهرم ونخر فى عظمها عوامل الهدم لأن العدل اختفى من بين سكانها وتسلط الحاكم بجبروته على المحكومين ثم الخلافات والصراعات عجلت بهذه الدول وبقيت دولة الاسلام تثبت وجودها على ظهر الأرض التى تشوقت الى هذا الوابل من الخير الذى بدأ يسرى على الأرض وأشرقت شمس النهار ليستظل العالم بظلال العدل فى دولة تأسس الحكم فيها على الديموقراطية الحقة التى تتخذ الشورى أساسا للحكم وتربط بين الحاكم والمحكوم برباط وثيق أساسه رعاية المصالح فى مجتمع يسوده الأمن والسلام . . وقد تنزلت آيات السماء ترشد النبى ﷺ إلى الطريق السليم والوضع الصحيح والمنهج القويم الذى يجب أن يسود مجتمع الناس . .

ولقد شهدت الدولة الفتية فى مجتمع المدينة عندما بدأ تكوينها نظرية التطبيق العملى لآيات القرآن الكريم التى كانت تنزل من علياء السماء ندية على قلب المصطفى ﷺ فيحولها الى سلوك عملى - لقد كان يقود أصحابه بالممارسة العملية لتحويل النظريات الى سلوك فى شتى ميادين الحياة . . ومن هنا بدأت ملامح التغيير فى النواحى الاجتماعية تظهر بالمدينة لأن القوم ارتبطت مشاعرهم برباط الايمان بالله والمراقبة له عن طوع ورضا وقد انصهروا جميعا فى بوتقة الأخوة والمحبة والارتباط بهذا النبى العظيم الذى جمع الانسانية من حوله فى مساواة ومحبة لا تمييز لعربى على عجمى ولا تقديم لابيض على أسود فى حضرته وإنما الكل سواء شعارهم الذى يتردد «يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم» روى الحافظ ابن عساكر قال «جاء قيس بن مطاطية إلى حلقة فيها سلمان الفارسى وصهيب الرومى وبلال الحبشى فقال هؤلاء الأوس والخزرج قد قاموا بنصرة هذا الرجل (يعنى النبى ﷺ) فما بال هذا وهذا» مشيرا إلى غير العربى من الجالسين» فقام إليه معاذ بن جبل رضى الله عنه فأخذ بتلابيبه ثم أتى النبى ﷺ فأخبره بمقاله فقام النبى ﷺ مغضبا يجر رداءه حتى أتى المسجد ثم نودى «الصلاة جامعة» فاجتمع الناس فخطبهم ﷺ قائلا «أيها الناس إن الرب واحد وأن الدين واحد وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم وإنما هى اللسان فمن تكلم العربية فهو عربى» لقد حسم النبى ﷺ قضية أراد أحد الأعداء أن يشعل فيها النار وأن يجعلها تأتى على الأخضر واليابس وتقوض هذا المجتمع الجديد . . . ولقد كان العبيد أمامه سادة إذا أخلصوا فى عملهم وحسنت صلتهم بربهم . . فلقد كان بلال يلقب بالسيد . . . يقول للناس عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه . . إنه سيدنا وأعتق سيدنا . . وهو بلال رضى الله عنه . . . ويقول الرسول ﷺ عن سلمان الفارسى . . سلمان منا آل البيت ، إن هذه المساواة التى بدأت تمارس لأول مرة فى المجتمع الانسانى سعد الناس فى ظلها وكانوا كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى . . . إن الايمان الذى صنع هذه العناصر الطيبة وأبرزها إلى المجتمع لبنات صالحة فى بناء صرح الاسلام الذى أسسه الرسول ﷺ فى المدينة ، وكان كما يقول أمير الشعراء شوقى :

دين يشيد آية في آية
لبناته السورات والاضواء
بك يابن عبدالله قامت سمحة
في الحق من ملل الهدى غراء

إن هذا المجتمع الجديد كان يأخذ ويعطى ويتفاعل مع غيره يدعم قيم الحق ويرعى التقدم البشرى ويحافظ على خصائص الانسانية وقائد هذه الدولة نبى من البشر ليس بالمسيطر ولا بالمتكبر كما أنه يعلن فى صراحة ووضوح أنه لا يعلم الغيب وليس له من الأمر شىء ثم . . هو أول من يجوع وآخر من يشبع وإذا حدث فزع أو نزل بالقوم رعب كان أول من يخرج يستطلع بنفسه الخبر ثم . . هو لا يطمع فى مال أحد لأنه لم يكن طالب مال فلقد عرض عليه المشركون قبل ذلك أن يجمعوا له من أموالهم حتى يكون من أغناهم ولكنه رفض فى اباء وقال لا أسألكم عليه أجرا إن أجرى إلا على الله . . وكان يقول من ترك منكم مالا فلورثته وأولاده ومن ترك أرامل وعيالا فعلى وإلى لهذا يقول المستشرق ديورانت فى كتابه قصة الحضارة «لقد نجح محمد فى الاصلاح نجاحا لم يدانه فيه أى مصلح فى التاريخ لقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الروحى والأخلاقى لشعب عاش فى دياجير الهمجية وحرارة الجو وجدب الصحراء وقد وصل إلى كل ما يبتغيه عن طريق الدين ولم يكن ذلك لأنه كان شديد التمسك بالدين وكفى بل لأنه لم يكن ثمة قوة غير قوة الدين تدفع العرب إلى سلوك الطريق . . إن أفراد هذا المجتمع الذين هاجروا من مكة بعد أن أجمعت قريش على قتل نبيهم ونالت منه ومن أصحابه فتركوا ديارهم وأموالهم ابتغاء مرضاة الله لقد ظلوا طوال الفترة فى مكة يتلقون ألوانا من العذاب وصنوفا من البلاء ومع ذلك صبروا وصمدوا وانتصروا على أنفسهم فانتصر بهم الاسلام وسعدت بهم الأمم ودالت أمامهم دولة الفرس والروم وذلك لأن عقيدة الأسلام تقيم فى نفس الانسان دعائم السلام التى تفسح مجال الرحمة فى القلب وهى رحمة عامة شاملة لا تخص بنى آدم فحسب بل تشمل الحيوان وكل ذى كبد بل أن الاسلام وهو دين السلام لا يكره الناس على الدخول فيه ولا اعتناق مبادئه قال تعالى « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » وقال تعالى « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » . . . أنه يعرض فكرته فى سماحة ويسر ويعرض قضيته على الفكر والقلب وسبيله سبيل الحجة والاقناع ومعجزته معجزة علم وفكر كتاب حفظه ربنا من التحريف والتبديل لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . . إن الاسلام ينشد من أتباعه أن يتحرروا من ظلام الجهل وينشروا نور العلم ويتصلوا بالعالم المجاور لهم ويعملوا على نشر نور الله فى الأرض ويصحوا مسار المجتمعات الأخرى لتسعد الانسانية من وراء ذلك بالنعيم المقيم والأمن والاستقرار . . لقد تكامل بناء المجتمع الجديد فى المدينة وأسست دعائم الدولة الفتية وارتفع صرحها شامخا يتطاول إلى عنان السماء ودخل الناس فى دين الله لما لمسوه فى مبادئه من سماحة فى التعامل ويسر فى العبادة وخلق كريم . . لقد وقفت كل القوى الشريرة . . من . . وثنية . . مجوسية . . . يهودية . . نصرانية . . أصحاب الأحقاد والأطماع . . طلاب الزعامات والكهان . . وقفت كل هذه القوى تريد النيل من هذه الدولة وتريد أن تقوض دعائمها وأن تفرق بين هؤلاء الأخوة الأحبة الذين اجتمعوا على كلمة الله إلا أنهم لم يستطيعوا وفشلت كل مخططاتهم ذلك لأن الرسول ﷺ قضى على العصبية وأماتها وعمد إلى سحقها وإعلان الحرب عليها والعصبية هى الداء الوبيل الذى يهدم الأمم . . فقد حدث أن أباذر قال لبلال يابن السوداء فسمعها الرسول ﷺ ولم يتركها هكذا وإنما قال لأبى ذر إنك امرؤ فيك جاهلية فى هذا الجو الطاهر المشحون بالأخوة الصادقة لم ترفع العصبية رأسها . . وعندما سرقت فاطمة المخزومية وهى من عائلة لها سمعتها وقبيلة لها شهرتها أراد الرسول ﷺ أن يقطع يدها لأن القرآن الكريم يقول«والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله . . وحكم الله ينفذ على القوى والضعيف والأمير والفقير لا محسوبية ولا وساطة ولكن قومها ذهبوا وجاءوا بأحد الشفعاء وأبدوا استعدادهم أن يدفعوا رشوة على ألا تقطع يد تلك المرأة ولكن ما إن جاء الشفيع يشفع حتى ظهر الغضب على وجه رسول ﷺ وقال أتشفع فى حد من حدود الله يا أسامة إنما أهلك من كان قبلكم انهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها . . فى هذا الجو الطاهر أمن كل فرد على حقه واطمأن كل شخص فيه على نفسه وأدى كل شخص دوره الموكول إليه بلا تقهقر ولا نكوص والكفاءة وحدها مع القدرة وحسن تصريف الأمور كل ذلك مؤهلات للشخص لأن يتولى أرقى المناصب دون نظر إلى سنه أو حسبه لهذا نجد أن السفير الأول للاسلام هو مصعب بن عمير الذى لم يبلغ الخامسة والعشرين من عمره كما أن أسامة بن زيد تولى قيادة جيش بأمر رسول الله ﷺ وهو لم يتجاوز العشرين من عمره وفى هذا الجيش خيرة الصحابة وكبار القادة علاوة على ذلك فان رسول الله ﷺ كان يدفع ببعض الصحابة ليتعلموا اللغات الحية للأقاليم والدول المعاصرة عند نزول الرسالة فزيد بن ثابت الأنصارى تعلم السوريانية والعبرانية علاوة على إجادته اللغة العربية لأن هذه الدولة الجديدة ستنشر ضوءها وسناها على العالم بأسره لأن منهج السماء حدد وضعها فرسالتها عامة وقائدها العظيم يقول فيه القرآن « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » لقد

ارسل إلى الناس كافة بشيرا ونذيرا وهو صلوات الله وسلامه عليه لم يكن اقليمي النزعة ولا محدود الفكرة ولا طالب زعامة وإنما كان يقول ويردد إنى رسول الله اليكم أبلغكم ما نزل على من السماء وأنا عبد الله ورسوله لا أعلم الغيب ولا أقول إنى ملك ، لهذا رأينا أن هذا المجتمع تجاوب مع المجتمعات الأخرى بعد أن بين لهم هدفه ومضمون رسالته ولقد كان قادة الفكر فيه يقرأون ويعرفون أسباب انهيار الدول السابقة فكانوا يتحاشون عوامل الضعف لهذا نجحت هذه الدولة الجديدة بزعامة النبى ﷺ وقيادته ولقد كان النبى ﷺ يتشاور مع أصحابه واتخذ من خيرة صحابته مجلس شورى يعرض عليهم الأمر ويتبادل معهم الرأى ويأخذ برأيهم فى الكثير من الأمور التى ليس فيها رأى من السماء والقرآن يوجهه إلى ذلك ويقول له : **ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر** » ولقد كان الصحابة رضى الله عنهم يراجعونه فى الكثير من الامور بقصد التعرف والوصول إلى الرأى السليم الصحيح وكان هذا القائد العظيم واسع الصدر كثير التحمل فعندما صلى العصر ركعتين فقط تقدم منه ذو اليدين وقال له يارسول الله ـ **اقصرت الصلاة ام نسيت يارسول الله فقال رسول الله ﷺ : لا قصرت ولا نسيت فقال « اقصرت الصلاة ام نسيت ؟ ـ فالتفت النبى إلى صحابته وقال : أحقا ما يقول ذو اليدين قالوا : نعم : فقام النبى ﷺ** وكبر واتم الصلاة ثم سجد للسهو دون أن يتضجر من هذا الصحابى العظيم أو يغضب عليه ثم نجد النبى ﷺ كذلك ينزل على رأى الحباب بن المنذر فى غزوة بدر ويغير المكان الذى قد نزل فيه أولا وكذلك فى غزوة أحد نزل على رأى الكثير من صحابته وعند حفر الخندق فى غزوة الأحزاب أخذ برأى سلمان الفارسى والشواهد كثيرة التى تدل على أن الديمقراطية السليمة مارسوها تطبيقا عمليا فى بدء هذه الدولة وعند قيامها . إن هذا المجتمع الجديد الذى اشترك فى تكوينه وتأسيسه جميع أجناس الأرض وسكانها فمن العرب بعد القائد العظيم . ابو بكر وعمر وعثمان وعلى وسعد بن أبى وقاص وطلحة والزبير وكثير من سادة العرب ومع هؤلاء من الحبشة بلال ومن الروم صهيب ومن الفرس سلمان ومن الديلم فيروز ومن الشام فروة بن عامر ومن البحرين منذر بن عائذ ومن اليمن ابو موسى الأشعرى ـ ومن ذكرناهم وراءهم أعداد شتى وهؤلاء لهجاتهم مختلفة ولغاتهم كذلك ولكن العجيب انهم أصبحوا تحت راية الاسلام أخوة متحابين يجتمعون على كتاب الله قراءة ومن خلف رسول الله ﷺ الذى لا يفرق بين هذا وذاك فاذا ما سألت أى واحد منهم عن بلده أو وطنه أو قبيلته رفع صوته قائلا :

أبى الاسلام لا اب لى سواه
إذا افتخروا بعبس او تميم

هذه الطوائف كانوا ينفذون ويطبقون أحكام الاسلام وكان الواحد منهم يقظ الضمير يحاسب نفسه إن قصر فى عمله أو أهمل فى أداء واجب ولهذا نقف أمام هذا المثل الرائع ليتبين لنا مدى يقظة الضمير عند هؤلاء الناس الذين يشكلون اللبنات الأولى فى قيام هذه الدولة . . . لقد كانت الخمر قبل الاسلام فى المجتمع الجاهلى لها سلطان على النفوس فقد أكثر العرب من شربها وأدمنوا عليها وامتزجت بعاداتهم كانت مصدر ثراء للكثير منهم حيث يتاجرون فيها ويصدرونها للبلاد المجاورة . . كان الواحد منهم يريد أن يدفن بعد موته بجوار دن خمر أو شجرة كرم لينتعش فى حياته الآخرة حسبما صور له خياله كما ينتعش فى الدنيا . . . ولقد قال قائلهم :

إذا مت فادفنى إلى جنب كرمة
تروى عظامى بعد موتى عروقها

بل إن بعضهم كان إذا قتل ابوه وطلب ليشيع جثمانه او ياخذ بثاره وبلغه الخبر والكاس فى يده يقول كما قال امرىء القيس « اليوم خمر وغدا أمر » فلما جاء الاسلام وبدا التشريع الإلهى للدولة الجديدة ينظم أمرها ويرسم لها خط مسارها وتدرج تحريم الخمر من خطوة الى خطوة « ففى الأول » لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون » لأنه لابد للمسلم ان يفقه ما يقرأ فى صلاته وان يعقل حركاته وسكناته » . . ثم نزل قول الله « يا ايها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون . . إننا نقف أمام هذا الأمر الالهى ونرى ما هو تأثير ذلك فى نفوسهم هل يستجيب الواحد منهم وقد تأصل الشرب فى نفسه وأدمن عليه . . هل يهرب من أعين الرقباء ويجلس مع الندماء والسمراء يشربون ويطربون خاصة وأن أحدا لن يراهم إن هذا لم يحدث مطلقا بل استجابوا على الفور وأقلعوا عن شرب الخمر وابتعدوا عنها ولم يرد ذكرها على لسانهم امتثالا لأمر الله والضمير عندهم كان هو الحارس الدائم يحدثنا ابو موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : **بينما نحن قعود على شراب لنا نشرب الخمر حله ـ أى حلالا ـ** إذ قمت حتى آتى رسول الله ﷺ فأسلم عليه وقد نزل تحريم الخمر فجئت إلى أصحابى فقرأتها عليهم ـ أى قرأ الآية السابقة ـ قال : وبعض القوم شربته فى يده ـ شرب بعضا ـ وبقى بعض فى الاناء فقلب الاناء تحت شفته العليا كما يفعل الحجام ثم جنبوا ما فى باطيتهم فقالوا : انتهينا ربنا . .

انتهينا ربنا . . وفى رواية لأبى سعيد . . أن الناس استقبلوا ماكان عندهم منها طرق المدينة فسفلوها – أى صبوها وأسالوها . . لقد أسال كل واحد ما كان فى بيته من خمر ولم تراوده نفسه أن يقوم ببيع ما عنده لأنه يعلم إنما حرم عليه شربا أو أكلا بنص القرآن الكريم وبتوجيه السماء يحرم عليه كذلك بيعه والاتجار فيه . . إن الايمان صنعهم من جديد وانصهروا فى بوتقة الايمان وأصبحوا لبنات طيبة فى هذا البناء العظيم الذى ارتفع صرحه واستظلت الانسانية فى ظله . . ولنا أن نتصور أن قيام الدولة ونجاحها لا يكون بفرض القوانين بالقوة وكثرة الشرطة وتعداد المحاكم لأن هذه امور تحرس شكليات فقط وهذه أمور مادية – أما قيام الدولة الحقيقى فانه يعتمد على تهيئة المناخ الروحى وغرس القيم الأخلاقية وتأصيل المبادىء الفاضلة والمثل العليا فى نفوس الناس . . وهذا ما فعله رسول الله ﷺ الذى ربى رجالا ونساء تكامل بهم بناء الانسانية وكانوا كما وصفهم الحق.

« رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار » . . إن كثيرا من بلاد العالم اليوم يفرض القوانين ويكثر من الدساتير ومع ذلك يتهرب منها سكان الوطن ويفعلون ما يحرمه القانون ذلك لأن نفوسهم لم تتقبل ما جاء فى هذه القوانين والدساتير ولكن صحابه رسول الله ﷺ استجابوا لكل أمر تلقائيا فلم يكن هناك سيف مسلط على رقابهم بل على العكس كان الاغراء من جهة اعداء الدين يلوحون للمؤمنين بالمال مرة وبالسلطان مرة وبالتهديد مرات ومع ذلك ازداد المؤمنون إيمانا بربهم وثقة فيه واتكالا عليه – فقامت دولتهم تنشر الخير فى أرجاء الدنيا وتطبق العدل على الناس بلا تمييز لجنس على جنس . . وإذا كنا اليوم قد احتفلنا بذكرى هجرة النبى ﷺ وتحدث المتحدثون عنها وكتب الكاتبون عن مضمون ما فيها فجدير بنا نحن – ونحن نبنى امتنا ونريد أن نبوئها فى دنيا الناس مكان الريادة والقيادة علينا نحن أن نهاجر من دنيا الذنوب إلى دنيا الطاعة ومن حياة المعصية إلى حياة الاستغفار ومن الجرى وراء الشيطان إلى اتباع سبل الرحمن أن علينا أن نبنى حياة العزة والكرامة بتربية النفوس وتأصيل الأخلاق وتعويد الناس على التخلق بأخلاق الدين والالتزام بمبادئه وبهذا نكون قد حققنا الهجرة فى أنفسنا لأن كما جاء عن رسول الله ﷺ . . لا هجرة بعد الفتح – ولكن جهاد ونية . . والجهاد أن تجاهد نفسك وتتغلب عليها وتلزمها بالطاعة لتدخل فى زمرة الصالحين وتلحق بركب الأخيار الأطهار وتكون انت لبنة صالحة فى صرح امتك وعامل خير فى استتباب الأمن واستقرار السلام فى دنيا الناس مع مراقبتك لله من تلقاء نفسك . . **إن الدولة الجديدة التى قامت فى منتصف الصحراء بقيادة نبينا ﷺ** علينا أن نتذكر مبادئها وأسس قيامها وعوامل تقدمها وأن نسير عليها وعندئذ نسعد كما سعدوا وننجح كما نجحوا . . ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله . . وأمامنا المنهاج واضح وهو كتاب الله الذى يقول فيه الرسول ﷺ – ستكون فتن كقطع الليل المظلم « **قالوا وما المخرج منها يا رسول الله قال : كتاب الله تعالى فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم بما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى فى غيره اضله الله هو حبل الله المتين ونوره المبين وهو الصراط المستقيم هو الذى لا تشبع منه العلماء ولا يمله الأتقياء من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم** » .

ولله عاقبة الأمور

الأستاذ عبد السلام الشاذلى القوصى

يقول مولانا جل شأنه فى محكم آياته (الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور) . التاريخ حياة الذكر ، ومدبر الحياة يسجل لكل واحد المجد والشرف والفخار ، أو الذل والضعف والعار . فهو الحكم المطلق الواقف بالمرصاد ، يكافىء من حسنت سيرته ويعاقب من ساءت خطته .

وأعمال الانسان كالنجوم ، والحياة كالنهار ، والموت كالليل ، لأنه لا يظهر فضل المرء إلا بعد موته ، ولا يعرف مقامه إلا بعد ذوقه كأس الحمام . فكما أن النجوم لا تظهر إلا فى الليل ، كذلك الرجل لا نرى أعماله إلا بعد موته . فان كانت صالحة ترى القوم قد عدت مآثره ، وكان محمود السيرة طيب الثناء ، يخلد له التاريخ صفحة بيضاء ، وإن كانت طالحة فقد صب عليه ربه سوط عذاب ، وأصحبه قومه باللعنات ، وصار اسمه لا يذكر إلا مرادفا بالتهكم مقرونا بالاحتقار ، وما ذلك إلا لأنه حاد عن طريق الخير ، وشذ عن فعل المعروف ، ولم يراع للعاقبة حقا ولم يخش لها بأساً ، ولم يدر ماذا يكون بعده مما يسجله التاريخ له من المجد والفخار أو الخسة والاحتقار .

قد جعل الله الذين مكنهم فى الأرض (حكاما وملاكا) ل لهم شروطا ليعيشوا بها وعليها حتى يظل تمكينهم ما بأمر الله جل جلاله ، بعيدا عن الظلم والاستبداد ، رهم باقامة الصلاة لأنها سبب من أسباب الدخول فى مة الله وعبادته واللجوء إليه والاتكال عليه ، وسبب آخر الحبل المتين الموصل لله وسبب آخر أيضا أنها هى انعة من الفحشاء والمنكر ، ثم أمرهم بايتاء الزكاة ليكون هم وبين الناس إحسانا متصلا بالعطاء الذى يقيم حياة خرين كما يقوم هؤلاء الحكام والملاك حياتهم فى رغد من يش والنعمة ، ثم أمرهم بأن يتولوا قائمة الاصلاح جتماعى بين رعاياهم بما منحهم الله من قوة ومن نعمة ، زمهم بأن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر حتى ينصلح ال الناس فيعيشوا فى أمن واستقرار ، وفى نعمة ورحمة زيز الغفار . فان أقاموا هذه الشروط والتزموا بها ، ان الله لهم أنه هو وحده إليه المرجع والمآب فقال جل شأنه ولله عاقبة الأمور) .

ولأنه جل جلاله هو الذى يعلم وحده سرائر النفوس نظافة القلوب واتجاه العقول ، وهو وحده الذى تخفى عليه خافية فى الأرض أو فى السماء .

إن أفضل الناس من طمح ببصره إلى الأمام وعلم أن الآجال صحائف الأيام فخلدها بأفضل الأعمال ، وجرد تاريخه من نقطة سوداء تشوه وجه صحيفته البيضاء ، حتى كان مثالا حسنا لمكارم الأخلاق ، وجمال الطباع ، نصيرا للمروءة ، فهذا الذى يسجل له التاريخ ذكرا حسنا ، وحديثا عطرا ، وأثرا خالدا ، بخلاف من جعل نفسه مطمح الشهوات واللذات وأفنى عمره فيما لا يغنى ولا يسمن من جوع ، فحشر نفسه فى زمرة من لا يخافون عقابا ولا يتحاشون عذابا . وعندئذ يغير الله نعمته عليه ، وتحل به نقمة الله عليه . ثم يسجل لنفسه الخزى واللعنة من الله إلى يوم الدين ، وحقت عليه من ربه كلمة العذاب .

حياتنا كالموت ان لم تكن   نهجا الى تخليد ذكر يدوم

وعاقبة الأمور لابد أن يحتاط الانسان حتى لا يهلك هلاك الدنيا أو يهلك بعذاب الآخرة . وخير ما يحتاط به الانسان ، كل إنسان ، هو الاحترام . لأن الاحترام هو محك التربية ، كلما كان الاحترام ناميا فى أمة كانت تربيتها جيده ، فاذا فقد كان فقدانه إنذارا بانحلال جامعتها وسقوط أبهتها وعظمتها . وإن أهم شىء يحفظ الأمم ويزيد

فى رفعة شأنها هو احترام جملة أمورها الجوهرية الأساسية مثل، الدين والوطن والسلطة العمومية والعائلة والعلم والفضيلة وكل عمل شريف أو جميل أو نافع يؤدى إلى رضاء الله ورسوله والمؤمنين. نحن معشر المصريين فينا من لا يحترم وطنه ولا يعرفه وكثيرا ما يتكلم عنه بالاستخفاف والاحتقار ويحكم عليه كما يسمع من الأجانب والدخلاء، وفاتنا أن كل عيب منسوب للوطن هو فى الحقيقة منسوب لنا. ومن هنا كان أولئك الذين سبوا دينهم وسبوا وطنهم إنهم فى غضب من الله الملك القهار.

أما السلطة العمومية فى الماضى كان المصريون يخشونها ويرهبونها أشد الرهبة حيث كان مبدأ معاملتها الظلم والقسوة. واليوم وقد اعتدل مبدأ السلطة وأصبح كل فرد له من الحقوق الانسانية والاجتماعية والاقتصادية على السواء، وإن القضاء هو مبدأ السيادة حرا فى كيانه وتطبيق أحكامه. انقلب الخوف بناء على ما يعيش فيه الفرد وهو مطمئن على ماله وعياله وحياته إلى اطمئنان شملته الرعاية من رجل، مصرى الجنسية، مسلم العقيدة، مؤمن بربه وبوطنه وبحقوق شعبه، يخاف أن يأتى الوقت الذى يعود فيه هذا الشعب إلى ساحة الاستبداد والذل والمهانة، وقد جربها هو بنفسه، ومن هذه التجربة القاسية والتى تحملها بصبر وجلد، كانت خير معلم له للتضحية واستعمال الفكر السليم والرأى الثاقب، حتى وصل بهذه الصفات إلى أمهات الشجاعة فلبس رداءها، وقاد أمة إلى الخير، فانتصر على الباطل، وعبر إلى الحق، وقاد شعبا إلى السلام، فقدم نفسه فداء لاقرار السلام، رغم ما قاله المبطلون للسلام، وتجار الكلام، من أقوال لا أقل من أن نصفها بأنها هذيان المحموم عندما تصل روحه إلى منتهى الحياة فيهرف بما لا يعرف.

ولله عاقبة الأمور، من حيث أن الانسان لا يكمل حاله إلا بالشجاعة والعدل والعفة والعلم فهذه أمهات الفضائل وجنات السعادة ورضوان الحياة، بل هى الأساطين التى عليها بنيت الاستقامة والكمال والمدنية. إذا فالشجاعة هى القوام الأكبر للحياة، ولا قيمة للعلم بلا قوة تنفذه وإرادة حرة تدفعه. بهذا وما سبقه تم للانسان بمقتضى دينه أمران عظيمان طالما حرم منهما: وهما، استقلال الارادة واستقلال الرأى والفكر وبهما كملت إنسانيته واستعد لأن يبلغ من السعادة ما هيأه الله له بحكم الفطرة التى فطر عليها.

ولله عاقبة الأمور أيضا من حيث أن الاحترام هو الطريق السليم بين جميع الأمة لكل قدره ولكل مقداره. وكان لابد لهذا الاحترام أن يكون له مساعدا قويا يرتكز عليه. إنه هو (الصدق) الصدق فى القول، والصدق فى العمل، الصدق فى الرأى والصدق فى المعاملة، والصدق فى النية، والصدق [illegible] التفكر فى طريق الخير، والصدق مع المجتمع، والصدق مـ[illegible] الله. ولأن الصدق أفضل خصال الانسان وأوضح دلائـ[illegible] الايمان وأجل مواهب الاحسان وأكمل نعم الملك الديان وهـ[illegible] دال على جلال القدر، ونزاهة النفوس، وعلو الهمة [illegible] وصلاح الشيم، والشمائل، وبه تمام المكارم والفضائل [illegible] فمن تحلى به فقد أحرز الفضل بكماله وجمع الخير فى أقوا[illegible] وأفعاله. يقول الله تعالى (**يوم ينفع الصادقين صدقهم** [illegible] وقال عليه الصلاة والسلام (**عليكم بالصدق فان الصدق يهدى إلى البر وان البر يهدى إلى الجنة**).

●● أما الكذب فهو أوضع كل خطة وأجمعها للمذ[illegible] والخسة، وأكبرها ذلا فى الدنيا، وأكثرها خزيا فى الآخرة [illegible] وهو من أعظم علامات النفاق وأقوى الدلائل على دناء[illegible] الأخلاق والأعراق. لا يؤتمن حامله على حال ولا يصدق إذ[illegible] قال. قال الله تعالى (**إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنو[illegible] بآيات الله**) وقال عليه الصلاة والسلام (**آفة الحديث الكذب ـ وأعظم الخطايا اللسان الكذوب**). وبالجمل[illegible] ليس الكذب فضيلة من الفضائل ولا سياسة من السياسات [illegible] كما يفهم بعض المارقين المتملقين وليس مما يعلى قد[illegible] الانسان، بل بالعكس، يسقط المروءة ويذهب بماء الوجه [illegible] ويدل على ضعف الايمان بالله تعالى. فمن اعتاد الكذب [illegible] اعتاد الناس ذمه وأكثروا من السخط عليه، كذلك الله يمهل [illegible] حتى إذا امسكه لم يفلته، فانه قد ظلم نفسه وظلم الناس [illegible] بجانبه، لاسيما إذا كان رئيسا من الرؤساء أو من يفهـ[illegible] الناس أنهم ناصحون أمناء. قال تعالى يصف حال [illegible] الكذابين يوم تجزى كل نفس بما كسبت (**ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة**). وأيضا فان [illegible] الكذاب الذى صار الكذب خلقا له ليس له عهد ولا ميثاق [illegible] وفى الحديث (**الكذب رأس كل خطيئة**). وينصحنا الله جل [illegible] جلاله مبينا لنا الطريق السليم الصحيح فيقول جل جلال[illegible] (**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**) [illegible] إذا فالجلوس مع الكذابين يخالف أمر الله لنا بالجلوس مع [illegible] الصادقين وفى مخالفة الله، الفشل فلنتركهم.

●● بالأمس خطا خطوة مباركة موفقة قائد هذه الأمة السيـ[illegible] الرئيس محمد أنور السادات، ليتمم أمرا عاهد الله عليه [illegible] هو السلام. وليمنع عن الأمة العربية كلها شرا مستطير[illegible] وحربا ضارية وليمنع عن شعب مصر ما هم فيه من قلق [illegible] وفزع وليقر لهم الأمن والطمأنينة. فخالف نفر ما رمى إليـ[illegible] هذا الزعيم البطل، لأنهم لا يعرفون عن الدين شيئـ[illegible] ولا يقيمون للاحترام وزنا، ولا يخشون ما سيكتبه التاريـ[illegible] عنهم، وبعدوا عن الصدق بعد السماء عن الأرض. وأنهـ[illegible] بهذه المخالفة يحاربون الله ورسوله والأمة العربية والوطن [illegible] ويجنون أعظم الجرائم، ويرتكبون أكبر الاثم فى حق الدين[illegible]

وفى حق مصر وبطلها وشعبها الذى تحمل ما تحمله من فقد الشباب واضمحلال الاقتصاد . وهذا مما يوجب على أفراد الأمة التمسك برجالها أصحاب المبادىء الصحيحة الذين يحبون البلاد وسعادة أهلها ، ويسعون فى جلب الخير وفتح أبواب الأعمال لهم ، لأن إخلاص الأمة لكبار رجالها موجب لتقوية الرابطة الوطنية لما فيه من فضيلة الشكر على محاسن الأعمال ، ولله عاقبة الأمور .

إن من يعمل الخير يحمد ، ويجب أن يحمد ليوفى حقه ، وهو ما يجب من الشعب نحو قائده بطل العبور ، وأما من يعمل الخير لأنه خير فيجب أن يضاعف له الخير .

إن الأمة التى تعرف قدر قوادها وأفرادها ، وتعرف عنهم ما يعملون ، إنما تخطط بذلك طريقا إلى تكثير رجالها وتقوية روح الارتباط فيهم ، وتستجلب بذلك مرضاة أعاظمهم وبذلك تتحد إرادة جميع الأفراد فيعمل الواحد صورة يتمم بها عمل الآخر . وهذه هى الغاية التى تتمناها لنفسها مع رعايا الحكومات المنتظمة . إذا أرادت الأمة العربية النجاح والفلاح والاستقرار . ولا يخفى أن توحد الارادة من أهم الأمور لانجاز الأعمال العظيمة الشريفة التى يصعب على أكبر الأمم القيام بها ، وهذا لا يحتاج إلى بيان ، فان العاقل يعرف أن عشرين رجلا تختلف إرادتهم فى نقل حجر صغير لا يتسنى لهم نقله مهما أضاعوا من الزمان . بخلاف ما لو اتحدت إرادة سبعة منهم مثلا على نقله إلى محل معين فانهم ينقلونه ، ولو استعمل كل واحد منهم واسطة . لأن الغاية واحدة والارادة متحدة . وهذا من أعظم المبادىء التى يجب على الأمة الالتفات إليها وتعويد الأنفس عليها ، فاذا اتحدت إرادتهم مع إرادة كبار رجالهم اتجهت بهم تلك القوة العظيمة إلى الأعمال النافعة وسعدوا بأنفسهم وفازوا فوزا عظيما .

إذا فاصلاح الأمم يتوقف على توخى أحسن المثل التى ينتهجها قادة الشعوب ، وانتهاج أوضح المسالك التى يسلكها المصلحون ، ليسيروا مع الأمم سير الأستاذ مع تلميذه وليأتوا البيوت من أبوابها وليخاطبوها بلسانها . فكما أن الاستاذ يخاطب قلب التلميذ بما يشاكل كل طبعه ويناسب أطوار استعداده فهكذا قادة الأمم مع الشعوب ، وهذه سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا . ومن غيرها فقد حاد عن الصراط المستقيم . يقول الامام على كرم الله وجهه لابنه الحسن رضى الله عنه (أى بنى إنى وإن لم أكن عمرت عمر من كان قبلى فقد نظرت فى أعمالهم وفكرت فى أخبارهم وسرت فى آثارهم حتى عدت كأحدهم ، بل كأنى بما انتهى إلى من أمورهم قد عمرت مع أولهم إلى آخرهم ، فعرفت صفو ذلك من كدره ، ونفعه من ضرره ، فاستخلصت لك من كل أمر نخيله ، وتوخيت لك جميله وصرفت عنك مجهوله) .

سيدى القارىء : إعلم أن الرجل الخامل ينظر إلى المعالى من بعيد وهى بين يديه أقرب من حبل الوريد ، والرجل الذى لا يعمل بمعنى هذه الآية (ولله عاقبة الأمور) فليعلم أن إيمانه نقص فى قلبه وأنه يسير مع هدى نفسه ، وعندئذ يأخذ طريقه إلى الفشل . وعلى هذا فان الأقدام والتعب لا يصلحان للنجاح إلا إذا رافقتهما (حكمة ودراية واستقامة وثبات وصبر وحسن خلق)
سيدى القارىء : تلك ست خصال ، تجمعت كلها فى زعيم شعب مصر السيد الرئيس محمد أنور السادات وهى أوسمة الكمال فيه والنجاح والسداد فى الرأى وفى الأعمال . فاللهم سدد خطاه ووفقه لما يرجو .

كل له غرض يسعى ليدركه
والحر يجعل إدراك العلى غرضه

يقول الله تعالى (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا) .

صدق الله العظيم

القرآن الكريم

وأثـــره في حياة العرب

فضيلة الشيخ عبد المؤمن حسن مجاهد

القــرآن الكريم شرعة الانســانية السمحاء . نزل به الروح الأمين على محمد خاتم النبيين . فعـم فجـاج الأرض نورا وإشراقا . فهو بحق نبراس الهداية ورحمة للعالمين ودستور عظيم نقل الأمة العربية من الجهالة إلى النور والعلم بعدما كانوا من قبل فى ضلال مبين تخيم على حياتهـم الضلالات وتغشى أبصارهم الظلمات .

وإذا بالقرآن الكريم ينبلج سناه ويتنزل على سيدنا محمـد ﷺ فيهز مشاعرهم ويحيى ضمائرهم ويوقظ قلوبهم .

ولقد اشتمل القرآن الكريم على القصص والمواعظ والوعد والوعيد والأوامـر والنواهى والآداب العظيمة مبينا لنا المثل العليا والقيم الرفيعـة وكل ذلك بأسلوب عذب يأسر الأسماع ويسحر القلوب ويهـز المشاعر بحيث لا يستطيع أحد من الجـن والأنس أن يأتوا بمثله ولو كان بعضـهـم لبعض ظهيرا .

وبهذا كان له تأثير كبير فى حياة الأمة التى نزل فيها . فقد جعل عماد الأمة أن تقوم على أساس التعاون والتكافل .

ورسم لهم نظام الأسرة . وأوضح ما ينبغى أن تكون عليه العـلاقات الزوجية والروابط الاجتمـاعية بين جميع أفرادها .

وأبطل من الزواج الأنواع البشعة التى كانت فاشية فيهم وجعل قيام الأسرة وبناءها على الزواج الشرعى بشروطـه المعروفة فحفظ به الأنساب وبين كيفية النفقة والمهر وقصر عدد الزوجات على أربع للقادر بشرط العدل بينهـن « **فـان خفتم ألا تعدلوا فواحدة** » وكان للعربى قبل الاسـلام أن يجمع بين زوجات كثيرات وله مطلق الحرية فى معـاشرتهن ولكن الاسلام حدد الجمع قال تعالى « **فانكحوا ما طاب لكم مـن النســاء مثنى وثلاث ورباع فـان خفتم ألا تعـدلوا فواحدة** » وهنا أوجب العدل بين الزوجات والقـرآن الكريم لم يلزمنا بتعدد الزوجات وإنما يبيحه إذا كان هناك ضرورة تستلزم ذلك .

ولقد حرم القرآن الدعوة إلى العصبية وجعل الناس أمامه متســاوين فى الحقـوق والواجبات . وألف بين قلوبهـــم . وجمعهم على هدف واحد وغايات مشتركة هى صلاح الفرد والجماعة وتعاونه على البر والتقوى قال تعالى « **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان** » .

ورسم لهم نظام اجتماعات دينية تقوم على المحبة والاخا[ء] والمساواة والسـلام والايمـان فى الحـج وفى الصـلاة و[فى] الجمعة والجماعات وأخذ بأيديهم إلى الفضـائل العـظيم[ة] كالوفاء والصبر والعدل والرحمة والعفو والعفة .

وعلمهـم آداب التحية قـال تعـالى « **وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها** » وكذلك علمهم الاسـتئذان عند الدخول فى البيوت قـال تعـالى « **يا أيهـا الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تسـتأنسوا وتسـلموا على أهلها** » ووضح لهم نظاما لوسائل العيش . يقـوم على العمل الجاد لا على السـلب والنهـب والسـعى فى الأرض بالفسـاد « **قال تعالى « إنمـا جـزاء الذين يحـاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا مـن الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم** » .

فالقرآن الكريم فى ذلك يشدد فى العقاب لسد ذريعة الفساد فى المجتمع وهـى إزالة الأمـن بين ربوع الدولة والفـوضى والاضطراب وذلك لأنهم اعتدوا على شرعة الأمان والسـلم والحق والعدل والاستقرار والطمـأنينة بين الناس فـكأنهم حاربوا الله ورسوله .

وبين لهم كيف يسعون فى مناكب الأرض التماسا لرزق الله قال تعالى « فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور » .

وبين لهم الحضارة والرقى فى سياستهم وجعلهم يخضعون لامام واحد يجمعهم تحت ظلال طاعته فيأتمرون بأمره وينتهون بنهيه . ويقومون على تأييده ونصره . وقد دانت هذه الوحدة الجامعة بالطاعة لسيدنا محمد ﷺ ثم للخلفاء الراشدين من بعده ونتج عن ذلك أن تعلموا فنون السياسة وأساليب الحكم حتى حفظ لهم التاريخ أروع الصحائف .

وبفضل القرآن فإنه أوجد الحلول العظيمة لمشاكل الثروة وكيفية توزيعها وتنظيم العلاقات الاجتماعية العامة والخاصة بين الفرد والمجتمع . وهذا فضلا من أنه غير مفاهيمهم العقلية . فبعد أن كان دينهم يقوم على تعدد الآلهة وعبادة الأوثان والتزلف بها إلى الله صاروا يعبدون إلها واحدا هو رب العالمين . وخالق كل شىء وقد أحاط علمه وأحاطت قدرته بكل مافى الوجود ثم وضح لهم أن بعد الموت بعثا ونشورا وأن وراء هذه الحياة الدنيا حياة أخرى فيها يكون الحساب والجزاء ....

« فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره .. ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » .

إن القرآن بهدايته وإشراقه أضاء بصيرة الفرد وأنار عقلية الأسرة والفرد والجماعة حتى تركوا وراء ظهورهم التباغض والتحاسد .. وما كانوا عليه قبل الاسلام من الإحن والعداوات وحب التناحر والقتال وصاروا بهدى القرآن أمة واحدة مليئة بالحياة والقوة والعزة والكرامة .

وذلك بتمسكهم بإيمانهم به وحبهم له حتى نشروا العدل فى سائر البقاع وهذا كان له أكبر الأثر فى نظامهم الاجتماعى . ولقد تعدى هذا الأثر إلى العالم كله فشمل الانسانية كلها حتى أيقظ شعورهم . وأحيا قلوبهم ونهض بالبشرية إلى المستوى اللائق بها . فأحدث بذلك تغييرا فى حياة الناس وأحوالهم ما لم يستطع أحد آخر أن يحدثه منذ خلق الله الأرض ومن عليها وسيظل إلى أن تقوم الساعة وذلك حيث أنه رسم للحياة الانسانية مثلا أعلى فى العقائد وفى الاجتماع وفى السياسة فهو كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهو محفوظ فى الصدور وفى كل شىء وصدق الله العظيم إذ يقول « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

كلمة :

■ فلسفة الإلحاد - خلال السنوات الأخيرة - جعلت من أبناء هذا الجيل قطيعا توجهه غرائز الحيوان وتقوده شهوات النفس . ومن هنا ، تجردت أعرافهم من حقيقة الكرامة الإنسانية ..

ولا شفاء ولا نجاة من هذه « الفلسفة الوبائية » إلا فى (عبادة) الأديان - ورائدها الإسلام .

دكتور آرثر كلين
أستاذ سابق بجامعة فينا

الأولياء

فى ضوء القرآن والسنة

أحمدك اللهم أنت رب السموات والأرض ومن فيهن . وأشكرك أنت قيوم السموات والأرض وما بينهن . سبحانك أنزلت كتابك الكريم لعبادك رحمة ونورا . وأصلى وأسلم على حبيبك ومصطفاك وصفوتك من خلقك سيدنا محمد الذى أرسلته رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته وسلك طريقه القويم إلى يوم الدين .

فضيلة الشيخ محمد ابراهيم ماضى

فيقول الله تعالى فى كتابه الكريم « ألا أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم »

يبين الله سبحانه وتعالى فى هذه الآيات الثلاث حال الشاكرين المتقين الذين لهم أحسن الجزاء فى يوم الدين . وقد ابتدأ هذه الآيات بكلمة « ألا » لتوجيه الفكر لها والتنبيه لما سيلقى من الكلام . والأولياء جمع ولى وهو وصف مشتق من الولاية بمعنى النصرة . والأولياء هم المؤمنون المتقون كما نطقت به الآية وهم درجات أعلاهم . الذين يتولونه باخلاص العبادة له وحده والتوكل عليه وحبه والحب فيه . والولاية له فلا يتخذون من دونه أندادا ويحبونهم من نوع حبه ولا يتخذون من دونه وليا ولا شفيعا . ويتولون رسول الله والمؤمنين فيما أمرهم به . قال تعالى« وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع لعلهم يتقون ».

وقال تعالى:« **مالكم من دونه من ولى ولا شفيع أفلا تتذكرون** » وقال تعالى:« **قل من ذا الذى يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا** » والآيات كثيرة فى توليتهم له بالطاعة وتوليه لهم بالاعانة والعناية والتوفيق . وقد نفى عنهم شيئين . ووصفهم بوصفين . وبشرهم فى الدارين . فأما مانفاه مخبرا به عنهم فقال تعالى « **لا خوف عليهم ولا هم يحزنون** » وهو ما نفاه عن جميع المؤمنين المصلحين الصالحين فى الدنيا والآخرة . أما فى الدنيا . فلا يخافون مما يخاف منه غيرهم من الكفار وضعفاء الايمان وعبيد الدنيا من مكروه يتوقعونه أو من عدو يرهبونه كما قال تعالى « **فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين** » . وقال تعالى : « **فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا** » وأما فى الآخرة . حيث يتحقق هذا على أتم وجه وهو المقصود بالذات . فلا خوف يقع عليهم ويرهقون به مما يخاف الكفار والفساق والظالمون من أهوال الموقف وعذاب الآخرة . كما قال تعالى بعد ذكر إبعادهم عن جهنم : « لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون » ولا هم يحزنون على ما تركوا ورائهم . ولا يحزنون على مكروه أو فوات محبوب والخوف والحزن من الأعراض البشرية . التى لا يسلم منها أحد .

وإنما يكون المؤمنون الصالحون . أصبر الناس . وأرضاهم بسنن الله . اعتقادا أو علما بأنه إذا إبتلاهم . بشىء مما يخيف أو يحزن . فانما يختبرهم بذلك لتمحيص نفوسهم ليزداد بذلك أجرهم وترفع به درجاتهم . كما صرحت بذلك الآيات الكثيرة . كذا فى تفسير المنار . وأمّا ما وصفهم به . فقوله تعالى:« **الذين آمنوا وكانوا يتقون** » **فهذا استئناف لبيان حال هؤلاء الأولياء النفسية العلمية والعملية . أى هم الذين جمعوا بين الايمان الصحيح بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر وملكة التقوى له عز وجل وما تقضيه من عمل . وعبر عن إيمانهم بالفعل الماضى لبيان أنه كان كاملا باليقين لم يزلزله شك ولم يحصل بالتدريج . وعن تقواهم بالفعل الذى يدل على الحال والاستقبال لأن التقوى تجدد دائما باعتبار متعلقاتها من كسب وحرب وشهوة وغضب . والمعنى الجامع للتقوى . أنها اتقاء كل مالا يرضى الله تعالى . من ترك واجب ومندوب وفعل محرم ومكروه .**

قاء مخالفة سنن الله تعالى فى خلقه من أسباب
صحة والقوة والنصرة والعزة وسيادة الأمة وحسب
اقل أن يفهم هذا المعنى . الذى ركز الرسول ﷺ .
ه . وهو أن التقوى بالنسبة للعبادة كالرأس بالنسبة
سد فكما أنه لا حياة لانسان بدون رأس .

ذلك لا معنى للعبادة بدون تقوى . وقد عرفها الامام على
م الله وجهه . بأنها الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل
رضا بالقيل والاستعداد ليوم الرحيل . ومن معانيها
يراك الله سبحانه حيث نهاك ولا يفتقدك حيث أمرك
لاصة معناها أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه
ه يراك . ولذا أوصى الرسول ﷺ بها أباذر الغفارى رضى
عنه حين طلب منه أن يوصيه فأوصاه بقوله :

وصيك بتقوى الله فإنها رأس الأمر كله . والمتقون فى هذه
نيا كما وصفهم الامام على كرم الله وجهه . هم أهل
ضائل منطقهم الصواب . وملبسهم الاقتصاد . ومشيهم
راضع . غضوا أبصارهم عما حرم الله عليهم . ووقفوا
ماعهم على العلم النافع لا يرضون من أعمالهم القليل
يستكثرون الكثير لأنفسهم متهمون من أعمالهم
فقون . ومن علامة أحدهم . أنك ترى له قوة فى دين
زما فى لين . وإيمانا فى يقين وحرصا فى علم وعلما فى حلم
صدا فى غنى وخشوعا فى عبادة وتجملا فى فاقة وصبرا فى
ة وطلبا فى حلال ونشاطا فى هدى وتحرجا عن طمع
ل الأعمال الصالحة وهو على وجل يمسى وهمه الشكر .
سبح وهمه الذكر يمزج الحلم بالعلم والقول بالعمل ومن
ل هذه الأوصاف العظيمة تجد أن الله تعالى فى كتابه
ريم قد وعد المتقين بكل فلاح ونجاح وقد وعدهم بالحفظ
حراسة من الأعداء فقال تعالى « **وإن تصبروا وتتقوا**
ضركم كيدهم شيئا » . وبالنصر والتأييد فقال تعالى
ن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » وبالنجاة
الشدائد وبالرزق الحلال فقال تعالى « **ومن يتق الله**
عل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب »

ال أكثر المفسرين فى هذه الآية أنها نزلت فى عوف بن
ف بن سالم الأشجعى أسر المشركون إبنا له يسمى سالما
ى الرسول ﷺ وشكا القافلة إليه : وقال يا رسول الله إن
دو قد أسر ابنى وجزعت الأم فبماذا تأمرنا فقال ﷺ
ق الله واصبر وآمرك وزوجتك أن تكثرا من قول
حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم » فعاد إلى بيته
ل لامرأته إن رسول الله ﷺ أمرنى واياك أن نكثرا من
ل لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . فقالت فنعم
أمرنا به رسول الله فجعلا يقولانها فغفل العدو عن ابنه
اق غنمهم وجاء بها إلى أبيه وهى أربعة آلاف شاة .
همية التقوى ذكرها الله سبحانه وتعالى فى آية واحدة
ين فقال تعالى: « **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر**
س ما قدمت لغد واتقوا الله أن الله خبير بما تعملون »

وقال ﷺ « إذا جمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم » قال الله عز وجل « يا أيها الناس إنى جعلت لى نسبا وجعلتم لكم نسبا فوضعتم نسبى ورفعتم نسبكم قلت « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » وأبيتم إلا أن تقولوا فلان ابن فلان فاليوم أضع نسبكم وأرفع نسبى . أين المتقون . فينصب للمتقين لواء » فيتبعون لواءهم فيدخلون الجنة بغير حساب ومن هذا يعلم أن تقوى الله ما خالطت قلب امرىء إلا وصلته بالله ولله در القائل الحكيم .

إذا المرء لم يلبس ثيابا من التقى
تجرد عريانا ولو كان كاسيا
وخير لباس المرء طاعة ربه
ولا خير فيمن كان لله عاصيا

ومن الأحاديث الواردة فى فضل الأولياء والمتقين ما أخرجه أبو داود فى سننه والحاكم فى مستدركه عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا أن النبى ﷺ قال « إن من عباد الله عبادا يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة قيل من هم يارسول الله قال « هم قوم تحابوا فى الله من غير أموال ولا أنساب إن وجوههم لنور وعلى منابر من نور ، لا يخافون إذا خاف الناس . ولا يحزنون إذا حزن الناس ثم قرأ قوله تعالى « ألا أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ومنها ما رواه أبو مالك الأشعرى مرفوعا عن رسول الله ﷺ : **يأتى من أفناء الناس ونوازع القبائل قوم لم تتصل بينهم أرحام متقاربة تحابوا فى الله وتصافوا فى الله يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فيجلسهم عليها يفزع الناس ولا يفزعون . وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » أخرجه الامام أحمد فى مسنده .**

وأما البشرى التى زفها إليهم فى قوله تعالى « لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة » فأصل البشرى هى الخبر السار الذى تنبسط به بشرة الوجه فيتهلل وتبرق أساريره . وهذه البشرى مبينه فى مواضع كثيرة من كتاب الله الكريم . فأما البشرى فى الحياة الدنيا فأهمها البشارة بالنصر وبحسن العاقبة فى كل أمر واستخلافهم فى الأرض . ما أقاموا شرع الله وسننه ونصروا دينه وأعلوا كلمته . وأما فى الآخرة فمن أكملها وأجمعها فى معانى الآية قوله تعالى : « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم »: وقد ورد أن تنزل الملائكة عليهم إنه يكون عند البعث . وكذا عند الموت . كما ورد عن رسول الله ﷺ فيما يرويه البراء رضى الله عنه .

أن المؤمن إذا حضره الموت . جاءه من ملائكة بيض الوجوه . بيض الثياب فقالوا أخرجى أيتها الروح الطيبة إلى روح وريحان ورب غير غضبان فتخرج من فمه كما تخرج القطرة من فم السقاء » . وذكر ابن كثير فى تفسيره بأن البشرى فى الحياة الدنيا . هى الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له كما ورد عن رسول الله ﷺ وذكر بن كثير فى تفسيره بأن البشرى فى الحياة الدنيا . هى الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له كما ورد عن رسول الله ﷺ فيما رواه الامام أحمد « **الرؤيا الصالحة جزء من تسعة وأربعين جزءا من النبوة فمن رأى ذلك فليخبربها ومن رأى سوى ذلك فانما هو من الشيطان ليحزنه فلينفث عن يساره ثلاثا وليكبر ولا يخبر بها أحدا** » **وروى الامام أحمد أيضا عن أبى ذر الغفارى رضى الله قال يارسول الله الرجل يعمل العمل فيحمده الناس عليه فقال الرسول ﷺ**: « تلك عاجل بشرى المؤمن » ثم قال تعالى بعد ذلك: « لا تبديل لكلمات الله » أى هذا الوعد . لا يتبدل ولا يتخلف . ولا يغير بل هو مقرر مثبت كائن لا محالة . ذلك إشارة إلى ما تقدم . من نفى الخوف والحزن عنهم ووصفهم بالايمان . والتقوى وتبشيرهم بالنصر والجنة وهو الفوز العظيم . الذى لا يَعْدله فوز ولمثله فليتنافس المتنافسون . هؤلاء . هم أولياء الله المتقون كما ورد فى كتاب الله وعلى لسان رسول الله .

وهذا هو تعريفهم الذى ورد فى هذه الآيات . وقد تضمن وصفهم بالايمان والتقوى ، فالولى الحق لابد وأن يكون مؤمنا تقيا ومخلصا نقيا . يقيم شرع الله . ويؤدى فرائض الله ويعمل بسنة رسول الله . يعبد الله كأنه يراه لاعتقاده أن الله يراه . أما الذين يدعون الولاية أو يزعمون أن بينهم وبين الله حالة أسقطت عنهم التكليف أو أباحت لهم المحرمات أو خولت لهم ترك الصلاة فليسوا بأولياء إنما هم شياطين الانس لأنهم يصدون عن سبيل الرحمن ويفتحون باب العبث بالأديان ويدعون إلى الفسوق والعصيان . فيجب على الحاكم أن يؤدبهم وعلى كل مسلم أن يزجرهم يقول الامام الغزالى « **من زعم أن بينه وبين الله حالة أسقطت عنه الصلاة أو أباحت له شرب الخمر أو الاختلاط بالنساء بدعوى أن جوارحه قد تابت وأن روحه قد تهذبت فقتل هذا خير من قتل سبعين كافرا** » .

وقد أفتى ابن تيمية بقتل من يدعى هذا كما أفتى بخلود فى النار . لأن ضرره فى الدين أعظم وضرره فوق من يقو بالاباحة فان من يقول بالاباحة يمتنع من الاصغاء إل لظهور كفره . وأما هذا فيهدم الشرع من الشرع . وهو م طائفة الضالين المكذبين . فالأمر والنهى واجب على ك عاقل مادام عقله حاضرا إلى أن يموت لا يسقط عنه الأم والنهى فان أصر على إعتقاد سقوط الأمر والنهى فهو كاف مرتد عن الاسلام فمثل هذه الادعاءات والمقالا والاعتقادات . هى محادة لله ورسوله ومعاداة له تعال وتكذيب لرسوله ومضادة له فى حكمه فاعتقاد الولاية فى ناس لا يصلون . ويقترفون المحرمات أمر مخالف لشريعة ر العالمين وبعد عن سنة سيد المرسلين . لأن الصلاة عما الدين . من أقامها فقد أقام الدين وأداء الدين الصلوا الخمس فى أوقاتها من أحب الأعمال إلى الله . وهى أو شىء يسأل عنه العبد يوم القيامة . فان صلحت صلح سائ عمله وإن فسدت فسد سائر عمله . وهى التى فرضها ا بنفسه ليلة المعراج من غير واسطة بينه وبين رسوله محم ﷺ أنه قال « **بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة** » . روا البخارى وكذا من يعتقد أن يمشى على الماء أو يطير الهواء . ويصلى من غير وضوء . ومن يعتقد أن هذا ول فهو كافر مرتد عن الاسلام ومكذب لرسول الله لأن رسول الله ﷺ أخبر عن ربه . « **أن من ترك صلاة ثلاث جمع تهاونا من غير عذر طبع الله على قلبه فإذا كان من ترك صلاة جمع وصلاها ظهرا طبع الله على قلبه فكيف بمن لم يصل سائر الفرائض . ولم يتقرب أحد إلى الله إلا عن طريق أداء الفرائض ونوافله . ففى الحديث القدس « ماتقرب إلى عبدى بشىء أحب مما افترضته علي وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبص به ويده التى يبطش بها وقدمه التى يمشى بها ولئ سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيذنه » وفقنا الل لاقتفاء أثر أوليائه الصالحين وهدانا إلى إتباع سن سيد المرسلين . والحمد لله رب العالمين ..**

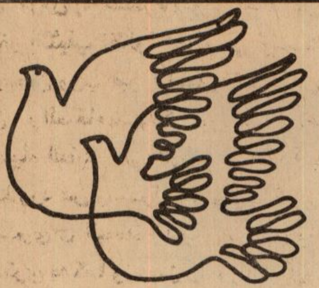

الدعــوة إلى الســلام عبـر دمـاء الشهـداء

حينما دعا رسـول الله ﷺ إلى الاسـلام دعا إلى ظـل سابغ ، وفصل بالغ ، وحرية كاملة . وسـعادة شـاملة . وعدالة لا يطمع البشر فيما هو خير منها .

ويمتاز رسل الله بأنهم مصادر هداية ، ومنابع إيمـان ، ومشاعل نور ، إنهـم يضيئون ضمير الحياة بصدق عطائهم ، ويغـرسون قيم الخير بكفـاحهم ، ويرسـمون للبشرية أرفع نماذج التقدم بنضالهم ، ويؤكدون بالعمل المتواصـل ، والسـعى الدائب شرف الحياة وقيمتهـا ، ويقدمون فى سبيلها أصدق البذل ، وأوفر العطاء . . وهنا نسمع رسول الله ﷺ يسأل الصحابى الجليل سيدنا زيدا رضى الله عنه قائلا له ذات صباح : كيف أصبحت يا زيد؟ فيجيبه بوجـه متهلل بالبشر ، مشرق بالنور : أصـبحت يا رسول الله أحب الخير وأهله ، وإن قـدرت عليه بادرت إليه ، وإن فاتنى حـزنت عليه وحننت إليه . . . فيضـمه رسول الله إلى صدره فى حفاوة وغبطـة ويقـول له : تلك علامة الله فيمن يريد ! ! !

فضيلة الشيخ عبد الرحمن النجار

ـب الخير هو المؤشر الصادق الذى يدل على الانسان ـل فى هذه الحياة ، وهو النبض الانسانى النبيل ، الذى ـسف عن قيمة المؤمن ، ويبين مـدى صـلته بربه ، وحبه لاخوانه فى الانسـانية . وحـرصه على أن يعيش أخـوه فى الانسانية حرا عزيزا فى دنيا الناس ، وإيمان المسلم بواجبه نحو الجماعة حمله أمانة نشر السلام فى كل مكان ، والجهاد المتواصل من أجل تحقيق هذا السـلام ، مهمـا تكن ضراوة هذا الجهاد ، ونشر السلام أمانة الله فى الأرض ، ولا يحمـل هذه الأمانة إلا من هم أهل لها . وفيهم على حملها قـدرة ، وفى قلوبهم تجرد لها وإخلاص . ومـلء نفـوسهم شـجاعة وإيمان ، إنها أمانة المسئولية التى تقتضى المعـاناة العملية للمشاق . والصبر الحقيقى على تحديات أعداء الحق . أعداء الخير ، أعداء السلام . . لقد وجدت الحياة قبل الانسان فهو ضيف طارىء عليها ، وهى أبقى منه ، فليس مـن حقـه أن يسىء إليها بل إن واجبه أن يضيف إليها الكثير مـن الخير والجمال ، وأن يثريها بالعمل والنشاط فهو مستخلف فيهـا لتعمير أرضها ، واستخراج ما فيها مـن نعـم أودعهـا الله فيها ، وقد بين القرآن الكريم أن الكون أوجده الله لمصـلحة الانسان ، قال تعالى :

[الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السمـاء ماء ، فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ، وسـخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره ، وسخر لكم الأنهار ، وسخر لكم الشمس والقمـر دائبين ، وسـخر لكم الليل والنهـار ،

وآتاكم من كل ما سألتموه ، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الانسان لظلوم كفار] . . .

هذه النعم ، لكى يستفيد منها الانسان ، عليه أن يحيا فى أمن يهيىء له السبيل إلى العمل والانتاج ، وعليه مع ذلك أن يحافظ على أرضه من أن تغتصب ، وعلى أمواله من أن تنتهب ، وعلى حريته من أن يعتدى عليها ، ومطلوب منه أن يبذل كل ما يملك للحفاظ على حقه فى الحرية الكاملة ، والسلام العادل ، والأمن الشامل ، وأن يضحى بنفسه من أجل أن تحيا أمته . . والجود بالنفس أقصى غاية الجود . . واستقرىء أيها القارىء الكريم ، تاريخنا الاسلامى تجده يفيض ببطولات غيرت مجرى التاريخ ، وعدلت مسار الحياة وأعطت للانسانية مثلا رفيعة فى صدق العطاء ، كان ذلك أيام الرسول ﷺ ، وفيما تلا عصره الرائد من عصور ، ودماء الشهداء التى سالت على أرض المعارك ، كانت هى المشاعل التى أضاءت طريق الحرية ، وتعلم الناس فى ضوئها أن الحق هو المقدس ، وأن التضحية هى الشرف ، وأن الولاء المطلق للحق . والتضحية الكاملة فى سبيله هما اللذان يعطيان للانسان قيمته وللحياة معناها . .

لقد كان هؤلاء الأبطال يتطلعون إلى مستقبل يتحقق فيه السلام العادل ، وما أجمل السلام يسود المجتمع ، فكان لهم تعاون وثيق مع حركة التاريخ ، ومسايرة شجاعة لقافلة التطور ، وتركيز أكيد على المستقبل المشرق ، لقد أدركوا مسئولياتهم نحو تأكيد قيم الحق والعدل ، كما أدركوا أن المناضلين قد فازوا فى سائر المعارك التى احتدمت بينهم وبين خصومهم ، لأنهم كانوا مع المستقبل ، بينما شد خصومهم إلى الوراء . . لقد هيأ الاسلام من بين أبنائه أبطالا بذلوا أرواحهم من أجل السلام ، فآثروا ما عند الله وهو خير وأبقى ، على هذه الحياة الفانية الزائلة ، إن حرصهم على تحقيق السلام ، دعاهم إلى النضال ، ليحققوا السلام من موقع القوة ، السلام العادل الذى تتحقق به العزة ، وتتأكد به الكرامة . مدركين أن دينهم يؤكد السلام فاسمه مأخوذ من كلمة السلام ، ومن أسماء الله الحسنى اسم السلام ، والجنة تسمى دار السلام ، وتحية المؤمنين لبعضهم فى الدنيا السلام ، وتحية الملائكة للمؤمنين فى الجنة السلام .

والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » ، وربنا تبارك وتعالى يحيى عباده المؤمنين وهم ينعمون فى الجنة بالسلام ، قال تعالى : **[إن أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون ، هم وأزواجهم فى ظلال على الأرائك متكئون ، لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون ، سلام قولا من رب رحيم]** وربنا تبارك وتعالى يسلم على أنبيائه ورسله بكلمة السلام **[سلام على نوح فى العالمين] [سلام على إبراهيم] [سلام على آل ياسين] [سبحان ربك رب العزة عما يصفون] . وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين]** وأوصى عباده المؤمنين بأن يجعلوا السلام شعارهم حتى مع من يجهلون عليهم ، قال تعالى : **[وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا . وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما] . . .**
من هذا المفهوم ضحى أسلافنا الأماجد من أجل تحقيق إرادة الله بنشر السلام ، وبذل الفدائيون منهم أرواحهم فى سبيل تحقيق هذا الهدف ، موقنين بأنهم وهم يستشهدون فى سبيل الله أحياء عند ربهم ، فالشهيد فى حقيقة الأمر حى ، إنه ميت فى ظاهر الأمر ، وحسبما ترى العين ، ولكن حقيقة الموت وحقيقة الحياة لا تقررها هذه الرؤية الظاهرية ، فسمة الحياة هى التأثير والامتداد ، وسمة الموت هى السلبية والانقطاع ، وهؤلاء الشهداء ذكراهم ممتدة ، وتأثيرهم فى واقع الحياة متواصل ، تأثيرهم فى النصر الذى من أجله قاتلوا ، وتأثيرهم فى أمتهم التى لا تزال تجاهد ، وتأثيرهم فى تكييف الحياة المقبلة ، وتوجيهها نحو جنى حصاد المعركة من الأمن والسلام ، كل هذه حقائق ، فهم أحياء فى عالم الواقع ، وهم أحياء كذلك عند ربهم وأحياء يرزقون ، **[ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ، ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون]** ويذكر لنا تاريخنا الصادق نبأ سيدنا سعد بن معاذ رضى الله عنه ، فقد أصيب بسهم من سهام الأعداء فى غزوة الخندق ، وهو مع جيش المسلمين يتصدى للأحزاب الذين تجمعوا للهجوم على المدينة . والاعتداء على أهلها ، وفيهم العجائز والصبية والنساء ، مع ترويع الآمنين من أبنائها . . وتصدى سعد مع أصحابه لهذا العدوان ، ولما أصيب رفع بصره إلى السماء فقال : « اللهم إن كنت قد أبقيت من حرب قريش شيئا فابقنى لها ، فانه لا قوم أحب إلى أن أجاهد من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه ، وإن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لى شهادة » وبعد هزيمة الأحزاب وانتصار المسلمين يوم الخندق ، أحس سعد البطل بأن جرحه قد زاد نزيفه ، واشتدت به العلة . . وفى ليلة من الليالى الممطرة ، التى اشتد ريحها ، وزاد بردها ، وظهرت الطبيعة وكأنها قد تغيرت لحادث قد حدث . رأى رسول الله ﷺ سيدنا جبريل وهو قادم عليه قائلا : يا محمد من هذا الشهيد الذى فتحت له أبواب السماء ، واهتز له العرش ؟ ورسول الله يعلم أن سعد بن معاذ مصاب إصابة بالغة ، فقام مسرعا وتوجه إلى بيت سعد فوجده قد لقى ربه شهيدا . . وحينما شيعوا جنازته ، لاحظوا أن جثمانه خفيف محمله ، وسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال : « إن سعد حمله غيركم ، والذى نفسى بيده ، لقد استبشرت الملائكة بروح سعد واهتز له عرش الرحمن » . .

الإسلام يصون الأمن ويحمى السلام

فضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان

السلام قاعدة العمران وأساس البنيان ؟ .

والاسلام يدعو للسلام كما يدعو للجهاد ، والدعوة للسلام فى الاسلام تسير جنبا إلى جنب مع دعوته للجهاد فى سبيل الله ، وذلك لأن السلام من أهم ضرورات الحياة الكامنة فى طبائع البشر ولا يستغنى عن السلام - فى حالة الاعتدال السوى - إلا من سفه نفسه ....

والاسلام يعتبر السلام قاعدة العمران وأساس البنيان ، والسلام فى الاسلام - لا يتنافى مع التسامى ولا يتعارض مع قوة الارادة وصدق العزيمة وإخلاص القصد ونبل الغاية ، وليس من يدعو للسلام والحب مزهقا للطاقات ولا عبدا للنزوات . ، ولكنه هو المالك لقيادة نفسه المبلى دعوة ضميره الذى يصوغ كمال السلوك وفق فطرة الله التى فطر الناس عليها : .

ان السلام هو الأساس والمقياس : .

واما الحرب ففرض فرضا ، فهى كالعملية الجراحية التى تكون علاجا حاسما لمن استعصى داؤه على الشفاء بغيرها . والسلم هو قاعدة الحياة : واما الحرب فامر طارىء تحتمه الضرورات والاسلام يسالم من يسالمه ويحارب من يحاربه ، فاذا ملك الانسان زمام نفسه فقد عرف للحياة حقها وللانسانية قدرها ، وصلة الانسان بربه تجعله يحس بالتراحم والتعاطف بين بنى البشر والايمان يحل المسائل ويقضى على المشاكل .

وما خلق الانسان ليكون وحشا ضاريا ولا يكون انتهازيا أنانيا . وإنما وجد ليعيش لنفسه ولبلده ولولده ولوالديه وللأقربين وللناس جميعا . وما خلق الانسان إلا ليعبد ربه ، ويمكنه بالاستقامة أن يحول حياته كلها إلى عبادة الله ، لأن كل قول وفعل يرضى رب الناس فهو عبادة « وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون » . فاذا اتجه المرء للعمل ليحقق الأمل فقد ساهم فى ترقية الحياة ، والاسلام يأبى التمزق ويكره العقد النفسية التى لا تمحوها إلا العقيدة الدينية والأخلاق الاسلامية التى تتنزه عن الرذائل والدنايا وتترفع عن النقائص التى تسبب الانحطاط والتخبط وطاعة الهوى واتباع خطوات الشيطان المارد والسلم فى الحدود السوية المأمونة العادلة أمنية كل عاقل ، والسلم فيه الاستقرار والاطمئنان أما الانزلاق إلى البغى والفساد والعدوان الفاجر والطغيان الغادر فهو الذى يثير الحرب المعتدية ويسبب المكروب التى تتهاوى بسببها النفوس والأرواح وتتداعى الأخلاق التى يجب أن تأمر بالعدل والاحسان وبالتواصى بالمرحمة ، إن مقياس القوة والتماسك هو الصبر الجميل الذى يكسب فى النفس الرضا والطمأنينة والأمن المستمد من الايمان السليم ، وذلك يكون بالركون الى الله العلى القوى الذى يدافع عن الذين آمنوا ، وهو القائل(وكان حقا علينا نصر المؤمنين)ويوم يرتكن المسلم الى القوة التى ليس فوقها قوة تكون العلاقة مباشرة بين العبد وربه ، وهو القائل : .

(وإذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداعى إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنو بى لعلهم يرشدون)

« سورة البقرة - ١٨٦ »

وفى أصل هذه الثقة الغالية تتضاءل الثقة بخلق الله من أصحاب العظمة الكاذبة والقوة الزائفة .

والاسلام يدعو للسلام القائم على العدل الكامل فى محيط الحياة ليغرس بذور الحب فى ضمائر الناس ووجدانهم .

وبالتراحم الانسانى تنمو المودة وتسود المحبة وتتحقق المساواة وتنتظم الروابط البشرية فى ظل الايمان باله واحد لا شريك له ، والانتساب لأب واحد هو الذى ينتسب إليه بنو آدم جميعا مع اختلاف ألسنتهم وألوانهم .

والمؤمنون أقرب رحما بطبيعة الحال بحكم عقيدتهم «**إنما المؤمنون إخوة**» ولا يتم الايمان إلا بأن يحب المؤمن لأخيه ما يحب لنفسه وذلك لأن دينهم يقول لهم لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا .

والله قد وصف نفسه بالرحمة وقد من الله بها على المؤمنين إذ بعث فيهم رسوله رحمة للعالمين وجعله بالمؤمنين رءوفا رحيما ، (**لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم**) .

«سورة التوبة ـ ١٢٨»

وجعله لينا رحيما غير فظ ولا غليظ القلب ، (**فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله . . .**) «سورة آل عمران ـ ١٠٣» والرحمة لاغنى عنها بين الآدميين جميعا ، وبها تنمو المودة ، الراحمون يرحمهم الرحمن . . . ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء . .

ولقد تمتد الرحمة إلى علم الحيوان والدواب والطير ، «اتقوا الله فى كل ذات كبد حرة» فلا يريد الاسلام للمسلمين أن تتغلغل الأحقاد فى القلوب ، (**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**) ، ولكيلا تتمكن البغضاء من النفوس حذر الاسلام من بواعث الضغينة من كبرياء وخيلاء وطغيان وعدوان ، والله يقول :

(**ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور واقصد فى مشيك واغضض من صوتك إن انكر الأصوات لصوت الحمير**) «**سورة لقمان ١٨ ـ ١٩**» .

(**ولا تمش فى الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا**) «سورة الاسراء ـ ٣٧» .

والنفوس تكره المتكبرين وتحب المتواضعين والاسلام يدعو للصفح الجميل وذلك لأن الرباط الانسانى وحده يكفى للدعوة للتسامح والعفو عند القدرة والتغاضى عن الهفوات والزلات ، (**خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين**) ـ (**وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما**) .

(«سورة الفرقان») .

وسئل رسول الله ﷺ أى الاسلام أفضل : ؟

قال تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف ، والاسلام يحذر المسلمين من لعب القمار ومجالس الشرب التى تهبط بالمرء إلى طاعة الهوى واتباع خطوات الشيطان فيزل ويضل ويشقى .

(**إنما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون : ؟**) «سورة المائدة» .

والجماعة الانسانية مسئولة عن حماية الضعفاء وعن رعاية اليتامى والبؤساء وعن البر بهم والاحسان إلى المساكين والفقراء والعطف عليهم . (**ارايت الذى يكذب بالدين ؟ فذلك الذى يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين**) «سورة الماعون» (**وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل**) سورة الاسراء .

كذلك الاسلام لا يعتبر اختلاف العقيدة والرأى سببا فى الخصومة وإنما العدوان هو السبب فى إثارة الالتحام والقتال : (**لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون**) «سورة الممتحنة» وما دام السلم قائما فلا عدوان إلا على الظالمين .

والله يدعو الى دار السلام ، وتحيتهم يوم يلقونه سلام والله اسمه السلام وتحية أهل الجنة سلام ، الملائكة تحييهم بكلمة طيبة ادخلوها بسلام آمنين ، . سلام عليكم بما صبرتم ، سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين .

وفى الصلوات نسلم على النبى وعلى عباد الله الصالحين بقولنا فى التشهد فى كل صلاة السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته . السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين . ولا تخرج من الصلاة إلا بكلمة : السلام : وتحية المسلم «السلام عليكم ورحمة ويرد المسلمين التحية بالسلام وبرحمة الله وبركاته . . » .

والله يقول (**يايها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة**) «سورة البقرة» ، ومن صفات أهل الجنة . انهم لا يسمعون فيها لغوا إلا سلاما) «تحيتهم فيها سلام» ، ومن صفات ليلة القدر انها سلام (سلام هى حتى مطلع الفجر) .

سورة القدر

ويقال لأهل الجنة (**ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود**) «ويلقون فيها تحية وسلاما» ، ومن صفات عباد الرحمن انهم إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما .

ويقول عيسى عليه السلام (والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا) والله يقول لموسى وهرون عليهما السلام حين أمرهما بالذهاب إلى فرعون أنه طغى أن يقولا له (**قد جئناك باية من ربك والسلام على من اتبع الهدى**) .

«سورة طه»

والله يقول تحية لرسوله عليهم السلام . . (**سلام على نوح فى العالمين**) : «سورة الصافات» «**سلام على إبراهيم**» : «سورة الصافات» (**سلام على موسى وهرون**) «**سورة الصافات**» (**وسلام على المرسلين**) «**سورة الصافات**» .

والله قد وصف نفسه بالسلام : (هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام) «سورة الحشر» والقرآن يهدى به من اتبع رضوانه سبل السلام : (يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام)

«سورة المائدة»

والا من نعمة الله على عباده لا يعرفها إلا المحرومون منها ، كالصحة تاج على رؤس الأصحاء لا يراه إلا المرضى . وقد طلب ابراهيم عليه السلام من ربه أن يجعل مكة بلدا آمنا فقال (رب اجعل هذا البلد آمنا) فاستجاب الله دعاءه فقال فى وصف بيته المحرم (فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا) .

«سورة آل عمران»

(. . اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم) «سورة العنكبوت»

(او لم نمكن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شىء . . .) «سورة القصص» .

(فليعبدوا رب هذا البيت الذى اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) «سورة قريش» .

وقال فى وصف مكة : **(والتين والزيتون وطور سنين وهذا البلد الأمين)** «سورة التين» .

وقال مبشرا رسوله الكريم بفتح مكة : **(لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين)** «سورة الفتح» والا من جزاء للمؤمنين الذين لم يلبسوا ايمانهم بظلم . **(الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون)** «سورة الأنعام» .

(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا . . .) «سورة النور» .

والاسلام دين السلام وانتشر بالحكمة والموعظة الحسنة كما أمر الله بها **(ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة)** «سورة النحل» .

وكان انتشار الاسلام بالسرعة التى عرفها العالم سر عظمة الاسلام ولقد انتفع العقلاء لما أدركوا أن الاسلام دين الهدى ودين الحق فليس يجهل أحد أن الاسلام هو الدين الوحيد الذى ينتشر فى الأرض بدون إكراه دائما بدليل انتشاره فى بلاد الشرق الأقصى كالملايو وأندونسيا وما وراءهما من جزر المحيط الهادى ، ولم تصل اليها جيوش إسلامية للغزو ، ولكن طبيعة هذا الدين غزو القلوب فتفتحت لها العقول ، فآمنت برب العالمين وبكتابه المبين وبرسوله الكريم ، وقد علموا أن الاسلام يقيم العلاقات على المودة وعلى الوفاء والثقة واللقاء على التعاون فى بناء الحياة وعلى السلام وتبادل المنافع والمصالح حسب ما جاءت به الشريعة الاسلامية من إقامة الحياة على أساس مكين من الشورى والعدالة الاجتماعية والتكافل والمساواة وإزالة الفوارق المصطنعة بحسن النية وإيثار السلام القائم على العدل وحسن المعاملة بالتى هى أحسن (فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم . .) **(وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا)** «سورة النحل» .

وبالخلق القويم والمنهاج المستقيم انتشر الاسلام فأقام رسالته على تحرير رقاب الناس وعقولهم وضمائرهم وأرزاقهم من كل خوف . . وجهل . . . وتفرقة عنصرية وهو الذى حذر من الاغراء بالاثم والجريمة» .

ولقد أمر الاسلام أتباعه بالطهر الخلقى والجسمى ، وبطهارة السيرة ونقاء السريرة وبهذا السلوك أقبل الناس فى المشارق والمغارب على اعتناق الاسلام وذلك بالتفهم الواعى لعقائده ومناهجه ومعاملاته ولمحاربته للبدع والخرافات والأساطير وبتحكيم العقل والعلم فى القضايا الاجتماعية والاقتصادية ، وكل علم بغير إيمان وعقل فلا يعتديه ، وبالعلم والايمان تبنى الحضارة الاسلامية ، والمدنية الانسانية . وقد قال أحمد محرم فى وصف الاسلام وفى إنصافه :

هذى مواقفنا فى الدهر ناطقه
فاستنبئوها تريحونا من التهم
لا تظلموا الدين ان الدين يأمرنا
بما علمتم من الأخلاق والشيم

إن عزة العرب مستمدة من عزة الاسلام الذى يأمرهم بالوحدة والقوة والاعتصام بحبل الله لتكون قوتهم من قوة الله إذا ما عملوا بكتاب الله فى أنفسهم وفى أسرهم واستقامت حياتهم على مناهجه ، فان أعظم الناس ضلالا من اتبع هواه بغير علم ولا هدى من الله . والله يقول لرسوله الكريم : .

(فان لم يستجيبوا لك فاعلم إنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ؟) «سورة القصص» .

والله يهدى إليه من ينيب .

قبسات من زهد الفضلاء

روى الحافظ الذهبى : فى كتابه «تذكرة الحفاظ» فى ترجمة الامام ابن المقرىء : محمد بن إبراهيم الأصبهانى ، رضى الله تعالى عنهم قال :

روى عن أبى بكر بن على قال : كان ابن المقرىء يقول كنت أنا والطبرانى وأبو الشيخ (ابن حيان) بالمدينة فضاق بنا الوقت (أى فرغت أيديهم من النفقة) فواصلنا ذلك اليوم (أى واصلوا صومه بماسبقه من صيام)

فلما كان وقت العشاء ـ وقد أخذ منهم الجوع كل مأخذ ـ قال ابن المقرىء : فحضرت إلى قبر الرسول عليه الصلاة والسلام ، وسلمت عليه وقلت : يارسول الله الجوع : فقال لى الطبرانى : إجلس . فاما أن يكون الرزق ، أو الموت !

فقمت أنا وأبو الشيخ فصلينا لله تعالى ، وقمنا بعد ذلك إلى المنزل فما أن دخلناه ورددنا بابه علينا : حتى طرقه طارق . فاذا هو علوى ومعه غلامان بقفتين فيهما شىء كثير .

وقال العلوى : شكوتمونى إلى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم :

لقد جاءنى فى منامى وأمرنى بحمل هذا إليكم !

الأستاذ محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب

وروى الحافظ ابن رجب الحنبلى رضى الله تعالى عنه فى كتابه «نيل طبقات الحنابلة» فى ترجمة القاضى أبى بكر محمد بن عبد الباقى البغدادى البزاز الانصارى المتوفى سنة ٥٣٥ ببغداد . قال الشيخ الصالح أبو القاسم الخزاز ، الصوفى البغدادى : سمعت القاضى أبا بكر محمد بن عبد الباقى بن محمد البزاز الانصارى يقول :

كنت مجاورا بمكة ـ حرسها الله تعالى ـ فأصابنى يوما من الأيام جوع شديد : لم أجد ما أدفعه به . فبينما أنا مارا إذ وجدت إبريسم من إبريسم مشدودا بشرابة من إبريسم أيضا . فأخذته وجئت به إلى بيتى . فحللته فوجدت فيه عقدا من اللؤلؤ الثمين : لم تر العين مثله .

فعدت إلى المكان الذى وجدته فيه . فاذا بشيخ ينادى عليه ومعه خرقة فيها خمسمائة دينار . وهو يقول : هذا لمن يرد علينا الكيس الذى فيه اللؤلؤ :

فقلت ـ فى نفسى ـ انا محتاج ، وانا جائع . فاخذ هذا الذهب وانتفع به . وارد عليه الكيس .

فقلت له : تعال معى . واخذته وجئت به الى بيتى ، وسالته عن أوصاف الكيس ، فوصفه لى . ووصف ما بداخله : فاخرجت الكيس ودفعته إليه فسلم إلى الخمسمائة دينار : فابيت أن آخذها منه . وقلت : يجب أن أعيد إليك الكيس ، ولا آخذ له جزاء .

فقال لى : لابد أن تاخذه . فابيت إباء شديدا ، والح أخذه الحاحا اشد فلم اقبل ذلك منه فتركنى ـ آسفا ومضى .

وماكان منى : إلا المكث فى فقرى وجوعى . فرأيت مركبا فى البحر : قبلوا أن يحملونى معهم نظير خدمتهم فانكسر المركب ، وغرق من فيها . اما انا فتعلقت بلوح منها : فحملنى إلى جزيرة : يسكنها قوم لا اعرفهم ووجدت فيها مسجدا : صليت فيه ، وجلست اقرأ القرآن . فلما استمعوا لقراءتى : لم يبق واحد من الجزيرة إلا وجاء يطلب منى أن أعلمه القرآن .

وصاروا يمطروننى بهداياهم ، وأموالهم ، وطعامهم فحصل لى من ذلك خير كثير ، ثم انى وجدت بالمسجد بعض أوراق من مصحف . فلما راونى اقرأ فيها . قالو

ى : هل تحسن القراءة والكتابة ؟ فقلت : نعم . فقالوا : لمنا الكتابة . وجاءوا بصبيانهم لاعلمهم : فحصل لى ن ذلك مال وفير !

وفى يوم من الايام : جاء لى واحد منهم ، فقال لى : نا نراك وحدك : لا زوجة لك ولا ولد . الا تريد الزواج ؟ قلت بلى . إن كانت هناك زوجة صالحة فمرحبا ؟

فقال : عندنا صبية يتيمة ، وعندها فضل مال . فان شئت وجناكها .

فتوقفت قليلا . فألحوا على : فقبلت لما أراه من رغبتهم فى لك . مع سبق إكرامهم لى .

فلما زفوها إلى : مددت نظرى إليها فوجدت ما أدهشنى بهرنى : فقد وجدتها تتحلى بالعقد اللؤلؤ : الذى لم حصل ، ـ من صاحبه ـ على مكافأة لقياه !

فلما رأونى منشغل عنها بالتطلع إلى العقد : قال لى حدهم : يا هذا لقد كسرت خاطر هذه اليتيمة بالانشغال نها بما هو دونها : فقصصت عليهم قصة العقد : صايحوا وكبروا ، حتى سمع صياحهم وتكبيرهم أهل جزيرة . فقلت لهم : ما بكم ؟ فقالوا : إن صاحب هذا عقد هو الشيخ والد هذه الصبية وكان يقول ـ فى ياته ـ ما وجدت مسلما : أشد تقى . وأحسن إسلاما من ذا الذى رد على الكيس . ولم يقبل عنه مكافأة . وكان عو الله عقب كل صلاة : اللهم أجمع بينى وبينه ، حتى زوجه ابنتى !

وقد مكثت معها ما شاء الله أن أمكث ، وقد رزقت منها ولدين .

ثم أنها ماتت : فورثت العقد انا وولداى . تغمدها الله عالى برحمته !

وروى أيضا : الحافظ بن رجب الحنبلى . فى كتابه « نيل بقات الحنابلة » فى ترجمته للامام سيدى « عبد القادر جيلانى » شيخ الطريقة : المتوفى سنة ٥٦١ رحمه الله الى .

قال الشيخ عبد القادر : كنت فى ضيق من العيش ، حتى سطررت إلى أن أقتات بقرنوب الشوك وهونبات بشع فى سط الشوك ، وأكل قمامة البقل ، وورق الخس . الذى يلقى جوار النهر .

وبقيت أياما : أبحث عن هذه القمامة بجوار النهر : لا أجدها !

فجعلت أبحث عن موضع لم يسبقنى إليه غيرى : فوجدت ض المواضع غير أنى وجدت الفقراء أمثالى يتزاحمون يها فأتركهم : شفقة بهم ، وعطفا عليهم .

فرجعت أمشى فى طرقات البلد : فما وجدت من قمامة وقد سبقت اليها : حتى وصلت إلى مسجد يقال له مسجد ياسين ، بسوق الرياحين ببغداد . وقد أجهدنى الضعف ، من شدة الجوع ، وعجزت عن التماسك فدخلت المسجد ، وقعدت فى جانب منه ، وقد كدت أصافح الموت !

وبينما أنا كذلك : اذ دخل شاب أعجمى : معه خبز صاف ، وشواء : فجلس يأكل : فكنت أكاد ـ كلما رفع يده باللقمة ـ أن أفتح فمى من شدة الجوع حتى أنكرت ذلك على نفسى . فقلت ما هذا ؟ والله ما ههنا إلا الله ، أو ما قضاه من الموت !

وبينما انا احدث نفسى بذلك : إذ التفت إلى الأعجمى ، فلما رآنى قال : بسم الله يا أخى . فأبيت ان أجيبه تعففا ! فأقسم على . فبادرت نفسى إلى الاستجابة له : فخالفتها . فاقسم ملحا : فاجبته ، وأكلت متقاصرا .

فأخذ يسألنى : من انت ؟ وما شغلك ؟ وبمن تعرف ؟

فقلت انا متفقه من جيلان . فقال : وانا من جيلان ، وهل تعرف شابا جيلانيا يسمى عبد القادر . يعرف بسبطه أبى عبد الله الصومعى الزاهد ؟ فقلت : انا هو .

فاضطرب الأعجمى وتغير وجهه . وقال : والله لقد وصلت إلى بغداد ، ومعى بقية نفقة لى : فسألت عنك ، فلم يرشدنى احد إليك ، ونفدت نفقتى ولى ثلاثة أيام لا اجد قوتى : إلا ما كان لك معى ـ وقد حلت لى الميتة . فأخذت من وديعتك هذا الخبز والشواء . فكل هنيئا مريئا : فانما هو لك . وانا ضيفك الآن ، بعد ان كنت ضيفى !

فقلت له : وما ذاك ؟ فقال أمك وجهت لك معى ثمانية دنانير : فاشتريت منها ما ترى مضطرا ، وانا معتذر إليك عما فعلته بمالك !

فسكنته ، وطيبت خاطره ، ودفعت إليه باقى الطعام ، وشيئا من الذهب : الذى تبقى معه ، برسم نفقته فقبلته شاكرا وانصرف .

هذا وقبل أن نختم هذا الباب : نلحق به جوع أحد فضلاء المتأخرين « شيخ الاسلام : مصطفى صبرى » أحد شيوخ الاسلام فى الدولة العثمانية : المتوفى سنة ١٣٧٣ ـ رحمه الله تعالى .

فإنه حين هاجر بدينه من تركيا ، وترامت به البلاد حتى استقر أخيرا بمصر على فاقة ، وإملاق شديد ، وفقر مدقع ـ مع التجمل فى الظاهر ، والتجلد للشدائد : التى مرت به !

فلما نشرت الجرائد والصحف العالمية خبر صيام غاندى زعيم الهند : احتجاجا على سياسة الانجليز فى بلاده ، وأشادت بذلك : فأرتجت ـ بهذا النبأ ـ أرجاء العالم ، واستعظم ذلك كل الاستعظام .

أنشأ شيخ الاسلام مصطفى صبرى هذه الأبيات : مقارنا فيها بين جوعه : الدائم الصامت ، وجوع غاندى : العابر

الصاحب : الذى تحدثت عنه صحف العالم كما ذكرنا .

صام شيخ الهند الحديثة غندى
صومه المستميت ، والمتحدى
وأرانى على شفا الموت أدعى
شيخ الاسلام : بله هند وسند
غير أن الصومين : بينهما فرق
عجيب : أبديه من غير ود
صام مع وجده ، وصمت لعدم
دام : مذ ضفت مصر ، كالضيف عندى[1]
وغدا صومه حديث جميع الناس
أما صومى فأدريه وحدى
فى سبيل الاسلام : ما أنا لاق
ولئن مت : فليعش هو بعدى
فليعش رغم مسلمى العصر : دين
ضيعوه ، ولم يفوه بعهد
كان مثلى يموت جوعا ولا يعرف
لو كان شيخهم شيخ هند

●●●

هذا : ويحسن بنا أن نذكر ما قاله الصديق الصدوق الشاعر الكبير : الاستاذ على الجندى رحمه الله تعالى .

حيث قال فى مجاعة لحقت بأهل المدينة الأكرمين فى حين من الدهر القريب مخاطبا لهم :

ولو كنتم لعيسى أو لموسى
من الاتباع عمكم الرخاء
ولكن ضعتم ما بين قوم
أشحاء : وان الشح داء

وحقا : إن الشح داء : قال تعالى « ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » هذا ولا يزال الشح : واضحا فى كثير من الأمم : فلا ينفقون إلا ابتغاء شهرة ، أو رياء ، أو منا .

قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شئ مما كسبوا والله لا يهدى القوم الكافرين » فوسمهم المولى سبحانه وتعالى بعدم الأيمان به ، ولا باليوم الآخر وأنهم كافرون : محرومون من هداية الله تعالى لهم : وما أشده وأقساه من حرمان .

---

(١) يعنى بقوله « كالضيف عندى » انه كان ضيفا على مصر : فكان لا يجد شيئا فيها كما لا يجد الضيف عنده : سوى العدم والفاقة ، وعدم القرى : فلا حول ولا قوة الا بالله !

أما أخبار من أصيب بالعرى من فضلاء البشر فكثير ويضيق المقام عن ذكر جميعها . وسنكتفى بذكر بعضها مما نقل إلينا بالنقل الصحيح ، فى أوثق المصادر .

روى التاج السبكى فى كتابه « طبقات الشافعية » ترجمة الامام أبى اسحق الشيرازى : إبراهيم بن على المتوفى سنة ٤٧٦ ببغداد .

قال ابو العباس الجرجانى : كان ابو اسحق الشيرازى لا يملك شيئا من حطام الدنيا . فبلغ به الفقر مبلغه : حتى انه لا يجد قوتا ، ولا ملبسا .

وقال الخطيب البغدادى : فى ترجمة (أبى العباس : احـ ابن عبد الرحمن الأبيوردى) الفقيه الزاهد .

قال : كان متجملا فى فاقة :

يقال : انه مكث سنين . لا يقدر على شراء جبة : يلبسها الشتاء ، ويقول لأصحابه : بى علة تمنعنى لبس المحشـ (يريد بذلك لبس الثقيل) .

يقول ذلك : خوفا من أن يهديه أحدهم جبة تقيه بـ الشتاء :

ولم تكن علته : سوى الفقر الذى لا يفارقه !

وحكى المؤرخ النسابة : السمعانى . فى « الذيل » شيخه ابن اسحق على بن أحمد اليزدى : أنه كان له عما وقميص . بينه وبين أخيه . إذا خرج ذاك قعد هذا فى البيت وإذا أخرج هذا : احتاج ذاك أن يقعد فى البيت .

قال السمعانى : دخلت عليه داره ، مع على الحسين الغزنوى الواعظ : فوجدناه عريانا : متا بمئزر . فاعتذر من عريه قائلا : نحن إذا غسلنا ثياب نكون كما قال القاضى ابو الطيب الطبرى :

قوم إذا غسلوا ثياب جمالهم
لبسوا البيوت : إلى فراغ الغا

وحكى الخطيب البغدادى ـ فى ترجمته للبخارى ـ تاريخ بغداد : قال : قال عمر بن حفص الأشقر : انهم فقـ البخارى أياما : من كتابة الحديث بالبصرة .

قال فطلبناه . فوجدناه فى بيته عريانا ، وقد نفذ ما عنـ من مال ولباس : ولم يبق معه شئ . فاجتمعنا وجمعنـ بعض الدراهم اشترينا بها ثوبا كسوناه إياه .

فاندفع معنا فى كتابة الحديث : كما كان يفعل من قبل

هذا وما قدمناه : ليس بالحكاية ، ولا الرواية : إنما من صميم ما لاقاه الأكابر : فى حين تنعم بالخير الأصاغر .

البقية ص ٢

الله

جل جلاله

إن الله جل جلاله ، استمع لنبيه موسى يناجيه ذات يوم قائلا : يارب أى عبادك أحب إليك ؟ قال الذى يذكرنى ولا ينسانى . قال يارب فأى عبادك أقضى ؟ قال الذى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى . قال يارب فأى عبادك أعلم ؟ قال الذى يبتغى علم الناس لنفسه ، عسى أن يصيب ما يهديه إلى الهدى ، ويرده عن الردى . قال يارب فهل فى الأرض أحد أعلم منى ؟ قال نعم . قال ومن هو يارب ؟ قال الخضر . فقال موسى وأين أجده ؟ قال الله جل جلاله على الساحل عند الصخرة التى تفقد عندها الحوت .

فضيلة الشيخ أحمد على منصور

وقال عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما : لما ظهر وسى وقومه على فرعون وأعوانه ، واستقربهم المقام ، أنزل عليهم المن والسلوى ، وقف موسى يخطب قومه ، يذكرهم بنعم الله تعالى عليهم ، وكان من كلامه لهم فى هذا يوم : إن الله تعالى قد نجاكم من آل فرعون ، وأهلك عداءكم ، ومكن لكم فى الأرض ، وكلم نبيكم تكليما ، وكلمه قربه نجيا ، وألقى عليه محبة منه . ولم يترك نعمة قد أنعم ه تعالى عليهم بها ، إلا وذكرهم بها ، وعرفهم إياها : هض رجل من بينهم وقال :

يانبى الله : هل على وجه الأرض أحد أعلم منك ؟ فقال وسى عليه السلام : لا فعتب الله عز وجل عليه فى ذلك نه لم يرد العلم فى هذا الأمر إلى مولاه ، وقال له

ياموسى وما يدريك أين أضع علمى ، وإن لى عبدا بمجمع البحرين هو الخضر أعلم منك . فقال يارب أين أراه ؟ قال عند مجمع البحرين بالساحل ، حيث تفقد الحوت . وأخذ موسى فتاه يوشع بن نون وكان يتبعه ويخدمه ، ويأخذ عنه العلم ، وتوجها لمجمع البحرين ، ويحمل يوشع مكتلا فيه حوت لغدائهما ، وقال موسى لفتاه ، لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا ، يعلمه بهذا أن لا يزال يسير بصحبته ، حتى يصل إلى ملتقى بحر فارس وبحر الروم ممايلى المشرق عند الصخرة والساحل ، حيث العبد الصالح الخضر وإن قضى فى هذا السير حقبا ودهرا طويلا ، حتى يدرك المكان المقصود . وسار موسى وفتاه تكلؤهما عناية الله تعالى وجدا فى السير مدة طويلة ، حتى بلغا مجمع البحرين ، بعد جهد ومشقة ، وأويا هناك إلى صخرة ناما بجوارها من التعب ، وأصاب الحوت ماء ، فدبت فيه الحياة بقدرة الله جل جلاله ، واتخذ سبيله فى البحر سربا .

واستيقظ موسى وفتاه واستانفا سيرهما بجد وعزم ، إلى وقت الغداء من اليوم الثانى ، وأخذ الجوع منهما مأخذه ، فقال الكليم ليوشع « آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا » فقال الفتى أرأيت إذ أوينا الى الصخرة فانى نسيت الحوت ، وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره ، واتخذ سبيله فى البحر عجبا) وهنا قال موسى ذلك ماكنا نبغى ، ورجعا على آثار مشيهما من الصخرة إلى موضع المحاورة ، يقصانها ويتتبعان هذه الآثار فى أنتباه وحكمة حتى انتهيا ثانية إلى الصخرة والساحل عند مجمع البحرين .

ولقيا بهذا الموضع الأغر عبدا من عباد الله الصالحين ، هو الخضر واسمه على أشهر الروايات : مليا بن ملكان من نسل سام ابن نوح عليه السلام ، وسمى بالخضر لأنه جلس ذات يوم على فروة بيضاء ، فاهتزت تحته خضراء ، أو لأن المكان الذى كان يصلى فيه ، يخضر به كل شىء حوله ، وقد آتاه الله جل جلاله رحمة من عنده ، وهى النبوة عند بعض العلماء ، أو الولاية وعليه الأكثرون ، ورأى فيه الكلام إنسانا صالحا ، نحيف الجسم ، تلوح على وجهه إمارات التقوى ، ومراقبة الله عز وجل ، وحيا كل منهما الآخر ، وبادره الخضر بقوله :

أأنت موسى نبى بنى إسرائيل ؟ فقال له نعم ، ومن أعلمك بذلك ؟ فقال الله القوى القادر الذى بعثك إلى ووجد الكليم نفسه فى مفترق الطرق بين حياة عاشها فى قومه ، وتشرف خلالها بمناجاة ربه فى لحظات ذهبية من عمره ، وبين فترة كريمة من الزمن ، سيقضيها فى ظلال هذا العبد الصالح ، الذى علمه الله تبارك وتعالى من لدنه علما ، لا يقدره حق قدره ، إلا من تفضل عليه به

جودا وكرما ، فقال موسى للخضر « هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا » وصوابا أرشد به فى حياتى ، وينير أمامى طريق السداد ، إذا التوت الطرق والمسالك وهذا يشهد بفضل العلم ، لأنه أفضل ما طلب وجد فيه الطالب ، وأشرف ما كسب واقتناه الكاسب ، وطلاب العلم إن كانوا من أقل الناس عاشوا كراما ، وإن كانوا من أوساطهم ساروا نواما ، وإن كانوا من خيارهم صاروا نجوما وأعلاما ، والله جل جلاله يرفع الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات .

وذات يوم سئل الامام على ، رضى الله تعالى عنه وكرم وجهه : أيهما خير العلم أم المال؟ فقال نضر الله تاريخه : العلم خير من المال ، لأن العلم يحرسك وانت تحرس المال ، ولأن العلم ميراث الأنبياء والصالحين ، والمال ميراث الجامعين الكانزين ، ولأن العلم حاكم والمال محكوم عليه ، ولأن العلم يزكو ويزيد بالانفاق والمال ينقص بالنفقة ويضيع بالأسراف ، ثم قال :

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم
على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرىء ما كان يحسنه
والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففز بعلم تعش حيا به أبدا
الناس موتى وأهل العلم أحياء

ولما رغب موسى فى صحبة الخضر حينا من الدهر ، يتعلم أثناءه منه شيئا مما علمه الله ، ليرشد به فى معترك الحياة قال الخضر « إنك لن تستطيع معى صبرا » وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا ؟ ويروى الثقات هنا أنه أتبع قوله هذا يا موسى إنى على علم من الله تعالى علمنيه ، ما لا تعلمه أنت ، وأنت على علم من الله تعالى علمكه الله لا أعلمه أنا ، ثم هبط طائر على قرب منهما وتحت سمعهما وبصرهما ، على شاطىء البحر ، وأخذ بمنقاره نقطة من مائه ، فقال الخضر لموسى : وليس علمى وعلمك يا موسى أمام علم الله عز وجل ، إلا كما أخذ هذا الطائر بمنقاره الآن من ماء البحر ، ولو أن مياه البحار وسبعة أمثالها صارت مدادا ، وفروع الأشجار كلها قطعت أقلاما وجمع الله الأولين والآخرين من الأنس والجن كتابا ، وجلسوا على شواطىء البحار ، وتناولوا الأقلام وحاولوا أن يدونوا علم الله تعالى لعجزوا ، ولما نفذ علم الله يا موسى .

فقال له الكليم « ستجدنى إن شاء الله صابرا ، ولا أعصى لك أمرا » وقيد هنا بمشيئة الله جل جلاله ، على عادة الأنبياء والصالحين ، لأنهم لا يثقون بأنفسهم طرفة عين ، فقال له الخضر : فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شىء حتى أحدث لك منه ذكرا . وقبل موسى عليه السلام شرطه ، وألا يسأله عن شىء ينكره منه ، حتى يذكره له بعلته ، رعاي لأدب المتعلم مع العالم .

وانطلقا ووراءهما الفتى يمشيان على ساحل البحر يريدان الشاطىء الآخر ، ولمحهما القائمون بأمر سفين فأتوا إليهما وركب الثلاثة بلا مقابل إلى الشاطىء الثانى فنزع الخضر لوحا من قاعها ، فقال له موسى « أخرقته لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا » غير محمود فى دني الناس ، فقال له الخضر « ألم أقل إنك لن تستطيع معى صبرا » فقال موسى « لا تؤاخذنى بما نسيت ، ولا ترهقنى من أمرى عسرا » يطلب منه معاملته باليسر والعفو وعدم مؤاخذته على نسيانه الوفاء بما التزم ، وترك الانكار عليه فيما يفعل .

وانطلقا بعد خروجهما من السفينة يمشيان ، يتبعهم يوشع بن نوق ، فلقيا أولادا يلعبون ، وبينهم صبى أحسنه وجها وأبهاهم منظرا ، فأخذه الخضر بيده وأضجعه وذبح بسكين ، أو نزع رأسه من جسمه بيده بشدة ، أو ضرب رأسه بالجدار ضربا قويا حتى قتله ، ففزع موسى لهذ الحادث الذى وقع فجأة وبلا مقدمات ، وقال له « أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا » يريد إنا قضيت على نفس طاهرة ، بغير قتل نفس ، ونند تستحق به إزهاق الروح ، وهذا أمر منكر . فقال ل الخضر « ألم أقل لك إنك لن تستطيع معى صبرا » فزاد فى هذا الموضع لعدم العذر هنا . وقال موسى « إن سألت عن شىء بعدها فلا تصاحبنى ، قد بلغت من لدنى عذرا » يعنى إذا سألتك عن أى شىء بعد قتل الغلام ، كنت فى ح من مفارقتى ، وقد وصلت إلى الحد الذى لا لوم عليك فـ إن فارقتنى عند سؤالى لك بعد هذا الأمر .

وانطلقا ومعهما الفتى ، حتى بلغا انطاكية ، وطلبا م أهلها الطعام والضيافة ، فأبوا ذلك ، ولما وهما خارجا من هذا البلد جدارا مرتفعا ، يوشك على الانهيار والسقوط لميلانه ، فأقامه الخضر وعدله بيده حتى استقام فقال ل موسى : [لو شئت لاتخذت عليه أجرا] لأنهم لم يضيفونا م حاجتنا إلى الطعام فقال له الخضر [هذا فراق بينى وبين سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا] وصرح له بأ السفينة لمساكين يعملون فى البحر ، مؤاجرة لها طلبا للعيش والكسب ، فعابها بنزع لوح منها ، لأن الملك فى عهدهم عا ظالم ، وسيرسل أعوانه هنا وهناك ، لأخذ كل سفي صالحة غصبا لحسابه ، فاذا رأوها معيبة تركوه للمساكين ، وتستأنف عملها بعد دق اللوح فيها بموضعه وهذا من السهولة بمكان وأحسن من أخذها ظلما والمساكين فى أشد الحاجة إليها . وأما الغلام فقد طب كافرا ، ولو عاش لأرهق والديه طغيانا لمحبتهما له ، فتبعا على كفره ، وسيبدلهما الله تعالى خيرا منه صلاحا وتقوى

وأقرب رحما وطاعة وبرا، قال الثقات وتحقق ذلك، فمنحهما الله جل جلاله فتاة تزوجت نبيا، وولدت نبيا، هدى الله تعالى به أمه.

وأخبره عن الجدار بأنه لغلامين يتمين فى المدينة، وتحته كنز ومال مدفون من ذهب وفضة، وكان أبوهما صالحا، فحفظا به فى أنفسهما وما لهما، فاذا تركت الجدار مائلا ياموسى وقع والولدان طفلان، فامتدت الأيدى إلى كنزهما واستولت عليه بغير وجه حق، وإذا عدلته بأمر الله بقى قائما، حتى يبلغ اليتيمان أشدهما ويدركا سن رشدهما، ثم يستخرجا كنزهما، رحمة بهما ولصلاح والدهما، وما فعلت ما رأيت يا موسى عن أمرى، واختيارى وإرادتى بل بأمر وإلهام من الله العلى العظيم، وذلك تأويل ما لم تطق عليه صبرا.

وفى مشهور الروايات بهذا الصدد، أن الخضر قال ياموسى تلومنى على خرق السفينة ،ولم يدخلها الماء وحفظها الله للمساكين ولم يغرق أهلها، ونسيت نفسك حين القتك أمك فى اليم رضيعا، فرعاك العلى القدير برعايته، وتلومنى على قتل الغلام المطبوع على الكفر بغير سبب، ونسيت نفسك حين أزهقت روح القبطى دون أمر، وتلومنى على عدم أخذ الأجرة، على إقامة الجدار المائل، ونسيت نفسك حين سقيت غنم شعيب لابنتيه حسبة لله تعالى. وقال إمام الهدى سيدنا ومولانا محمد صلوات الله وسلامه عليه: «ليت أخى موسى سكت، وليته روى لنا من أعاجيب الخضر ما روى».

وقد ورد بكتاب قصص الأنبياء، لأبى إسحاق أحمد بن محمد بن إبرهيم النيسابورى رحمه الله، عند هذا البحث:

وإن الله تعالى ليحفظ للرجل الصالح ولده وولد ولده، وبقعته التى هو فيها، والديار من حوله، فما يزالون فى حفظ الله عز وجل وستره. وكان سعيد بن المسيب رحمه الله، إذا رأى ابنه يقول له: لأزيدن فى صلاتى يابنى من أجلك، لعل الله تعالى يحفظك ودعا هارون الرشيد برجل من العلويين ليقتله، فلما أدخل عليه أكرمه وخلى سبيله، وسأل الناس العلوى عن السر فى نجاته، فقال: قلت فى نفسى حين أدخلت عليه، اللهم يامن حفظ الكنز للصبيين لصلاح أبيهما، احفظنى من الرشيد بصلاح آبائى فأطلق سراحى. وقال النيسابورى رحمة الله عليه ورضوانه:

وقال يحيى بن إسماعيل بن سلمة: كانت لى أخت أسن منى تدعى بحة، وقد تقدم بها العمر حتى اختلطت، وقل عقلها، وكانت تقيم وحدها بغرفة بالسطح صيفا وشتاء، وتقبل حين تعقل على الطهور والصلاة، ثم اعتراها مرض الزمها غرفتها، وعجز الجميع عن علاجه. وبينما أنا نائم ذات ليلة فى نصف الليل إذا بباب بيتى يدق. فقلت من؟ فقالت أختك بحة، فقمت مسرعا وفتحت الباب فدخلت وقلت لها يا أختى خيرا. فقالت يا أخى خيرا إن شاء الله، أتانى الليلة آت فى منامى فقال **إن الله تعالى حفظ أباك بجدك سلمة، وحفظك بأبيك اسماعيل فضلا منه ورحمة، فان شئت دعوت الله تعالى ليذهب ما بك وإن شئت صبرت ولك الجنة. فقلت بل الصبر والجنة، وإن فضل الله تعالى لعظيم، ولو شاء لجمعهما لى، فشرع يدعو لى بذلك وأنا أستمع إليه، وأخيرا بشرنى بأن الله عز وجل قد جمعهما لى، فقمت على الفور نشيطة، وجئتك الآن مسرعة، والله ذو الفضل العظيم. اللهم اغفر ذنوبنا، واستر عيوبنا، واجعل التوفيق حليفنا، وبلوغ المقصود رائدنا، فانت على كل شئ قدير.**

بقية مقال «الدعوة الى السلام عبر دماء الشهداء»

وكم فى تاريخنا الاسلامى من سعود، حملوا سلاحهم دفاعا عن الحق، ونشرا للسلام، وفى عصرنا الحاضر خاضت أمتنا المجاهدة معركة العاشر من رمضان، وسالت دماء غزيرة على أرض المعارك، واختار الله من خيرة الشباب المؤمن شهداء أكدوا أصالة أمتنا المؤمنة، وقدمت مصر فى معاركها المتواصلة مائة ألف شهيد من خيرة شبابها استقبلتهم السماء فى حفاوة وابتهاج، وقدمت لهم تحية إجلال، وتحية استقبال، ومن خلال هذه التضحيات، وعبر هذه الدماء العزيزة، دعونا إلى السلام العادل، من منطلق القوة، ومن قمة الانتصار، دعونا إليه، لنخفف من أنات الضعيف العانى، وضيعة الطفل اليتيم وحيرة الأم الثكلى، ووحشة الزوجة الأرملة.. دعونا إليه لننطلق إلى البناء والتعمير، بدلا من التخريب والتدمير.. حتى نلحق بركب التطور، فى زمن لا يحيا فيه إلا الأعزة الأقوياء، دعونا إليه لتتحقق لجماهيرنا الكادحة أمن بعد قلق. وراحة بعد عناء. ووفرة بعد حرمان.. وبذلك تتحقق فى النفس السكينة، وفى العيش الرضا، وفى الله الأمل.. دعونا إليه لنعيش أصدقاء للحياة، نحترم كل كائن حى. ولا نعتدى على أحد طالما أنه لا يعتدى علينا.

[فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم. وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا]..

إننا سنظل دعاة للسلام، وحماة له.

اللهم أنت السلام.. ومنك السلام، فحينا ربنا بالسلام ☆

دعائم السلم فى ضوء الوحى والتاريخ

الدكتور
زكى مشعل

اللهم إنا نتوكل على القوى العزيز الوهاب ضارعين إلى عزته وجلاله مخلصين أن يهيىء عزة النصر وقوة الأسباب ، فقد صدق جل ثناؤه فى تنزيله المحكم « إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد » .

وإنا لنرجو وندعو أن يمن ربنا سبحانه علينا بأن يشد أزرنا إنه حسبنا ونعم الوكيل من المعلوم أن الانسان يقف بين قوتين خلقه الله بهما ، وإن حياته موزعة بينهما ولا غنى له عنهما ، وإن هاتين القوتين لا يجهلهما مخلوق أبداً ، إنهما قوتا الخير ونزعة الشر « سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا » .

وعلى ذلك فلو ترك الانسان ونفسه تتجاذبه القوتان لما استطاع أن يحقق التوازن بينهما ، وربما غلب شره خيره فكان فساده وإفساده أكثر من صلاحه وإصلاحه وهذه طبيعته فان الحق سبحانه يقول « إن الانسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعا إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون » وإذن فانه لابد للقوة الخيرة فى فطرة الانسان من مدد يعينها وينميها ويزكيها ليستطيع الانسان أن يحول بينه وبين مسالك الشر ومنافذ السوء والطغيان وليستطيع استخدام غريزتى الشهوة والغضب فيما يحفظ عليه نوعه وكيانه ، ولكن ما الذى يمكن أن يفترض مدداً لقوة الخير حتى يسلم من قوة الشر أو تخف نزعاتها وأضرارها ؟

يمكن أن يقال إن الفكرة العقلية التى يضع الانسان مقاييسها ويحدد بها موازين الخير والشر والفضيلة والرذيلة وهذا الغرض هو الذى تصير بمقتضاه الأمم المتحضرة ويتحكم به الفلاسفة والمفكرون وأرباب القوة والمال فى تنظيم الحياة ، وإن العقلاء المتدينين قد أدركوا أن هذا الغرض لا يغنى من الحق شيئاً ولا يستطيع أصحابه ومخترعوه أن يصلوا به إلى الحكمة المقصودة من خلق الانسان وكونه خليفة فى أرض الله ليعمرها ويصلحها فينشر بين أرجائها روح الأمن والطمأنينة والأمان والمحبة والاستقرار والسلام ولكى تنتصر القوى الخيرة فى الفطر الانسانية حقاً فلا بد لها من مدد سماوى إلهى قد علم الله أن عباده لا ينتفعون بمدد سواه وحسبنا هذه الآية الكريمة **« فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى »** وهذا المدد قد آمنت به الأرواح الصافية والعقول الزاكية المؤمنة بمهمة الانسان فى هذه الحياة ولقد ثبت أنه منذ ذلك التاريخ الأول لوجود البشرية على الأرض أنه بدأ ووقع صراع بين بنى آدم بعضهم إلى بعض ، وكان أساس هذه التصارعات ومبدئها ما وقع بين الانسان الأول آدم وبين اللعين الأول إبليس حيث زين لبنى آدم من أسباب الغواية وما يثير فى نفوسهم من نزعات الشر والعدوان وإن أول صراع على هذه الأرض وقع وحدث بين ابنى آدم قد سجله الوحى الصادق قرآنا يتلى ، فان قابيل وهابيل قدما كل منهما قربانا لله سبحانه فتقبل الحق من أحدهما ولم يتقبل من الآخر وهذا يشير إلى معنى دقيق هو التحذير من مداخل الشر حتى فى مجال الخير .

يقول القرطبى : « إن قابيل تقرب بحزمة سنبل لأنه كان صاحب زرع واختارها من أردأ زرعه ثم إنه وجد فيها سنبلة طيبة ففركها وأكلها . . .

وكان قربان هابيل كبشا لأنه كان صاحب غنم ، أخذه من أجود غنمه فتقبل الله قربان هابيل ، ولم يتقبل قربان قابيل »

والآية الكريمة التى تحكى هذه القصة هى **« واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر ، قال ، لأقتلنك ! قال : إنما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى اليك لأقتلك إنى أخاف الله رب العالمين . إنى أريد أن تبوأ بإثمى وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين »** .

فمن ثم يومئذ وقع بذور الحرب وسفك الدماء وهذا الصراع الطويل الممتد بين الحق والباطل وبين الظلم والعدل وبين القوى والضعيف سواء فى ذلك بين الأفراد بعضهم إلى بعض أو بين الحاكمين والمحكومين .

فإن ذلك يجعلنا نقول إن الحرب أولا فى شريعة الحياة فاذا لم يشنها إنسان باغ معتد على غيره فانه مضطر أن يخوضها لرد البغى ودحر العدوان والدفاع عن النفس من أجل ذلك تتقرر حتمية الجهاد ، والحق سبحانه يقول **« ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين »** وكلنا معشر المسلمين والمسلمات قد علمنا من وحى الحق ما نزل لارشاد المجاهدين الأولين فى غزوة بدر حيث قال لهم ربُهم **« أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله »**

ومعلوم أن نبينا قد لقى ثلاث عشرة سنة من قريش بمكة مالا يطاق وكان المستضعفون من أصحابه يسامون العذاب كبابا لنار أو ضربا بالحديد والأحجار ، وقد جعلوا حياتهم ثمنا وفداء لاصرارهم على التمسك بدينهم فى مواجهة كل هذه التحديات ذلك أن المنهج الاسلامى فى تربية النفوس يحرص كل الحرص على تأصيل فضيلة الصبر واحتمال المكاره فى سبيل الذود عن العقيدة وحمايتها .

وقد وعد الحق عباده المؤمنين المخلصين المتبعين هدى نبيهم بالنصر والتأييد على عدوهم فقال جل ثناؤه **« فاصبر إن وعد الله حق ، ولا يستخفنك الذين لا يوقنون »** وحينما اشتد الأمر على المسلمين ذهب الصحابى الجليل عبد الرحمن بن عوف ومعه أصحابه إلى الرسول الكريم فقالوا يا رسول الله كنا فى عزة ونحن مشركون ، فلما آمنا صرنا أذلة ! فيجيب الرسول عليه السلام « انى أمرت بالعفو فلا تقاتلوا القوم » وكان ﷺ يقول : لم أومر بالقتال . . .

وهذا الأثر النبوى الشريف يدلنا صراحة على أن العفو والسلام أساسان فى الاسلام وأن القتال لم يؤذن به إلا بعد أن اتخذ الرسول أكثر وسائل الاقناع والمصابرة طوال ثلاث عشرة سنة .

وفى هذا المقام نذكر ما ورد عن الامام ابن تيمية من معلومات وإرشادات فقهية مقارنة عن سياسة الحرب فى الاسلام فيقول : إن الجمهور يرون أن الأصل فى مشروعية القتال هو الاعتداء وليس الكفر أو المخالفة فى العقيدة وقد استدل ابن تيمية على ذلك بكثير من الآيات مثل قوله تعالى :

« وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » إلى قوله تعالى « فان انتهوا فان الله غفور رحيم وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين » .

فيقرر ابن تيمية العالم الجليل قائلا بناء على ذلك : إن الأصل فى علاقة المسلمين بغيرهم هو السلم وإن القتال لا يكون الا فى حالة العدوان فاذا كان القتال لأجل الحرب فكل من سالم ولم يحارب لا يقاتل سواء أكان كتابيا أم كان مشركا » .

ويقول الله تعالى « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » .

ثم يبين هذا العالم الجليل أن اختلاف العقيدة لا يكون سبباً فى القتال مستدلا بقوله سبحانه : « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » ويقول ابن تيمية : إنا لا نكره أحداً على الاسلام ولو كان الكافر يقتل حتى يسلم لكان هذا أعظم الاكراه على الدخول فى الدين » .

وقد أيد هذا موقف رسولنا صلوات الله عليه دون اليهود والنصارى فى جزيرة العرب فان نبينا عليه السلام حين قدم المدينة ودعا يهود المدينة وعاهدهم فاقرهم على دينهم وأمنهم على أموالهم وظل وفياً لعهده معهم حتى نقضوه .

وكذلك حين حضر وفد نصارى نجران إلى المدينة بعد إذ دعاهم الرسول ﷺ للاسلام مكثوا فى ضيافته أياما وهم يجادلونه فى دعوته وظلوا على عقيدتهم مصرين ومع ذلك فقد أكرمهم رسولنا العظيم وسمح لهم بالصلاة فى مسجده ثم ودعوه وعادوا إلى بلادهم دون أن يعتنقوا الاسلام .

وإن التاريخ الاسلامى يثبت أن الفتوحات الاسلامية للشام ومصر وغيرها أعطى الحكام المسلمين العهد لأهل هذه البلاد بأن يظلوا على دينهم وكفلوا لهم حريتهم فى عبادتهم وعملوا على حرمة معابدهم فمن دخل منهم فى الاسلام كان بمحض رغبته واقتناعه .

وقد ثبت أن الاسلام العظيم فى سماحته ويسره حتى فى حالة القتال المشروع لا يتعدى المقاتلين من الأعداء إلى غيرهم من الشيوخ والنساء والأطفال والمنقطعين للعبادة أولئك هم الذين لا يشاركون قومهم فى القتال وأعظم برهان على هذا ما جاء فى وصايا الرسول الأمين صلوات الحق عليه قوله : « اغزوا باسم الله فى سبيل الله من كفر بالله . لا تغدروا . ولا تغلوا ولا تقتلوا وليداً ولا امرأة ولا كبيرا فانياً ولا منعزلا بصومعته ولا تحرقوا نخلا ولا تقطعوا شجراً ولا تهدموا بناء » .

ويجب أن يعلم كل مسلم ومسلمة أن الاسلام لم يكن يستهدف فى حروبه على مشارف الجزيرة العربية وفيما وراءها إلا القضاء على الطغاة المتجبرين من ملوك الفرس وقياصرة الروم وتحرير ما تحت أيديهم من الشعوب ولهذا كان القتال قاصراً على الجيوش المتحاربة دون التعرض لعامة الناس بأى سوء من أجل ذلك رأينا بعض الشعوب كانت تعين الجيوش الاسلامية على حكوماتها الباغية وتمد لها أسباب النصر ، ليتحقق لهذه الشعوب هدف التحرير وحماية العقيدة وإرساء دعائم الأمن والسلام .

فقد ثبت أن خاتم النبيين القائد الأول للدعوة الاسلامية حينئذ يخرج للقتال ويتوجه إلى ربه بهذا الدعاء « اللهم أنا عبدك وهم عبادك نواصينا ونواصيهم بيدك اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم » .

فرسولنا بهذا الدعاء يستشعر ويعلمنا هذه المواقف الانسانية التى تجمعه بهؤلاء الأعداء فيحتكم فى شأنهم إلى رب العالمين ، وقد اضطر لقتالهم فيسأل ربه النصر عليهم لتنتصر وتعلو كلمة الله فهذه الحرب قطعاً ويقيناً جهادا خالصا باسم الله وفى سبيل الله .

وقد ذهب رسولنا الرحيم فى سياسة الحرب إلى أبعد من ذلك فانه لم يكن أحب إليه من تاليف القلوب وحقن الدماء فلهذا كان يقول لجيوشه : « تالفوا الناس ، وتانوا بهم ولا تغيروا عليهم حتى تدعوهم إلى الاسلام فيما على الأرض من أهل مدر ووبر إلا أن تاتونى بهم مسلمين أحب إلى من أن تاتونى بابنائهم ونسائهم وتقتلوا رجالهم » .

ومن الوصايا المحمدية الكريمة قوله عليه الصلاة والسلام . . لا تقاتلوا حتى تدعوهم فان أبوا فلا تقاتلوهم حتى يبدأوكم ، فان بدأوكم فلا تقاتلوهم حتى يقتلوا منكم قتيلا ثم أروهم ذلك القتيل وقولوا لهم : هل إلى خير من هذا سبيل ؟ فلئن يهدى الله على يديك رجلا واحداً خير لك مما طلعت عليك الشمس وغربت » .

وظلت هذه السنة الحميدة متصلة بين الراشدين الخلفاء فلقد عزل عمر رضى الله عنه خالد بن الوليد وكان عمر يقول : إن فى سيف خالد رهقا أى إرهاقا وشدة لكثرة ما يقتل من الأعداء وكان عمر رضى الله عنه يمتدح الصحابى الجليل الفاتح الاسلامى فاتح مصر عمرو بن العاص فيقول تعجبنى حرب ابن العاص إنها حرب رفيقة سهلة وتلك الوصايا المحمدية الاسلامية التى سمح بها الاسلام إنما هى ضوابط وقيود لنوازع الحرب كى لا تكون حربا باغية علماً بأن الحرب أو القتال له وجه فى الاسلام آخر وهو الصدق عند اللقاء وأخذ العدو أخذا شديداً .

يقول تعالى : « يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين » .

ومن سماحة ويسر الدين الاسلامى أنه يميل ويجنح إلى السلام ويستجيب له دعوة إلى حقن الدماء بين الناس جميعا يقول تعالى « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم » وقد تكون الدعوة إلى السلم

البقية ص ٣٢

الدعـوة الإسـلامية والإعـلام

الإســـــلام إعــلام داخلى وخارجى

● الأستاذ محمد كمال الدين ●

أشرنا فى المقال السابق (عدد شهر المحرم ١٣٩٨ من منبر الاسلام) بايجاز إلى أن الاعلام الحديث ـ كعلم ـ يتخذ نوعين من الاعلام وسيلة لمنهجه هما الاعلام الداخلى والاعلام الخارجى، ويكاد العلماء ـ أمثال ديلبور شرام وكلود شانون ووارن ويفر ودافيد برلو ـ يجمعون على أهمية هذين النوعين من الاعلام ويزيدون فيه شرحا وتوضحيا ..

فالاعلام الداخلى ـ فى رأيهم ـ هو الاتصال الداخلى بين لحاكم والمحكوم، وبين الدولة والمواطن، وهو الاتصال بين جهاز وجهاز داخل الدولة، ولكنه لا يعبر الحدود إلى لخارج، فهو اعلام بطبيعته داخلى لا يتجاوز حدود الدولة، يهدف إلى إيجاد صلة قوية بين الأفراد والجماعات ونشر بادىء الفرد أو الجماعة داخليا، وهو يتيح للفرد داخل لدولة المشاركة فى العمل السياسى أو الاجتماعى أو الفكرى لدولة، ومن ثم كان واجب الدولة أن تطلع الفرد على لحقيقة وألا تخفى عنه شيئا لكى تضمن ولاءه لها، وإيمانه مبادئها، وفى هذا النوع من الاعلام يكون المرسل والمرسل ليه على اتصال مباشر ومستمر ببعضهما البعض، وبفضل ذا الاتصال يمكن تصحيح مسار الخط الاعلامى إذا حدث ه خطأ أو بعد عن الهدف، أو على الأقل يمكن اكتشاف هذا خطأ، أو معرفة مواطن القوة أو الضعف فيه، وبفضل هذا لاتصال المستمر يمكن التنسيق والتلاقى والتشاور والتدبر ى أى أمر بينهما على المستوى الفردى أو الجماعى.

والاعلام الخارجى ـ فى نظر العلماء أيضا ـ هو الاتصال بين الدولة والدول الأخرى خارج حدودها، وهو أداة لتنفيذ سياسة الدولة فى الخارج، وهو ينبع من الدولة لا من الأفراد. فهو امتداد لسياسة الدولة فى الخارج، ولذلك كانت لغته هى لغة المصالح المشتركة بين الدول يلزم فيها الاقناع والاقتناع المتبادلان لتنفيذ فكرة أو نشر مبدأ، ولهذا أيضا ينبغى أن يقوم هذا النوع من الاعلام بعد دراسة وتمحيص وروية وتخطيط طويل، بحيث تجد الدعوة صداها بأسرع ما يمكن، وفى هذا النوع يكون المرسل بعيدا عن المرسل إليه ولذلك يجب استغلال الفرص المتاحة ومعرفة الظروف المناسبة لنشر المبدأ أو إعلام الطرف الآخر بشىء، ولذلك كانت من أهم سمات الاعلام الخارجى الحذر والكياسة وعدم المبالغة وبعد النظر والقدرة على التنبؤ وسعة المعلومات، والصلاحية لفهم الطابع المميز خارج الحدود، مع القدرة على إجراء أى عملية توفيق بين المفاهيم الحضارية بين الدولة المرسلة والدولة المرسل إليها ..

وقد وضعت مؤلفات كثيرة - مؤلفة ومترجمة - حول هذين النوعين من الاعلام يكفى أن نشير إلى بعضها لمن يحب التوسع فى هذا الموضوع، وأهمها :

- كتابا : فن العلاقات العامة والاعلام، والاعلام والاتصال بالجماهير للدكتور إبراهيم إمام عميد كلية الاعلام بالأزهر.

- الاعلام والدعاية، والاعلام فى صدر الاسلام للمرحوم الدكتور عبد اللطيف حمزة عميد وأستاذ الصحافة بجامعة القاهرة سابقا.

- تخطيط الاعلام لعقيل هاشم وهو مطبوع ببيروت عام ١٩٦٨.

- الاعلام ونظرياته للدكتورة جيهان رشتى الاستاذ باعلام جامعة القاهرة فاذا نظرنا نظرة مقارنة لما وضعه الاسلام فى مجال الاعلام الداخلى والخارج فقد أشرنا فى هذه السلسلة من البحوث إلى بعضها، ويكفى أن نوجز فيما يلى خطة الاسلام فى هذا المجال فى نقاط محددة :

ففى مجال الاعلام الداخلى يتخذ الاسلام وسائل عديدة، وقد شملت الدعوة الاسلامية فى مرحلتيها السرية والجهرية منها القرآن الكريم، والسنة النبوية، إعداد الدعاة، الخطب، الندوات، المناظرة، القصة، الأسواق، الأعياد، الاتصال الشخصى، الصبر والاصرار، الحكمة والموعظة الحسنة، وهذه الأخيرة يمكن أن تدخل أيضا فى مجال الاعلام الخارجى.

وفى مجال الاعلام الداخلى اتخذ الاسلام وسائل عديدة، منها ما يدخل فى إطار الاعلام الداخلى، ونزيد عليها وسائل أخرى مثل : الهجرة، الرسائل إلى الملوك والحكام خارج نطاق الدولة الاسلامية، إرسال الوفود، الحروب أو الغزوات، تبادل الزيارات، التجارة.

وهذه الوسائل تحتاج إلى مزيد من الشرح والتوضيح، موعدنا معها لقاءات قادمة سوف نعرف منها مدى السبق الذى أحدثه الاسلام فى هذا المجال الاعلامى الخطير، وسوف نعرف ايضا مدى حاجتنا فى عصرنا الحديث إلى التأسى بها وتطبيقها، وسنعرف أن التراث العربى، بأبحاثه وكتبه قديما وحديثا قد تضمنت هذه المبادىء الاعلامية الكثيرة ونبهت إليها وقعدتها.. فالى اللقاء!!

بقية مقال «قبسات من زهد الفضلاء»

وهى إرادة الله، ولا راد لما قضاه.

ولله در الشاعر. حيث يقول :

قد ينعم الله بالبلوى : وإن عظمت
ويبتلى الله بعض الناس بالنعم

فيجزى - جل شانه - الصابرين على بلواهم : فتكون دار الخلد ماواهم؟ ونعم دار المتقين!

وحسبهم قول مولاهم «إن الله مع الصابرين...» «والله يحب الصابرين»... «ولئن صبرتم لهو خير للصابرين»

جعلنا المولى جل وعلا من الصابرين الشاكرين : وجعلنا عبيد امتنان، لا عبيد امتحان : وحمانا من كيد اللعين، وحشرنا فى زمرة المتقين : آمين.

بقية مقال «دعائم السلم فى ضوء الوحى والتاريخ»

خدعة من العدو ومع ذلك فان شريعة الاسلام فى الحرب تقضى بالاستجابة حتى فى هذه الحالة مع أخذ الحيطة والحذر والايمان بنصر الله.

وفى ذلك تقول الآية التى بعدها : «وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم» صدق الله العظيم.

فاللهم إنا ندعوك مخلصين أن تثبت عقيدة الاسلام وصدق الايمان فى قلوبنا، كما نسألك أن توفقنا إلى إرساء دعائم السلام فى أوطاننا إنك نعم المولى ونعم النصير.

يعقوب

يوصى بنيه باتباع نبى الإسلام

الدكتور احمد حجازى السقا

نتابع المقالات عن نبى الاسلام فى التوراة والانجيل فنقول :-

تمهيد : حينما حضر يعقوب الموت جمع أولاده الاثنى عشر حوله ، وباركهم ، وأوصاهم ، وأخبرهم بما يصيبهم فى مستقبل الأيام ، وقال لهم فى شخص يهوذا ابنه الرابع : « لايزول قضيب من يهوذا ، ومشترع من بين رجليه ، حتى يأتي شيلون . وله يكون خضوع شعوب » [التكوين ٤٩ : ١٠] .

وقد فسر النصارى هذه النبوءة بقولهم : لايزول الملك من اليهود : والشريعة يعمل بها الناس فى ظل هؤلاء الملوك حتى يأتى عيسى المسيح وتخضع له الشعوب خضوعا روحيا واليهود فسروا النص بأنه لا يزول من الحياة سبط يهوذا بن يعقوب ، حتى يملك على مدينة « شيلوه » فى أرض فلسطين . وقد تحققت النبوءة فى شخص داود عليه السلام فانه من سبط يهوذا . وقد احتل مدينة شيلوه فى سنة ١٠٥٦ ق . م تقريبا .

نريد أن نبين هنا : أن كاتب التوراة قد حرف الكلم من بعد مواضعه ، فوضع النبوءة تحتمل معنيين :

١ - وضع كلمة عبرانية تترجم ا - بالقضيب ب - وبالسبط ٢ - ووضع كلمة عبرانية تترجم ا - باسم قرية شيلون ب - وصفة لشخص . ونبين أيضا أن هذه النبوءة لنبى الاسلام صلى الله عليه وسلم . وقد تطابقت النبوءة مع القرآن الكريم فى قوله تعالى « **أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه : ما تعبدون من بعدى » . قالوا : نعبد الهك ، وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق إلها واحدا . ونحن له مسلمون . تلك أمة قد خلت . لها ما كسبت ولكم ماكسبتم ، ولاتسألون عما كانوا يعملون » البقرة .**

نص نبوءة التوراة : « لايزول قضيب من يهوذا ، ومشترع من بين رجليه ، حتى يأتى شيلون ، وله يكون خضوع شعوب » تكوين ٤٩ : ١٠ وفى ترجمة الآباء اليسوعيين « لايزول صولجان . . . » وفى ترجمة ١٨٤٤ « فلا يزول القضيب من يهوذا ، والرسم من تحت أمره ، إلى أن يجىء الذى هو له ، وإليه تجتمع الشعوب » وفى ترجمة الكتاب المقدس المطبعة الأميركانية سنة ١٩١٢ م تعليق على كلمة « شيلون » فى الهامش هكذا : أى : أمان . وعند البعض : الذى له . انظر حزقيال ٢١ : ٢٧ .

الشرح والبيان :

يتضح لنا : أن المراد بالقضيب : الملك والصولجان ، والمراد بالراسم أو المشترع : الأنبياء والعلماء الذين يعلمون الناس شريعة التوراة . والمراد بشيلون : النبى المنتظر الذى متى جاء تخضع له الشعوب وتطيع ، ويتسلم الملك والشريعة من بنى إسرائيل . والمعنى العام للنبوءة : لا يزول الملك من بنى اسرائيل ، وتظل شريعة التوراة فى أيديهم ، يعمل بها الناس فى ظل الملوك من بنى إسرائيل حتى يأتى نبى الأمان وهو محمد صلى الله عليه وسلم فيقضى على ملك بنى إسرائيل ، وينسخ التوراة ، وتخضع الشعوب لشريعته .

وقد أنكر اليهود على النصارى قولهم بأن هذه النبوءة للمسيح عيسى عليه السلام . يقول ابن كمونه فى كتابه تنقيح الأبحاث : « فان قالوا إن يعقوب لما جمع أولاده ، أخبرهم بما يكون منهم فى آخر الزمان فلما بلغ إلى يهوذا قال فى جملة قوله لهم « لايزول القضيب من يهوذا ، أو الراسم من بين أقدامه إلى أن يجىء الذى له الأمر وله تجتمع الشعوب » والمراد بالقضيب : قضيب الملك ، وبالراسم : النبى . ومعلوم أنه لما ظهر المسيح بطل الملك منهم ، وانقطعت النبوة عنهم . قلت : الملك زال من آل يهوذا قبل أيشوع المسيح بزيادة على أربعمائة سنة ، والملوك فى البيت الثانى كانوا من بنى حشموناى . وهم هارونيون من سبط لاوى ، وكان الملك من بعدهم فى هيرودس ، وبعده فى أولاده . وما كان أيضا من سبط يهوذا . وليس لهم أن يقولوا : إن يعقوب كنىّ بيهوذا عن اليهود بأسرهم تسمية لكل الشىء بأشرف ما فيه ، لأنه يقال لهم : إن هذا غير محتمل ، فان يعقوب خص كل واحد من أولاده بما يكون منه . وخص يهوذا بهذا القول فلا يكون اسمه عبارة عن الجملة . ثم قولكم : إن القضيب : هو قضيب الملك . والراسم : هو النبى . غير متيقن . والنبوة انقطعت قبل ظهور المسيح بما يزيد على ثلثمائة سنة . واللفظة المستعملة فى اللغة العبرانية بمعنى القضيب تستعمل بمعنى السبط أيضا . فقد يمنع المانع أنها استعملت للقضيب أو أن المراد بالقضيب إن استعملت له قضيب الملك . والأظهر : أن المراد به : البشارة بداود عليه السلام ، بمعنى : أنه لا يزول السبط من يهوذا ، ولا الرئاسة من بين ظهرانيهم إلى أن تبلغ رئاستهم فى الزيادة إلى أن يملك داود ، ويتفق على تمليكه جميع شعوب إسرائيل » اهـ .

مما يستدل به ابن كمونه على تضعيف رأى النصارى :

١ ـ زوال الملك من اليهود قبل مجىء عيسى المسيح .

٢ ـ وأن عيسى المسيح ليس هو من سبط يهوذا .

٣ ـ وأن يعقوب يتحدث عن ابنه فقط ولا يريد جميع بنى يعقوب .

٤ ـ والنبوة انقطعت قبل ظهور المسيح ، ويحدد زمن الانقطاع للنبوة بما يزيد على ثلثمائه سنة . وزمن الانقطاع للملك بما يزيد على الأربعمائة ليؤكد أن النص ليس نبوء عن عيسى ولا عن نبى الاسلام عليهما السلام .

٥ ـ وأن الكلمة العبرانية المترجمة بالقضيب تترجـ أيضا سبط وإذا كان الدليل محتملا لرأيين فإنه لا يكو أحدهما دليلا ملزما . لأن الدليل إذا تطرق إليه الاحتما سقط به الاستدلال .

ويميل ابن كمونة للرأى الثانى ليبين : أن النص ليس إلا نبوءة عن داود فيكون المعنى على تفسيره : لا يزول مـ الوجود سبط يهوذا ، حتى يملك على مدينة « شيلوه » ف أرض فلسطين .

وابن كمونة لا شك أنه يحرف الكلم عن مواضعه . ول يصب إلا فى قوله عن عيسى « وما كان أيضا من سبـ يهوذا » فان عيسى عليه السلام من سبط لاوى . من جهة أم من نسل هارون عليه السلام . وبهذا فاننا نحن واليهو متفقون معا على أن عيسى ليس من سبط يهوذا .

وذلك لأن التوراة صرحت بزواج كل امرأة من سبطها فمن تكون من سبط لاوى مثلا لا تتزوج من سبط يهوذا وهكذا . بل تتزوج رجلا من سبط لاوى . تقول التوراة « وكل بنت ورثت نصيبا من أسباط بنى إسرائيل ، تكو امرأة الواحد من عشيرة سبط ابيها » [عدد ٣٦ : ٨] و إنجيل لوقا : أن زكريا عليه السلام تزوج من « إليصابات وهى ، وهو : من نسل هارون ، من سبط لاوى « كان فى أيا هيروس ملك اليهودية كاهن اسمه زكريا ، من فرقة أبيا وأمراته من بنات هارون ، واسمها اليصابات » [لوقا : ٥ ويقول لوقا أيضا : إن ملاك الله جبرائيل لما بشر مريم رض الله عنها بالحمل بعيسى بدون رجل ، واستبعدت ذلك قائلة « كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلا ؟ » قال لها « **وهوذا إليصابات نسيبتك هى أيضا حبلى بابن** **شيخوختها ، وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعو** **عاقرا » [لوقا ١ : ٣٦] فتصريح لوقا : بأن مريم نسيب** **لاليصابات** يدل على أن مريم من نفس السبط الذى مـ إليصابات . ولما ثبت أن إليصابات من نسل هارون يثبت أ مريم من نسل هارون .

وقد صرح القرآن بأن عيسى من هارون فى قوله تعال « **ومريم ابنة عمران** » **وفى قوله « ياأخت هارون** فعمران : هو أبو هارون والمراد من « **ياأخت هارون** واحدة من نسل هارون أخى موسى . والمراد من « ا عمران » النسبة المجازية لعمران الجد رأس الأسرة ، لا إل الأب المباشر . [انظر تفسير : فخر الدين الرازى]

تأتى بعد ذلك على حجج ابن كمونة بالنقد فنقول : ـ

الحجة الأولى : ملك بنى إسرائيل .

يدعى ابن كمونة : أن الملك زال من بنى إسرائيل قبل مجىء عيسى عليه السلام بزيادة على أربعمائة سنة ، وهذا باطل . فان الملك لم يزل من بنى إسرائيل إلا وقت ظهور الاسلام . وبيان ذلك .

١ ـ يبدأ تاريخ بنى اسرائيل من إبراهيم النبى عليه السلام ، وقد وفد إلى أرض فلسطين مهاجرا ، وفيها رزقه الله على الكبر إسماعيل وإسحق وأنجب إسحق يعقوب ، ويعقوب أنجب الأسباط ، ثم انتقل الى مصر .

٢ ـ فى أرض مصر ولد موسى عليه السلام من سبط لاوى ، وآتاه الله النبوة وأمره أن يسير ببنى إسرائيل من مصر إلى الأرض المقدسة .

٣ ـ فى عصر داود عليه السلام تم استيلاء بنى إسرائيل على الأرض المقدسة ، أرض فلسطين .

٤ ـ وبعد موت سليمان أنقسم بنو إسرائيل إلى قسمين : أ ـ سبطى يهوذا وبنيامين ، وجعلوا عليهم ملكا من ذرية داود ، وسميت مملكتهم بمملكة يهوذا ب ـ وبقية الأسباط جعلوا عليهم ملكا وسميت مملكتهم بمملكة إسرائيل .

٥ ـ جاء ملك أشور ، وسبى وجهاء الأسباط فى إسرائيل وساقهم أسرى إلى بابل .

٦ ـ وجاء ملك بابل وسبى وجهاء اليهود فى يهوذا الى بابل سنة ٥٨٦ ق . م . ثم أن ملك بابل استولى على مملكة أشور وصار جميع بنى إسرائيل تحت سلطان الولاء لملوك بابل .

٧ ـ ثم إن الفرس استولوا على بابل وفى سنة ٥٣٦ ق . م سمحوا لليهود بالعودة الى فلسطين .

٨ ـ ثم إن الأسكندر الأكبر ملك اليونان غلب الفرس . ودخل اليهود فى طاعته سنة ٣٣٣ ق . م

٩ ـ ثم إن الرومان هزموا اليونان ، واحتلوا أرض فلسطين سنة ٦٣ ق . م ودخل اليهود فى طاعتهم .

١٠ ـ وجاء المسلمون وانتصروا على الرومان واحتلوا أرض فلسطين سنة ٦٣٦ ميلادية وأزالوا نفوذ اليهود تماما .

ذلك هو مختصر تاريخ بنى إسرائيل من كتبهم . فهل ترى ضياع ملكهم من قبل عيسى عليه السلام أم من بعده ؟

الحق يقال : إن اليهود وقعوا تحت نفوذ الأجانب من بعد داود وسليمان عليهما السلام . لكن الأجانب تركوهم أحرارا فى حكمهم لأنفسهم . كان يحكم بعضهم بعضا ، ولم يكن للأجانب إلا جنود تضمن الأرض لصالحهم بالضرورة إذا ما داهمهم عدو . وجزية يأخذونها من أهل الأرض مقابل حمايتهم لهم . والانجيل يصرح بهذا الذى ذكرناه ، يصرح بأن الملك لم يزل من اليهود زمن عيسى ، بل كانت أورشليم عاصمة مملكة يهوذا ، عامرة باليهود ، وكان هيكل سليمان مركزا دينيا عظيما . وكان لليهود مجلس استشارى يسمى « المجمع » أو « السنهوريم » وفى هذا المجمع قرر اليهود قتل عيسى لولا أن كف الله أيديهم عنه . وقدموه للوالى الرومانى لينفذ الحكم ، ولما اعتذر الوالى عن تنفيذ الحكم لعلمه ببراءة عيسى هددوه بالشكوى إلى الامبراطور نفسه . وهذا يعنى أنهم هم الحاكمون لأنفسهم . وما الحاكم الأجنبى الا مصدقا على الأحكام [يوحنا ١٨ ، ١٩] .

وبعد رفع عيسى إلى السماء ، وكان قد آمن به البعض من بنى إسرائيل ، ونادوا فى كل مكان يدعونه تحير اليهود فى أمر هؤلاء الذين آمنوا ماذا بهم يفعلون ؟ فقام رجل اسمه غمالائيل من الفريسيين . وقال لليهود : « تنحوا عن هؤلا؛ الناس واتركوهم . لأنه إن كان هذا الرأى أو هذا العمل من الناس فسوف ينتقض . وإن كان من الله فلا تقدرون أن تنقضوه لئلا توجدوا محاربين لله أيضا . فانقادوا إليه » [أعمال الرسل : ٢٧ : ٤٠] ولما انقادوا إليه وتركوهم كثر عدوهم واعترف بهم الرومان رسميا سنة ٣١٣ م وهذا يعنى أن النصارى طائفة من بنى إسرائيل آمنت فأصبحت ظاهرة على الطائفة التى لم تؤمن . كما يقول تعالى : « **فآمنت طائفة من بنى إسرائيل ، وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين** » .

وجاء الاسلام والطائفة التى آمنت ظاهرة ، فتسلم المسلمون منها مفاتيح أورشليم (القدس) تسلم عمر بن الخطاب من البطريرك صفرنيوس ، وكتب له العهدة العمرية كتاب أمان وذمة .

وكان اليهود يقولون على النصارى : إنهم طائفة منهم خرجوا على تعاليمهم كما عبر القرآن تماما . كانوا يقولون : إنهم « شيعة » عيسى وأتباعه فى سفر الأعمال : أن حنانيا رئيس كهنة اليهود ذهب مع الشيوخ ، وخطيب اسمه « ترتلس » يشكون بولس للوالى فقال ترتلس : « إننا إذ وجدنا هذا الرجل مفسدا ، ومهيج فتنة بين جميع اليهود الذين فى المسكونة . ومقدام شيعة الناصريين » فأشار الوالى لبولس أن يتكلم . فكان مما قال « ولكننى أقر لك بهذا : أننى حسب الطريق الذى يقولون له شيعة . هكذا أعبد اله آبائى مؤمنا بكل ماهو مكتوب فى الناموس والأنبياء » [أعمال ٢٤ : ٥ ، ١٤] .

الحجة الثانية : سبط يهوذا .

يدعى ابن كمونة : أن حديث يعقوب عليه السلام خاص بسبط يهوذا نفسه ، لا ببنى اسرائيل جميعا ، ودعواه باطلة لأن اليهود الذين احتج عليهم الامام ابن حزم الأندلسى المتوفى سنة ٤٥٦ هـ بأن الملك زال من آل يهوذا جادلوه بقولهم : الملك لم ينته إلى الآن من نسل يهوذا بل هو إلى الآن فى نسله . قال له شموئيل بن يوسف اللاوى : « لم تزل رءوس الجواليت ينتسلون من ولد داود ، وهم من بنى يهوذا ، وهى قيادة ملك ورياسة » فلو لم تكن عبارة يعقوب نبوءة لغير داود ما أحتج شموئيل بأن نسل يهوذا ما يزال حاكما . ولأن النصارى لو لم يكونوا بعارفين فى بادىء

الأمر : أن هذه العبارة إشارة الى النبى الذى تنتظره الأمم ما أحتجوا بها على اليهود . وإلا لماذا لم يحتجوا بجميع عبارات التوراة ؟

الحجة الثالثة : انقطاع النبوة .

فسر ابن كمونة : « ومشترع من بين رجليه » بالأنبياء ليحرف الكلم عن مواضعه . والحق أنها تفسر بالنبيين الذين أسلموا ، وبالربانيين والأحبار لأنهم جميعا متبعون للتوراة يعلمون الناس بما فيها . والدليل على أن « مشترع من بين رجليه » تفسر بالأنبياء والعلماء ترجمتها بالرسم من تحت أمره ، أو الراسم من بين أقدامه أى المعلمون الذين يرسمون للناس طرق حياتهم ، ويستنبطون الأحكام من التوراة .

وقد انقطعت النبوة فى بنى إسرائيل بعيسى عليه السلام فإنه آخر نبى فيهم ، وكان مصدقا لما بين يديه من التوراة . لم ينسخ التوراة ، ولم يأمر بزيادة على أحكامها لقوله « لا تظنوا أنى جئت لا نقض الناموس » [متى ٥ : ١٧] وأتباع عيسى المخلصين نادوا بالعمل بالتوراة إلى أن ظهر بولس ونادى بالغائها .

وكان الربانيون والأحبار من بعد الرجوع من بابل يحكمون على بنى إسرائيل بالاضافة إلى قيامهم بالعلم والتعليم . وقد ظهر منهم « يهوذا المكابى » [الحشمونى] واستقل بأورشليم (مدينة القدس) عن اليونان مدة من الزمان . من سنة ١٦٧ ق . م الى سنة ٦٣ ق . م .

الحجة الرابعة : القضيب أم السبط ؟

يقول ابن كمونة : أن الكلمة العبرانية المترجمة بالقضيب . تترجم أيضا بمعنى السبط . وقد وضح الرد عليه مما قدمنا . ونبين هنا للايضاح والتأكيد :ـ

١ ـ فى النص قرينة تبين أن المراد بالقضيب والمشترع (الملك والشريعة) وهى قول يعقوب لبنيه : « اجتمعوا لأنبئكم بما يصيبكم فى آخر الأيام » [تكوين ٤٩] وآخر أيامهم بالفعل كان يوم هلاكهم على يد المسلمين ، وزوال ملكهم من بلاد فلسطين على أيديهم .

٢ ـ من بعد عيسى عليه السلام ، واليهود أمرهم إلى زوال ونقص . لا إلى عز وقوة . لكى يكون وعد الله مفعولا ، لقد جاءهم تيطس الرومانى سنة ٧٠ م ، وشدد عليهم الحصار فمات منهم نحو مليون نفس . وهذا يدل على كثرتهم فى ذلك الوقت وشدة بأسهم . يقول شاهين مكاريوس : « وبعد خراب أورشليم على يد تيطوس ظل قسم من اليهود فى بلاد اليهودية ، ولم يمر بهم ثلاثون سنة حتى تقدموا وازداد عددهم ، وأثروا وأفلحوا ولكن حب الثورة عاودهم فانتفضوا على الرومان مرة ثانية فى بلدان مختلفة كقيروان وقبرص ، ومابين النهرين وفلسطين . وذلك بين سنة ١١٥ وسنة ١٣٠ بعد الميلاد . ولكن الرومان قهروهم وأثخنوا فيهم قتلا وذبحا ونهبا وأصبحت اليهودية قفرا بلقعا . فبلغ عدد المدن الخربة والقرى ٩٨٥ وهدم ٥٠ حصنا وأبدل اسم أورشليم . وحظر على اليهود السكن فيها » أ . هـ .

وبناء على ما تقدم فان تنبؤ يعقوب النبى نحو سنة ٢٤٠٧ قبل ميلاد نبى الاسلام بزاول الملك والشريعة من بنيه قد تحقق فى مجىء محمد بن عبد الله من ولد إسماعيل عليه السلام فقد أزال ملك بنى اسرائيل وشريعتهم .

والله ولى التوفيق

قول :

« اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم حتى فى التمرة والكلمة الطيبة » .

من كلام سيد المرسلين

جهاد النفس

الحياة لا تستقيم لشخص إلا إذا جاهد نفسه وعودها تحمل المشاق والصعوبات .

فالدنيا فى تغير دائم لا تثبت على حالة واحدة والانسان فيها مريض وقتا وصحيح فى وقت آخر وغنى زمنا وفقير فى زمن آخر لهذا كان لابد من أن تتعود النفس تحمل أحوال الدنيا المختلفة والوسيلة إلى ذلك وضحها القرآن الكريم قال تعالى :

« ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه إن الله لغنى عن العالمين » .

« والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين » .

« وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم » .

والمتبادر من هذه الآيات الثلاث أن العدو الذى يجاهد ويقاوم هو النفس وقد فسر عبد الله بن المبارك قوله تعالى « حق جهاده » بجهاد النفس والهوى فيجاهد الانسان نفسه ليسلم قلبه ولسانه وجوارحه لله فيكون لله وبالله لا لنفسه ولا بنفسه » .

الدكتور / إبراهيم الدسوقى خميس

ولما كان جهاد أعداء الله فى الخارج فرعا على جهاد العبد نفسه فى ذات الله كما قال النبى ﷺ **« المجاهد من جاهد نفسه فى ذات الله والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه » .**

لذا كان جهاد النفس مقدما على جهاد العدو فى الخارج وأصلا له فإنه إن لم يجاهد نفسه أولا لتفعل ما أمرت به وتترك ما نهيت عنه ويحاربها فى الله لا يمكنه جهاد عدوه فى الخارج . فكيف يمكنه جهاد عدوه والانتصاف منه . وعدوه الذى بين جنبيه قاهر له متسلط عليه لم يجاهده ولم يحاربه فى الله بل لا يمكنه الخروج إلى عدوه حتى يجاهد نفسه وجهاد النفس هو تهذيبها وتوجيهها للخير وأساس ثبات المسلم فى ميدان القتال إنما يكون بمجاهدة النفس وكبح جماحها وعدم الاستجابة للشهوات والأهواء وبدون هذه المجاهدة لا يصلح المسلم للحياة الشريفة ولا يكون جنديا من جنود الله .

وقد جاءت كلمة النفس فى القرآن لمعان متعددة ولكن المعنى المقصود للنفس التى تجاهد . هو القوة الكامنة فى الجسم الانسانى والتى هى مجمع الخير والشر ومستقر الغرائز والنزعات المحركة لهذا الجسم المادى فى تصرفه واتجاهه وهذا المعنى هو المقصود فى قوله تعالى « ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها » . . .

فتطهير النفس وتزكيتها جهاد شاق وهو أول الطريق لنجاح الانسان فى حياته الدنيوية والأخروية . وتدسية النفس وإخفاؤها هو الشقاء الأبدى وهو الابعاد عن فطرة الله التى خلق الله النفس عليها وهو الذى دساها قد فشل فى جهادها ولم يقدر على إعلاء غرائزه فسقط فى أول الطريق وشقى فى حياته الدنيوية والأخروية .

والأسس التى اتخذها القرآن لتربية نفوس المؤمنين كثيرة أولا من أهمها تحرير النفوس من عبادة غير الله وردها إلى الايمان بالله الواحد الأحد لأن الله **تعالى هو خالق الكون ومالكه وكل ما فيه مسير وفق أمره وتدبيره « وهو الذى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه بكل شىء عليم » . « رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين . لا إله إلا هو يحيى ويميت ربكم ورب آبائكم الأولين » .**

والقرآن الكريم فى مكة كانت مهمته الأولى تركيز هذه الفكرة وتأصيلها فى نفوس الصحابة وقد سلك لذلك أنجح الطرق وأقربها للعقول وثانيا . الطريق الثانى من وسائل تهذيب النفس أداء العبادات على اختلاف انواعها فأداء العبادات له أطيب الأثر فى صلاحها وتنقيتها من كل ما يغضب الله فالصلاة تحمل المصلى على التفكير فى الله وامتثال أوامره واجتناب نواهيه وتجعله موصول القلب بمولاه ليستمد منه النصر والعون والتأييد وبذلك تهون عليه مصائب الدنيا وتذلل أمامه الصعاب فلا يعجز ولا ييأس

حتى تنزل به مصيبة أو يقع عليه بلاء وصدق الله إذ يقول :

« يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين » .

« واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين » .

وإنما كان للصلاة تلك الأثر فى تهذيب النفس وصلتها بالله لأنها بين الحين والحين تنتزع العبد انتزاعا مما يأنس اليه من متاع ومرح أو مما يعمل من كد واحتراف . ولأهميتها البالغة فى تقوية النفس فقد أمرنا الله تعالى بالمحافظة عليها فى حال الأمن والخوف قال تعالى « **حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين** » **وقال « وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر**

وكان النبى ﷺ إذا حزبه أمر فزع للصلاة وكان يقول لبلال أرحنا يا بلال بالصلاة ...

أما الصوم فله أثر كبير فى غرس مراقبة الله والخوف منه سبحانه قال تعالى « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » ولذا فان الرسول اعتبره حصنا يقى الانسان من الوقوع فى المحرمات .

فقال عليه الصلاة والسلام « **الصوم جنة** » يعنى وقاية من المعاصى . **والصوم نصف الصبر والصبر نصف الايمان** » .

وكذلك الزكاة فإن فيها تعويد النفس على حب الخير وعلى البذل والتضحية وتطهيرها من الشح والأنانية والأثرة قال تعالى « ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » وقال . « **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها** » وفريضة الحج له أثر كبير فى التوجه إلى الله وحده بطلب الأمن والقوة وطلب مرضاته سبحانه وإن ما يلقاه الانسان فى رحلته إلى الحج وما يعانيه من متاعب ومصاعب ومشاق له أكبر الأثر فى غرس الجهاد فى النفس وتحملها ما يقع عليها من بلايا ومصائب .

والطريقة الثالثة من طريق تهذيب النفس . ألا يتبع الانسان هداه وأن يترك شهواته وملزاته لذلك فان الله قد حذر رسله وصفوة خلقه من اتباع الهوى قال تعالى لداود عليه السلام « **ياداود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله** » ويقول لنبيه محمد عليه السلام « **ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير .** » وقد حدد الله مصير هؤلاء الذين خضعوا لأهوائهم فبين أنهم لا مأوى لهم إلا الجحيم وحدد مصير الذين جاهدوا أنفسهم وساروا على نهج الله وخافوا موقفهم بين يديه للحساب قال عز من قال « **فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هى المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى** » وقد عجب الله تعالى ممن اتخذ الهه هواه وعبد شهواته وبين أن هذا خيال لا يهديه أبدا **قال تعالى** « **أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون** » وإذا كان جهاد النفس له هذه الأهمية وتلك المنزلة فعلى الانسان أن يقوم بأداء العبادات وكبح جماح نفسه عن الشهوات والملذات وألا يتبع هواه ففى ذلك الخير كل الخير . وبذلك تكون النفس مطمئنة راضية مرضية بنادى بها الله يوم القيامة « **يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى** » .

التدبر في مخلوقات الله

●● الانسان في الاسلام هو خليفة الله في أرضه، وهو المسئول أمامه سبحانه يوم القيامة بما أودعه الله فيه من عقل وازع يعقله عما يوقعه في شرور أو آثام أو خطايا، ويعصمه من الزلل والتردى في الموبقات والمهلكات وينير أمامه سبل السعادة والرشاد . . . فالعقل فكر وفهم يتقلب في وجوه الأشياء وبواطن الأمور . . . والعقل رشد يميز بين الهداية والضلال . . وهو روية ورؤية وبصيرة وتدبر . . . لذا فهو مدار التكليف ومناط به كل أمر بمعروف وكل نهى عن محظور . . . كما أنه حجة على المكلفين فيما يعنيهم من أمر خالقهم، ومن أمر أنفسهم . . . ومن أمور دنياهم وأخراهم، فلا تكليف في الاسلام على من لا عقل له أو الصغير الذى لم ينضج عقله بعد .

●● والنظر والتفكير في ملكوت الله أفضل أنواع لعبادات، وقد أوجبه الاسلام على أتباعه وأمرهم به لقرآن الكريم في أكثر من سبعمائة آية من آياته ليدركوا ن مظاهر هذا الكون وأسراره وعجائبه ما يثبت قينهم، ويقوى عقيدتهم، ويوثق صلتهم بخالقهم « قل نظروا ماذا في السموات والأرض » « أفلا ينظرون إلى لابل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت . . . » الخ تلك لآيات التى تحض على التبصر وتحث على التفكير والتأمل هذا الوجود .

●● وقد كان النبى ﷺ قبل أن يوحى إليه - يتعبد في غار حراء بالتدبر والتفكير في خلق السموات والأرض وما فيهما ن آيات واضحات تدل على وحدانية الخالق وعظيم قدرته، وظل عليه الصلاة والسلام على حبه للخلوة والتأمل في بديع صنع الله حتى لحق بالرفيق الأعلى، وهو القائل « تفكر ساعة خير من عبادة سنة » و « تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذاته فتهلكوا » .

●● وقد ثبت عنه عليه الصلاة والسلام حينما نزلت عليه آيات « إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار . . . » أنه قال « ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتفكر فيها » .

●● **وبين يدى كتاب « التدبر في مخلوقات الله » للأستاذ حسين فؤاد طلبه** الذى أصدره المجلس الأعلى للشئون الاسلامية . . . يقدم فيه مؤلفه خلاصة علمية موجزة ومبسطة لمظاهر هذا الكون الذى يحيط بنا ونعيش فيه . . . فنراه يتحدث عن خلق السموات وما فيها من شموس وأقمار ونجوم وأفلاك ونيازك وشهب . . . وعن الأرض وما عليها من بحار وأنهار وهواء وأشجار وحيوان « **لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون** » . . . وقد تناول حديث المؤلف كلا من هذه المخلوقات موضحا أنها من نعم الله سبحانه على الانسان الذى جعله الله خليفة في الأرض . . . وقد استعان المؤلف بما توصل إليه العلماء وأثبته الباحثون في علوم الطب والتشريح والفلك والنبات والحيوان من معلومات تدل بحق على الاعجاز الالهى الذى فاق كل تصور عقلى في إيجاد هذه الكائنات . . . فكل شىء عنده بمقدار . . . وفي كل شىء له آية تدل على أنه الواحد المبدع المنزه عن كل نقص، المستحق لكل كمال وعبادة وتقديس .

●● وقد أفرد المؤلف نصف صفحات كتابه تقريبا عن الانسان وبيان وجوه الاعجاز التى لا حصر لها في خلقه وتصويره . . . وشمل حديثه الجهاز العظمى والجهاز الهضمى والجهاز التنفسى والدورة الدموية والقلب والأوردة وأهمية كل منها في حياة الانسان وقدرة الله في تركيبها « هو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى » .

●● وإذا ثبت ما يقال من أن عقل الانسان هو مخه الذى في رأسه فيجدر بنا - ونحن في مجال التفكير والتدبر وفي معرض النظر والتعقل - أن نورد هنا ما أثبته علم وظائف الأعضاء وعلم التشريح عن مخ الانسان لنتبين قدرة الخالق ودقته التى لا حدود لهما ولا نهاية في خلق هذا الجزء الذى لا يزيد وزنه عن ١٤٠٠ جرام والذى هو أداة التأمل والتبصر . . . ولنترك هذه الأبحاث تتحدث كما جاء في كتاب المؤلف موجزا :

●● المخ هو المركز الرئيسى للجهاز العصبى ، وهو جهاز معقد يتحكم فى نشاط الجسم وطاقته وحيويته ، ومنه ترسل الاشارات إلى جميع أجزاء الجسم ، ويحميه صندوق متين هو « الجمجمة » وقد حفظه الله سبحانه وتعالى بثلاثة أغلفة غشائية ، الداخلى منها رفيق جدا تتخلله الشرايين والأوردة التى تغذيه ، ويليه غشاء آخر فيه مراكز الاحساس بالألم وبالحرارة والبرودة والذاكرة والحواس الخمس ، ومنه تصدر الأوامر بكل حركة يتحركها الانسان ، فعين الانسان فى الواقع لا ترى وأذنه لا تسمع وجلده لا يحس بالألم المخ ولكن الذى يرى ويسمع ويحس هو المركز المختص بذلك فى المخ ، ونحن عندما نتحرك فانما نتحرك بمخنا لا بأرجلنا كالسيارة التى تجرى على عجلاتها ولكن الموتور هو يحركها ويتحكم فى سيرها .

●● وفى الخارج يوجد غشاء ثالث متين ملتصق بالعظام . . . وقد عجز الأولون والآخرون عن تفسير عمل المخ الذى يعتبر لغز البشرية الأبدى رغم المخترعات الحديثة بشأنه التى من أهمها « جهاز رسم المخ الكهربائى » و « جهاز تصوير شرايين المخ بالاشعة » إلى غير ذلك ويخترق المخ منخفضات عميقة تسمى « الأخاديد » وتقسم المخ الى عدة أقسام تسمى « الفصوص » .

●● والمخ كالمولد الكهربائى يتألف من خلايا ترسل تياراتها وإشاراتها عن طريق الأنسجة العصبية الى العضلات ، كما أن هناك إثنى عشر زوجا من الأعصاب تخرج من المخ عبر ثقوب صغيرة ، وتمر خلال الأنسجة وتتوزع على الجلد والعضلات والأعضاء الأخرى فى الرأس والرقبة ، ومن أهمها الشم والبصر والسمع والذوق ويستحيل رؤيتها بالعين المجردة حيث يبلغ عرضها من ٢ ـ ٢٠ جزءا من الألف من المليمتر ، كما أنه يوجد بالمخ مركز لاختزان المعلومات ولكن كيف تخزن خلايا المخ مئات الآلاف من الذكريات والمعلومات واستعادتها عند اللزوم ؟ إن هذا السؤال أعجز العلم عن الاجابة عليه إلى يومنا هذا . . . ولكنه « صنع الله الذى أتقن كل شىء » .

●● وبأسفل المخ يوجد « المخيخ » وأهم وظائفه حفظ توازن حركات الجسم حيث أنه ينظم الاشارات الصادرة من المخ للأعصاب .

وبأسفل المخيخ يوجد النخاع المستطيل وطوله ٢,٥ سم وبالرغم من صغره فان فيه عدة مجموعات من الخلايا العصبية الهامة التى تحكم وتدير بعض الأجهزة الحيوية كالتنفس والهضم وحركات القلب وإفراز البول والعرق

البقية ص ١٣٦

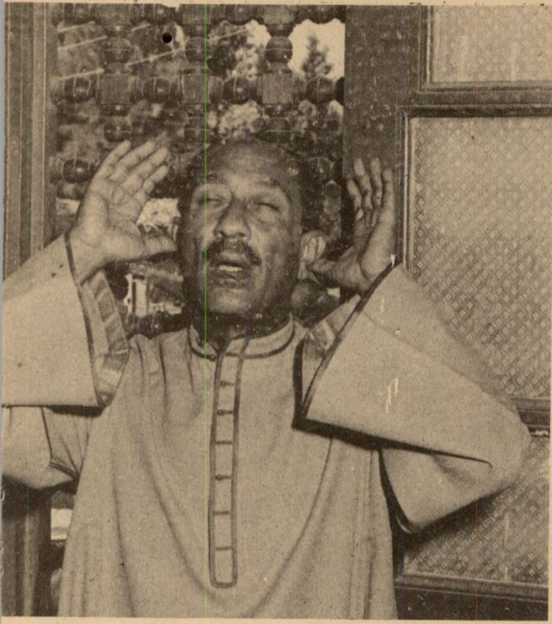

دعاء

اللهم اجعلنا من الأئمة الأبرار ، وأسكنا معهم دار القرار ، ولا تجعلنا من المخالفين الفجار ، ووفقنا لحسن الاقبال عليك ، والاصغاء إليك ، والمبادرة إلى خدمتك ، وحسن الأدب فى معاملتك وأعذنا من أحوال الشقاء ، ووفقنا لأعمال أهل التقى ، وارزقنا الاستعداد ليوم اللقاء . . يا من عليك الاعتماد والمتكل .

اللهم انهج بنا مناهج المفلحين ، وألبسنا خلع الايمان واليقين ، وخصنا منك بالتوفيق المبين ، ووفقنا لقول الحق واتباعه ، وخلصنا من الباطل وابتداعه ، وكن لنا مؤيدا ، ولا تجعل لفاجر علينا يدا ، واجعل لنا عيشا رغدا ، ولا تشمت بنا عدوا ولا حاسدا ، وارزقنا علما نافعا ، وعملا متقبلا ، وفهما ذكيا ، وطبعا صفيا ، وشفاء من كل داء .

اللهم عاملنا بغفرانك ، وامنن علينا بفضلك وإحسانك ، ونجنا من النار ، وعافنا من دار الخزى والبوار ، وأدخلنا بفضلك الجنة دار القرار ، واجعلنا مع الذين أنعمت عليهم فى دار رضوانك . . يا من ظهرت معرفته فلا يخفى وجوده ، وعم جميع خلقه كرمه وجوده .

التصوف والفلسفة الإسلامية

فرحة العفو

الأستاذ حسن كامل الملطاوى

دفعنى إلى كتابة هذا المقال ما قاله سيدى وشيخى الشيخ على عقل فيما نقلناه استماعا منه حين قال رضى الله عنه وهو ينشد شعره الفورى إلهاما من عطاء الله لأوليائه المتقين :

الذنب يحزننى والعفو يفرحنى
فاعجب لكاسب ذنب ينتشى فرحا

وكم حض كتاب الله الكريم والسنة النبوية الشريفة على الاستغفار والتوبة ، فعلى سبيل المثال يقول تعالى فى سورة النساء (إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما . وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك اعتدنا لهم عذابا اليما) وبقوله تعالى (للذين يعملون السوء بجهالة) يعلمنا سبحانه ان ارتكاب الذنب مما يدعو إليه الجهل بعاقبة الذنب كما يفعله الجاهل الغافل الذى يفضل بجهله اللذة الفانية على اللذة الباقية وقد قال قتادة رضى الله عنه : اجتمع أصحاب رسول الله ﷺ فرأوا أن كل شىء عصى به الله فهو جهالة عمدا كان أو خطأ . وعن مجاهد رضى الله عنه : من عصى الله تعالى فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته . اما عن قوله تعالى (ثم يتوبون من قريب) فقد روى أبو أيوب عن النبى ﷺ : « أن الله تعالى يقبل توبة العبد مالم يغرغر » والغرغرة تكون عند الموت حيث ينزع ملك الموت الروح عند انتهاء الأجل . وعن الضحاك رضى الله عنه : كل توبة قبل الموت فهو قريب . وعن الحسن رضى الله عنه ، أن إبليس قال حين أهبط إلى الأرض : وعزتك لا أفارق ابن آدم مادام روحه فى جسده ، فقال تعالى : وعزتى لا أغلق عليه باب التوبة مالم يغرغر .

ويقول الامام أبو السعود فى تفسيره : (من قريب) « من » تبعيضية أى يتوبون بعد زمان قريب ، كأنه سمى ما بين وجود المعصية وبين حضور الموت زمانا قريبا ففى أى جزء من أجزاء هذا الزمان فهو تائب . وقد جاء فى تفسير الخازن : وإنما كان الزمن بين فعل المعصية وبين وقت الغرغرة قريبا ولو كان سنين لأن كل ما هو آت قريب ، والعمر وإن طال قليل ، وفيه تنبيه على أن الانسان ينبغى له أن يتوقع فى كل ساعة نزول الموت به .

ويقول الامام القشيرى – رضى الله عنه – فى لطائف الاشارات : لا استغفار مع الاصرار فان التوبة من غير إقلاع عن الذنب صفة الكذابين وينهى الله تعالى عن الاصرار ويبين أن ترك الاصرار من خصال أهل التقوى . ونتدبر فى ذلك قوله الكريم فى سورة آل عمران (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين . الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين . والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون . أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين) فقوله تعالى (وسارعوا) أمر منه سبحانه إلى المبادرة للاستغفار والاقلاع عن معصية الله ، وقوله تعالى فى شأن الجنة (أعدت للمتقين) أى الذين يقبلون بعد التوبة على الطاعات ويتركون المخالفات ، ومن تلك الطاعات الانفاق فى سبيل الله فى عسرهم ويسرهم ، وكظم الغيظ وترك الانتقام ممن أساء إليهم مع قدرتهم على الانتقام منه ، وقد روى الامام أحمد وأبو داود وغيرهما « من كظم غيظا وهو يقدر على إنفاذه ملأ الله قلبه أمنا وإيمانا » ومؤدى كظم الغيظ العفو عمن أساءهم فقال

تعالى (والعافين عن الناس) وقد جاء فى الحديث الشريف «ينادى مناد يوم القيامة أين الذين كانت أجورهم على الله فلا يقوم إلا من عفا».

ويبين لنا سبحانه أن اقتراف الذنب لا يقع من المؤمن إلا عند غفلته عن ربه فيقول جل شأنه **(والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون)** فقوله تعالى (ذكروا الله) يفيد أنه عند ظلم النفس بالمعصية كانوا فى غفلة ولم يكونوا ذاكرين الله، وإنما ذكروا الله بعد وقوع المعصية فندموا واستغفروا حيث استيقظوا من غفلتهم، وخجلوا من الله الذى رآهم يعصونه فسارعوا إلى الاستغفار فى خوف أو حياء مع قوة رجاء لأنه سبحانه يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيئات عن فضل منه وإحسان إذ لا وجوب عليه ولا إلزام، ولكن الكريم إذا وعد أنجز، وإذا قدر عفا عمن تاب إليه نادما واستغفاره يكون إما عن خوف العقوبة أو حياء من سعة الرحمة، فالعوام يتركون الذنب خوفا، والخواص يتركونه حياء، ولكل درجات مما عملوا. أما قوله تعالى **(إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة...) فليس من باب الالزام وإنما هو تأكيد لقبول التوبة الصادقة عن كرم وإحسان من الكريم الحنان المنان، حتى لا يوئس الشيطان التائب من رحمة الله تعالى.**

والسادة الصوفية يقولون فى درجات التائبين: شتان بين تائب يتوب من الزلات، وتائب يتوب من الغفلات، وتائب يتوب من رؤية الحسنات. فتوبة العوام عندهم من الزلات والمخالفات، وتوبة الخواص من الغفلات، وتوبة خواص الخواص من رؤية الحسنات. وقد جاء فى الرسالة القشيرية أن بناء التصوف يقوم على حفظ آداب الشريعة، وصون اليد عن الحرام والشبهة، وحفظ الحواس من المحظورات، وعد الأنفاس مع الله تعالى عن الغفلات، وألا يستحل المتصوف مثلا سمسمة فيها شبهة فى أوان الضرورات فكيف عند الاختيار ووقت الراحات.

ويبين شيخى وسيدى الشيخ على عقل أن القلب ينام ويظلم بالمعصية ولكنه يصحو ويستنير بعفو الله عن العاصين فيقول فى إلهامه نور الله مرقده:

إن نام قلبى من الزلات فى ظلم
فانه بضياء العفو منه صحا
ما أرانى من الزلات منقبضا
إلا ورحت بفضل العفو منشرحا
زادت ذنوبى لكن ما استجرت به
إلا وجدت مقام العفو قد وضحا
ما زال يرحم من ضعفى ويستر لى
عيبى ويغمرنى من فيضه منحا
لو قيل للقلب ماذا أنت مقترح
لم يلق غير حمى الرحمن مقترحا
أو كان كالطود ذنبى فى ضخامته
وقلت يارب عنى الذنب قد مسحا
الذنب يحزننى والعفو يفرحنى
فاعجب لكاسب ذنب ينتشى فرحا

ويحكى سيدى أبو على الدقاق رضى الله عنه فيقول: تاب بعض المريدين ثم وقعت له فترة (أى عاد لما كان عليه قبل التوبة) فكان يفكر وقتا: لو عاد إلى توبته كيف حكمه؟ فهتف به هاتف: أطعتنا فشكرناك، ثم تركتنا فامهلناك، وإن عدت إلينا قبلناك.

وفى أروع ما قرأته فى باب التوبة حديث فى طرقات الصوفية لأبى عبد الرحمن السلمى رضى الله عنه (المتوفى سنة ٤١٢ هـ) جاء فيه ما نصه:

عن جابر رضى الله عنه أن فتى من الأنصار يقال له «ثعلبة ابن عبد الرحمن» كان يحف برسول الله ﷺ ويخدمه، ثم إنه مر بباب رجل من الأنصار، فاطلع فيه، فوجد امرأة الأنصارى تغتسل، فكرر النظر، فخاف أن ينزل الوحى على رسول الله ﷺ بما صنع، فخرج هاربا من المدينة، استحياء من رسول الله ﷺ، حتى أتى جبالا بين مكة والمدينة فولجها، فسأل عنه رسول الله ﷺ أربعين يوما. فنزل جبريل عليه السلام فقال: إن ربك يقرئك السلام ويخبرك أن الهارب فى أمتك بين هذه الجبال، يعوذ بى من نارى.

فبعث رسول الله عمر بن الخطاب وسلمان وقال: انطلقا فأتيانى بثعلبة بن عبد الرحمن، فخرجا فى أنقاب المدينة، فلقيهما راع من رعاة المدينة يقال له ذفافة، فقال له عمر: يا ذفافة: هل لك علم بشاب بين هذه الجبال؟ فقال ذفافة: لعلك تريد الهارب من جهنم؟ فقال له عمر: ما علمك أنه هارب من جهنم؟ قال: إنه إذا كان نصف الليل، خرج علينا من هذا الشعب واضعا يده على أم رأسه يبكى وينادى: ياليتك قبضت روحى فى الأرواح وجسدى فى الأجساد ولا تجردنى لفصل القضاء، فقال عمر: إياه نريد.

قال: فانطلق بهما ذفافة، حتى إذا كان فى بعض الليل، خرج عليهم وهو ينادى: ياليتك قبضت روحى فى الأرواح وجسدى فى الأجساد، فعدا عليه عمر فأخذه، فلما سمع حسه، قال: الأمان، الأمان، متى الخلاص من النار؟. قال له: أنا عمر بن الخطاب، فقال له ثعلبة: أعلم رسول الله ﷺ بذنبى؟ قال: لا علم لى، إلا أنه ذكرك بالأمس فينا،

وأرسلنى إليك . فقال : يا عمر : لا تدخلنى عليه إلا وهو يصلى ، أو بلال يقول : قد قامت الصلاة ، قال : افعل .

قال : فلما أتى به عمر المدينة ، وافى به المسجد ورسول الله ﷺ يصلى . فلما سمع قراءة رسول الله ﷺ خر مغشيا عليه ، فدخل عمر وسلمان فى الصلاة وهو صريع . فلما سلم رسول الله ، قال : يا عمر ، ويا سلمان : ما فعل ثعلبة بن عبد الرحمن ؟ قالا : هو ذا يا رسول الله ، فأتاه رسول الله ﷺ ، فحركه ونبهه ، ثم قال : ما الذى غيبك عنى ؟ قال : ذنبى ، قال : أفلا أعلمك آية تمحو الذنوب والخطايا ؟ قال : بلى يا رسول الله قال : **(ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار)** قال : إن ذنبى أعظم من ذاك ، قال رسول الله ﷺ : بل كلام الله تعالى أعظم . وأمره بالانصراف إلى منزله فانصرف ، ومرض ثلاثة أيام .

وأتى سلمان رسول الله ﷺ فقال : إن ثعلبة مرض لما به ، فقال رسول الله ﷺ : قوموا بنا إليه ، فدخل رسول الله ﷺ فأخذ برأسه فوضعه فى حجره ، فأزال رأسه عن حجر رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : لم أزلت رأسك عن حجرى ؟ قال : لأنه ملآن من الذنوب ، فقال له رسول الله : ما تجد ؟ قال : أجد مثل دبيب النمل بين جلدى وعظمى ، قال : فما تشتهى ؟ قال : مغفرة ربى .

قال : فنزل جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ فقال : يا أخى ، إن ربى يقرأ عليك السلام ويقول : « لو لقينى عبدى بقراب الأرض خطيئة للقيته بقرابها مغفرة » قال : فأعلمه رسول الله ذلك ، فصاح صيحة فمات ، فقام رسول الله ﷺ فغسله وكفنه وصلى عليه ، ثم احتمل إلى قبره ، فأقبل رسول الله ﷺ يمشى على أطراف أنامله ، قالوا : يا رسول الله ، رأيناك تمشى على أطراف أناملك ، قال : لم أستطع أن أضع رجلى على الأرض من كثرة من شيعه من الملائكة .

وأقول تعقيبا على تلك القصة المثيرة : إن ذلك الشاب الأنصارى صدق فى توبته ، فكرمه الله بصدقه وإخلاصه واستحيائه حيث بشره مولانا رسول الله ﷺ بالمغفرة ، وباركه ﷺ عند موته فغسله وكفنه وصلى عليه ، وشيعه إلى قبره وشيعته معه الملائكة الأبرار وتزاحموا فى تشييعه ولا يعجب القارىء العزيز من ضيق ذلك التائب بذنبه وفراره إلى الجبال ، فقد وصف سبحانه توبة ثلاثة من الصحابة الكرام هم سادتنا كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال ابن أمية رضى الله عنهم فقال تعالى واصفا صدق توبتهم فى سورة التوبة **(وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم)** .

وقصة هؤلاء الثلاثة الكرام تبهر العقول وتهز القلوب ، وقد رواها بتمامها الامام البخارى بسنده عن كعب بن مالك وجاء فيما رواه :

قال كعب : لم أتخلف عن رسول الله ﷺ فى غزوة غزاها إلا فى غزوة تبوك ، فكان من خبرى أنى لم أكن قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عن رسول الله ﷺ فى تلك الغزوة ، وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال وهممت أن أرتحل فأدركهم ، وليتنى فعلت ، فلم يقدر لى ذلك ، ولم يذكرنى رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك ، فقال وهو جالس فى القوم بتبوك : ما فعل كعب بن مالك ؟ فقال رجل من بنى سلمة : يا رسول الله ، حبسه برداه ونظره فى عطفيه ، فقال معاذ بن جبل : بئس ما قلت ، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيرا ، فسكت رسول الله ﷺ .

قال كعب بن مالك : فلما بلغنى أنه توجه قافلا حضرنى همى ، فطفقت أتذكر الكذب وأهيؤه لأعتذر به وأقول : بماذا أخرج من سخطه غدا واستعنت على ذلك بكل ذى رأى من أهلى ، فلما قيل إن رسول الله ﷺ قد أظل قادما أى قرب قدومه ، انزاح عنى الباطل وعرفت أنى لن أخرج منه أبدا بشىء فيه كذب ، فأجمعت الصدق ، وأصبح رسول الله ﷺ قادما ، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فيركع فيه ركعتين ثم جلس للناس ، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلا ، فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله ، فجئته ، فلما سلمت عليه ، تبسم تبسم المغضب ، ثم قال : تعال ، فجئت أمشى حتى جلست بين يديه ، فقال : لى : ما خلفك ، ألم تكن قد ابتعت مركوبك ؟ فقلت : بلى ، إنى والله يا رسول الله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر ولقد أعطيت جدلا ، أى فصاحة ، ولكنى والله قد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عنى ليوشكنى الله أن يسخطك على ، ولئن حدثتك حديث صدق تجد ، أى تغضب ، على فيه إنى لأرجو فيه عفو الله ، لا والله ما كان لى من عذر ، ما كنت قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنك ، فقال رسول الله ﷺ : أما هذا فقد صدق ، فقم حتى يقضى الله فيك ، فقمت .

قال : وثار رجال من بنى سلمة فاتبعونى فقالوا لى ، والله ما علمناك كنت أذنبت ذنبا قبل هذا . ولقد عجزت أن تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر إليه المخلفون ، وقد كان كافيك من ذنبك استغفار رسول الله ﷺ ، فوالله ما زالوا يلوموننى لوما عنيفا حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسى ، ثم قلت لهم : هل لقى هذا معى أحد ؟ قالوا : نعم رجلان قالا

مثل ما قلت ، فقيل لهما مثل ما قيل لك ، فقلت : من هما ؟ قالوا : مرارة بن الربيع العمرى ، وهلال بن أمية الواقفى ، فذكروا لى رجلين صالحين قد شهدا بدرا لى فيهما أسوة .

قال : فمضيت حين ذكروهما لى ، ونهى رسول الله ﷺ عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه ، فاجتنبنا الناس فتغيروا لنا حتى تنكرت فى نفسى الأرض فما هى التى أعرف . فلبثنا على ذلك خمسين ليلة ، فأما صاحباى فاستكانا وقعدا فى بيوتهما يبكيان ، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم ، وكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين ، وأطوف فى الأسواق ولا يكلمنى أحد ، وآتى رسول الله ، ﷺ ، فأسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة ، فأقول فى نفسى : هل حرك شفتيه برد السلام على أم لا ؟ ثم أصلى قريبا منه فأسارقه النظر ، فاذا أقبلت على صلاتى أقبل إلى ، فاذا التفت نحوه أعرض عنى .

قال : حتى إذا طال على ذلك من جفوة الناس ، مشيت حتى تسورت جدار حائط أبى قتادة ، وهو ابن عمى وأحب الناس إلى ، فسلمت عليه فوالله مارد على السلام ، فقلت : يا أبا قتادة أنشدك بالله : هل تعلمنى أحب الله ورسوله ، فسكت ، فعدت إليه فنشدته فسكت ، فعدت له فنشدته فسكت ، فقال : الله ورسوله أعلم ، ففاضت عيناى ، وتوليت حتى تسورت الجدار .

قال : حتى إذا مضت أربعون ليلة فى الخمسين ، إذا رسول الله يأتينى فقال : إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك فقلت : أطلقها أم ماذا أفعل : قال : لا ، بل اعتزلها ولا تقربها ، وأرسل إلى صاحبى مثل ذلك ، فقلت لامرأتى : الحقى بأهلك ، فتكونى عندهم حتى يأذن الله فى هذا الأمر ، فلبثت بعد ذلك عشر ليال حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله ﷺ عن كلامنا .

قال : فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة وأنا على ظهر بيت من بيوتنا ، فبينما أنا جالس على الحال التى ذكرها الله قد ضاقت على نفسى وضاقت على الأرض بما رحبت ، سمعت صوت صارخ أو فى على جبل سلع بأعلى صوته : يا كعب بن مالك ، أبشر ، قال : فخررت ساجدا ، وعرفت أن قد جاء فرج ، وآذن رسول الله ﷺ (آذن أى أعلم) الناس بتوبة الله علينا حين صلاة الفجر ، فذهب الناس يبشروننا ، وذهب قبل صاحبى مبشرون ، وركب رجل إلى فرسا وركضها ، وسعى ساع من أسلم ، فأوفى على الجبل ، وكان الصوت أسرع من الفرس ، فلما جاءنى الذى سمعت صوته يبشرنى ، نزعت له ثوبى ، فكسوته إياهما ببشراه ، والله ما أملك من الثياب غيرهما يومئذ ، واستعرت ثوبين فلبستهما .

قال : وانطلقت إلى رسول الله ، ﷺ ، فتلقانى الناس فوجا فوجا يهنئونى بالتوبة يقولون : لتهنك (بفتح التاء) توبة الله عليك ، قال كعب : حتى دخلت المسجد ، فاذا رسول الله ﷺ ، جالس حوله الناس ، فقام إلى طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحنى وهنأنى ، والله ما قام إلى رجل من المهاجرين غيره ، ولا أنساها لطلحة .

قال كعب : فلما سلمت على رسول الله ﷺ ، قال رسول الله ، ﷺ . وهو يبرق وجهه من السرور : أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك ، قال : قلت : أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟ وكان رسول الله ﷺ ، إذا سر استنار وجهه كأنه قطعة قمر ، وكنا نعرف ذلك منه ، فلما جلست بين يديه قلت : يا رسول الله : إن من توبتى أن أنخلع من مالى صدقة إلى الله وإلى رسوله ، قال رسول الله ﷺ : أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك ، قلت : فانى أمسك سهمى الذى بخيبر ، وأنزل الله على رسوله ﷺ **(لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والأنصار)** إلى قوله **(وكونوا مع الصادقين)** أقول : والآيات التى أشار إليها رضى الله عنه هى بتمامها **(لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رءوف رحيم . وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم . يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)** .

قال كعب : فوالله ما أنعم الله على من نعمة قط بعد أن هدانى للاسلام أعظم فى نفسى من صدقى لرسول الله ﷺ .

قال كعب : وكنا تخلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم ، وأرجأ رسول الله ﷺ أى أخر أمرنا ـ حتى قضى الله فيه ، فبذلك . أى الارجاء ـ قال الله تعالى **(وعلى الثلاثة الذى خلفوا)** وليس الذى ذكر الله من أجل تخلفنا عن الغزو ، وإنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له ﷺ واعتذر إليه فقبل منه .

أقول : أرأيت أيها القارىء العزيز ما بلغ الندم بهؤلاء الثلاثة من سادتنا الصحابة الكرام البررة ، حيث ضاقت عليهم الأرض بما رحبت بل وضاقت عليهم أنفسهم ، وذلك من أثر استحيائهم من الله حين تخلفوا عن مولانا رسول الله ﷺ ولم يخرجوا معه إلى ساحة القتال . والذى وصفهم هذا الوصف الدقيق هو الله العليم الخبير الذى يعلم السر

وأخفى . وقد جاءهم منه سبحانه الفرج بعد الشدة والسرور بعد الحزن وشرفهم بتوبة خالدة يتلو نبأها العابدون فى السموات والأرض : فيسترضون الله عن أولئك الصادقين فى ظواهرهم وبواطنهم ، ويتمنى المذنبون أن يسعدهم سبحانه بمثل هذه التوبة ـ وإن لم يبلغوا إلى الفضل مبلغ هؤلاء ويحدوهم فى التوبة الأمل اعتمادا على فضل الله الكبير الذى يعامل به عباده المؤمنين من الأولين والآخرين ، ولا شك أنه لا ملجأ من الله إلا إليه ، ولا معول للمذنبين إلا عليه ، وكيف لا وهو القائل بحق فى سورة الزمر (**قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم**.

ومما نقلناه من شعر الالهام الفورى المرتجل لشيخى وسيدى الشيخ على عقل قوله ـ طيب الله ثراه ـ فى قوة رجائه فى عفو ربه سبحانه :

إذا رابنى ذنبى دعتنى محبتى
إليه وما ذاتنى الذنوب عن الحب
حياتى حياة المذنبين ومهجتى
لها ادب فى الحب جل عن الذنب
فيارب إن زادت عيوبى فاننى
وثقت بان الفضل اوسع من ذنبى
فان كان ذنبى مبعدى عنك لحظة
فانك غفار الذنوب بلا ريب
وإن كان لى مما فعلت جريمة
فحوضك لى طهرى وفضلك لى طبى
وما ذلتى إلا التجائى لوجهكم
فوجهكمو دون العوالم لى قطبى

وكذلك نقلنا استماعا منه قوله رضى الله عنه :

لم يفتنى تذكر الذنب يوما
إن ذنبى يطيل من حسراتى
انا والله لا اخاف سواه
كل من فى الوجود عبد الذات
لم ار العصمة التى زعموها
إنما الذنب مظهرى وسماتى
دون ذنب ما كنت ادرك عفوا
إن عفو الاله ازكى صلاتى (بسكر الصاد)
رب هبنى رضاك سرا وجهرا
واعف عنا يا غافر الزلات

وقوله رضى الله عنه :

إن كنت تحسب ان فى المال الغنى
انا قد جعلت رضا المهيمن مالى
انا إن اكن اجنى الذنوب فانما
روحى ارتمت فى بحره الغسال
مد اليدين إليك افضل شرعة
ولغير وجهك لا يصح سؤالى
انا عند ظنى فيك انك مكرمى
مع زلتى ولجاجتى وجدالى
فاجعل هداك شريعتى وذريعتى
واجعل شهودك لى مسرة حالى
روضى المحبة قد شهدت جماله
وجلاله فثبت فى احوالى
فتشت كل الخلق عن علم فلم
ارى سوى رب السما من والى
فتركت كل العالمين وجئته
وجعلت ذكرى ذاته منوالى
يا نفس إنى لا امالئ غيره
قومى إلى حوض الكريم تعالى (بكسر اللام)
يارب قلبى قد غسلت من الورى
إذ ليس غيرك ما حييت ببالى

ألا رضى الله عن سلفنا الصالح وعن شيوخنا المباركين الذين سلكوا مسلكهم وكانوا قدوة صالحة لمن اراد أن يتخذ إلى ربه سبيلا

بقية مقال « التدبر فى مخلوقات الله »

واللعاب ، وتسبب اية إصابة فى هذا الموضع القضاء على الانسان فى الحال .

● ● ويعترف العلماء بان كل ما توصلوا إليه من معلومات عن مخ الانسان وعن جهازه العصبى ما هو إلا قطرة من محيط علم الله سبحانه وتعالى الذى احاط بكل شىء علما «وخلق كل شىء فقدره تقديرا» «ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء» .

● ● وبعد . . . فهذا هو خلق الله . . . وهذه اياته والاؤه ونعمه على الانسان الذى كرمه وفضله على سائر مخلوقاته بما حباه من عقل ، وما اتاه من حكمة ليتدبر فى خلق ما حوله وما يحيط به وفى ذات نفسه ، ليستشعر عظمة الله فى كل احواله ويلهج لسانه بحمده وتسبيحه .

وقد قال احد الصالحين : « إنى لأخرج من منزلى فما يقع بصرى على شىء إلا رايت لله على فيه نعمة ، ولى فيه عبرة »

هدانا الله إلى معرفته . . . واعاننا على ذكره وشكره وحسن عبادته .

على عيسى

من تجليات أسماء الله الحسنى

الشفاعة

الأستاذ زكريا عامر البكرى

وعدنا فى المقال السابق مع الرحمن جل جلاله أن نكمله فنقول وبالله التوفيق .

للرحمن تجليات رحمانية تحدثنا عنها الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تنقلنا من عالم الأشباح إلى عالم الأرواح وتقذف بنا فى راموز اللطائف الربانية وآية آيات التجليات الرحمانية شفاعة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم وبحمد الله نبدأ بورد ما أفاض به الرحمن على بعض علماء تفسير الآيات القرآنية فالامام الجليل الحافظ ـ عماد الدين أبو الفدا اسماعيل بن كثير يذكر فى مؤلفه شارحا قول الله تعالى « من ذا الذى يشفع عنده إلا باذنه » « وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا إلا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى » « ولا يشفعون إلا لمن ارتضى » ويقول رضى الله عنه : وهذا من عظمته وجلاله وكبريائه عز وجل انه لا يتجاسر أحد على أن يشفع لأحد عنده إلا باذنه له فى الشفاعة كما فى حديث الشفاعة « آتى تحت العرش فأخر ساجدا فيدعنى ما شاء الله أن يدعنى ثم يقال ارفع رأسك وقل تسمع واشفع تشفع ـ قال ـ فيحد لى حدا فادخلهم الجنة » .

والعالم الجليل فضيلة الشيخ سليمان بن عمر العجيلى الشافعى الشهير بالجمل فى مؤلفه الفتوحات الالهية يقول « وقد ثبت شفاعة الأنبياء يوم القيامة بالأحاديث كحديث أنس سألت النبى ﷺ « أيشفع لى يوم القيامة فقال أنا فاعل » حسنه الترمذى وإيضاحه أنها مقيدة بآية إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا والنبى ﷺ مأذون له أو ـ يستأذن فيؤذن له .

والامام القرطبى فى مصنفه الجامع لأحكام القرآن يذكر أنه تقرر فى هذه الآية « **من ذا الذى يشفع عنده إلا باذنه** » أن الله يأذن لمن يشاء فى الشفاعة وهم الأنبياء والعلماء والمجاهدون والملائكة وغيرهم ممن أكرمهم وشرفهم الله ثم لا يشفعون إلا لمن ارتضى كما قال تعالى « ولا يشفعون إلا لمن ارتضى » .

قال ابن عطية : والذى يظهر أن العلماء والصالحين يشفعون فيمن لم يصل إلى النار وهو بين المنزلتين أو وصل ولكن له أعمال صالحة وفى البخارى فى باب بقية من أبواب الرؤية « ان المؤمنين يقولون ربنا إن إخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا وهذه شفاعة فيمن يقرب أمره وكما يشفع الطفل المحبنطىء على باب الجنة (المحبنطىء : اللازق بالأرض) وفى الحديث » « أن السقط يظل محبنطئا على باب الجنة قال ابن الأثير : المحبنطىء (بالهمز وتركه) المغضب المستبطىء للشىء وقبل هو الممتنع امتناع طلبة لا امتناع آباء . وهذا إنما هو فى قراباتهم ومعارفهم .

وأن الأنبياء يشفعون فيمن حصل فى النار من عصاة أممهم بذنوب دون قربى ولا معرفة بنفس الايمان .

والأستاذ الجليل العلامة علاء الدين البغدادى الشهير بالخازن فى مصنفه المسمى بلباب التأويل فى معانى التنزيل يذكر فى قوله تعالى « من ذا الذى يشفع عنده إلا باذنه » أى بأمره وهذا استفهام إنكارى والمعنى لا يشفع عنده أحد إلا بأمره وإرادته وذلك لأن المشركين زعموا أن الأصنام تشفع لهم فأخبر أنه لا شفاعة لأحد عنده إلا ما استثناه بقوله إلا باذنه يريد بذلك شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم وشفاعة بعض الأنبياء والملائكة وشفاعة المؤمنين بعضهم لبعض .

والامام النسفى يفسر قوله تعالى . « من ذا الذى يشفع عنده إلا باذنه » فيقول رضى الله عنه « بمعنى ليس لأحد أن يشفع عنده إلا باذنه وهو بيان لملكوته وكبريائه وأن أحدا لا يتمالك أن يتكلم يوم القيامة إلا اذا أذن له فى الكلام » .

والامام القشيرى رضى الله عنه وأرضاه فى مؤلفه لطائف الاشارات يذكر فى قوله تعالى « من ذا الذى يشفع عنده إلا باذنه فيقول رضى الله عنه كلاما نفيسا » من ذا الذى يتنفس بنفس إلا باجرائه أو يتوسل إليه من دون إذنه

وإبدائه ومن ظن أنه يتوسل إليه باستحقاق أو عمل أو تذلل أو أمل أو قربة أو نسب أو علة أو سبب فالظن وطنه والجهل مألفه والغلط غايته والبعد قصاراه وهو الامام القشيرى فى تفسيره قول الله تعالى : **ما من شفيع إلا من بعد إذنه** « يذكر هو الذى ينطق من يخاطبه وهو الذى يخلق ما يشاء على من يشاء إذا التمس يطالبه .

وفى مقام الاذن بالشفاعة يذكر مولانا الامام القشيرى قوله جل ذكره « **يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا** » .

دليل الخطاب أن من أذن له الشفاعة تنفعة الشفاعة واذا قبلت شفاعة أحد فباذن الرحمن فمن المحال ألا تقبل شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم وهو صلى الله عليه وسلم أفضل الكافة وشفاعة الأكابر من صفوته مقبولة فى الأصاغر فى المؤجل والمعجل والحق سبحانه يشفع الشيوخ فى مريديهم اليوم ويقال شفاعة الرسول عليه السلام غدا للمطيعين بزيادة الدرجة وللعاصين بغفران الزلة .

وكذلك شفاعة الشيوخ للمريدين على قسمين للذين هم أصحاب السلوك فبزيادة التحقيق والتوفيق وللذين هم أصحاب التخبط والغرة فليتجاوز عنهم وعلى هذا يحمل قول قائلهم .

إذا مرضتم آتيناكم نعودكم وتذنبون فناتيكم ونعتذر

والامام القشيرى فى الشفاعة لمن ارتضى له قول شريف فى تفسير قوله جل جلاله « **ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون** » فيعلمنا مغزى لطيفا وهو أن الله يتقبل من المتقين صدق الله « إنما يتقبل الله من المتقين . فيقول رضى الله عنه إن هناك قوما إذا أرادوا أراد الله هم صفوة أهل الله وفسر قوله الله تعالى » « لا يشفعون إلا لمن ارتضى » بعبارته الرقيقة الدقيقة فقال رضى الله عنه « دل على أنهم يشفعون لقوم وأن الله يتقبل شفاعتهم » .

وأنه فى تصويرى أن الوارثين المحمديين ورثوا ما ورثه لهم المصطفى صلى الله عليه وسلم كل على قدر إرثه المحمدى من هذه الشفاعة كل بقدر إمداده وبقدر استعداده .

والامام القرطبى رضى الله عنه يوضح لنا معنى الشفاعة فى قوله تعالى « **من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها** » سورة النساء آية ٨٥ ويقول رضى الله عنه « فالشفاعة إذا ضم غيرك إلى جاهك ووسيلتك فهى على الحقيقة إظهار لمنزلة الشفيع عند المشفع وإيصال المنفعة إلى المشفوع له » .

ويوضح لنا كذلك قوله تعالى فى سورة سبأ : « **ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له** » آية ٢٣ فيقول رضى الله عنه إن الله تعالى يأذن للأنبياء والملائكة فى الشفاعة وهم على غاية الفزع من الله » .

والامام الزمخشرى يفسر لنا معنى قوله تعالى « **واستغفر لذنبك** » فيقول رضى الله عنه (**نقلا عن كتاب فضائل النبى صلى الله عليه وسلم فى القرآن لفضيلة الشيخ عبد الله الصديق الغمارى الحسنى**) « أمر له بالتحدث بنعمة الله عليه بعصمته من الذنوب والتحدث يكون فى صورة طلب واستغفار كما يكون فى صورة خبر واستبشار والحكمة فى هذا الأمر تنبيه الأمة إلى الاستغفار تأسيا بنبينا صلى الله عليه وسلم وعطف قوله (**وللمؤمنات**) ليفيد تشريف الأمة باستغفار نبينا عليه السلام لها مع الاشارة إلى أنه عليه الصلاة وأزكى السلام مأذون له بالشفاعة فيهم لأن الاستغفار استشفاع .

والامام القشيرى فى تفسير قوله تعالى « **ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما** » النساء آية ٦٤ يقول فى مؤلفه لطائف الاشارات وقوله « **ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك** » « لو جعلوك ذريعتهم لوصلو الينا » .

والامام القرطبى فى قوله تعالى « **ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك** » يذكر روى أبو صادق عن على قال : قدم علينا أعرابى بعد ما دفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاثة أيام فرمى بنفسه على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحثا على رأسه من ترابه فقال : قلت يارسول الله فسمعنا قولك ووعيت عن الله فوعينا عنك وكان فيما أنزل الله عليك ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم الآية وقد ظلمت نفسى وجئتك تستغفر لى فنودى من القبر أنه قد غفر لك - وكذلك ثابت ذلك فى كتاب تحفة التبصرة .

رحم الله سيدى عبد الكريم بن إبراهيم الجيلانى الذى حوى فى كتابه الانسان الكامل هذين البيتين فى وصف تجلى الرحمن فى الذات المحمدية .

هو آية الرحمن أعنى صورة
فيها تجلى بالجمال الأكيس
هو فعله هو وصفه هو اسمه
هو منه مجلى كل حسن أنفس

والسادة علماء الحديث رضى الله عنهم يوردون لنا الأحاديث الواردة فى شفاعة الحبيب المصطفى ﷺ ونورد بعضها وبالله التوفيق .

وأمام أهل السنة مولانا القطب الربانى والغوث الرحمانى سيدنا فضيلة الشيخ نجم الدين الكردى رضى الله عنه يحقق تحقيقا علميا لأحاديث الشفاعة وفى هذا المقام نورد بعضا منها .

يقول السيد السند ﷺ « **أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع** » !

صحيح مسلم الجزء السابع كتاب الفضائل .

تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق ص ٥٩ وكذلك رواه البيهقى من طريق معمر بن راشد كما رواه الحاكم فى

المستدرك الجزء الأول كتاب الايمان ص ٣٠ ويقول الشافع المشفع ﷺ.

« أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلى نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لى الأرض مسجدا وطهورا وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى وأعطيت الشفاعة وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة ».

البخارى الجزء الأول كتاب الوضوء باب التيمم ص ٩١ وصحيح مسلم الجزء الثانى كتاب المساجد مواضع الصلاة أول الكتاب ص ٦٣

فقوله ﷺ « وأعطيت الشفاعة : يعنى بذلك الشفاعة العظمى التى اختص بها ﷺ دون غيره يغبطه بها الأولون والآخرون .

وفى ص ٧٨ من كتاب تنوير القلوب فى معاملة علام الغيوب مولانا العارف بالله تعالى فضيلة الشيخ محمد أمين الكردى رضى الله عنه شرح واف لشفاعة المصطفى ﷺ فى فصل القضاء وجميع الخلائق ينادونه من دون منبره العالى . يا حبيب رب العالمين وسيد الأنبياء والمرسلين قد عظم الأمر وجل الخطب وطال الوقوف واشتد الكرب فاشفع لنا إلى ربك فى فصل القضاء فمن كان منا من أهل الجنة **(يؤمر به إليها ومن كان منا من اهل النار يؤمر به إليها .**

الغوث يا محمد فأنت صاحب الجاه المبعوث رحمة للعالمين فيقول ﷺ **« أنا لها إن شاء الله »** ثم يقوم مقاما لا يقوم أحد من الخلق غيره ويسجد لله تعالى ويثنى عليه ثناء يلهمه الله إياه فى ذلك الوقت لم ينطق به أحد من الخلق غيره فينادى يا محمد أرفع رأسك وأشفع تشفع وسل تعطه وقل يسمع لك .

ولمولانا صاحب الفضيلة والرشاد العلامة المحقق المدقق الفقيه الصوفى وحيد عصره الأستاذ الكامل الشيخ سلامة العزامى رضى الله عنه وأرضاه فى مصنفه البراهين الساطعة ص ٤٠٣ كلام فى غاية الدقة فيقول رضى الله عنه ـ منشأ استغاثة المسلمين بنبيهم وصالحى اتباعه وتوسلهم بهم هو كمال الايمان الراسخ فى قلوبهم بمكانة نبيهم ﷺ عند ربهم عز وجل . ومكانة مكمل التابعين له وبأنه لا يستوى عند الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء وبأن أكرم الناس عنده تعالى أتقاهم وأن كل من كان أقوم بالتقوى كان أقرب عند الله زلفى فتكون عناية الله به أتم وأعلى فيكون التوسل به إلى الله ونداؤه والالتجاء إليه والصلاة عليه والترضى عنه من أعظم مفاتيح رحمة الله وأقوى الأسباب لتنزل فضل الله على من تعاطاه . مصنفه ويذكر مولانا العزامى قدس الله سره فى مصنفه ص ٤١٦ ، ٤١٧ .

وصح عن ابن عباس أن الله أوحى إلى عيسى ابن مريم عليه السلام « **يا عيسى آمن بمحمد وأمر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقت آدم ولولاه ما خلقت الجنة والنار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن** » .

أخرجه الحاكم فى المستدرك وأخرجه غيره .

وما أحسن ما قاله شاعره المؤيد بروح القدس حسان ابن ثابت رضى الله عنه .

أغر عليه للنبوة خاتم

إذا قال فى الخمس المؤذن اشهد

وشق له من اسمه ليجله

فذو العرش محمود وهذا محمد

وللشفاعة أنواع كما ذكرها سيدنا الامام أبو البركات سيدى أحمد الدردير رضى الله عنه فى شرح الخريدة ص ٦٠ ، ٦١ .

الأول شفاعته ﷺ فى فصل القضاء لا راحة الخلق من طول الوقوف ومشقته وهى مختصة به ﷺ. **الثانى** شفاعته فى إدخال قوم الجنة بغير حساب قال النووى وهى مختصة به . **الثالث** الشفاعة فيمن استحق دخول النار أن لا يدخلها قال عياض وليست مختصة به وتردد النووى أى لأنه لم يرد تصريح بذلك **الرابع** الشفاعة فى إخراج قوم من النار ويشاركه فيها الأنبياء والملائكة وصالحو المؤمنين **الخامس** الشفاعة فى زيادة الدرجات وجوز النووى اختصاصها به عليه الصلاة والسلام . **السادس** الشفاعة فى تخفيف العذاب عمن استحق الخلود فى النار والأخ الفاضل فضيلة الشيخ عبد الفتاح أبو سنة رضى الله عنه فى مقاله سيد الشفعاء مجلة منبر الاسلام ربيع الأول سنة ١٣٩٦ ذكر أنه تتعدد شفاعة المصطفى ﷺ يوم العرض حتى تبلغ العشرين والامام أبو حامد الغزالى رضى الله عنه يقول كلاما نفيسا فى معنى الشفاعة فيقول رضى الله عنه « **إنها نور يشرق من الحضرة الالهية على جوهر النبوة** » .

حقا وصدقا إن جوهر النبوة رحمات إلهية والتوسل والتشفع بالذات المحمدية هى جوهر المنة الرحمانية .

ولله در العلامة الامام يوسف النبهانى حيث يقول فى مصنفه السابقات الجياد فى مدح سيد العباد ﷺ .

فـاز مـن ينتمـى إليه ولاحـاجة
فيــه لــذلك الانتمـاء
هــو فى غنية عن الخلق طـرا
وهـم الـكل عنـه دون غناء
وهــو لله وحــده عبد خــالص
الله إليـه ومنـه للأشيـاء

هذه هى شفاعته صلى الله عليه وسـلم يتشـفع ومـا لـه شفعاء.

صدق القائل:

يا شـفيعا مالـه شفعـاء
يانبيا ولسـت طينا ولا مـاء

اللهم اجعل نور ما كتبناه فى الميزان يوم أن نلقـى الله يتشفع لنا عند سيدنا رسول الله ﷺ لننال شفاعته ﷺ.

والله الموفق.

ابنة الزهراء: السيدة زينب

كانت رضى الله عنها مثل باسقات الشجر، ألقت ظلها المديد الوارف على قيم الحياة الانسانية فـأضاءت المكان حـولها وأضـاءت الزمـن.. حتى اعتلت أمجاد هذه القيم كلها لا تشاركها فيها واحدة.. ولا يقاسمها أحد، سواء من السابقات عليها أو المعاصرات لها أو الآتيات بعدها... جاء مولدها فى العام الثالث بعد الهجرة النبوية. ورضعت ـ مـع لبن الأم ـ أخـلاقيات الانسـان التى تمثلت وتبلورت فى بيت النبوة، فوالدتها سيدة نساء أهل الجنة السيدة فاطمة الزهراء. ووالدها أبو الشهداء سـيدنا على بن أبى طـالب. أمـا أكبر أشقائها فهو سيد الشهداء ـ بعد أبيه ـ الامـام عبد الله الحسـين، وقـد ولد بعدها بسنة واحدة.

وشاء قدرها رضى الله عنها أن تعايش وتعـاصر المنتفعين بالاسلام من بنى أمية، كما شاء قدرهـا أن تشـهد وأن ترى مذابح التصفية الجسدية التى دبرهـا ونظمهـا على أحفـاد النبى وآل بيته ـ خليفة من الأمويين يدعى يزيد بن معـاوية ابن أبى سفيان. فواجهت السـيدة زينب كل تلك الأحـداث بشجاعة تتصاغر أمامها سيرة الأبطال على طول المحـطات الزمنية. فبعد استشهاد شقيقها الامـام عبد الله الحسـين ومن معه من اخوة وأنصار فى واقعة كربلاء، وقفـت أمـام يزيد وحوله السفاحون والقت دفاعها الباقـى عن شـهداء العقيدة وعن كرامة بيتها معلنة أن نذالة الجبناء لن تدوم فى أرض سقتها دماء المؤمنين.

وعندما أراد يزيد قتل زين العـابدين على بن الحسـين ـ وهو ابن شقيقها ـ حالت السيدة زينب دون إرادته. وهكذا قدّر للبيت النبوى أن يكون له امتداد تاريخى وموضوعى فى حياة الامام زين العابدين الذى أصـبح رابع الأئمـة الأثنى عشر عند الامامية.. ولم تسـلم السـيدة زينب.. رضى الله عنها ـ من عبث السفاحين، فنقلوها مع السبايا الى الكوفة ثم الشام وهناك شـدهـا الحنين الى المدينة المنورة حيث مثوى جدها لوالدتها نبى الاسـلام، وحيث البقيع. غير أن والى المدينة اشار عليها بالهجرة فاختارت مصر وطنا ثانيا لها.. وكان غرة هلال شهر شعبان عام ٦١ بعد الهجـرة ـ ٢٦ ابريل ٦٨١ ميلادية ـ يشرق على سماء مصر حين بلغت السيدة زينب مشارف بلدة العباسـة مـن أعمـال مـركز أبو حماد بمحافظة الشرقية فاستأنفت الطريق الى القاهرة فى موكب حافل ومعها من أهل بيت النبى زين العابدين على ابن الحسين والسيدة سكينة بنت الحسين والسيدة فـاطمة النبوية. فـاستضافها والى مصر (مسـلمة بن مخلد) فى بيته. وخلال أحد عشر شهرا ـ هـى بقية عمـرهـا ـ كانت السـيدة زينب هـى المثل الأعلى لصبر العبادة وشجاعة المؤمن وكرامة الانسان. وحين شاء قدرهـا أن تستريح بعد مرارة المعاناة وحلاوة الجهاد فى سبيل الله فـاضت روحهـا الطاهرة مساء يوم الأحد ١٤ رجب عام ٦٢ بعد الهجـرة ـ ٢٧ مـارس ٦٨٢ ميلادية ـ فـاختير بيت اقـامتها مثوى لجثمانها الطاهر حيث هـو الآن بمـدينة القـاهرة.. بعـد حوالى تسعة وخمسين عاما أنفقتها كلها دعوة لله سـبحانه وتعالى ودعاء إليه ورجاء فيه واعتزازا به.

رضى الله عنهـا.. ورضى الله عليهـا.. وأرضـاهـا.. فـالسيدة زينب هـى والدتنا ـ فى الله ـ وهـى المثل الأعلى يهتدى به زوار الحياة كلما يفد عليها مولود جديد.

العلم والايمان

من ملامح وأخلاق مجتمع العلم والإيمان

فضيلة الشيخ
مصطفى عبد الحليم الجندى

فى الجزء السابق من هذا البحث (الذى طال كثيرا .. وحق له أن يطول) والذى لا نبتغى من ورائه شيئا : أكثر من النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم ، لأن ذلك هو الدين ، وإلا أن نذكر المجتمعات الاسلامية المعاصرة التى تنتمى إلى معسكر الايمان ، وتنتسب إلى حظيرة الاسلام : بأخلاق وملامح مجتمعات الايمان الأولى التى عايشت عهد النبى ﷺ ، وعهود السلف الصالح لأمة الاسلام والايمان .. وذلك لتكون لمسيرتهم اليوم نورا على الطريق يحدوها إلى الخير ، ويسوقها إلى المعروف ، بعد أن تستهوى قلوب أفرادها فتهفوا إليه ، وتكون هذه الأخلاق والملامح هادية لهم إلى ما تتطلع أبصارهم إليه ، وتشرأب أعناقهم لنيله أو الوصول إليه : من إحياء لمعالم الاسلام ، ومن بعث جديد لملامح وأخلاق الايمان ، لتتجلى مرة أخرى على الوجود كأبهى وأجمل وأسمى ما تكون .

وكان آخر ما استعرضناه معك من ملامح وأخلاق مجتمع لايمان كما كانت من قبل . . وكمـا يجـب أن تكون اليوم – يها القارىء العزيز – نجلى المبادىء الاسلامية ، والتعاليم لقرآنية فى أجواء هذه المجتمعات الايمانية . . وسـيطرتها لى الحياة فيها ، وهيمنتها على كل صـغيرة وكبيرة تتعلق أمورهم ، أو ترتبط بحياتهم أو تنظم شئونهم وعلاقاتهم . . كان أبرز مـا يتجلى مـن هـذه المبادىء : هـذه الثلاثة :
١ – المساواة ٢ – والشورى ٣ – والحكم بقـانون الله بارك وتعالى :

ومن هذا المنطلق الذى سيطرت وسادت فيه هذه المبادىء لعملية التطبيقية التى كانت تشكل واقع المجتمـع المؤمـن لذى ينتمى إلى حظيرة الاسلام : إنصرف المسلمون الذين سعدوا بواقعهم الرشيد والسعيد إلى بناء الدنيا وعمارتها ، لى تنمية الحياة وتطويرها على أرضهم ، وفـوق كل أرض كان لها حظ الفتح الاسلامى ، وكان لها شرف مقـدم النور لجديد تستقبله على أرضها وتستوعب تعاليمه فتؤمن بهـا ن حب وتنضم إلى مسيرة أصحابها فى حماس ، كما اتجه فراد هذا المجتمع الجديد فى الوقت نفسـه إلى جهـاد نشر لدعوة بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، والجـدال بالتى هـى حسن ، وإعطاء المثل من أنفسهم ، والأسوة الحسـنة مـن اقع أخلاقهم ومعاملاتهم وهم آمنون مطمئنون على دمائهم أموالهم وأعراضهم من أن يمسسـها حيف أو تنالهـا يد عدوان .

فلقد استشعر الانسان المؤمن الذى سعد به العيش فى هذه المجتمعات الاحساس بقيمته الانسـانية وباهميته دوره الجليل فى الاسـهام فى صـنع الحياة ، وإعادة صياغتها من جديد ، بأفضل الوسـائل واقصر السـبل : تتسق فى النهاية مع الحكمة من الخلق ، والغـاية مـن الوجود . . فلم يبخل بشىء على مجتمعـه الذى حقـق له الأمن والأمان ، والرخـاء والسـلام ، ولم يضـن بجهـد ولا عمـل على مجتمعـاته المؤمنة الرائدة . . بل انه قـد اعطى هذه المجتمعات الرائدة عمله المبدع الخـلاق الذى يشكل عناصر حضـارتها الحقيقية والذى يحقـق لمجتمعاته القدرة والطاقة التى تتحدى وتباهى بها أمـم الأرض . وهو فى الوقت نفسه . . وفى هيمنة هذه المبادىء وفى دائرة هـذا المناخ المثالى لا ينسى دوره كداعية (إذ لم تكن الدعوة يومئذ حرفة ولا مهنة أو وظيفة) . . فلا يبخل على الاسلام ودعوته بجهـد ، ولا ينسى فى وقـت مـن الأوقات أنه صـاحب رسـالة : عليه أن يبشر بهـا عمله وخلقه ، وسمته وسلوكه : قبل كلامه ومقاله .

وذلك من أجل أن يكسب الاسلام ودعوة إيمانه فى كل يوم أرضا جديدة تضاف إلى أرضه . . وتوسع مـن دائرة دعوته وانطلاقه ، وتحقق له العالمية والانتشار ولولا الاسـتعمار البغيض ، ولولا الأساليب الماكرة والخبيثة الذى استطاع ان يتسلل بها إلى مجتمعات الايمان وأرض الاسـلام ، فى غفلة من أهله ، وفى غفوة من أفراده . . لكان من المرجح أن تكون خريطة الاسلام ومجتمعات الايمان بفضل هـذا الانسـان الذى نعم بنعمة الايمان ، وسعد بثمارها ، والذى ازدانت به مجتمعات الأرض يوما ما : شيئا مختلفـا عمـا هـى عليه اليوم . .

ولقد كان من المبادىء الاسـلامية التى كانت تتجلى على ربوع هذه المجتمعات الايمانية والتى كان يعتنقها قادة هذه المجتمعات ، وحكامها الراشـدون : هـو إدراكهـم لهـذه الحقيقة : (التى سنجعل هذا الجزء من البحـث وقفـا على الحديث عنها) – وهى : أن أول واجـب عليهـم حيال مـن حملوا أمانتهم ، والقى على عواتقهم مسئولية قيادتهـم – : هو تحقيق الأمن والأمان ، والسلم والسلام لكل فرد منهم ، ليس ذلك عن ضعف أو خور . . ولكن ذلك فقها وفهما لتوجيه القرآن الكريم ، وعملا بتعاليمه ، واسـتجابة لهـدى النبى ﷺ وسـيرا على دربه وتفـريغا لجهـد وطـاقات مجتمعاتهم وشعوبهم ، وتوجيها لهمم الأفراد فيهـا لتتجه إلى تحقيق غايات ما نيط بأعناقهم من الاسـهام فى صـنع الحياة من حولهم على سنن من هـدى الله تعـالى وتعـاليم رسـوله ﷺ حتى تحقـق للناس حياة الرخـاء والرفـاهية والأمل فى مستقبل سعيد ، وحياة أفضل . . يلتقى فيها البشر على كلمة سواء . . قوامها الايمان بالله تعالى والعمـل مـن أجل لقـائه ولقـد كانت ولا تزال مبادىء السـلم العـام الاسلامية التى سيطرت على المجتمعات الايمانية تقوم على دعامتين : ١ – التوجيه والتعليم القـرآنى مـن أجـل فهـم الحقائق . . ٢ – التربية المحمدية للمؤمنين عن طـريق ضرب المثل ، وإعطاء الأسـوة لما يجب أن تقـوم عليه العـلاقات الفردية والاجتماعية والانسانية مـع سـائر الناس . **ففـى مجال التوجيه والتعليم القرآنى مـن أجـل أن يفهـم عليه** العلاقات ومن أجل أن يعمل الحكام الراشدون على تطبيقها وهيمنتها على تصرفاتهم وقرارتهم بقول الله عز وجل :

(يايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء » (من الآية ١ من سورة النساء) .

وبقوله تبارك وتعـالى :

« يايهـا النـاس إنا خلقناكم مـن ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن اكرمكم عند الله اتقاكم » .

لقد استهدف القرآن الكريم مـن وراء هـذه التوجيهـات الالهية أن يفهم الناس حكاما ومحكومين هذه الحقائق :

١ – أن أصل الانسان واحد .

٢ – أن مقتضى هذا الاتحـاد فى الأصـل تآلف الفـروع وتعاونها وتعايشها فى الاسلام .

٣ – أن تسود علاقة الحب والود صـلاتهم ببعضـهم . لا ان يبغى بعضهم على بعض وهـذا المعنى بعينه قـد

أكده الرسول ﷺ فى حجة الوداع فى أقوى العبارات وأبلغها دلالة وأعظمها وقعا فى قلوب الناس والتى كانت وستظل إلى آخر الدهر دستور المجتمعات فى الأرض فى كل عصر وآن.

وفيها يقول:

« أيها الناس: إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب، ليس لعربى على عجمى، ولا لعجمى على عربى، ولا أحمر على أبيض، ولا أبيض على أحمر فضل إلا بالتقوى. الا هل بلغت؟ اللهم فاشهد ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب.

فهكذا ارتفع صوت الرسول ﷺ مترددا أصداءه فى أجواء الأرض ونواحيها معلنا: أن وحدة الأصل والجنس التى يستظل بها الانسان فى أى مكان تقضى عليه بالتعارف والتعاون مع من يستظلون معه بظلها، ولذلك فإن على الناس أن يأتلفوا لا أن يختلفوا، وان يتعاونوا لا أن يتخاذلوا وأن يتسالموا لا أن يتحاربوا..

وثمة توجيه وتعليم قرآنى آخر يتعلق بمبادىء السلم والمسالمة يخص أعظم ما يهتم به المسلم فى حياته كداعية وكصاحب رسالة يعمل على أن يبشر بها، وأن ينشر مبادئها.. هذا هو التوجيه المرتبط بمبدأ السلم والمسالمة فى نشر دعوة الاسلام والايمان: وعدم اللجوء إلى القوة، أو القسوة أو الاكراه عليها واستنكار القرآن لمبدأ القهر أو الاكراه على الايمان بها والاذعان لها:

وذلك ما اشتملت عليه هذه الآيات المحكمات:

« ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن» وقوله:

« لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها».

وقوله:

ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين».

وثمة مبدأ عام آخر من مبادىء السلم والمسالمة وجه إليه القرآن الكريم فيما يسود حياة الناس ويسوقها إلى الخير الذى لا يعرف الشر والحب الذى لا يعرف البغضاء أو الحقد. اشتمل عليه هذا التوجيه والتعليم القرآنى: فى قوله تبارك وتعالى:

« ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم»

بل وأكثر من ذلك: فقد اتجه القران الكريم باللائمة: ينعى على أهل الأديان الأخرى غير الاسلام تنابذهم وشقاقهم واتخاذ أديانهم سبيلا إلى هذا الشقاق والتخالف: وذلك قول الله تبارك وتعالى:

« وقالت اليهود ليست النصارى على شىء وقالت النصارى ليست اليهود على شىء وهم يتلون الكتاب».

لقد عاب عليهم القرآن الكريم هذا السلوك الشائن والمعيب، ووجه إليهم جميعا دعوة السلم العام: التى يجب أن تسود حياتهم وتهيمن على سلوكهم وأخلاقهم وتصرفاتهم وأعمالهم، وأرشدهم إلى حقيقة يجب أن تعيشها آذانهم وأن تمتلىء بها قلوبهم ونفوسهم وهى: أنهم سواء: فى العقيدة، وفى الايمان... وذلك ما اشتملت عليه هذه الآيات المحكمات المباركات:

« قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله».

وقوله تعالى:

« قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون».

وقوله عز من قائل:

« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه».

والحق: أن الاسلام كدعوة عالمية: تشكل كلمة الله الأخيرة إلى خلقه، قد ارتفع بالناس عن مستوى الدعوة إلى السلم والتحارب بمقتضى هذه الآيات إلى دعوة هى أسمى من ذلك وأرقى فى سلم الانسانية وهى: الدعوة إلى الوحدة والامتزاج والعمل على إهدار عوامل التفرقة والتعدد بين العناصر والأجناس وأصحاب الأديان والشرائع. وتلك رتبة ودرجة لم يرتق إليها ولم يضع أساسها للبشر تشريع أرضى ولا سماوى سوى القرآن الكريم.

ولم يكتف التوجيه والتعليم القرآنى بذلك فيما يتعلق بشرح قضايا: السلم والمسالمة بل أن القرآن الكريم قد رسم للناس طريق معاملة اتباعه من المسلمين لمن لا يدينون بالاسلام من أهل الكتاب (اليهود والنصارى) والمشركين...

ففيما يتعلق بعلاقات السلم والمسالمة بين المسلمين واهل الكتاب: ممن لا يدينون بالاسلام. ولكنهم يؤمنون بالله واليوم الآخر:

جعل الاسلام الأساس فى معاملتهم هذه المبادىء:

١ - تركهم وما يدينون.

٢ ـ النهى عن التعرض لهم فى الشعائر ودى دور العبادة وفى الأموال .

٣ ـ التسوية تطبيقا للمبدأ العام فى ذلك والذى بينه الرسول فى قوله الجامع المانع ولهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين .

ب ـ التسوية فى وجوب الانفاق عليهم بسبب ضعفهم وفقرهم من بيت المال كما هو حق واجب على بيت المال بالنسبة للمسلمين .

ج ـ جعل لهم حق التقاضى إلى رؤسائهم .

د ـ واوجب التسوية بينهم وبين المسلمين فى القصاص والديات والتعازير .

٤ ـ وأباح للمسلم أن يتزوج منهم وأن يعقد معهم نسبا وصهرا .

٥ ـ وفرض للزوجة غير المسلمة ما للزوجة المسلمة من الحقوق والواجبات ماعدا الميراث حتى قال الفقهاء فى باب القسم بين الزوجات (والمسلمة كالكتابية فيه) .

ذلك ما اشتملت عليه هذه الآيات :

« لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين » .

وقوله تعالى

« اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين » .

أما الأساس الذى وضعه القرآن الكريم لمعاملة المشركين الذين هم أعداء كل دين بل وأعداء الانسانية كلها : فهو ما تراه فى قول تعالى : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم . وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين » .

وقوله : « وإن أحد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه . » .

وقوله : « فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم » .

وفى الواقع أن هذا الموقف الرائع من القرآن الكريم بالنسبة للمشركين هو نهاية ما تتطلع إليه العقول فى مسالمة قوم لا يدينون بمبدع الوجود ، ولا يخشون سلطانه ولا يدينون بيوم الجزاء حتى يتجنبوا العدوان ويخشوا عاقبة الطغيان . .

وبعد : فان الحرب فى تاريخ الاسلام وفى حياة مجتمعاته المؤمنة الراشدة لم تكن أصلا فى خطة الاسلام ، وإنما كانت ضرورة تتقدر بقدرها . فلقد ظل الرسول ﷺ بمكة ثلاث عشرة سنة يدعو الناس بالحجة والموعظة الحسنة ، وقد أذاقته قريش هو والمسلمين كل صنوف الأذى فصبر على أذاهم بماضرب له ربه من الأمثال فى الصبر والاحتمال من ذلك قوله تعالى « فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم .

ولما تفاقم أذى قريش ولاسيما بعد الهجرة أذن للرسول ﷺ بالقتال وهو ما يعبر عنه بالجهاد أو القتال فى سبيل الله . وإنما أذن للمسلمين بالقتال لأمور منها الدفاع عن النفس « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله » .

« وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » .

ومنها : تأمين الدعوة والدفاع عنها . أمام من يقف فى سبيلها .

والحق : أنه لو ترك الرسول وشأنه ، وترك المسلمون يمارسون حرية العبادة والعقيدة ، ولم توضع العقبات فى طريق الدعوة والداعية لظل المسلمون على مسالمتهم لأن السلام والاسلام لفظان يترادفان على معنى واحد . وذلك ما دعا إليه الحق تبارك وتعالى فى هذا النداء الربانى لأهل الايمان والسلام :

« يا أيها الذين آمنوا أدخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين . فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله عزيز حكيم » .

(للبحث صلة باذن الله تعالى)

السّلام

بمفهومه الإسلامي

الأستاذ أحمد وافي

السلام من أسماء الله الحسنى : « هو الله الذى لا اله إلا هو الملك القدوس السلام » وكفى بهذا تعظيما له ، وترغيبا فيه .

وفى مواضيع كثيرة من كتاب الله الكريم نقرأ الأمر العلوى بالسلام سبيلا إلى هدى الله ورضوانه ، من ذلك قوله تبارك وتعالى : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام » وقوله : « يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة » .

فالسلام فى دنيا الناس ، مزرعة الفضائل ، وواحة الخير والرخاء ، به عمارة الأرض وتأمين الحياة ، وبين أعطافه تنمو المشاعر الانسانية ، ويسود الحب والتراحم ، وتعمر القلوب بالايمان ، فمن عاش حياته مستظلا بظلاله عاملا بكتاب الله وسنة رسوله كان عند الله من المؤمنين الصالحين الموعودين فى آخرتهم بالجنة حيث يحيون فى رياضها ناعمين بالسلام المطلق ، فانها دار السلام لقوله جل شأنه : « لهم دار السلام عند ربهم ، وهو وليهم بما كانوا يعملون » و « تحيتهم فيها سلام » .

والمتأمل فى أحداث الدعوة المحمدية والمتابع لمسارها منذ فجرها الأول ، يرى أن رسول الله ﷺ كان يلتزم السلام فى مخاطبة الناس وتبليغهم ، لأنه محور الاسلام وجوهره ، لأنه السبيل الأمثل والأفعل إلى اقناع من يتخبطون فى دياجير الجهالة والكفر ، وقد كان صلوات الله عليه وسلامه يلقى من عناد المشركين وتعصبهم وعدوانهم ما لا يحتمله بشر ، ولكنه كان يصبر عليهم ايثارا للسلام ، ويدعو الله يخرجهم من الظلمات إلى النور ويهديهم صراطه المستقيم .

والحقيقة التى لا خلاف عليها ان السلام كان « مفقودا » فى عالم ما قبل الاسلام كانت المجتمعات البشرية فى ذلك العالم العريض تعيش متنافرة متدابرة ، يبغى بعضها على بعض ، فالأشد قوة هو الاشد فتكا ، فاقتضت رحمة الله بعباده أن يبعث الى هذا العالم المتعادى والمتداعى ، خاتم انبيائه ورسله محمدا ﷺ ، حاملا إليه نور الحق والسلام .

وفى فيض من نور الله وتأييده ، مضى الرسول الأمين ، مواصلا مسيرته ، مسالما ، يجادل بالحسنى ، ويقنع بالحجة ، وفى كل يوم يشرح الله به صدورا ، وقلوبا ، وعقولا ، ويكسب مزيدا من القوة والانتشار .

وحين اضطر الى الهجرة الى يثرب كان أول ما قام به هناك ، أن أقام المسجد يلتقى فيه المسلمون ، للصلاة والعبادة ، ومجالسة الرسول ، والأخذ عنه ، ومدارسة ما يتصل بحياتهم من شئون الدنيا والدين .

وفى ساحة المسجد الذى جمع الله به شتاتهم ، وساوى فيه بينهم ، امحت الفروق والعصبيات ، والسخائم والأحقاد ، وأصبحوا جميعا بنعمة الله اخوانا متحابين ، متعاونين

حمل من يملك حاجة مـن لا يملك ، ويؤثرون على انفسـهم لو كانت بهـم خصـاصة . . وكان ذلك يثرب عجبا مـن عجب ، بل لعله كان يبدو أمرا مسـتحيلا ، قبل أن يتفيئوا لال الاسلام ، . . ذلك أن الأوس والخزرج ـ وهـم أهلهـا أصلاء ـ كانوا طوال أجيال متعاقبة يعيشون فى لظى عداء حروب متصلة ، كانت دائما هى شغلهم الشـاغل ، وفيهـا هبت بلا حساب أرواحهم وأمـوالهم ، حتى كادت تأكلهـم ميعا ، وكان وفدهم الذى لقى نفر منه رسـول الله ﷺ ، فى وسم الحج قبل ذلك ، قد جاء مـكة لشراء السـلاح وآلات حرب ، وطلب المدد استمرارا فى مقاتلة بعضـهم بعضـا ، نهاهم رسول الله عن ذلك وبين لهم ما فيه مـن شر وسـوء اقبة ، وحدثهم عن الاسلام والسلام ، ودعاهم إليه ، فهـو ير مما جاءوا له فوقع حـديثه منهـم مـوقعه ، وآمنوا به بايعـوه ، بيعـة العقبة الأولى ، والثانية وأعطـوه العهـد الميثاق ، فزال به مـا كان بينهـم مـن عدوات وجـراح ، أجتمعوا بعد فرقة ، وتحابوا بعد بغض وكراهية ، وسعدوا السلام وفازوا .

وفى نفس الوقت الذى أقام فيه رسـول الله ﷺوسلم سجد الأول بدار الهجـرة ، وبعـد أن تحققت الأخـوة خالصة بين الأوس والخزرج ، آخى بينهم ، وبين المسلمين هاجرين ، فتقاسموا الدور والأرزاق ، فى رحابة صـدور ، ابتهاج قلوب ، ثم أردف هذه المؤاخـاة الجـامعة ، بعقـد كتوب ، بين هؤلاء وهؤلاء ، وبين اليهود ومن ليسـوا على لاسلام بالمدينة ومـا حـولها ، يتعـاهدون فيه على الأمـن السلام ، والتناصر إلى آخر ما جاء بهذا العقد المشهور .

كانت هذه أول خطوات رسول الله ﷺ بالمدينة التى شرفها له بأن تكون مأمن دينه ، ومستقر رسـالته ، ومقـام نبيه ، منطلق نوره .

فمن هـذا المجتمـع اليثربى الذى كان متزايلا ضـعيفا ، لعداوات والحروب ، فـأصبح قـويا بالوحـدة والحـب السلام ، أخرجته الدعوة المحمدية من أوسع أبوابها لتنشر الآفـاق القـريبة والبعيدة فى شـكل بعثات مـن خيار سلمين ، يبعث بها رسـول الله إلى هـذا الوجـه أو ذاك ، عو إلى الاسلام ، ويبشرون به ، فى غير ما قتال ولا اراقـة ماء .

لكن المشركين من قريش ما زالوا يتخذون من رسـول الله عوته موقف العداء ، والحقد ، ولم يطيقوا أن يظهر امـره يهم وهو بعيد عنهم ، فكانوا يجردون الحمـلات المقـاتلة عتراض طـريقه والعـدوان على رجـاله ، وهنا أذن الله مسلمين ، أن يقـاتلوا الذين يقـاتلونهم « **وقـاتلوا الذين ناتلونكم ولا تعتدوا** » وأمرهم أن يستعدوا لهـم بـالقـوة رهابهم حتى يكفوا عن العدوان عليهـم : « **وأعدوا لهـم استطعتم من قوة ومـن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخـرين مـن دونهـم لا تعلمـونهم الله يعلمهم** » .

وجاء أمـر القتال فى الوقـت المناسـب ، أى بعـد أن كثر المسلمون وتجمعوا ، وملكوا القدرة على رد العـدوان وهـو مالم يكن متاحا لهم قبل الهجرة ، حيث كانوا فى مكة طـوال ثلاثة عشر عاما ، قلة مستضعفة ، محـاطين بأهـل الشرك الأقوياء ، وكان رسول الله يأمرهم بالصبر واحتمـال الأذى فى تلك السـنوات تفـاديا لصـدام غير متكافىء القـوى ، وتمحيصـا للايمـان فى قلوبهـم ، ليكونوا المثل والقـدرة والاشعاعات المضيئة على طريق الحق .

وواضـح أن الأمـر الالهـى بالقتال ، وإعداد العـدة له ، محـكوم بعـدوان المعتدين ، لضرورة دفـاع المسـلمين عن انفسهم ودينهم ، وهذا حق تفرضه طبيعة الوجود البشرى ، ويصبح حقـا مقـدسا ، اذا كان فى سـبيل هـداية الناس ، وحريتهم وسلامهم ، ولكى يكون هذا الحق مصونا ومـؤديا أغراضه السامية ، ينبغى أن يتآزر على الدوام بالقـوة التى تلقـى الرعب فى قلوب الاعداء ، فمـا خلت الحياة الدنيا ، وسوف لا تخلو فى سائر أطوارها ، من صراع الحق والباطل والخير والشر والانسان والشيطان .

والظاهرة الملحوظة فى سيرة رسول الله ﷺ ، أنه إذا حزم الأمر ولم يكن من القتال مناص ، فقد كان يقدم عليه كارها كان يود أن لا يجد من المشركين ما يضطره الى ذلك ، ولهذا كان يخطط له بعقل القائد البصير المسئول ، بحيث يتحقـق النصر أو السلام .

من ذلك موقفه فى غزوة الأحزاب ، ومـوجزها ان قـريشا وغطفان واحلافهم زحفوا على المدينة وعسكرت جيوشهم فى مراكز هجوم هامة ، وقـام رسـول الله والمسلمون بحفـر خندق ، يحاجز بين هؤلاء والمدينة ، وقد جهـد المسـلمون فى حفره جهدا شديدا ، وقضوا فى مـواقعهم به ، وقتا طـويلا ، بعيدين عن دورهم ونسائهم وأولادهـم ، وفيهـم منافقـون وضعاف إيمان ، وكان بين رسول الله ﷺ ويهود بنى قريظة عهد موادعة ومناصرة ، ولكنه يفاجأ وهـو فى اعمـاق هـذه الظروف الحرجة ، بأنهم نقضوا العهد ، وحالفوا المشركين ، وهم فى موقعهم من المدينة أكبر خطرا عليها مـن المغيرين ، وفى الوقت نفسه لم يعد خـافيا أن المنافقين ينفثون سـموم الهزيمة فى المسلمين فى قلب الخندق وعلى حافته ، بينما وجد المشركون ثغرات فى بعض مـواقع الخندق فـاجتازو بعض فرسانهم ونشبت معهم بعض المعارك ، وبات مرجحا انهـم سيقتحمون الخندق من هذه الثغرات .

قال ابن اسحق : « وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف وآتاهم عدوهم ـ المشركون واليهود ـ من فوقهم وأسـفل منهم ، ونجـم نفـاق المنافقين ، فبعـث رسـول الله الى عيينه بن حفص والى الحـرب بن عوف ، وهمـا قـائدا

غطفان ، وأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما ، فجرى بينه وبينهما الصلح وحتى كتبوا الكتاب ، ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح إلا المواوضة فى ذلك » .

ولكن قبل أن تصبح هذه المصالحة أمر موثقا ، جاء نصر الله فى شكل معجزة ، فقد أرسل الله على المشركين ريحا عاتية اقتلعت خيامهم وكفأت قدورهم ، وشتت جموعهم وشردت مراكبهم ، وكان الوقت قد طال عليهم ، حتى ملوا فانقلبوا عائدين الى بلادهم تجللهم الهزيمة بلا قتال ؟

نرى هنا أن رسول الله ﷺ لم يتردد عندما اشتد الخطر فى مفاوضة المشركين والشروع فى مصالحتهم واعطائهم مالم يكن يرضى الأنصار أن يعطوه من ثمارهم لأعداء الله ، ولكنها كانت وسيلة الخلاص ، حين لم يكن منها مناص ، والضرورات تبيح المحظورات والاسلام لا يعتمد على الخوارق والمعجزات وموقفه ﷺ بعد ذلك فى الحديبية معروف فقد صالح المشركين وهو على أرضهم ، ورضى بشروطهم التى أغضبت يومئذ بعض أصحابه ومنهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ولكن رسول الله ﷺ له من وضح الرؤية ، وبعد النظر ما ليس لهم ، فكانت هذه المعاهدة خيرا وبركة ، وكان فتح مكة بعد ذلك بسنتين فقط ثمرة من ثمارها .

وفى فتح مكة ، كانت مواقف رسول الله ﷺ مواقف سلام ، مع المشركين أعداء الله الذين حاربوه أعنف حرب ، فعفا عنهم وهو أقوى ما يكون على أخذهم بأشد النكال ، ومن لم يدخل الاسلام منهم أعطاه الأمان على نفسه وماله واهله ، وأجاز له البقاء على دينه حتى يشرح الله صدره بالايمان ؟

وبعد هذا الفتح بقليل جمعت هوازن جموعها وسارت تريد مقاتلة محمد والمسلمين ، فخرج لهم رسول الله فى اثنى عشر ألفا بينهم الفان من المشركين وحديثى العهد بالاسلام ، والتقى الجمعان فى معركة ضارية كان أولها على المسلمين ، ووقتئذ ظهرت الشماته والنفاق على من كانوا قد أسلموا يوم الفتح القريب ، وكان آخرها نصرا عظيما للمسلمين ، وكانت هوازن قد خرجت بكل أموالها ونسائها فوقعت فى أيدى المسلمين ، وقد رد رسول الله نساء هوازن اليهم ، أما الابل وكانت عدتها ٢٢ ألفا والشياه وكانت ٤٠ ألفا ، فقد رأى رسول الله ﷺ أن يعطى منها بسخاء ووف الى من شاركوا فى القتال ممن أسلموا أخيرا وممن ل يسلموا بعد وفيهم أولئك الذين بدت عليهم ظواهر الشا والشماتة أول القتال ، يريد بذلك تاليف قلوبهم ، وتثبيته على الاسلام وتقريبهم منه ، ليصبحوا قوة له وهم من كبا القوم وأشرافهم ، فأعطاهم ، حتى لم يبق شىء يعطي للأنصار ، فأهمهم ذلك ، وقالوا : « لقى قومه » فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ جاءهم وقال لهم « اوجدتم يامعشر الأنصا فى أنفسكم فى لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلمو ووكلتكم الى إسلامكم ؟ الا ترضون أن يذهب الناس بالشا والبعير ، وترجعون برسول الله فى رحالكم ؟ « الى آخ مقالته العظيمة التى قالها ووردت مفصلة بكتب السيرة ، . فبكى الأنصار تأثرا وحبا فى رسول الله ﷺ وقالوا « رضينا برسول الله قسما وحظا » . .

كان تأليف القلوب بمثل هذه العروض الدنيوية الزائلة إحدى الوسائل التى يجيزها رسول الله لتحويل اصحابه من ظلمات الكفر ومخاطر العدوات الى نور الاسلام ورحابة السلام ، حيث يسود الامن والخير ، وتتوحد العقيد والفكر . .

ومشروعية هذه الوسائل تنبع من التوجيه القرآن الكريم ، على نحو ما جاء بسورة التوبة فى تعريف مصارف الصدقات ، فمنها : المؤلفة قلوبهم ، وتحرير رقاب الارقا وأداء الدين عن المدينين الذين يعجزون عن آدائه . . ال آخر ما يجرى فى مجارى السلام والتكافل الانسانى .

فاذا وقعت ثمة احداث واعضل أمرها ولم يكن من سبيل سوى القتال ، دفاعا عن الدين والحرمات ووصولا الى الحق والسلام ، فالجهاد وقتئذ فرض عين ، وفيه إحدى الحسنيين : النصر أو الشهادة ، وقد يرى العدو فى قو المجاهدين وبطولاتهم المؤمنة ، ما لا قبل له به ، فيرغب ف السلام ويجنح اليه وفى هذه الحالة يقول الله تبارك وتعال فى سورة الأنفال : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم وان يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله ، هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين » .

وصدق الله العظي

على طريق العودة

كان الاسلام ما كان المسلمون على البر والوفاء لاحكامه فلما نسوا ما نكروا به فتح الله عليهم ابواب كل شىء ، وأخذهم بأفعالهم ، فتداعت عليهم الامم كما تداعى الاكلة على قصعتها ، وتلك طبيعة الكون وسنة الحياة ، نازع المسلمون اهل الدنيا فى دنياهم . وكان من شانهم ماكان على النحو المعروف تاريخيا ،ولا زالت آثاره ماثلة أمام أعيننا .

وليس هنا مجال للحديث عن أسباب الاضمحلال كما أنه ليس هنا مجال للحديث عن طريق العودة وكل ما يمكن أن يقال عن الأولى هو ابتعاد المجتمعات الاسلامية عن ضميرها فى التشريع والعبادات والمعاملات والسنن والتوجيهات ، والاحكام والاخلاق ،ومادى اليه ذلك من فرقة واختلاف ، فاختلفت الوجهات واصبح لكل وجهة هو موليها غير وجهة الاسلام .

وما يمكن أن يقال عن طريق العودة هو أن هذا الامر لا يصلح إلا بما صلح به أوله ولا يستقيم إلا بما استقام عليه ماضيه .

الأستاذ عبد العظيم منصور

رنود أن نعيد التأكيد بأنه رغم ما أصاب المسلمين من ن ومصائب ، سواء ماكان منها راجعا الى كسبهم تداعهم ، وما كان منها راجعا الى غيرهم الطامعين هم ، المتربصين باسلامهم ، فان المسلمين لازالوا أطوع م الأرض ، وأكثرهم انقيادا للحق وأشدهم استمساكا لاخلاق والفضائل وأكثرهم ادراكا لامانة هداية البشرية ستشعارا لمعنى الانسانية ، فهم بلا شك أمنة البشرية ى فى فترات غفواتهم واضمحلالهم وعصمة لها من داعى والانهيار .

واذا كانت تلك صفاتهم ، وهذه طبائعهم ، فانهم الآن وهم يملأون بقاع الارض ، ويساهمون فى صنع التاريخ ، أفرادا وجماعات ، لو حسنت النيات وصدقت العزائم واتحدت الوجهة لاستطاعوا اعادة البناء ، والامساك بالزمام والقياد ، والاتجاه بالبشرية الى حيث الامن والطمأنينة والسلام وفى فترة قريبة كل القرب لا يحسب لها فى عمر الزمن أى حساب وخصوصا وأن البشرية كلها الآن رغم ما أحرزته من نجاح مادى ، واتساع عمرانى ، وتقدم علمى ، أحوج ما تكون الى قيم روحية وأخلاقية ، تهذب

من ديانتها المادية، وترددها عن الاسترسال فى التمتع بالشهوات أيا كانت أشكالها وألوانها، وتشعر بمعانى الانسانية التى يجب أن تسود العلاقات بين البشر، وتتخلى بها عن طبائع القهر والاستبداد التى أصبحت السمة البارزة فى التعامل بين الامم والشعوب، وفى العلاقات بين القوى المتصارعة، على مستوى الافراد وعلى مستوى الطبقات، وعلى مستوى الحكومات وعلى مستوى الانظمة المتصارعة والمتطاحنة التى تقتسم البشرية وتدعى كل منها أن الحق معها وانها الخليقة بالامامة والسيادة وحق توجيه البشرية الى الوجهة التى يرضاها كل نظام.

وعلى طريق العودة رأيت أن أضع أمامكل من يتصدى لرسم طريق العودة، اعتبارات يجب أن يستوحيها كل مسلم، ويتطلع اليها كل مفكر، ويتكىء عليها كل فقيه، ويترسم خطاها كل سياسى، ويمعن ى تأكيدها كل كاتب، ويزيد فى تأصيلها كل فيلسوف، ويرعاها كل ن يريد أن يقيم الدول، ويبنى النظام على أساس ما جاء به الاسلام من أحكام ونوجز تلك الاعتبارات فيما يلى: —

أولا — أن الاسلام لم يأت بما أتى به من أحكام أحل بها وحرم وأباح وحظر، واستحب وكره، ورغب ونفر، وحبب وبغض، الا من أجل صالح البشر وسعادتهم الدنيوية والدينية دوأن يختص بأحكامه شعبا من الشعوب، ولا أمة من الامم، ولا جنسا من الاجناس، ولا لونا من الالوان، ولا وطنا ونما هو رسالة البشرية كلها أحمرها وأسودها قاصيها ودانيها، من يوم أن بعث الله محمدا ﷺ الى أن تقوم الساعة.

ثانيا — وتأسيسا على ما تقدم فانه ليس بزنامجا اصلاحيا، ولا دعوة أخلاقية، ولا كان نبيه رجلا اقليميا ولا يما وطنيا، ولكن الاسلام جاء للوفاء بكل متطلبات البرية على اختلاف البئات والازمان، فهو عقيدة قبل أن يصون نظاما وأخلاق قبل أن يكون تشريعا وقانونا ،وه نظام كامل للدين والدنيا من عند الله، لا من صنع البشر واجتهاداته لذل يتعين تنفيذ أحكامه ة وغلوقوف عند ما حده المشرع الحكيم، دون تعطيلها وُدون مخالفتها إلى غيرها منأحكام.

ثالثا — أن مسئولية كل من انحاز إلى الاسلام ليست مسئولية موقوتة فليس لها أمد تنتهى اليه، بل هى مسئولية دائمة يتلقاها جيل ويتناقلها المسلمون عبر القرون والاجيال... يظلون قائمين على الحق لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى تقوم الساعة.

ومن أجل ذلك شرع الاسلام الجهاد وحبب الي باعتباره الضمانة الخالدة خلود الاسلام نفسه ينصر الله به حججه وبراهينه ويمكن به للاسلام ف الأرض، ويقطع به دابر كل كفار عنيد، ويرد به كيد المتربصين للاسلام والمسلمين، ويزيح به من على طريق الدعوة الى الله، العواهل المتحكمين فى رقاب العباد، ويخلص به من قبضة الجاهلية الاقليات المسلمة المغلوبة على أمرها، على أى أرض غلبت وتحت أى حكم قهرت وفى أى زمان وجدت.

وعلى ذلك لا يكفى الاسلام من المسلمين أن يحققوه ف أنفسهم، بل يطلب اليهم المحافظة عليه، ودعوة البشري اليه، وقتال كل من يتمرد عليه من أبنائه وغير أبنائه وما الى ذلك مما سبقت الاشارة اليه، من أسباب تدعو ال الجهاد والقتال.

رابعا — ان اقامة النظام الاسلامى لا تتم الا بتربية جادة يتلقى المسلمون أحكامه، يتفهمونها ويتكيفون بها، ويتعاملون على أساسها، فى عباداته ومعاملاتهم وأقضيتهم وأحكامهم وسننه وأخلاقهم وعاداتهم وفى كل ما يمس شئونه الدينية والدنيوية... باعتباره المنهج الالهى الذ ارتضاه الله لعباده، فيه كمال الفرد، وصلا الاسرة، واستقامة الملك. وهذا يلقى الضوء كامل على أهمية العملية التعليمية فى الصغر، ويبر الدور الكبير الذى يمكن أن تؤديه المدرسة فى فتر الطفولة، كما لا يغيب عنا نفوذ البيت ورسال المسجد ودور الشارع فى عملية الخلق والتكوي لجيل يحمل النظام ويتعهد أحكامه، ويعمل به ويسهر ويحافظ عليها.

خامسا — يجب أن يتذكر المسلمون دائما أن اسلامهم ه الهدف النهائى الذى يسعى الى تحطيمه كل المخالفين باعتباره الخطر الكبير الذى يتهدد كل نظام يقوم على الظلم، ويتنكر للعدل، كما سبق له أن أتى على أشباهها ونظائرها عندما أهل على البشرية من قبل الصحراء وفى مدة لا يحسب لها فى عمر الزمن حساب.

وقصة الصراع مع الدول الاسلامية سافرة كانت أو مستترة هى حلقة من سلسلة مكائد للاسلا متطاولة مع الغد، لن تتوقف ما دام على الارض اسلام، وما دام هناك مسلمون، وسيظل الاسلام، وما على المسلمين الا ان **ينفضوا عنهم غبار المعارك المتتالية ويمسكوا بالزما والقياد، وعندئذ سيكون على مسرح الحيا أكبر عائق من انتشار الانظمة القائمة عل**

امتصاص دماء الشعوب ، وأخذها بالخسف والهوان ، كما سيكون فى وجود الاسلام الحارس القوى للبشرية من غاشية الجهل والطغيان ، وعاديات الظلم والامتهان ولا شك أن بوادر الخير أخذت تظهر فى افاق الدول الاسلامية بعد ما تحررت من نير الاستعمار وأصبحت الدول الاسلامية تملك القدرة على تقرير مصيرها بنفسها وعلى أيدى أبنائها ، وما عليهم الا أن يخرجوا من دواعى الاهواء والاغراض ، ويتخلصوا من أسباب الفرقة والانقسام ، ويفردوا الوجهة الى الله وعندئذ سيظهر نور الحرية الوضاء ، وتستشعر النفوس برد اليقين وحوةلاحمان فى عالم يسوده الظلام وتحيط به الخطيئة من كل جانب ومكان .

هذه هى الاعتبارات التى أردت ايرادها لتكون نورا يستضاء به على طريق العودة الى واقع اسلامى وضاء يجد المسلمون فى ظله الامن من بعد خوف ، والعزة من بعد ذلة ، والكرامة من بعد امتهان ، والوحدة من بعد تفرق وانقسام ، والقيادة والامامة من بعد ذلة وهوان .

وصدق عمر بن الخطاب رضى الله عنه عندما قال لأبى عبيدة بن الجراح : « انكم كنتم أذل الناس ، وأحقر الناس ، وأقل الناس ، فأعزكم الله بالإسلام فمهما تطلبوا العز بغيره يذلكم الله .

والعودة الى واقع اسلامى مشرق أصبحت حتمية لازمة ، وضرورة ملحة ، لتحقيق العزة واستشعار الكرامة واستعادة ماتم مسخه من معنى الآدمية ليصبح المسلمون بحق أمنة للبشرية ، وعصمة لها من التصدع والانهيار ، كما أراد الله لأمتهم أن تكون خير أمة أخرجت للناس تهدى بالحق وبه تعدل .

واذا كنت قد ركزت الاهتمام على اعتبارات خمسة أشرت اليها تباعا يجب أن يرعاها المسلمون وهم على طريق العودة وهى اعتبارات ترجع الى ما يجب أن يكون فهمهم وموقفهم من الاسلام ، فإن هناك بجانبها دعوة الى المسلمين أنفسهم عليهم أن يأخذوا أنفسهم بها من أجل الوفاء بحق الله وقياما بواجبات الخلقة فى خدمة الحق ، لاقامة شريعته والتمكين لها والذود عنها ، والدعوة اليها ، وبذل النفس والمال من أجل استمرارها وسيادتها ، ولن تتأتى خدمة الحق وفاء بواجبات الخلقة الا اذا أدرك المسلمون ما يلى :-

أولا-

ترك الفرقة وتحقيق الوحدة :

لقد أتى على المسلمين زمان وكل دولة من دوله واقعة فى غيرها من دول الارض تسومها الخسف والهوان ، تستنزف خيراتها ، وتوجهها الى ما لا يتفق وظروفها وحاجاتها وضميرها . الامر الذى ظهر واضحا فى الانظمة الاجتماعية فى الدول الاسلامية التى استخلصت استقلالها من الطغاة الذين كانوا يتحكمون فيها . وقد ظهر ذلك واضحا على مستوى الفرد وعلى مستوى الاسرة وعلى مستوى الملك . وكان مرجع ذلك أن كل دولة من الدول التى سيطرت على مقاليد الامور فى دولة اسلامية ، كانت تسوقها قهرا الى اعتناق مبادئها والترويج لها ، عن طريق الغزو الفكرى والمادى حينا ، وعن طريق التشريع والتقنين اخر ، وعن طريق الشحنات العاطفية تلهب بها الدول ، المسيطرة دماء الشعوب الاسلامية ، وعن طريق الاستمالة مرة والتهديد فى أغلب الاحيان ، وحتى غدا كل ما فى الدول الاسلامية على غير هيئته وخلقته ، بل وأكثر من ذلك أصبح لكل دولة مسيطرة - من غير أبنائها - من يروج لها ويدعو الى مبادئها فى حماسة لا تقل عن حماسة أبناء الدول المعتدية ، بل وأكثر من ذلك وجدت كل دولة من دول القهر والاستعمار من أبناء المسلمين أنفسهم من هم فى عونها ونصرتها بطريقة سرية وعلنية ، متناسين تماما ما يفرضه عليهم دينهم ، فأصبحوا كغيرهم من غير أبناء الاسلام عونا للزمان على الاسلام والمسلمين قد أخلصهم الولاء لغير دينهم الى خلع ربقة الاسلام من أعناقهم فمرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرمية .

وكان من نتيجة كل ذلك أن تكونت أنظمة اجتماعية داخل كل دولة اسلامية بعيدة كل البعد عن واقعها وضميرها فى التشريع وفى الاخلاق وفى المعاملات وفى الحقوق والواجبات وفى كل ما يمس شئون الحياة ، وأدى ذلك إلى الفرقة والانقسام داخل كل دولة اسلامية كما أدى الى القطيعة والعداء بين الدول الاسلامية بعضها مع البعض الاخر .

لذلك فانه على طريق العودة يجب أن يطرح المسلمون على مستوى الافراد والاسر والدول عوامل الفرقة ونوازع الهوى ، وأن يأخذوا بأسباب الاتفاق والتضامن والوحدة بأن تتحد الوجهة ، وتتبجل الغاية ، ويسمو الهدف .

وعندما نتكلم عن الوحدة لا أعنى بذلك أن يصبح حاكم المسلمين فى جميع البلدان شخصا واحدا وأن تكون سلطة الدولة واحدة ، فإن ذلك قد يكون عسيرا ، وانما أرجو أن يسعى كل من يتولى أمر المسلمين فى دولة اسلامية من دول

الأرض أن يشعر بشعار الاخاء المؤزر بمناطق العقائد ، المشدود بروح الاخلاص الذى يفرضة الدين ، وتقتضيه واجبات الخلقة فى خدمة الحق.

والوحدة الاسلامية مقرر من مقررات الدين وطريق من طرائق التمكين له ، وسيادة أحكامه ، وسيطرتها على شئون الحياة كما أراد الله لها أن تكون . والاسلام دين الجماعة وهذا ما عرف به المسلمون فى أدوار التاريخ وخصوصا فى الفترة الفذة من تاريخ الاسلام . لذلك فان مشاقة المسلمين والخروج عن جماعة المسلمين وأهدافها السامية يوجب الوعيد فى الاخرة ، ويستوجب المقت فى الدنيا . وقد قرن الله تبارك وتعالى سبيل المؤمنين بطاعة رسوله فقال تعالى :

« ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا » .

فضم سبحانه وتعالى الجنوح الى غير سبيل المؤمنين الى مشاقة الرسول ليدل على أنهما متلازمان . ومن أجل المحافظة على وحدة الامة الاسلامية باعتبارها الطريق الى القوة والعزة والمنعة نرى الرسول ﷺ طيلة حياته يدعو المسلمين الى الوحدة وينهاهم عن العصبية والفرقة ويأمر بالضرب على يد كل من يأتى ليفرق جماعة المسلمين وهم على قلب رجل واحد .

فعن ابن عمر أنه سمع النبى ﷺ يقول « لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض » .

وقد ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال « لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله الا باحدى ثلاث : النفس بالنفس ، والزانى المحصن ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » .

وحرصا على وحدة الامة ينفى النبى ﷺ الايمان عن كل من يحمل السلاح على المسلمين بغير حق .

فعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال قال رسول الله ﷺ « من حمل علينا السلاح فليس منا » .

ومن هنا تبدو أهمية وحدة المسلمين والتفافهم حول عقيدتهم باعتبارها نقطة تجمعهم ومركز انطلاقهم ، تتعارف على أساسها أرواحهم ، وتأتلف احادهم ، فيجتمع شرقيهم بغربيهم ، وشماليهم بجنوبيهم ، وتختفى نوازع الهوى من أنفسهم ، ويمسكون من جديد بالزمام والقياد ويعودون كما كانوا خير أمة أخرجت للناس كما أراد الله لها أن تكون ، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله .

ولا شك أن الطريق الى الوحدة الاسلامية شاق ومرير يحتاج الى كثير من التضحيات فى مواجهة الانظمة التى تقتسم البشرية الان وتتحكم فى مقاديرها ، كما يحتاج الى كثير من التضحيات والمسئوليات من أجل ازالة العوائق الفكرية التى تعترض ارادة التغيير ، كما يتطلب أخ
صبرا وثباتا أمام أصحاب المطامع والشهوات المتحكمين
رقاب العباد بما يملكونه من سيطرة سياسية واقتصا
ليس فى نيتهم هجرها والتخلى عنها الا بانتزاعها من ب
أيديهم .

ورغم هذا فان الطريق الى الوحدة سهل ميسور
احتضن المسلمون شريعتهم وفهموها على حقيقته
وأقاموها فى أنفسهم وتكيفوا بها فى واقع حياتهم ، وتفا
فى سبيلها واتخذوها منهجا لهم ، على أساس من المسئو
الكاملة أمام الله ، أن قصروا فى القيام بمتطلباتها لا يقـ
لهم عذر. ولا تثبت لهم حجة عند الله .

وحسب المسلمين عظة وعبرة ما أصابهم من ضعـ
ووهن ، وما حل بهم من شدة وبلاء ، وما نزل بهم من امته
وازدراء ، بسبب فرقتهم وانقسامهم على بعضهم من أجـ
أغراض دنيوية زائلة وأثرة وأنانية قاتلة ، تخلوا بسببها
مركز القيادة والامامة ، والرياسة والصدارة ، حتى تداعـ
عليهم أمم الأرض وشعوبها ، وصبت عليهم دول الارض
العذاب صبا على مختلف أشكاله وألوانه فعاشوا عبيـ
أذلاء حيارى فى جهالة عمياء ، قد ضلوا السعى فى الطر
الى اسلامهم وشريعتهم الغراء .

من أجل ذلك يجب أن يتذكر المسلمون دائما ما أمر به ا
تبارك وتعالى فى قوله : « **واطيعوا الله ورسو**
ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله
الصابرين » .

ثانيا -

وهناك اعتبار اخر يجب ادراكه وتستيقنه أنفس المسلمين ، وهو أن ما جاز عليهم فى الماضى ، وما حققوه لامم الارض وشعوبها من عزة وكرامة ، وتمكين مادى وعمرانى ، وسبق علمى فكرى ، وما ضربوه للبشرية من مثل عليا فى التضحية والشجاعة بالنفس والمال ، والفناء فى الفكرة الاسلامية ، والومضات الروحية وغير ذلك من بطولات حية فى شتى مناحى الحياة وجوانبها ، كل ذلك وغيره ممتنع على المسلمين أن يحققوه فى الحاضر والمستقبل ، ولن يتأتى ذلك الا بعلم يتبعه عمل ، علم بأن الاسلام هو الشريعة الخاتمة للبشرية جميعها بشعوبها وقبائلها ، بأجناسها وألوانها ، بأوطانها وبيئاتها ، بلغاتها ولهجاتها ، وهو دين التوحيد فى العقائد ، ودين الوحدة بين أمور الدين حيث تساس الدنيا بالدين وتشريعاته وسننه وأحكامه ، ودين الوحدة بين العقيدة والسلوك ، والعبادة والمعاملة ، والروحيات والماديات والقيم الاقتصادية والقيم المعنوية فهو

قيدة فى الله راسخة قبل أن يكون نظاما وأخلاقا ل أن يكون تشريعا وقانونا ، وعلى أساس هذا علم يكون العمل الجاد المخلص على مستوى الفرد علاقته بنفسه وعلاقاته ببنى جنسه ، وفى نطاق لأسرة ابتداء من دور النشأة والتكوين ، وعلى ريق السعة والامتداد ، باشاعة الفضائل بين رادها بما يكفل تجانسها وتناسقها ، وعلى ستوى الدولة وعلاقاتها بأبنائها بأن تضع فى تناول أيديهم ما به تستقيم وتصلح أخراهم فتعطى عقول حقها من حرية التفكير ، والالسن نصيبها ن حرية القول ، والنفوس قسطها من الجرأة لشجاعة وتنمى فى صدورهم حب الانسانية تقتلع من نفوسهم الاهواء والاغراض والشهوات تغرس فيها طبائع الخير والبر والرحمة والوفاء ، تى تتقلب النفوس فى مراتب العزة والكرامة ، رضى من طيبات الحياة بالحرية على مختلف صورها وتأخذ من الدنيا بنصيب صفا من كدر لاحقاد والانانية . وأن تعمل الدولة على تكوين ى عام قوى بين أفراد الجماعة ومجموع شعب ، وذلك بالعمل على تحقيق التشابه بين ختلف الافراد عن طريقه تتحقق الالفة والتضامن لوحدة والتماسك ، فيتقدس الهدف ، وتسمو غاية . وكل هذه الامور وأمثالها على مستوى فرد وعلى مستوى الاسرة وعلى مستوى الدولة دها الاسلام وربط وجوده بنمائها وازدهارها . جب أن يرعاها المسلمون وأن يصرفوا قواهم جبارة واستعداداتهم الفطرية لاخذ أنفسهم بها لدعوة اليها باعتبارهم الامل الباقى للانسانية واسعة وموئل رجائها فى وقت سقطت فيه جميع نيم ، واختلت الموازين وتوارت المثل العليا من ياة البشر . وهذا لن يتحقق الا بعلم يتبعه عمل اد مخلص من أجل غد مشرق مضمون .

لثا ـ أحياء عقيدة الجهاد :

شرع الله الجهاد لا للغزو والفتح وقهر الشعوب ى اعتناق الاسلام بل شرعه باعتباره الضمانة خالدة خلود الاسلام نفسه ، للحفاظ عليه من أن تد الى الأرض التى يظلها أية قوة من قوى رض جميعها تنال منه أو تنتقض منها ، ا شرعه لقتال العواهل المتحكمين فى رقاب العباد لسيطرين على مقدرات الامم والشعوب كلما فوا فى طريق الدعوة الى الله وتبليغ رسالته ، سماع الشعوب المستضعفة رسالة السماء عتبارها الرسالة العالمية ، فلا رسالة بعدها نبى بعد نبى الاسلام ، وهذا ما أمر به رسوله فى له تعالى :

« يأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدى القوم الكافرين » .

وعلى هذا فان الجهاد الذى شرعه الاسلام والسيف الذى أمر به الاسلام هو لنصرته دين الاسلام ، وأعدل السيوف سيف ينصر الله به حججه وبراهينه .

وعلى هذا الفهم اندفع المسلمون لاقامة دين الله ، والتمكين لشريعته يعدون ما استطاعوا من قوة فى أوقات سلمهم وينفرون خفافا وثقالا ويجاهدون بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله وقت الحرب شبانا وشيوخا ، أغنياء وفقراء ركبانا ومشاه ، ليس أمامهم الا سل السيف من غمده يقطعون به دابر كل معتد أثيم ويطاردون به أعداء الله وأولياء الشيطان فى كل مكان .

وكان الاسلام ما كان لواء الجهاد مرفوعا ولكن ما أن نكس علم الجهاد ورغب المسلمون عن القتال ، لاسباب ترجع اليهم ، كما ترجع الى غيرهم ، حتى أصاب المسلمين ما أصابهم فجاءتهم مصائب لا يجبرها سرور الدهر كله ، وتداعت عليهم أمم الأرض من كل صوب ينتقصون أرضهم من كل جانب ، ويسومونهم سوء العذاب .

ويرجع ذلك بالدرجة الاولى الى خروج مقاصد المسلمين عن الدين الى الدنيا وعن الحق الى الهوى والغرض فتم نشر جناح من التقاطع وصار الخلائق عزين فى كل واد من العصبية يهيمون . وسارت بهم فى غير مسير ولا مذهب . .

ونحن الان وقد استخلصنا حريتنا من الطغاة المتحكمين ، وظهرت بوادر الخير تظهر فى افاق الدول الاسلامية ما على المسلمين الا أحياء عقيدة الجهاد وبعث الروح القتالية فى نفوس المسلمين ، وعدم الميل الى الدنيا والركون الى نعيمها الزائل ، وزخرفها الزائف والاعتياد على الشدائد فى سبيل الله مهما عظمت وتحمل المصائب مهما جلت ، واستقبال الموت بثغر باسم ونفس مطمئنة وعندئذ سيتحول تيار العالم من الشر الى الخير ، ومن الشقاء إلى السعادة ، ومن الاثرة الى الايثار ومن التناكر الى التعارف والتالف .

تلك هى أظهر الاعتبارات التى أردت أن أسوقها ليعمل المسلمون على تحقيقها وهم على طريق العودة الى واقع اسلامى باعتبارها ممهدات للغاية العظمى التى تتحرق البشرية شوقا اليها وهى أن ترى مشرق الاسلام من جديد يأخذ بيديها الى حيث الامن والطمأنينة والسلام .

الإسلام والسلام

الاسلام كدين يرسم للناس طريق الحياة وطريق الآخرة .. ويضع للانسان المنهج السليم حتى يشعر بكرامته فى دنياه ، ويجىء ثمرة عمله فى أخراه .. دين عظيم غاية العظمة .. مقنع غاية الاقناع .. لأنه دين الفطرة .. والفطرة تعنى البساطة والبعد عن التعقيد ..

إنك عندما تقرأ فلسفة من الفلسفات فسوف يكتشف عقلك وأنت تجرى وراء فهم المصطلحات وماوراءها من معان قد تستطيع فهم مايقصده الفيلسوف أو لا تستطيع .. ولكنك سوف تجهد عقلك ثم لا تجد فى علامات الاستفهام التى ترتسم فى ذهنك من إجابات .. بل سوف تخرج بعلامات الاستفهام بعلامات استفهام أخرى .

الأستاذ مأمون غريب

وإذا قرأت عن العلاقات الدولية فى القوانين الوضـ
فسوف تتوه أيضا فى بحار من الأسئلة حول هذه المباد
الوضعية !

ولكن الاسلام يأخذك ببساطة نحو خير الانسانية فى دين
ودنياها .. ببساطة متناهية ومقنعة فى نفس الوقت .

ولا شك أن أهم ما يؤرق الانسان ويؤرقه عبر التاريـ
الانسانى كله .. هى تلك الحروب التى قامت فى
العصور وكان ضحيتها ملايين من البشر بلا مبرر مـ
منطق أو عقل .. ربما تكون هذه الحروب بسبب نز
حاكم .. أو شهوة سلطان .. أو أطماع أمير .. والضحـ
هى الشعوب التى تدفع ثمن ذلك .. دماء .. وضحـ
وأشلاء .

.. وليس هناك دين يحض على السلام كما يحض
الاسلام .. وليس هناك من يفرش طريق الورود أمـ
السلام كالاسلام .

« وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » هـ
هى القاعدة الذهبية فى الاسلام . وهذا لا يعنى مطلـ
الاستسلام .. فالقتال مشروع عندما لا يكون هناك مفـ
من القتال ..

واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيـ
أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهم عـ
المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه . فان قاتلو
فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين . فان انتهوا فان الله غفو
رحيم . وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لـ
فان انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين . الشهر الحر
بالشهر الحرام ، والحرمات قصاص ، فمن اعتدى علي
فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلمو
أن الله مع المتقين .

ومن وصايا الرسول العظيم :

(اغزوا على الله وفى سبيل الله ، اغزوا ولا تقتلوا ولي
ولا امرأة ، ولا تغدروا ولا تمثلوا ، وإذا لقيت عدوك مـ
المشركين فادعوهم إلى ثلاث خصال فأيتهن أجابو
إليها فاقبل منهم وكف عنهم ، ادعهم إلى الاسلام فـ
أجابوك فاقبل منهم ، وإن أبوا وأرادوا البقاء على دينهـ
فاسألهم الجزية فان أجابوك فاقبل منهم ، فان أبـ
فاستعن بالله وقاتلهم) .

.. وقد أعجبتنى الدراسة التى قام بها الأديب الباحـ
الراحل عبد الحميد جودة السحار ، وهو يستعرض فى هـ
الدراسة السلم والحرب فى الاسلام .. وكتب أن الاسلام هـ
دين السلام .. وبعد أن يستعرض أقوال الكثيرين فى الشر
والغرب حول هذه الزاوية .. يرد على كتاب « الشرع الدو
فى الاسلام » لمؤلفه الدكتور نجيب أرمنازى .. على أسـا

ه إذا كان فقهاء القانون الدولى وكتاب التاريخ فى أوربا قد سوروا الاسلام فى صورة الدين الذى يقوم على القهر الغلبة ، وإرادة أن يفرض نفسه على الأجناس جميعا الأديان جميعا قوة واقتدارا . وقالوا أن الاسلام قد أعلن حرب على كل الأجناس والملل . وإنه من المفهوم أن يفترى أوربيون على الاسلام ، أما أن ينساق كاتب عربى مثل دكتور نجيب . أرمنازى وراء مزاعم المستشرقين فهذا غير فهوم .

.. فالدكتور أرمنازى يقول فى كتابه هذا .. (الشرع دولى فى الاسلام) .. ذهب كثير من الفقهاء الذين عاشوا يام الفتح الاسلامى إلى أن حالة الحرب هى القاعدة عند لسلمين أو أن السلم ليس إلا هدفه يستعد بها لاستئناف قتال .

ويقرر الأستاذ الدكتور :

(وإذا وجد الامام الحريص على سلامة المسلمين ودفع لأخطار التى تهددهم ضرورة المعاقدة على سلم دائم لم جز له عند الفقهاء أن يفعل ، لأنه إلغاء لفريضة جهاد ، وكل موادعه يعاقد عليها يستطيع نقضها إذا اعى قواعد النبذ) .

ويذهب الدكتور إلى أن التقسيم الاسلامى من حيث أن عالم دار سلام ودار حرب شبيه بالنظام الشيوعى ! تعتبر روسيا الوطن العام لكل شيوعى فهى دار سلام شيوعيين ، وبقية بلاد العالم حيث الرأسمالية تعتبر دار رب يجب اتخاذ جميع الوسائل للانقضاض عليها الاستيلاء على مقاليد الحكم فيها .

وفى رأى السحار أن الدكتور قد جانبه التوفيق . حتى إذا ا اقتفى آثار فقهاء المسلمين الذين عاشوا الحروب طاحنة التى دارت بين المسلمين والدول الأخرى فى القرنين الثانى والثالث الهجرى ، فآيات القرآن تحض على السلم ، وتجعل السلم هو القاعدة ، والحرب لا تشن إلا على المعتدين دفاعا عن النفس وتأمين الحريات العامة للمسلمين .

إن نفرا قليلا من كتاب الغرب عرف للاسلام حقه ، وفهم ما فيه من مبادىء قانونية دولية كانت مصدر معظم ما فى القانون الدولى الحديث من قواعد .. وقد ذكر البارون (ميشيل دى كوب) أستاذ القانون الدولى بهولندا .. ذكر الكثير مما سبق الاسلام به القانون الدولى وعلى الأخص فى نظام الحرب ، وأورد وصية أبى بكر لجنوده الخارجين إلى سوريا وذلك فى الجزء الأول من مجموعة دراسات سنة ١٩٢٦ لأكاديمية القانون الدولى ، كما أورد الأوامر التى أصدرها الخليفة الحاكم بن عبد الرحمن فى هذا الشان سنة ٩٦٣م اى قبل أن تعمل الكنيسة البابوية للسلام . كما دون المؤرخ (سيديو) فى كتاب تاريخ العرب .. والذى تكلم فيه عن فضل العرب على الحضارة الغربية .

فالاسلام هو دين السلام .. الاسلام يرفع دائما أغصان الزيتون حتى يشعر الناس بالأمن والأمان .. فالسلام هو أمل الانسانية فى غد أكثر أملا وإشراقا .. والاسلام يشجع على ذلك طالما أن هذا السلام فى خير الاسلام وخير المسلمين .. وإذا كان ليس هناك مفر من الجهاد فى سبيل عزة الاسلام والمسلمين .. فالجهاد واجب .

(أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا . وأن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله) .

والذى يقرأ التاريخ الاسلامى فى مختلف مراحله يجد أن الحرب لم تكن إلا وسيلة للسلام العادل .. ولم تكن أبدا غاية فى ذاته .. ولكن الغاية دائما وأبدا هى السلام .. السلام .. المبنى على العدل .

رحلة السادات
بواعث وأهداف

أخرج البخارى ومسلم عن عبد الله بن أبى أوفى رضى الله عنهما أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال :

« أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو ، واسالوا الله العافية ، فاذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف » .

إن أحوج ما يكون الانسان إليه : معرفة نفسه ، تحديد هدفه ، تخير وسيلته ، الاقدام مستعينا بالله وحده . .

وما لم يعرف الانسان نفسه فهو نرة هائمة تائهة فى الظلمات . .

ولم يخلق الله العبد ويجعله فى أحسن تقويم ليعيش شاردا ضالا ، لا يعرف قدر نفسه ، ولا أهمية رسالته ، ولا خطورة وجوده . .

الانسان الذى سجدت له الملائكة ، وأرسلت إليه الرسل بالكتب الكريمة ، لابد وأن يعرف نفسه حتى يسمو عن بقية المخلوقات ويستحق التكريم فى الدنيا والآخرة ، ويؤدى الأمانة التى حملها حينما عرضت عليه .

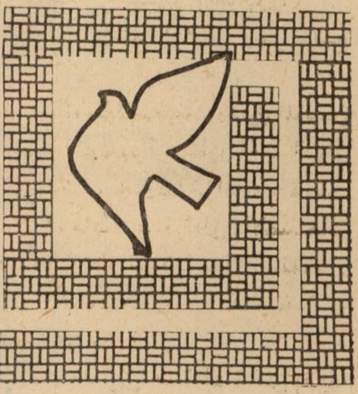

فضيلة الشيخ موسى محمد على

والأغلبية العظمى من الناس لا يعرفون أنفسهم حق معرفتها ، ولذلك : كثر الخبيث ، وانتشر الفساد وتلطخت صفحات الحياة بالخزى والعار على الرغم من آيات الله الكثيرة :

« وكاين من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون » .

ومعرفة النفس عمل جليل إلى أبعد الحدود ، ، فاذا وفق إليها العبد كان لابد وأن يتخذ لنفسه هدفا يتناسب مع جلالة قدره ، وعلو منزلته فلا يقلد الحيوانات فى إشباع الملذات ، واحتراف الشهوات :

« ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات ، اينما تكونوا يات بكم الله جميعا » . .

وأقرب طريق إلى تحديد الهدف هو أن ينظر الانسان إلى واقعه ويرسم الخطة على أساس سليم ويتعرف على حاجات من حوله ، ويوفق بين واقعه ومطالبه حتى لا يصطدم فى أول الطريق أو فى منتصفه . .

والمؤمن الطيب القلب لن يستطيع أن يقوم بوظيفته فى الحياة ، التى يعيش فيها إلا إذا عرف الحياة نفسها ، واتسعت أحاطته بدروبها ومتاهاتها وأسرارها . .

وإذا كان سانجا ، أو قاصر النظر ، فسوف يغلب على امره ، بل وربما يقف مكانه مقهورا ، وهذا أمر خطير ، لا يوصل الى غاية ، وربما يلقى بصاحبه فى مواطن الزلل ، ويطرحه فى مطارح لا يتوقعها ، أما المؤمن القوى الذى يعرف الحياة ، ويفهم أسرارها ، فهو لم يخلق لأجل أن يكون سانجا أو مغفلا يندفع مع التيار فى الضلال والأوهام ، ويساير الركب البشرى حيث اتجه وسار . .

إنما خلقه الله سبحانه ، وجعله حر الفكر والعقيدة ، قوى
زم والارادة ، لأجل أن يوجه المجتمع نحو عبادة الله ،
نتشله من أوضاع الحقد وترهات الأنانية ، ثم يفرض على
جتمع إرادته بصفته صاحب الرسالة فى الخلق والخلافة فى
رض ، والتوجيه فى المجتمع . .

فهو المسئول عن هذا العالم ، حتى يسود اتجاهه ويكون
امه الارشاد والتوجيه ، والمسئولية العظمى ، فيما بينه
ين نفسه ، وفيما بينه وبين مجتمع عاش فيه . .

ماذا ما تنكر له الزمان ، وعصاه المجتمع ، وضاقت الحياة
ذرعا ، لم يكن له أن يخضع ويستسلم ، ويضع أوزاره ،
عليه أن يجد فى إرشاده ويكثر من وسائل التوجيه له ،
ن يظل فى صراع دائم معه ، وعراك طويل من أجل تقويمه
ى يفىء لنصحه أو يقضى الله فيه أمره . .

اما الخضوع والذل ، فان ذلك للأحوال القاهرة ،
لاعتذار بالقضاء والقدر من شأن الضعفاء الأذلاء ،
ا المؤمن القوى فهو بنفسه قضاء الله الغالب وقدره الذى
يرد .

ولأجل أن نكون أوفياء ، لابد وأن نقول بحق :

إن زعيم السلام ، وقائد السلام ، قائدنا المؤمن الموفق
حمد أنور السادات » حفظه الله ورعاه ، هو بحق : الرجل
ؤمن القوى الذى لا تهمه الطعنة ، بل تزيده قوة ، بل إنه
جل القوى صاحب الروح الطيبة التى لا تعرف اليأس
لة الفشل ولا تصاب بالغرور عند النجاح . .

بل إن شئت فقل :

« إنه الرجل الالهى الذى وضع روحه فى كفه وخرج
اجرا الى ربه ينشد الحق ويرفع راية السلام » . .

بيد أن هناك ناسا لا يشعرون بما فى الشر من قبح ،
بما فى الخير من جمال ، وهؤلاء القوم ماتت قلوبهم
قلوب الميتة لا ينبثق منها الايمان . .

هؤلاء القوم ينكرون تخصيص الحق سبحانه وتعالى
ليائه بما شاء ، حسدا من عند أنفسهم ، فلا يقابلونهم
لاجلال ، والاعتراف والتأييد ، وسنة الله سبحانه وتعالى
أوليائه مضت بالتعزيز والتوقير لهم ، ودأب الحاقدين
هؤلاء ، جرى بالارتياب فى القدرة ، فمنهم من رد ذلك ،
نهم جحد ، وكفى بعقوبة الله انتقاما منهم ، أنهم جبلوا
ى الشح ، ومن جبل على الشح لا يزداد بسعة يده
تأسفا على راحة ينالها الخلق ، كأن من شرب قطرة ماء
سى ، بل رشف من ماء حياته . .

إنهم جبلوا على الشح ، حتى وقع شحهم على أنفسهم ،
قع المرض فى قلوبهم وارتابوا فى الحق :

« وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين ، أفى قلوبهم مرض
ارتابوا ، أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله ، بل
لئك هم الظالمون » . .

إن الظروف السياسية المغرضة المضللة زينت الدنيا لأهل الأهواء والحقد فغرتهم حتى صاروا يرتعون فى النعيم ، وينكرون الجميل ، وعموا وصموا عن النظر فى الدليل ، وصرفوا عقولهم عن الاعتبار حتى انحطت فيهم الأخلاق ، وارتفع أوار الحقد وانعكست الآيات ، وانقلبت الاوضاع ، وضاعت الحقائق وفسدت القيم والعقائد ، وآثر الناس الشر على ما فيه من قبح على الخير بما فيه من فضائل . .

نعم : إن الحوادث التى تدور عجلتها منذ سنين قليلة مضت ، تجعل الانسان لا يطمئن إلى وضع ، ولا يفكر فى مستقبل ، ولا يهتم بالقيام بواجباته ، ولا يحسن التفكير فى شىء ما . .

وربان السفينة الذى يركز جهده فى توجيهها الوجهة السليمة ، والحيلولة بينها وبين الأعطاب والمخاطر لا تهمه هوج الرياح وثورة الأمواج وتراكم الظلمات بقدر ما يهمه موضع إبرة فى قاع السفينة أو جانب من جوانبها ، فان التهديد من الداخل أشد خطرا من وقوع الشر من الخارج . .

ولذلك كان الاسلام حافلا بألوان من الحب ، والاخاء ، والتعاون ، والتماسك والتناصح وما إلى ذلك من ضمان استقرار المجتمعات الذى قد يؤدى إلى بتر اليد ، وجلد الجسم ، وقطع العنق ، والحجر والتعزير والسجن . .

وما هذه المعانى بغائبة عنا ، ولكنها الذكرى ، وهى تنفع المؤمنين .

إن العيش بين المشاكل بالنسبة لقائدنا الموفق المؤمن ليس أمرا جديدا ، وإنما الجديد أن تتبلور المشاكل فى الصورة التى نراها الآن ، فقد جربنا ألوانا عديدة من مشاغل الحياة ومشاكلها ، منها ما يتعلق بالأصحاب والأهل والجيران ، ومنها ما يتعلق بالأعداء والاستعمار ، ومنها ما يتعلق بالحروب والاقتصاد ، ومنها ما هو خاص بنا شعب مصر وما لغيرنا فيه نصيب . .

كل هذا وقائدنا المؤمن« محمد أنور السادات » كان يقابله بكل ثبات ورحابة صدر . .

أما هذه الألوان الجديدة من السلم والسلام ، فالله معه ناصره ومؤيده وهو المستعان وحده .

أما ما يوجد من وراء ذلك من فرق متناحرة متنافرة ، وطوائف حاقدة ماكرة وأحزاب مغرضة معارضة فكل حزب من هذا أو ذاك يمهد الأمل لنفسه ، ويظن النجاة لحاله ، ويدعى الوصل من سهمه ولكن مجرد الحسبان دون تحقيق البرهان لا يأتى بحاصل ، ولا يحوز بطائل . .

حقا : إننا ــ أبناء مصر ، وشعب مصر ، وجيش مصر ــ نتحمل نتيجة الحروب والحزن والضيق ، ولم نجد من يحمل معنا بعض العبء أو يخفف عنا الشقاء نوعا ما . . اللهم إلا من بعض رجالات العرب الأحرار . .

لقد خضعنا الحروب والمعارك وتحملنا النتائج ، من قتل

الابناء ، وتدمير البلاد ، واحتلال الأراضى وضياع الأموال والعدة والعتاد . .

لقد أرملت نساؤنا ، ويتمت أطفالنا ، وهدمت بيوتنا وبلادنا ، ونزل بنا ما نزل من خسائر ومصائب حتى قيض الله لنا قائدا ملهما ، وزعيما مؤمنا فأخذ على عاتقه المسئولية التى تنوء بها الرجال والرجال ، ووهب نفسه لدينه ووطنه ، فأعد العدة ، وأحكم القيادة ، وتخير الوقت المناسب الذى ربط الله فيه عناية الأرض برعاية السماء ، وتحقق النصر وتمت النعمة بعد معارك العاشر من رمضان التى خضناها بقوة وبسالة . .

إننا تحملنا ذلك وحدنا لأن الناس قتلت فيهم الأنانية كثيرا من معانى الانسانية الراقية ، وجعلتهم لا يفكرون فى فى مصائب الناس إلا حينما تتعلق بهم ، أو يريدون تعقيدها أكثر . .

وليست نتيجة البؤس والحزن والضيق إلا هزالا فى الجسم ، وضياعا للوقت ، وبلبلة للفكر ، وتوزيعا للعقل ، وارهاقا للقلب ، وتنغيصا للعيش ، وضيقا بالحياة والأحياء . .

وكل هذه الأشياء تقتل المرء شيئا فشيئا ، وتعتصره قطرة قطرة ، ولا يلقى فى نهاية المطاف إلا السخرية والاجحاف .

نعم : هذه حقائق وجدير بنا إلا نقضى الحياة بحس مرهف ، وشعور فياض ، فهذا خطأ كبير عرفناه فيما بعد . .

بل ويجب أن نقابل أكثر الأشياء بكثير من الثبات النفسى والاستهانة وعدم المبالاة وقلة الاهتمام بالنتائج والعواقب .

هذه الأشياء فى مجموعها تكون الشجاعة أو تسهم فى تكوينها .

وما علينا لو عشنا شجعانا بعقولنا ؟

وما الذى نستفيده حين نعيش بحس مرهف بين أناس قست قلوبهم فصارت كالحجارة أو أشد قسوة ، وليس معنى هذا أننا نقول نعيش كما يعيش الآخرون بقلوب متحجرة ونفوس شريرة ، لا ، ولكن : نطالب بالاعتدال فى الاحساس حتى لا نتورط فى مشاكل نفسية وغير نفسية ، والسماء لن تقع ، والأرض لن تدك ، والشمس لن تطمس إلا حينما يصدر أمر السماء .

الناس الذين نعيش بينهم « أصحاب مصالح » تلك هى النتيجة المخزية والواقع البائس والحقيقة المرة . .

ولست أعنى بأصحاب المصالح إلا النفعية القاتلة ، والأنانية الحاقدة والرغبة فى الجمع والعيش والتفكير فى النفس ورغائبها وما تلتذ به ، وغير ذلك مما يجعل المس
يضيق ذرعا بمن حوله من أصحاب المصالح . .

تجربة نمر بها كل يوم ، ونشاهد نتيجتها ساعة فساع
الناس فى العالم يعيشون لأنفسهم أكثر من ٩٩٪ وه
النسبة للناس وللوقت معا ، ومعنى ذلك أن ٩٩٪ من النا
أنانيون ، أو يزيد على هذه النسبة بعض الكسور ، كما
الباقى منهم يعيشون لأنفسهم ٩٩٪ من الوقت أو يزي
وتفكيرهم ينصب على مصالحهم الخاصة أو العامة . .

فاذا ما سما الانسان وأخذ يحد من أنانيته ، ويعم
للآخرين قلما يصل عمله هذا إلى ١٪ من جملة أعماله .

وصدق سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ
يقول :

« « (الناس كابل فى كل مائة راحلة) » » .

حقيقة بشعة كئيبة لا مناص من الاعتراف بها . .

أنه يندر أو يعسر ، بل قد يقرب من المستحيل أن نحص
فى سنة أو أكثر على رجل . .

وإذا عثرت فيندر أن يسير معك إلى آخر الطريق . .

وخلاصة القول : أنه من الغفلة أن ينتظر الواحد منا م
الناس أن يكونوا فوق مصالحهم ، فأهل الله فى الدن
قليل . .

فسر على بركة الله أيها الزعيم القائد نحو السلام ، و
كنت وحدك ، والله يجعل خطاك فى ظل رحمته وحفظك فى ظ
رعايته ، وتوفيقك فى ظل كرامته ، وتأييدك فى ظل عنايت
ونصرك فى ظل قربته ، والله معك ولك ، ولن يترك أعمالك .

« (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) »

وبعد ـ فان طاعة ولى الأمر طاعة لله ورسوله ، ما لم يأ
بمعصيته ، فإنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق . .

يقول سبحانه وتعالى :

**« (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسو
وأولى الأمر منكم) »** . .

وأخرج البخارى ومسلم فى صحيحيهما :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله عل
الصلاة والسلام :

**« (من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عص
الله ، ومن يطع الأمير فقد أطاعنى ، ومن يعص الأمي
فقد عصانى) »**

والله الموفق وهو المستعان

التضامن والتعاون

طريق النهوض بالحياة الاجتماعية

الأستاذ محمود رجاء حنفى عبد المتجلى

للحياة الروحية مميزات كثيرة ومتعددة، من أهمها وأقواها التضامن والتعاون على فعل الخير، لأن هذا الطريق هو طريق النهوض بالحياة الاجتماعية إلى المستوى الراقى الرفيع، الذى يؤدى إلى رفاهية المجموع، وسعادة المجتمع وهناءته، لأن الحياة بمثابة صحراء مترامية الأطراف، وعرة المسالك، لا يقوى الفرد فيها على السير بمفرده ومواجهة عقباتها، بل تحتاج إلى الجهد المشترك والعمل الجماعى، والاحساس المتبادل للتغلب على مصاعبها ومواصلة السير فيها.

والانسان بطبيعته يميل إلى الانتماء إلى الجماعة، وقد جاء الاسلام مؤكدا لهذه الطبيعة التى خلق المولى تبارك وتعالى الناس عليها، يقول جلت حكمته: «فطرة الله التى فطر الناس عليها، لا تبديل لخلق الله».

ومبدأ التضامن من أهم المبادى التى
ام عليها المجتمع الاسلامى فى كل
صوره وبفضله احتفظ المسلمون
ـدرتهم على البقاء والتقدم، وبنو
نفسهم مجدا عريضا مؤثلا مازال
حتفظ بإعجاب العالم وانبهاره.
كان المسلمون على الدوام يدا واحدة
قوة واحدة، وذلك بفضل تضامنهم
تعاونهم، الذى جعل النصر لهم
ليفا، والوحدة رائدا ومنهجا.

والتعاون كمبدأ إسلامى يوجد فى
ظاهر كثيرة متنوعة، يوجد بين المرء
فسه، ويوجد بين الانسان وزملائه
العمل أو السكن، ويوجد بين الفرد
جتمعه، ثم هو يوجد بين الجماعة
الجماعة، وبين شعب وشعب، ويقوم
يلا على اكتمال الجمع وعلى
لامته.

ويظهر التضامن والتعاون أول ما يظهر بين المرء ونفسه، متمثلا فى أعضائه، فاذا لم تكتمل أعضاء الشخص وتعمل مع بعضها البعض فى توافق وانسجام، اضمحل هذا الشخص وضعف، ونستطيع أن نتصور إذا امتنعت حاسة فى المرء عن العمل، كحاسة السمع أو البصر، فانه فى هذه الحالة يفقد الجسم سببا من أسباب تضامنه واكتماله، أو بالأحرى نجد الجسم ككل يفقد عنصرا من عناصره.

وفى داخل جسم الانسان تتحرك أجهزة كثيرة يربط بينها تعاون وثيق، فلكل من القلب والمعدة والكبد وغيرها وظائف محددة لو تجاوزتها أو قصرت عنها لكانت لها آثارها الضارة على الجسم كله.

والتضامن أو التعاون فى الاسلام ركن من أركان الهداية الاجتماعية، نادى به ودعا إليه، ورسم النجاح لدعوته طريقتين أساسيتين، وهما:

الأساس الأول:

إصلاح الفرد وتنشئته تنشئة صحيحة صالحة، لأن الفرد هو اللبنة الأولى التى يتكون منها المجتمع ويرتكز عليها، ومتى صلح الفرد صلح المجتمع بلا جدال.

وتنشئة الفرد تنشئة صحيحة صالحة هى تربيته على مكارم الأخلاق التى اعتنى بها الاسلام اعتناء لا يوجد فى اى دين من الأديان التى سبقته، من ناحية الشمول والتفصيل.

إن مكارم الأخلاق معراج يرقى عليه الفرد إلى الشرف والمجد، حيث يغرس

بجليل أعماله وأفعاله وجميل صفاته المودة والمحبة والألفة بين الناس، يقول المصطفى صلوات الله وسلامه عليه لأبى هريرة - رضى الله عنه - : «يا أبا هريرة: عليك بحسن الخلق»، فقال أبو هريرة - وما حسن الخلق يارسول الله ؟ .. قال: «تصل من قطعك، وتعفو عمن ظلمك، وتعطى من حرمك»، فبهذا الحديث الشريف وضع المصطفى صلوات الله وسلامه عليه أكبر دعائم المودة والألفة وربطهم برباط محكم لأن المحبة والألفة قوة عارمة تفتت صخور الخلاف، بل تجرفها وتقذف بها إلى أعماق النسيان، فتتآلف القلوب وتتساند وتتعاون على مافيه خير الجماعة وسعادته، وحسب الانسان رفعة عند المولى تبارك وتعالى وعند من يحيط به من الناس ومن يعاشرهم ان يكون كريم الخلق بوصله من قطعه، وعفوه عمن ظلمه، وإعطائه من حرمه.

الأساس الثانى:

إصلاح المجتمع، والمجتمع سلسلة ذات حلقات متصلة، إحداها الأسرة، وهذه الحلقة تمتد وتمتد حتى تشمل العالم بأجمعه، فالاسلام يوجب على الأسرة أن تعيش متساندة متعاونة، وذلك بأن يؤدى الزوج ما عليه من واجبات حتى يتمكن من أن يوفر لأسرته ما يقيم حياتها، وتؤدى الزوجة ما يفرضه البيت عليها من رعاية شئونه ورعاية الأولاد، ويؤدى الأولاد ما تفرضه الأبوة والأمومة من طاعة.

وقد تضم الأسرة الواحدة غير الأبوين وأولادهما من أجداد وأعمام وأولاد أعمام، إلى آخر القرابات المعروفة، فيكون تعاونها بانفاق القريب القادر على القريب المحتاج، ضمانا للتكافل العائلى فى الأسرة، وبقيام كل فرد فى الأسرة بما يجب عليه تهنأ الأسرة وتسعد، وبهناءتها وسعادتها يهنأ المجتمع ويسعد، لأن الأسرة هى أول لبنة فى بنائه، ويقوى بقوتها ويضعف بضعفها.

أما باقى حلقات السلسلة وهو المجتمع العام، فقد عنى به الاسلام حيث أقامه على أسس قوية ودعائم متينة من التعاطف والتراحم والتوادد، وعلى مبدأ المساواة فى الحقوق والواجبات، والتنسيق بين الجهود المبذولة فى سبيل الصالح العام والخاص، ولبيان هذا نمعن النظر قليلا فى قول المولى تبارك وتعالى: «إنما المؤمنون اخوة» - لنجد أن الاسلام جعل المنتسبين إلى أصل واحد وهو الايمان كأبناء الأب الواحد، والمنتسبون إلى أصل واحد يكونون أقوى تضامنا وأشد تساندا.

وعلى ضوء هذا الأسلوب الدقيق الرقيق الذى سطع نوره فى قلوب المسلمين، حارب الأنصار حب الذات والأثره، فقد كان موقف الرسول ﷺ وأصحابه من المهاجرين - رضى الله عنهم أجمعين - بعدما تركوا أموالهم وديارهم وهاجروا من أرضهم، موقفا دقيقا يتطلب الاخلاص والتضامن، ويقضى بأن يسود التعاون بينهم وبين إخوانهم من الأنصار.

ولهذا كله جاء القرآن الكريم بأعظم الأمثلة والنماذج التى تدل على أثر التضامن والتعاون فى حياة الفرد والجماعة، فيقول المولى تبارك وتعالى: «واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا»، ويقول عز وجل: «ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون، ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم» -

ويقول جل شأنه: «وأطيعوا الل... ورسوله ولا تنازعوا فتفشلو... وتذهب ريحكم، واصبروا إن الله مـ... الصابرين» - ويقول المولى جلت حكمته: «وتعاونوا على البـ... والتقوى ولا تعاونوا على الاثـ... والعدوان» - ففى هذه الآية الكريمـ... الأخيرة أمر لجميع الخلق بالتعاون على البر والتقوى، أى: ليعين بعضكم بعضا، وتعاونوا علـ... ما أمر الله عز وجل به واعملوا به وانتهوا عما نهى الله عز وجل عنـ... وامتنعوا عنه، وهذا موافق لما روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الدال على الخير كفاعله»، وقد قيل: «الدال على الشر كفاعله».

والبر والتقوى لفظان بمعنـ... واحد، وكررا باختلاف اللفظ تأكيد... ومبالغة، إذ كل بر تقوى، وكل تقوى بر.

بيد أن العرف فى دلالة هذين اللفظين أن البر يتناول الواجب والمندوب إليه والتقوى رعاية الواجب، فان وضـ... أحدهما مكان الآخر فيتجوز.

يقول «الماوردى» فى هذا الشأن ندب الله سبحانه إلى التعاون بالبر وقرنه بالتقوى له، لأن فى التقوى رضا الله تعالى، وفى البر رضـ... الناس، ومن جمع بين رضا الله تعالى ورضا الناس فقد تمت سعادته وعمت نعمته.

ويقول «ابن خويز منداد» فـ... أحكامه: والتعاون على البر والتقوى يكون بوجوه: فواجب على العالم أن يعين الناس بعلمه فيعلمهم، ويعينهـ... الغنى بماله، والشجاع بشجاعته فـ... سبيل الله، وأن يكون المسلمون متظاهرين كاليد الواحدة، «المؤمنون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهـ... أدناهم، وهم يد على من سواهم» ويجب الاعراض عن المعتدى وترك النصرة له ورده عما هو عليه، وبهـ...

البقية ص ٨...

حوار مع ملحد

الأستاذ على عبد الهادى

قبل ثلاثين عاما ـ وعلى وجه التحديد يوم الاثنين ٩ نوفمبر ١٩٤٧ ـ هيأت الأقدار مفاجأة لى ، كانت ولا تزال نقطة رئيسية هامة بالنسبة لأسلوبى فى الاعتقاد وصلتى بالعقيدة .

كان (فلان) صحفيا مبتدئا بعد تخرجه فى كلية آداب القاهرة ـ قسم الفلسفة ـ فعمل معنا فى جريدة الأساس . وكانت أحاديثه ومناقشاته تثيرنا دوما ، فليس فى جعبته غير غربلة الأديان الكتابيه الثلاث ثم تجريح الاسلام والتطاول على الذات الالهية . كذلك ، كانت أحاديثه وكان جدله . أما معالم شخصيته فتنم عن ذكاء خارق كأنه مولود معه ، ثم تكشف عن قسوة ضارية زاملت طفولته ورافقت صباه وأول شبابه . وامتزج الذكاء الفذ بالفقر المدقع فكان الالحاد .

وذات مساء . . وجدت نفسى مشدودة إليه لأتابع مناقشته فيما يروجه من سخف وهراء ظن أنه بهما قادر على تشويه منهاج العقيدة وجوهر الاعتقاد . وكنت قد حددت هدفى منه : إما أن يضلنى هو ، وإما أن أسهم فى هدايته . .

وفى مكتبه ، أذهلتنى المفاجاة . فالظلام الدامس يسربل كل شىء أمامى وأبصرت شبحا يذرع الغرفه وكأنه شيطان . ثم سمعت صوتا مبحوحاً مهتزاً لكنه يوغل فى الهذيان والتمرد على الله ، فتأكد لى أن زميلنا هذا غارق حتى أذنيه فى دوامة سوداء من ذلك النوع الذى ينتشر ويروج بين الصبيان والصبايا والشباب ، فيتداولونه خلال مرحلة المراهقة الفكريه وحين تتعدد المسالك أمامهم وتتشابك الدروب . . وسرعان ما يجدون نفوسهم معلقه بين واقع لا محيص عنه وبين طموح لا سبيل إليه ، على النحو الذى يريدونه ويصرون عليه بين يوم وليلة . فاذا غلبهم الواقع نفروا منه وابتعدوا عنه لأنهم أساساً يفتقرون إلى شجاعة تؤنسهم . وإذا تعثر الطموح عليهم ، راحوا يضربون الهواء وينفثون حقدهم وعقدهم النفسية فى خلايا الكائنات ـ لعل ذلك يرضيهم وتسترخى أعصابهم عليه . !

أحس الزميل أننى أراه أمامى عاريا بينما أحسست أنا أنى أراه أمامى بحياء العذارى ـ ثم أدركت صدق فراستى فى شخصيته التى التقى فيها وامتزج الذكاء النادر بالبؤس السافر والمقنع ، فالجنون ذكاء متطرف افتقد الترشيد فحاد عن الطريق . وكذلك الالحاد ، فكر متطرف واجه العراء فتعرى ثم ضل السبيل ـ فاذا استطعنا أن نوفق بين نقائض المعانى فى شخصية المجنون وفى عقلية الملحد ، وإذا تمكنا من محو العداء الصامت فى نفوس هؤلاء جميعا نحو مجتمع يعايشونه ونحو عقيدة مثلى يمارسونها ويؤمنون بها ، وإذا حققنا لقاء موضوعيا بين المتطور من الحقائق فى حياتهم وبين اللا متطور من المعجزات والآيات فى حياة الكائن وحياة الكون ـ نكون قد ملكنا زمام القيادة ونحن نواجه فلول الالحاد ومحاولات العبث الحضارى والحديث بمبادىء الاسلام التى أرادها الله ختاما مشرفا بل وشرفا مختوما للأديان الكتابيه . كذلك يكون النصر فى جانبنا ونحن نرد عن الاسلام نصيب الليث من الهجمات المأجورة والمرفوضة ، التى يشنها على الاسلام أولئك المتقعون وأدعياء الاصلاح الدينى خلال الفترة الباقية من عمر الحياة . !

●●●

قال صاحبى : إنه يعيش عصر الضياع ، يريد أن يعلم وأن يعرف . يريد أن يفهم وأن يهتدى ـ لكنه لا يجد معلما فاهما ولا يجد مرشدا هاديا ـ حتى فى بيته . !

قلت : إنك تضيق بالعيش لأن العيش أمامك فسيح . وقلبك لا يتسع أو يقوى على الوعى النابض لأنك أوصدت القلب ـ بارادتك ـ أمام النور ، فأمسى قلبك مثل مكتبك مظلما وقابضا وحزينا . وكذلك أصبح عقلك . وأنت لاتقوى على مواجهة نفسك أو مواجهة الناس ثم تريد أن تمارس الحياة على نحو هو فى عرفك غير موجود ، بينما هو فى كتاب الأزل والأبد أكبر وأكثر من حقيقة . .

إن الطبيعة تأبى الفراغ الذى تدين به وتعتقد فيه وتدعو له وتروج فى محافل الخاصة الذين يتسلون عليك وفى مجالس العامة الذين يسخرون منك .

قال صاحبى : إذا افتقد الانسان العزة بنفسه وفى نفسه ولنفسه ، راح يتلمسها ولو فى الاشلاء . وتستوى عنده أشلاء عقل أو أشلاء قلب أو أشلاء روح . !

قلت : من حيث لا تحتسب ، أرشدتنى إلى مفتاح شخصيتك . فأنت فقير إلى شىء عزيز جدا عاديته بحسك لأنك أغلقت عنه بصيرتك . .

إننى أوافقك على ما تذهب إليه ، بل وأزيد عليه ـ

فالانسان كائن أوحد بين نوع الحيوان ، بالاضافة إلى ... من الحيوانات القارضه . يستمتع حقا بتعذيب غيره م... أبناء جنسه ثم يتسلى بألوان من العذاب يستلهمها م... أعماقه ليصبها فوق أصحابه . وليس هناك فى ضر... القسوة أشد ضراوة من تلك التى يبتدعها إنسان . .

ويبدو لى أن شيئاً ما قد أصابك وأن ظلما ما قد تعرض... له ثم عجزت عن الرد عليه أو لم تسعفك إمكاناتك فى تدا... آثاره حتى وجدت نفسك ـ كما يقول الأدب المعاصر ـ ... الشيطان والبحر ، فلفظك البحر واستقبلك الشيطان . !

ومن هنا بدأت ثورتك على الدنيا كلها ، وكأنها هـ... الخصم لك والغريم وليتك قصرت الثورة العارمة على الد... كما نراها معاً فنواجه مشكلاتها ونجابه أزماتها بشج... صامته وعمل جليل وفكر رشيد ،فبذلك وحده يتحقق أ... ويتملىء فراغك وتهدأ ثورتك ـ لكنك جاوزت المدى فيما ن... فيه ثم جاوزت المدى فيما نحن إليه ، فقد صعدت ثورتك... وهى قطعا غير عاقله ـ إلى الوجه المكتمل للحياة بل إ... الوجه المكمل للحياة ، وأعنى به العقيدة . .

وقد شاء قدرك أن يكون الوعى لديك أكبر من سنك... وسابقا عليه فلم تجد غير هذا الوعى المتفتح والم... والناضج ـ سلاحا ذا حدين تسلطه على العقيده ، فتجرح... بحد منهما وكأنك بالحد الثانى تضمد جراحك . !

قال صاحبى : إنه يمص الآن نزيفه ، وأن عقله تحـ... الآن أيضا إلى ساحة قتال لا سلاح فيها غير الف... والرأى . وأضاف يقول إنه الآن فى محاولة جادة وعا... ومتزنه للبحث عن الله ، ثم استطرد متسائلا ـ هل يج... الله حقا وهل يرى الله ؟ !

قلت : ربما تكون صراحتك شفيعاً لك عن إلحادك . لـ... كل هذا العناء وهذا الجهد ، وأنت على قيد خطو... قصار جداً من شاطىء الحقيقة ؟ إذا كنت جادا... محاولتك البحث عن الله ، فابحث عنه ـ قبل كل ش... وفوق كل شىء ـ فى نفسك . ولسوف تجده ولسو... تراه . .

بناؤك هذا ، من الذى رفع قواعده . ومن الذى أرسا... إن العدم ـ يا صديقى ـ لا يصنع الوجود . وك... الفراغ لا يعمر البناء .

إن موقفك هذا ، ووقفتك أمامى . . تذكرنى برأى لمف... عاقل سبقنى وإياك إلى رحلة الوجود وإلى خلـ... الكون ، يقول فيه إن العربات الفارغة ـ وحدها ـ تحـ... الضجيج . وإننى لأظنك ـ ياصديقى ـ عربة فارغه ...

عليك أولا ، بالامتلاء حتى لا تهتز .

عليك أولا ، بالقناعة حتى لا تتقيأ .

عليك أولا ، بعقيدة مثلى حتى لا تستأنف الحياة غداً وبعد ، وأنت مفلس من حصانة الروح ضد الأشباح . وحتى جابهك الحقيقة الكبرى ، وأنت أعزل مفتقر إلى مناعة لية وروحية تعصمك من الجنون وارتياد المصحات فسية . وحتى لا تتعامل ــ مستقبلا ــ مع النور بعينى ناش . !

●●●

وبعد مساء يوم الاثنين ٩ نوفمبر عام ١٩٤٧ ، تكرر قاء وتضاعف الجدل . وإصرارى يتصاعد إلى رأى حد : إما أن يضلنى هذا الزميل وإما أن أسهم فى هدايته سهم بدوره فى مطاردة الملاحدة وأعداء الاسلام عتباره (كان) واحداً منهم بل وإماماً لهم !

ومن الانصاف أن أسجل هنا ، جهداً طيبا مثمرا موفقا ه وأداه فى هذا السبيل صديقنا وأخونا وزميلنا الأديب راحل محمد مصطفى همام . وكان ــ رحمه الله ــ مؤمنا سادقا وجنديا مجهولا صادقا فى الدفاع عن العقيدة سلامية .

ونتابع السير قدما فى رحلة الحياة ، كل منا إلى غايته وتباعاً ــ لكن فى بطء ــ ينضو ملحد الأمس عن عقله وعن قلبه تلك الحجب الصفاق وتلك الأستار الكثاف التى عزلته خلال بعض سنوات عمره عن ركب الايمان وعن جوهر العقيدة وعن سماحة الاسلام .

إن ملحد الأمس أصبح مؤمن اليوم والغد . . بعد أن تحولت نفسه إلى قبس من نور الأزل وإلى شعاع من ضياء الأبد . وبعد أن أصبح راضى النفس تثرى أغواره وأعماقه بالنعمة والهناءة والايمان والأمن .

وبعد :

إنه الآن لسان صدق ودعوة حب وحق ودعاء يتجدد لله العلى الكبير أن يكفر عنه سيئاته ــ ويقينى أن الله قد محاها ــ وأن يزكى إسهامه الصامت والجليل فى سبيل الدعوة الاسلامية ــ وثقتى فى الله تبارك وتعالى قد زكاه .

إنه الآن من أعيان الرأى والفكر والقلم والصحافة . . فى مصر .

فالحمد لله رب العالمين .

كلمة :

■ ضعف الايمان شذوذ يناقض طبيعة التكوين ويدل على خلل فى الكيان . .

■ العقيدة قد تحتوى الأسطورة ، بينما الأسطورة ــ أبدا ــ لا تحتوى العقيدة . ومن هنا ، فنحن نسمع الأساطير ولا نتدين بها . !

العارف بالله : عبد العزيز الدرينى

العلم في نظر الإسلام

قال تعالى «شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم» وقال تعالى «قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون» ولقد رغب الله فى العلم برفع منزلة العلماء حيث قال «يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات» بل رفع رسول الله ﷺ العالم على منزلة العابد فقال ﷺ لمجلس علم خير من عبادة سبعين سنة ـ وقال عليه الصلاة والسلام حثا على التوسع فى العلم وطلب المزيد منه . إذا آتى على يوم لا ازداد فيه علما فلا بورك لى فى طلوع شمس ذلك اليوم وهكذا رغب الاسلام فى طلب العلم من غير فرق بين طالب وطالب ولا طالبة قال ﷺ طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة .

فضيلة الشيخ صلاح الدين محمد نور الدين

والقرآن الكريم الذى فرض الثقافة العامة وجعلها مجان
لا يحرم منها صغير ولا فقير ، والتاريخ أبلغ شاهد على ذ
فهذا رسول الله ﷺ كان مشغولا ذات يوم بصناديد قريش
يدعوهم إلى الاسلام وجاءه ابن أم مكتوم وكان ضرير
يطلب زاده من الثقافة ولم يعلم تشاغله بالقوم فكره النب
ﷺ قطعه لكلامه وأعرض عنه فغضب الله لذلك الضر
الفقير الراغب فى طلب العلم وأنزل فى شأنه قرآنا يتلى فق
تعالى «**عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك لع
يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى أما من استغنى فأنت
تصدى وما عليك الا يزكى وأما من جاءك يسعى وه
يخشى فأنت عنه تلهى كلا إنها تذكرة**» .

إن القرآن الكريم نزل على نبى لا يقرأ ولا يكتب مرس
إلى قوم لا يقرأون ولا يكتبون فخاطبهم على الفور
يغترفوا من أنهار العلم وينابيع المعرفة بأوسع المكاي
ليتسع أفقهم الثقافى إلى مدى ابعد حتى يتركوا رعاية الا
والغنم إلى رعاية الشعوب والأمم والاسلام لم يفرق فى ط
العلم بين الرجال والنساء مع الالتزام بالقيم والمباد
الاسلامية فمنح الاسلام المرأة حق الأرشاد وحفها بمز
من العناية والاهتمام ولم يجد العلماء أى حرج فى الس
نحو المرأة لسؤالها عن حكم أو فائدة قال عليه الص
والسلام : «خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء» . والمر
عائشة رضى الله عنها وهناك كثير من فضليات النس
كزبيدة زوج الرشيد وسكينة بنت الحسين وقطر الند
امرأة المعتضد كن يجلسن مجالس العلم والأدب والمناظ
ويحكمن بين الشعراء والخطباء وإذا كان الاسلام لم يف
فى طلب العلم بين الرجال والنساء فهو لم يفرق بين
وعلم بل يقصد فى دعوته كل علم ما دام ضروريا للحياة ق
ﷺ (أطلبوا العلم ولو بالصين) وقال حكيم :

خذ من كل علم تستريح به
ولا تعيشن بعلم واحد كس

والقرآن الكريم أيد هذا كله وبينه أجلى بيان فهو تبي
لكل شىء ما فرطنا فى الكتاب من شىء فنجد علم القانون
قوله تعالى «**ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب**
ونجد علم الكتابة والخط فى قوله تعالى «**ن والق
وما يسطرون**» ونجد علم القراءة فى قوله تعالى «**إق
باسم ربك الذى خلق**» ونجد علم البيان والأدب فى قو
تعالى «**الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان**
ونجد علم الصناعة والتجارة فى قوله تعالى «**واصنع الف
بأعيننا ووحينا**» ونجد علم البحث فى الأرض واستخر
المعادن وغيرها فى قوله تعالى «**وتستخرجوا منه حل
تلبسونها**» ونجد علم الملاحة وتسيير السفن فى قوله تعا
«**وترى الفلك مواخر فيه**» .

أمام الأحداث

دينــنا الســلام

نحن أمة الاسلام نعبد الله السلام . . وكل حروبنا جهاد فى سبيل تحقيق أمن الانسان وتمتعه بالحرية والعدل فى كل زمان ومكان . . جهاد من أجل أن تسود الرحمة حياة الناس كافة . . فنحن أتباع نبى المرحمة ونبى الملحمة القائل فيه الرحمن الرحيم : «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين» .

● من هذا المنطلق . . كان التطبيق الرائع لمبدأ السلام فى الاسلام . . كانت مبادرة السلام التاريخية التى قام بها زعيم هذه الأمة الرئيس المؤمن محمد أنور السادات . . هذه المبادرة التى أجمع العالم على أنها كانت أعظم حدث سياسى فى القرن العشرين . . وأجمع العالم أيضا على أن يرشح الرئيس السادات لجائزة السلام العالمية عن جدارة واستحقاق . .

الأستاذ عبد الحليم المهدى

هدف المبادرة كان القدس ، وبدأ بطل السلام زيارته صلاة عيد الأضحى فى المسجد الأقصى . . وشهد صلاة سلام فى كنيسة القيامة . . ثم أعلن على العالم من فوق نبر البرلمان الاسرائيلى رسالة شعب مصر من أجل سلام العادل . . واجه البطل أعداءه فى عقر دارهم ، بت القلب والقدم ، بمنطق السلام فى الاسلام . . بايمان المسلمين بكل رسالات السماء وكل الرسل لأنبياء ، وأن ديننا السلام الذى يرحب بالتعايش مع الأديان . . وأن إبراهيم أبى الأنبياء جدنا وجدكم عالوا إلى كلمة سواء . . نمد إليكم يد السلام العادل . . سلام يبدأ بانسحاب اسرائيل من الأراضى العربية التى حتلتها عام ١٩٦٧ ، وبعروبة القدس ، وحق شعب سطين فى إقامة دولته على أرضه . . وقال إن أرضنا سة لاجدال فيها . . ومن حق إسرائيل ان تعيش بيننا أمن وأمان إذا استجابت لدعوة السلام . . من خلال اليم السماء ، فى التوراة والانجيل والقرآن . .

واستمعت البشرية كلها ورأت وأطلق كثيرون من القادة وى الرأى فى العالم المتحضر وصف المعجزة على هذه المبادرة . . وهى فى منطق الحق والحقيقة شريعة الاسلام . . لأنه دين السلام .

ربنا أنت السلام ، ومنك السلام ، وبك السلام . إياك نعبد وإياك ندعو وإليك نسعى إلى السلام .

ولا يختلف إثنان على أن الفرق كبير كبير . والبون شاسع شاسع . بين الدعوة إلى السلام ستارا للتسليح الذرى ، وبين صنع السلام إيمانا بالعدل والحق والرحمة والخير والحرية لكل إنسان . .

هذه دعوتهم للسلام

كل القوى الصغرى والكبرى على هذه الأرض تتحدث عن السلام وتشتهى السلام . . ومن خلال خداع الأمانى تنعقد المؤتمرات ، وتنشر الكتب والمقالات ، وتذاع الخطب والمحاضرات ، وتضج أجهزة التلفزة والاذاعات . . لكن نلك كله لا يحجب حقيقة اليمة هى أن التسابق فى التسليح الذرى قائم على قدم وساق . .

ويؤكد خبراء الذرة فى المعسكرين الشرقى والغربى ـ وقوع حادثة ذرية كل شهر منذ عرف الانسان الأسلحة

الذرية فى عام ١٩٤٤ ، أى منذ أربعة وثلاثين عاما ، وقد جاء ذلك فى تقرير لخبراء دوليين أعده مركز ستوكهلم ويقول التقرير : إن عدد الحوادث الذرية الخطرة أكبر بكثير مما تنشره الصحف ومما يعرف الناس فى شتى أنحاء العالم ، فقد بلغ عدد الحوادث الذرية الضخمة ـ منذ غارة هيروشيما ونجازاكى فى اليابان ـ حتى الآن مائة وخمسة وعشرين حادثة . . والحوادث الذرية ـ وهى أكبر بكثير من هذا الرقم ـ متنوعة ومتعددة منها سقوط طائرة تحمل قنابل ذرية ، أو فوق باخرة تحمل أسلحة ذرية ، أو ابتلاع البحر لغواصة بها صواريخ ذات رؤوس ذرية ولم يشر التقرير من قريب أو بعيد إلى التورط الأكبر باستخدام الذرة فى إدارة محركات المصانع ، وما ينتج عن استخدام الذرة من عادم لا تدرى أمريكا كيف تتصرف فيه ، فقد أنشأت له ، وهو دخان ، كثيرا من المستودعات المختبئة تحت الأرض ، فتحول الدخان إلى سائل تبلغ درجة غليانه حد الاقتراب من الانفجار فى أية لحظة ، ويكفى انفجار مستودع واحد لنسف مدينة مثل نيويورك ، وتلويث الهواء والماء فى مساحات شاسعة لا يمكن تقديرها . . . وأنهم يفكرون الآن فى تحويل هذا السائل الذرى إلى عدة صواريخ تطلق فى الشمس تخلصا من هذا الخطر الخطير . . على أن هذا التفكير ما يزال قيد البحث . . ولكن الكونجرس الأمريكى قد اتخذ إجراء وقائيا بقراره الخاص بالامتناع عن إنشاء المصانع التى تدار بقوى المفاعلات الذرية لمدة خمس سنوات على الأقل .

وبعد أن يحدد التقرير العلمى التاريخى الصريح أماكن وتواريخ الحوادث الذرية الضخمة (١٢٥ حادثة) ، يؤكد مرة أخرى أن هناك ٧٠ حادثة ذرية أقل حجما . . **ومؤدى ذلك أن العالم مهدد بحرب ذرية لن ينتصر فيها أحد . . لأنها ستكون حرب الفناء .**

نحن نعبد السلام

قل الله . . ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون !.

أنهم يتحدثون عن السلام ، ويملأون الدنيا دعايات عن السلام ، ويخدع بعضهم بعضا ، فربما يكون أكثرهم حماسا للسلام أكثرهم استعدادا للتوسع فى التسليح الذرى ، ولو كان ذلك على حساب أقوات الملايين ، ثم ترتفع الصرخات خوفا وفزعا من الجوع الذى يهدد البشرية جميعا ، ولو عقلوا لكفوا أيديهم عن الانشغال بالذرة حربا وسلما ، وأنفقوا تكاليفها الباهظة فى إطعام الأفواه الجائعة فى كل مكان ، ولساد العالم سخاء ورخاء . .

الحرب عندنا . . من أجل الرحمة . .

أما نحن الأمة الاسلامية ، فليست فينا ولن تكون دولة ذرية . . لأننا أمة تكره الحرب ، ولا تتحدث إلا عن السلام ، لأننا نعبد الله ربنا السلام . . والسلام تح لأمتنا وأمان لأهل ذمتنا كما يقول الحديث الشريف .

أما نحن الأمة الاسلامية فديننا دين الرحمة بالنا كافة . . وقد قال الله تعالى فى نبيه «**وما أرسلناك إلا ارح للعالمين**» وقال المصطفى المختار : «**إنما أنا رحمة مهدا**» ثم قال : «**ومن لا يرحم لا يرحم**» . .

نحن الأمة التى قال فيها أرحم الراحمين : «**أشداء ع الكفار رحماء بينهم**» . . والرحمة والشدة فى هذه ال تنبعثان من معين واحد هو الرحمة .

ويقول العالم المغفور له الشيخ محمد أبو زهرة عن نظر **الحرب فى الاسلام :**

من قانون الرحمة كانت شريعة الجهاد فالحرب الاسلام ليست للعدوان ، وإنما هى دفع للعدوان ، وإق الحق ، والقضاء على الظلم والفساد . إن الرحمة بالانسا توجب وقف المعتدى ومنع الظالم ودفع الفساد وذلك لا يك إلا إذا قيل للمعتدى : **قف مكانك . وقيل للمظلوم معك م يحميك . . فاذا كان فى الحرب قتل ففيها منع لسفك الد إن قام بها العادلون .**

إن الخير والشر يتنازعان فى نفس كل إنسان ، وفى أنف الجماعة وبين الدول ، **فمع الشر الاعتداء ، ومع الخير م الاعتداء . فاذا اعتدى الشر وجب على أهل الخير يدفعوا وإذا كان العبث والفساد وجب على أه الاصلاح أن يمنعوا ، وإذا كانت الفضائل تنتهك وج على الفضلاء أن يكفوا الرذيلة . ولذلك كان الجه شريعة ماضية إلى يوم القيامة كما قال عليه الص والسلام «الجهاد ماض إلى يوم القيامة» .**

ذلك لأنه إذا كان الشر يعتدى ، فلابد للحق أن يرد ، و كان الظلم يستحكم فلابد للعدل أن يدفع ويحكم . و الفضيلة لابد أن تكون لها شوكة تمنع طغيان الرذيلة ول أباحت الأديان السماوية القتال دفاعا عن النفس ، و الفضيلة ، وعن العبادة ، وعن العقائد السماوية .

الحرب الفاضلة

لقد كانت رسالات الأنبياء هى المعلم الصادق للحر التى تستباح فيها أنفس المقاتلين من غير خروج على نه الفضيلة ، ومن غير تمرد على سلطان العدل الذى هو ف كل عمل إنسانى .

قد تتنافى الحروب مع الرأفة والشفقة ، ولكن لا يص حكم النبوة أن تتجافى عن العدل والفضيلة أبدا .

وإن أنبل الحروب التى تلتقى فيها الفضيلة والع والمحافظة على الكرامة الانسانية مع القتل والقتال فى مي

عد ، هى حروب محمد ﷺ وحروب أتباعه من بعده وإذا ت حروب الأنبياء من قبله قد انطوت فى ظلمات التاريخ ، ، الحرب العالمية الاسلامية مسجلة خالدة مؤكدة دائما **ا الحرب الفاضلة .**

كانت الحروب قبل المعارك النبوية والاسلامية حروب وب ، لا حروب مقاتلين فقط ، فكان الشعب المحارب تبيح من الشعب الآخر كل الحرمات ، فى الميدان وفى ج الميدان . . فالأصل فى العلاقة هو الحرب وليس سلام . . والحرب مع الشعب كله لا مع حكامه وقواده يوشه حتى أن الرجل إذا أخطأت قدماه فنزل فى أرض ، أرض بلاده ، أصبح على الفور عبدا رقيقا . . وقد وقع ، لشيخ الفلاسفة أفلاطون ، حتى صادفه من رفع عنه رق بودية ، كما وقع ذلك لعمر بن الخطاب فى الجاهلية فلقد ترقه رومانى بالشام وتظاهر عمر بالاذعان ، ولكنه ص بالرومانى حتى انفرد به وقتله !

استمرت الحال ، حتى جاء محمد ﷺ ، فأعلن أن روب لا تتجاوز الميدان . . وأن الحرب ليست بين شعوب ، وإنما هى بين القوات المسيطرة . . فإذا دى ملك أو زعيم قوم أو قائد جيش ، فليس الشعب الذى اعتدى . . لقد تميزت حروب محمد بأنه لم **تل الشعوب ، بل كان يقاتل فقط الملوك والزعماء قادة الذين يسوقون الجيوش إلى الاعتداء .**

م يبح سيدنا محمد قتل أحد لا يقاتل وليس من شأنه يقاتل وليس له رأى فى الحرب .

قد نهى بطل الأبطال عن قتل النساء . نهى عن قتل طفال . . نهى عن قتل الشيوخ .

أى سيدنا محمد امرأة مقتولة فى معركة ، فغضب من ، الجيش خالد بن الوليد وقال له : « ما كانت هذه تل » .

ن حرب الاسلام شريعة تستمد منهجها من السماء ، ، قوانين الغابة التى تسود الحروب الآن . . لم تكن ان الأقوياء على الضعفاء . . بل كانت لنصرة الضعفاء الأقوياء الطغاة . .

ن حرب الاسلام كما سنها نبى المرحمة ونبى الملحمة ، ب فاضلة . . فاضلة فى الدافع إليها . . فاضلة فى ائها . . فاضلة فى سيرها . . فاضلة فى انتهائها . . أى عاملة المغلوبين .

الله لا يحب المعتدين . .

وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن لا يحب المعتدين » .

سوص القرآن الكريم ونصوص الحديث الشريف ، كلها **تؤكد أن أسباب الحرب العالمية الاسلامية لم تكن لفرض الدين ، فلا إكراه فى الدين . . ولا فرض نظام اجتماعى . . بل كانت لدفع الاعتداء ، وغوث المظلومين ، وحفظ كرامة الانسان .**

لقد منع النبى رجلا حاول أن يكره بعض أولاده على الدخول فى الاسلام .

وجاءت امرأة غير مسلمة فى حاجة لها إلى عمر بن الخطاب ، فطلب منها – فى رفق – أن تسلم ، **فأبت ، فأعطاها وتركها .**

ولقد نهى القرآن الكريم عن الفتنة فى الدين . واعتبرها أشد من القتل . . وأكد النبى والخلفاء الصالحون من بعده **أن العدوان على العقيدة أشد من الاعتداء على النفس !.**

إن حروبنا الاسلامية لم يكن الباعث عليها إلا دفع الاعتداء . .

لماذا حاربنا الفرس والرومان ؟

لكنهم طالما ادعوا بأن الاسلام قد انتشر بحد السيف . . وكذبوا . . ولنتأمل كيف ولماذا كانت الحروب العالمية على عهد النبى . .

أرسل الدعوة الرسمية إلى الملوك والأباطرة ، وأعلن حقائق الاسلام لتعرفها شعوبهم ، فاتبعها بعض أهل الشام وكانوا تحت حكم الرومان ، وعرف المصريون هذه الحقائق ، وتسامعت بها البلاد المحيطة بالجزيرة العربية . . فماذا حدث ؟

اعتدى الرومان على من أسلم فى الشام ليخرجوهم من دينهم ، فلما بلغ بهم الأذى أشده لم يستطع النبى أن يسكت على ذلك ، لأن الرومان لم يعتدوا عليه ، ولكنهم اعتدوا على الدين الذى جاء به النبى هدى ورحمة وسلاما للعالمين . بدأ الرومان الحرب ضد الاسلام بقتل أتباعه المؤمنين فأرسل إليهم النبى جيشا بقيادة زيد بن حارثة ، وجعفر بن أبى طالب ، وعبد الله بن رواحة ، فاستشهدوا فى معركة مؤته ، وتسلم الراية خالد بن الوليد . .

أما الفرس . . فقدهم امبراطورهم كسرى بقتل الوفد المحمدى الذى حمل رسالة الدعوة النبوية إلى الاسلام ، وتأهب كسرى لقتل النبى ، واختار من صناديد فارس من يأتيه برأس محمد ، فسبقه محمد وحاربه حتى صرعه .

وهكذا اتجه محمد إلى حرب الرومان والفرس لمنع الفتنة فى الدين ، تطبيقا لقول الرحمن :

« وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين لله ، فإن انتهوا . . فلا عدوان إلا على الظالمين » .

لم يكن قتال النبى عدوانا ، وإنما كان دفعا لعدوان . . وقد كان الاعتداء على عهد النبى على صورتين :

الأولى : أن يهاجم الأعداء الرسالة فى أشخاص المؤمنين بها . . فلابد أن يقوم النبى إليهم ليرد كيدهم فى نحورهم .

والثانية : أن يفتنوا المسلمين عن دينهم ويقتلونهم أو يرتدوا . . ورسالة الاسلام أن يمنع العدوان على حرية الفكر والعقيدة . وقد جاءت هذه الحرية مقررة فى الكتاب الأعظم : « لا إكراه فى الدين » .

وكذلك كانت الحروب فى عهد الخلفاء الراشدين ، واتسعت ميادين المعارك مع الفرس ومن وراءهم شرقا ، وفى الشام وما وراء الروم غربا ، **وأمن الناس بهذه الحروب على عقائدهم . .**

وما كان تأمين العقيدة خاصا بالمسلمين ، فلن ينس التاريخ أن الرومان حاولوا كثلكة اليعقوبيين من المسيحيين ، فتصدى لهم الاسلام ، **وحفظ عليهم عقيدتهم . . .**

ولم تكن الحرب إلا ضد الرومان . . وقد هزموا فى أول صدمة ـ كمثل إسرائيل فى عام ٧٣ ـ ثم صارت المعركة مع المصريين مجرد مناوشات ، وانتهى الأمر بالتسليم لعدا الاسلام ، **لأنه يحمى الحريات وخاصة حرية العقيدة**

وما حارب المسلمون الشعوب أبدا . . إنما كانت الحرو ضد الملوك الظالمين السفاحين . . . كانت الحرب فى الميد جيشا لجيش . . وخلف الميدان كان التزام المسلمين بعـ العدوان على إنسان لم يحارب ، أو على مال بعيد عن ميد القتال .

نعم كانت الحروب العالمية الاسلامية دفاعا عن الا والسلام ، وكانت لرد الاعتداء على الأرض والعقا السماوية . . . وهذه حقيقة الحروب التى شرعها نب الرحمة والسلام .

ومن هذه الشجرة كانت الثمرة . . مبادرة السادا التاريخية من أجل السلام . . فى سلسلة مبادرات البطا من العبور العسكرى العظيم إلى سيناء . . إلى العبو الدبلوماسى الأعظم إلى القدس . . ومن القدس ستب القافلة إلى السلام فى المنطقة ، وفى كل شبر من الأر يدب عليه إنسان !

بقية مقال « العلم فى نظر الاسلام »

وأشار القرآن الكريم إلى علم الاختراع والابتكار فى قوله تعالى « **علم الانسان مالم يعلم** » وأشار إلى علم الفلاحة والزراعة فى قوله تعالى (**افرايتم ما تحرثون أانتم تزرعونه أم نحن الزارعون** » ونجد العلوم الحربية وتعليم الجندية فى قوله تعالى « **واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم** » ونجد علم صناعة الزينة والتجميل فى قوله تعالى « **يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد** » ونجد علم صناعة الزجاج فى قوله تعالى « **إنه صرح ممرد من قوارير** » . ونجد علم صناعة الفخار فى قوله تعالى « **فأوقدلى يا هامان على الطين** » ونجد علم النفس فى قوله تعالى « **وفى انفسكم أفلا تبصرون** » ونجد علم التاريخ فى قوله تعالى « **ذلك من أنباء الغيب** »

ونجد علم الآثار فى قوله تعالى « **قد خلت من قبلكم سـ فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبير** ونجد علم صناعة الحديد فى قوله تعالى « **والنا له الحدي** إلى غير ذلك مما يطول شرحه .

فتعلموا أيها الأخوة والأخوات من العلم كل ما نفـ ولزم واعتزوا بكرامة العلم لتكون كرامتكم فوق كرامة واعلموا أن أول ما يوجب العلم على المتعلم يرعى جانب وطنه حق الرعاية فشمروا عن ساعد الجـ فى طلب العلم قال عليه الصلاة والسلام « من سلك طر يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة و الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضـ بما يصنع » .

الإسلام

دين السماحة والسلام

الاسلام دين السلام.. لأنه يدعو إلى السلام... والسلام هو الحضارة والمدنية.. والحرب هى الخراب والتدمير.. والسلام هو أصدق عامل يساعد الانسان والانسانية فى الحياة على التقدم والرقى والرخاء من أجل غد مشرق مضىء ينعم فيه الانسان بحياة الاستقرار والأمن والأمانى والازدهار فى غير ضعف أو استكانة.. والحرب من أجل الحرب أفظع ما شهده الانسان وخاصة فى عصرنا الحديث الذى كشف أدوات الدمار ووسائل التدمير الحديثة...

الأستاذ عبد الحكيم النجار

ولقد دعا الاسلام إلى السلام.. وحث عليه وأوجب السلام فى المجتمع.. كما أوجبه بين الأمم والشعوب.. وحمل المسلمون رسالة السلام إلى كل الدنيا.. وبشروا بها الانسانية داعين إلى الرحمة والمحبة والود والخير والحب والجمال والكمال...

والمؤمنون بالحرية هم أكثر الناس إيمانا بالسلام.. لأنه سبيل الطمأنينة والاستقرار.. وليس يقدره إلا من قدر الحرية وأعزها.. وعرف أنها سبب الحضارة والتطور والأمل المشرق الأكبر والعظيم فى بناء صرح الأمم والشعوب على أسس قوية ومتينة من العزة والكرامة الانسانية وإعلاء شأن رسالة الحياة.ز.

روعة المواقف!!

وقد شهد العالم أجمع بالمواقف الرائعة الخالدة.. خلود الزمن الباقى من الزمن.. للمواقف الفريدة العظيمة.. لرسول الانسانية الأعظم محمد بن عبد الله صلوات الله عليه وسلامه... فى الدفاع عن هذه المبادىء الكريمة وإرساء قواعدها وصيانة دعوته الجديدة... لحفظ الأمن والأمان والحرية فى دنيا الناس...

ويحدثنا التاريخ الاسلامى أن الرسول العظيم قد ولد فى أرض خضبتها الدماء.. مع ذلك كان بطل السلام.. وراعيته الكريم.. حتى رأيناه يشترك صغيرا فى حلف (الفضول) النظ ذام لنصرة الحق والمظلوم ورد الحقوق إلى أصحابها... ورأيناه يقف حكما بين قبائل قريش.. حاسما للنزاع الذى نشب حول بناء الكعبة.. وكان له شرف وضع الحجر الأسود فى مكانه.. فيسود السلام (مكة) بسداد رأيه وحكمته الرائعة وبذلك قضى على الفتنة بين القبائل جميعها..

أخوة فى الانسانية..

كانت سياسته الرشيدة الرائعة الشفقة والرحمة والود والفكر المستنير والتواضع الذى لا حدود له فى غير ضعف أو تفريط..

وقد عاش وناضل وجاهد وكافح وبذل وأعطى مع أصحابه مؤمنا بالرحمة والمحبة والأخاء.. فآخى بين المسلمين فى المدينة.. وقرر فى ثقة وإيمان لا يتزعزع أن المؤمنين أخوة فى الدين.. وأن البشر جميعا إخوة فى الانسانية وحطم الحواجز والسدود بين الأمم.. ونزل القران يؤكد أن هدفه تعارف الشعوب: **(وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا..)**

قوة التشريع

وكان السلام النفسى والمعنوى شعاره فى أحرج الأزمات.. رأيناه حين طارده المشركون فى (الطائف) كيف

يلجأ إلى القوى العزيز . . إلى الله بهذه الكلمات الخوالد :

اللهم إليك أشكو ضعف قوتى . . ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس ، يا أرحم الراحمين . . ، أنت رب المستضعفين . . . وأنت ربى إلى من تكلنى . . ، إلى بعيد يتجهمنى ؟ أم إلى عدو ملكته أمرى . . . إن لم يكن بك على غضب فلا أبالى . . ! ! !

نظرية الحرب والسلام . .

لم يعلن محمد القائد . . المنتصر . . الملهم . . الحرب إلا دفعا للعدوان ودفاعا عن دعوته وردا للظلم والطغيان والجبروت . . وصيانة المجتمع من الشرور والآثام . . وتأكيدا للسلام والحرية حتى وقف وهو فى قمة شبابه يدافع عن حرية قومه فى حرب الملاحدة الفجار من أهل مكة . .

وحرم شن الحروب للسيطرة وبسط السلطان ، أو الطغيان والاستغلال والفساد . . ولم يجعل الحرب وسيلة لنشر الدين الجديد فى ربوع الجزيرة . . بل اتخذ سبيله إلى الاقناع والاقتناع . . ويحدثنا فى هذا قول ربنا تبارك وتعالى حيث يقول **(ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة . . وجادلهم بالتى هى أحسن)** .

وشريعة محمد التى تنزلت عليه وهى الاسلام . . اشتق اسمها من السلام وغايتها اليسر والحب ويقين الايمان . .

وقد لخصها الرسول العظيم لقومه فى كلمة واحدة حين ذهب أشراف قريش إلى عمه أبى طالب يشكون ويهرعون ويضجون . .

فقال له محمد صاحب التشريع :-

يا عم : كلمة واحدة يعطونيها - تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم . فقال أبو جهل : نعم وأبيك وعشر كلمات فقال : (تقولون لا إله إلا الله) وتتركون ما تعبدون من دونه . . فسخروا منه وقالوا : أتريد أن تجعل الآلهة إلها واحدا . إن هذا لشئ عجاب . .

حقوق المجتمع

ان محمدا ﷺ هو الذى بشر بالسلام والشروع لمبادئه فى الأسرة والمجتمع والأمة والانسانية وبين الانسان ونفسه . أما محمد المدافع عن الحريات فانه أحب الحرية منذ طفولته . . ورثها عن قومه وبيئته ورباه ربه عليها ونماها فى نفسه طبيعة الحياة فى وطنه فولد ونشأ كريما أبيا . . ويتجلى نقديه لها فى إبائه للضيم . وغضبه للحق . . وصيانة شخصية الانسان مهما كان لونه أو دينه وحقوق المستضعفين الذين كان الناس فى عصره ينكرون أن يكون لهم حق فى الحياة . . وكان إذا جلس فى المسجد فجلس إليه خباب . . وعمار . . وبلال . . وصهيب . . وغيرهم . .

وهنا هزأت بهم قريش وقالوا : هؤلاء أصحابه كما ترون ، أهؤلاء من الله عليهم من بيننا بالهدى والحق لو كان ما جاء به خيرا ما سبقونا إليه ولو طردهم ع لجلسنا إليه :

فأنزل الله تعالى **(ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغد والعشى ، يريدون وجهه)** .

وجاءت معاهدته الأولى مع يهود يثرب المخالفين له خ تقرير لحرية العقيدة والرأى وحرمة المدنية والمال كما يق الباحثون . .

كما حمى الرسول حرية المرأة والرجل والخادم والرق وألغى الرق البشرى وأبقى أسرى الحروب المشروعة نطاق واسع من الشرف والكرامة . .

منهج المجتمع الاسلامى

هذه صورة من صور المجتمع الاسلامى التى لم تدع ش من شئون الفرد والجماعة إلا وقد أوضحت فيه المنه والحكم وأنارت الطريق ومهدت السبيل وتكفلت أحكا باسعاد البشرية جمعاء . .

القائد العربى فى القدس

وكلمة أخيرة :

لقد أقام الاسلام حضارة كبرى . . قدمت للعالم كلم الأمن والسلام والرخاء والجوهر الحقيقى للحب وأصبحت هذه الحضارة معينا للمعرفة ليس للش وحده . . بل للغرب الذى استمد منها أسس تقد الحضارى والمادى . . لذلك قام القائد العربى أنور الساد مستلهما وجه الله والعروبة والوطن بمبادرته التاريخ بزيارة القدس . . ولقاء أخواته فى الأرض المقدسة . . لرف المعاناة عن شعب طال انتظاره لاقامة دولته وإحلال الس القائم على العدل فى ربوع المنطقة . . فهذا ليس بغريب عل حيث يحدثنا التاريخ الاسلامى ما يشبه ذلك . . عندما عق الرسول صلوات الله عليه وسلم . . صلح الحديبية م مشركى مكة وهم الذين حاربوه وحاولوا قتله وإزه دعوته . . فظن بعض الصحابة أنه غلبت عليه مو التسامح ، حتى قال عمر بن الخطاب لأبى بكر ألسنا ع حق قال له نعم ثم قال له أوليس رسول الله فقال له أبو ب نعم . . فقال عمر لماذا إذن نعطى الدنية فى ديننا . . فقال الزم رحلك يا عمر . وبعد ذلك ذهب إلى محمد عليه الس وسأله . . فرد عليه الرسول بأن الله سبحانه لن يضيعه وكانت هذه العبارة قاطعة فى الثقة بالنصر . . وحدث بعد ذ من انتصارات للمسلمين بهذه المعاهدة . . وعلت كلم التوحيد ! !

نريد أن نقول أننا نعلن للعالم أجمع أننا أصحاب ح ولسنا دعاة حرب . . وأعتقد أن مصر المؤمنة الواثقة بربه

البقية ص ٥

وعاد السلام

إلى بيت المقدس

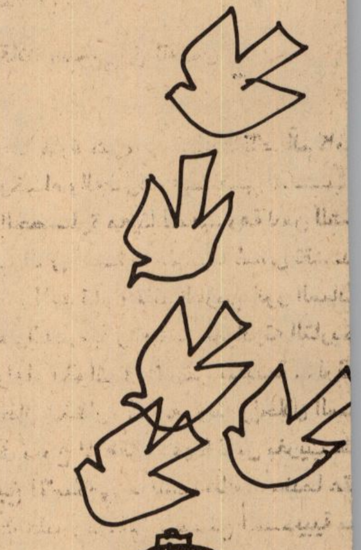

استجاب الخليفة عمر بن الخطاب لرغبة الزعيم المسيحى البطريرك (صفرونيوس) التى أبداها للقائد العربى أبو عبيدة بن الجراح بالحضور ليتسلم شخصيا مدينة القدس، فقد عزم أهل بيت المقدس أن يدخلوا فى عدل المسلمين وحمايتهم.

خرج عمر رضى الله عنه من المدينة المنورة قاصدا المدينة المقدسة ومعه مولاه - أسلم - على راحلة. وقد قسم المسافة مثالثة - الأولى له والثانية للراحلة والأخيرة للغلام.

وانتظر الناس موكب الخليفة أمير المؤمنين وقد ظنوه سيخرج عليهم فى زينة ويحيطه الجند والرجال، فلا يزال الناس يذكرون هرقل حين دخل عليهم بيت المقدس قبل عشر سنين وشاهدوه أيضا فى حله وترحاله.

ولم ير الناس إلا رجلا طويل الجسم أصلع الشعر شديد الحمرة كثير السبلة فى أطرافها صهوبة وفى عارضيه خفة - كبر عندما وصل عند جبل يشرف على القدس - ولا يزال هذا الجبل يعرف حتى الآن بجبل المكبر - يقود الراحلة وفوقها الغلام - وقعت أعينهم عليه فرأوا فيه الوقار والتواضع، فسألوه وأين أمير المؤمنين ؟؟ فما ظنوا الرجل فى زيه هذا إلا من عامة الناس فأجاب: أمامكم (يعنى نفسه) فأخذتهم الدهشة وسجدوا إظهارا لمعنى الانتصار والتسليم، وهنا نهرهم الغلام من فوق دابته: أن ارفعوا رؤوسكم لا سجود لغير الله. فقد هزه هذا الموقف.

الأستاذ محمد حسن عبد العزيز

وفاضت عينا صفرونيوس بالدمع وهو يرى لأول مرة ملكا فى زى ناسك وراعى أمة عظيمة فى صورة راعى ثلة . إنسانا لا تفقد فيه الانسانية حقيقة من حقائقها ، ولا يصيب فيه الجبروت باطلا – من أباطيله . . فى يده الدنيا لكنها ليست فى قلبه . . يملكها ولا تملكه . . يصرفها ولا تصرفه . . ويستعبدها ولا تستعبده . . وتلك حقيقة العظمة فى أرفع صورها أن تكون الدنيا تحت قدميك . . فتزهدها ولا تقبل عليها وهى مستعدة لكى تعطيك ما تريد . .

وأقبل عمر فى مودة وإخاء نحو الزعيم المسيحى معانقا ومسلما ومحييا قائلا : يا أهل إيلياء لكم ما لنا . . وعليكم ما علينا » . .

وكان عمر بن الخطاب يرتدى قميصا من القطن له كرابيس قد بليت مؤخرته من طول قعدته عليه . أراد أن يغسل ويرقع فجاءه الأسقف بقميص آخر من كتان ، فلم يرض عمر بغير قميصه المرقع قائلا للأسقف : أما هذا فانشفها للعرق . .

وسار عمر حتى وصل الجابية فى وسط الشام وهى التى غلب عليها هرقل فسعى لها على قدميه مثلما دخل آيلة من قبل . . وكان اليهود ينتظرون تخليصهم من جبروت الروم ويدعون الله أن يفرج كربهم على ايدى المسلمين وعلى حد تعبيرهم كانوا يرقبون روح الله بأيدى العرب المسلمين .

وجاء رجل يهودى إلى عمر وقال له : السلام عليك يا فاروق . أنت صاحب إيلياء لا والله لا ترجع حتى يفتح الله إيلياء . .

وكأنى بهذا اليهودى أنكر ما لحق اليهود على طول تاريخهم من التعذيب والتنكيل والاضطهاد .

ففى القرن العاشر ق . م استولى العبرانيون على القدس واتخذها الملك داود عاصمة لملكه . وعزم على بناء الهيكل بعد أن وحد الأسباط . . لكن المنية وافته قبل أن ينفذ ما عزم عليه ، وقام به من بعده ولده سليمان الذى نقل إليه تابوت العهد فصار الهيكل بيتا مقدسا .

ولما انحرفوا عن دين الله ، وحادوا عن صراطه المستقيم بالتحريف فى لب الدين ، واستبدال الأوثان بعبادة الله . وانتشار الموبقات بينهم والفواحش ، وقتلهم الأنبياء بغير الحق ، سلط الله عليهم أعداءهم من الآشوريين والبابليين وأخذهم بذنبهم وقضى على مملكتهم ودمر هيكلهم وفرقهم فى الأرض فقاسوا فى السبى آلام التشتت إلى أن – جاء الفرس عام ٥٣٨ ق . م فأحسنوا إليهم وأعادوهم إلى بيت المقدس .

وفى عام ٧٠ ب . م دمر الرومان دولتهم مرة أخرى وأحرقوا هيكلهم وفى عام ١٣٥ ب . م أنهى الامبراطور

« حوريانوس » كل وجود لليهود فى المهينة واستبدل باسـ « إيليا كابيتولينا » أى إيليا العظمى . .

وفى زمن المسيح عليه السلام غدر اليهود به فحرمت المد عليهم نهائيا وصار مكان الهيكل مستودعا للقمـ والقاذورات . .

واقبل وفد بيت المقدس فكتب لهم عمر الوثيقة المشهـ ونصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم – هذا ما أعطى عبد الله عـ أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان ، أعطاهم أمـ لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئـ وسائر ملتها ، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقـ منها ولا من جذها ولا من صلبهم ولا من شىء من أموالـ ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ولا يسـ بايلياء معهم أحد من اليهود ، وعلى أهل إيلياء أن يعـ الجزية كما يعطى أهل المدائن ، وعليهم أن يخرجوا منـ الروم اللصوص ، فمن خرج منهم فانه آمن على نفسه و حتى يبلغوا أمانهم ومن أقام منهم فهو آمن وعليه ما على أهل إيلياء من الجزية ، ومن أحب من أهل إيلياء يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى بيعهم وصلبهم فـ آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغـ أمانهم ، ومن كان بها من أهل الأرض فمن شاء منهم قـ وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ومن شاء سار الروم ومن شاء رجع إلى أهله فانه لا يؤخذ منهم شىء يحصد حصادهم . . وعلى ما فى هذا الكتاب عهد الله وذ رسوله وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذى عليهم من الجزية

شهد عليها خالد بن الوليد وعمرو بن العاص و الرحمن ابن عوف ومعاوية بن أبى سفيان . . وكتب وحـ سنة خمسة عشر هجرية (تاريخ الطبرى ج ٣ ص/ وخطط الشام ج ١ ص ١١٨ – وفتوح البلدان ص ١٨٨

ودعا الزعيم المسيحى صفرونيوس عمر لزيارة كنيـ القيامة وفيها أدركته الصلاة فسأل عن مكان يصلى فـ فدعاه البطريرك أن يصلى حيث هو داخل الكنيسة لكن لم يستجب لهذه الدعوة الكريمة السمحاء . . فقد خشـ فعل أن يأتى المسلمون بعده فيدعوا ملكيتها أو على الأ ملكية الجزء الذى صلى فيه الخليفة . ويبنون عليه مسـ فتكون فتنة يصلى نارها المسلمون والمسيحيون السواء . . خرج بعيدا عن الكنيسة ثم صلى فى الخلا **واظهر التاريخ بعد ذلك حكمة ابن الخطاب وبعد نظـ وعمق تفكيره واحترامه الشديد لا ماكن العـ وتقديسه لما ترمز إليه . . ففى نفس المكان الذى صـ فيه . . اتخذ المسلمون مسجدا هو اليوم خير شاهد السماحة والاخاء بين المسلمين والمسيحيين .**

دخل عمر بيت المقدس لا مدمرا مخربا مضطهدا اهله لما فعل قبل بختصر وهرقل لكنه دخل رافعا راية التوحيد لعدل والحرية والأخوة والرحمة الشاملة بين الناس – ميعا وبين الأديان جميعا أيضا . . فعندما دخل إلى حراب داود صلى فيه ودوى الآذان فى أرجاء المدينة قدسة لأول مرة يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبد الله سوله . .

كان فاتحة خير وسلام لبيت المقدس ومن فيه . .

أزال الخليفة بيديه ما تراكم على الصخرة من قاذورات لسلمون معه . . تلك القاذورات التى تجمعت وتراكمت جز اليهود أنفسهم عن إزالتها حين ملكوا أمر البيت ومع اذورات أزال عن الناس الظلم والقسوة والاضطهاد . .

ضى إلى محراب داود فصلى فيه . . قرأ فى الركعة الأولى ورة (ص) وسجد حين قرأ آية السجدة «وظن داود ا فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب» ثم قرأ فى كعة الثانية أول سورة الاسراء – سورة بنى إسرائيل ه وصف ما أصابهم على يد البابليين .

كبر كعب الأحبار وكبر الناس معه . . قال عمر : هذا ؟ . . قال : كبر كعب وكبر الناس . قال : على به . كعب : «يا أمير المؤمنين أنه قد تنبأ بما صنعت اليوم منذ خمسمائة سنة» . . فقال : وكيف ؟ فقال : أن الروم اروا على بنى إسرائيل فأديلوا عليهم فدفنوه ، ثم أديلوا يفرغوا له حتى أغارت عليهم فارس فبغوا على بنى رائيل ، ثم أديلت الروم عليهم إلى أن وليت فبعث الله نبيا الكناسة فقال : أبشرى أورشليم عليك الفاروق ينقيك ا فيك . آتاك الفاروق فى جندى المطيع ، ويدركون لأهلك ك فى الروم . .

قد لبث اليهود خمسمائة سنة ينتظرون ان تطلع شمس سلام ويأتى الفاروق ليحثو التراب فى قبائه ويأمر الناس هير البيت المقدس . .

ما فقدوا رعاية الاسلام من بعدها ، الا تسعين عاما غلب ا أهل الصليب فأصاب البيت المقدس ما أصابه حتى ترجعه رجل من رجال المسلمين ، ملك يتشبه بعمر بن طاب فى الاشادة بعدل الاسلام ومرحمة الاسلام . رحم صلاح الدين يوسف بن أيوب . .

لكن بنى إسرائيل حين رأوا الزمان ينيخ على المسلمين كله لم يأتوا عونا للعرب والمسلمين ولم يذكروا فضل سلام ولا حفظوا يد عمر ، ولا اعترفوا برعاية المسلمين ايتهم ثلاثة عشر قرنا ، بل جاءوا يجزون الحسنة سيئة ، ويعينون الخطوب على الذين دفعوا عنهم طوب ، ويناصرون الأعداء على الذين أنقذوهم من داء ، ويمالئون الذين دفنوا بيت المقدس على الذين رفعوا عنه التراب والرجس والهوان . .

ولبت شعرى ماذا ينقمون من المسلمين والعرب ؟ . .

يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل ؟

يابنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم ، وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم وإياى فارهبون) . .

وفى ظل الحكم الاسلامى ساد الأمن والأمان . .

عاد اليهود إلى المدينة واسند الى بعضهم خدمة المسجد الأقصى وعمل القناديل والأقداح والثريات ، وانشأوا المراكز الدينيه فى طبرية وصفد والخليل وبيت المقدس . .

وتتبع المسلمون مساجد الأنبياء ابتداء من إبراهيم عليه السلام إلى آخر من دفن فى فلسطين فأعادوا بناءها وحافظوا على قداستها وردوا عليها هيبتها وطهرها . .

وعاد البيت المقدس . . بيت من بيوت الله يشد الرحال إليها . . ويثاب عن الصلاة فيها أضعافا مضاعفة عن الصلاة فى غيرها . .

وهو عند المسلمين لا يقل قداسة عن بيتهم الحرام ، وقد نال شرف مركز الرحلتين ، نهاية الاسراء وبداية المعراج . .

وهو الرمز المجسد للاخاء والمساواة التى جمعت بين الناس على اختلاف أديانهم ، والسماحة الدينية التى هى أهم ركائز الاسلام حيث لا اكراه فى الدين وقد تبين الرشد من الغى ، ذلك أن جوهر الدين واحد وإن تتابع الرسل . .

وأمة الاسلام بابها مفتوح أمام كل الناس . .

وقلبها مفتوح لكل فكرة نابعة من عقل يفكر ، وقلب يعى . .

وكتابها مفتوح أمام كل قارىء . .

أمة تقوم على روح الاخاء والمساواة والتكافؤ . .

وتضم فى بوتقتها كل الأجناس والألوان والألسنة بلا استعلاء أو تكبر ، وبغير مفاضلة إلا بالتقوى والعمل الصالح . .

وعلى طول التاريخ عاشت الأمة العربية الاسلامية ضد أعمال العنف . .

ضد كل سلاح حاقد مغرور آثم يريد بالعدوان والطغيان أن يذل الانسان الذى كرمه الله .

ولسنا ضد اليهود بصفتهم الدينيه ، ونحن نقرأ فى كتابنا الخالد :

(لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين . .) .

لكننا ضد تصرفات المعتدين يهودا كانوا أو غير يهود . .

كلمات عن حقوق الإنسان

بين الميثاق القرآني وميثاق الأمم المتحدة

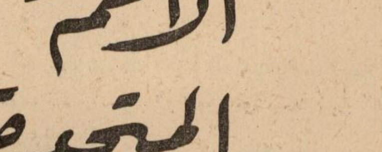

الأستاذ صلاح عزام

فى غمرة الأحداث .. تضاءل الحديث عن حقوق الانسان وذكرى إعلان ميثاقه عام ١٩٤٨ من الأمم المتحدة ..

وفى ذات الوقت .. كانت الفرص أدق .. فى عرض أسطورة ميثاق حقوق الانسان باعتباره أخطر وثائق العصر الحديث كما يحلو لبعض (المتفرنجين).

لأن هذا الذى يقولونه إنما هروب منهم من نور الاسلام .. الذى سبق هذا الاعلان .. بتقرير ربانى يحق للانسان فى أن يعيش إنسانا .. وأن يموت إنسانا .. وأن تكون له بين الفترتين حياة الانسان الكريمة ..

والفرق الشاسع فيما تتوصل إليه (جماعة) من البش
بما أسموه حقوق الانسان .. وما جاء به الاسلام يتمثل
أمرين هامين ..

الأول ـ أن هذه الحقوق الاسلامية للانسان .. قد جاء
من عند خالق الانسان (**الا يعلم من خلق وهو اللطيف
الخبير**) .. وبذا قد ضمنت الكمال والصلاح .. والدوام
وهو أمر يعجز عنه البشر جميعاً حتى ولو كان بعضه
لبعض ظهيراً.

والثانى ـ أن حقوق الانسان فى الاسلام .. شاملة
ومتضمنة لكل دقيقة وصغيرة فى حياة الانسان منذ مو
إلى متوفاه .. وكفرد .. وكعضو فى مجتمع إقليمى
وأسرى .. ودولى .. بينما حقوق الانسان الصادرة م
الأمم المتحدة قد تركزت على أمرين رئيسيين .. هما
حرية الرأى .. وحق المساواة ..

و .. نظرة عاجلة .. على بعض المبادىء الاسلامية تر
كم هو ضئيل .. هذا الذى يتغنى به المفكرون والكتاب

يكل أسف حتى في بلادنا . . وأنه من الأفضل . . أن يكون لمسلمين عيد لحقوق الانسان . . يؤرخ بيوم نزول القرآن لكريم . . الذى أعلن فيه لأول مرة فى تاريخ البشرية حقوق لانسان كاملة وشاملة . .

فالقرآن الكريم . . يقرر تكريم الانسان (ولقد كرمنا بنى دم) . .

والقرآن الكريم يقرر ايضا . . كمال المساواة (يا أيها لناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن اكرمكم عند الله أتقاكم) .

وفى هذا يقرر سيدنا رسول الله ﷺ معالم هذه المساواة قوله الشريف (أيها الناس . إن ربكم واحد . وإن آباكم احد . كلكم لآدم . وآدم من تراب . إن أكرمكم عند الله تقاكم . وليس لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى لا لأحمر على أبيض ولا لأبيض على أحمر فضل لا بالتقوى) .

أما هذه (اللونية) والاختلاف فى (الشكل) . . فانما و مظهر للقدرة الالهية فقط . . وليس (لميزة) يتمتع بها أحد دون الآخر . . . (ومن آياته خلق السموات الأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات عالمين) .

والقرآن الكريم . . يقرر حرية الرأى والفكر فى أرقى صورها . . وهو يعطى الحرية العقيدية للانسان بلا إكراه .

(لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى) . . و . . أفانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) .

ويعطى القرآن الأمان للمختلفين فى الآراء بحق (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) .

● بل بقيت حماية حقوق الرأى فى العقيدة قمتها . . بتقرير الاسلام حمايتهم ما استقاموا على الطريق . . والتزموا بحق الدولة والجماعة . . بقوله ﷺ (من أذى ذميا فأنا خصمه يوم القيامة) .

● وبهذا الفهم لحقوق الانسان . . سارت المجتمعات الاسلامية الأولى . . تبنى حضارة الدنيا . . وتعلم الناس ما يحققون اليوم بعضه . . ويصدرون إلينا الجزء منه ـ ويعيشون بعضهم مع بعض فى حب وسلام . . فسادوا الدنيا وكانوا قادتها . . وحماتها . . وقضاتها . .

وصدق الله العظيم (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) . .

و . . (كنتم خير أمة أخرجت للناس . .)

وما أحوجنا دائما إلى أن نرد كل ما نراه . . وكل ما يصلنا وكل ما نتوصل إليه إلى كتاب الله ورسوله . . لأن فيه الهدى . . ولأن فيه جلال الانسان . . وكرامة الانسان . . وأسمى حقوق الانسان . .

بقية مقال « الاسلام دين السماحة والسلام »

ى تتخذ هذه الخطوات الموفقة بمشيئة الله للبحث عن سلام ورد الأرض لأصحابها . . إنما تقدم الأمن والرخاء جميع أهل المنطقة العربية فى غير ضعف أو استكانة . . وأن ذه المبادرة جزءا من شجاعة مصر وهى الوجه الثانى حرب رمضان الخالدة . . فلا سلام والاحتلال قائم والأمن لحقوق مغتصبة ومضيعة بين هذا وذاك . . والاسلام دين السماحة والسلام وهو فى نفس الوقت دين القوة والاستعداد والحذر .

والله تعالى يقول :

(وأن يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين . .) .

والله من وراء قصدنا وهو نعم المولى ونعم النصير .

تحية منى لكل مواطن على أرض مصر، ولكل مواطنة على أرض مصر .. تحية منى للشعب الأصيل الصابر الصامد الذى التف من حولى على صورة لن أنساها ولن أفرط فيها .

بتسألينى عن قصة الـ ٣٠ ساعة ما هو فيه مليون تفصيل للواحد إنما عايز بقدر الامكان أركز . بتسألينى عن قصة الـ ٣٠ ساعة ، زى ما قلت من وقت مبادرتى فى ١٩٧١ ، وأنا بفكر ، انه بحل سلمى أهلا وسهلا وأنا بفضله لانى مش عايز عسكرى من عندى ينجرح - مش يموت - لا ينجرح بحل سلمى أهلا وسهلا وفى الثغرة زى ما حكيت كانت معركة التاريخ بالنسبة لأى واحد عايز يعمل مجد عسكرى ، صحيح لكن أنا مش من هذا النوع بتاع الأمجاد الشخصية أبدا المجد يبقى لشعبى مش ليه ..

● همت : طيب المجد العسكرى برضه يا فندم إذا لم يستثمر ويستتبعه حل سلمى يبقى المجد العسكرى معلق كمان ! ! ؟

■ الرئيس : هو اللى أخطر فيها لو انى عملت معركة الثغرة زى حساباتى .

ما نحققه فى السلم افضل من الحرب

وزى ما تعودت وتعود شعبى منى يبقى حاسب حسبتى بالكامل فى دى لما حسبتها بتدخل أمريكا مقدرش أحكم على النتائج وهنا يقف لكن يوم ما يحكم على النتيجة مسبقا من قبل ما أبتدى معركتى فى حساباتى ، ببتدى معركتى على طول ، دى تلقينى لا أستطيع أتحكم فى النهاية ، وعليه هتروح فيها قواتى المسلحة ، هتروح فيها مرافقى وبلدى وشعبى ، والمسألة مش مجد شخصى بالنسبة لى . ما نحققه بالسلم أفضل ألف مرة مما نحققه بالحرب وخصوصا وان أننا أثبتنا ذاتنا بعد معركة أكتوبر . خصوصا واحنا أثبتنا ذاتنا فى معركة اكتوبر ، ما عدناش معقدين ، فوجئت بايه ، قبل الثلاثين ساعة المشهورة ، فوجئت بموقف ، زى موقف نوفمبر ٧٣ بالضبط ، والمؤسف أن الأحداث بتكرر نفسها ما حدش بيتعظ ولا يأخذ دروس فوجئت انه بأه إحنا زى

ما قلت عملنا فض اشتباك أول وتانى وبعدين انتظر
الانتخابات الأمريكية إلى أن نبدأ مباشرة بعد انتخا
الرئيس الأمريكى فى عقد جنيف للحل الشامل وليس لفض
الاشتباك خطوة خطوة أخرى جه كارتر انتخب ، كيسنـ
إداله صورة كاملة ، كارتر تلقف الموقف من عندما وقف بـ
فورد وكيسنجر وكمله ، وعلى ذلك تبقى الخطوة التالية وهـ
انعقاد جنيف هى اللى بنعمل لها ، وفعلا مشى كارتر فى نفـ
الخط لأنه دى سياسة الولايات المتحدة مش سياسة الحز
الجمهورى ولا الحزب الديمقراطى أو سياسة رئيس د
رئيس : لا ، كارتر تسلم الموضوع وبدأنا نعمل للاعـ
لجنيف ، نفس اللى جرى من أربع سنين وفى نوفمـ
وديسمبر . . ٧٣ - جرى فى نوفمبر وديسمبر . . نوفمبر
شىء غريب ساعات . . مش ساعات ، لا ده بالتأكيد عقـ
العجز بتمسخ صاحبها جدا لما واحد يحس بالعجز أو تكـ
نفسه مليانة بالحقد والمرارة يبقى منظرهم كئيب جدا العـ
كله ، جمع ان جنيف انتصار للعرب . أيا كانت نتائجها لأ
بتحط على الأقل اسرائيل أمام الرأى العام العالمى
واحنا مش حنخسر حاجة اذا ما كسبناش .

لا احد يختلف على اهمية جنيف

● همت : هل جنيف لما كسر الحاجز النفسى كانت حتجـ
نتائج أكبر من النتائج اللى تحققت لغاية دلوقت ياسـ
الرئيس !

■ الرئيس : ما أنا جاى دلوقت ، جاى فى السرد يـ
جنيف ما فى إنسان بيختلف فى العالم أنها لن تسىء
الموقف العربى بل بالعكس بتؤكد الموقف العربى أكثر و
يخاف من جنيف هى إسرائيل مش إحنا ، فوجئت بالآ

أنا كنت فى زيارة للرئيس الأمريكى فى ابريل السنة د
رجعت على أساس أن إحنا حنجهز لجنيف ، وعملت اقتـ
لجنة العمل زى العادة ، كل شىء تقوله مصر حزب البعـ
السورى معقد ، واللى يتحكمه عقد العجز والانهز

والانتهازية لأن جارى الاقتراح من مصر دى عادة عندهم يرفضوه فورا ، كده على طول ولان مصر مثلا قالت نروح جنيف فى ٧٣ يرفضوا على طول ، شغل أطفال يعنى رفضوا على طول ، شغل أطفال يعنى رفضوا الاجتماع بتاع لجنة العمل أنا قابل من أبريل اللى فات مع الرئيس كارتر أن جنيف بدون تحضير حتبقى خطأ ، مش حنوصل لحاجة ، ويمكن ينتهى بها الأمر لمؤتمر زى مؤتمر نزع السلاح اللى بقاله ٢٥ سنة النهاردة بجتمع فى جنيف ، مؤتمر اسمه نزع السلاح ، السنة دى بيحتفلوا باليوبيل الفضى لانعقاد المؤتمر ، وما حلش حاجة فأنا قلت لازم نعمل تحضير جيد ووافقنى كارتر وأعلنت ، وكلهم قالوا لأه . . لأه إيه . . لا بتاع العقد والانتهازية والانهزامية . . قلت أنا عارف . . طيب استنينا ، ضاع الوقت من أبريل لسبتمبر : فات مايو يونية يوليه أغسطس وجينا فى سبتمبر أنتهزها الرئيس الأمريكى فرصة وقال طيب أبتدى علشان أزق دفعة فقابل وزراء الخارجية العرب جميعا اللى راحوا علشان دورة الأمم المتحدة اللى بتنعقد فى سبتمبر .

رفضت مع كارتر الوفد العربى الموحد

انتهزها فرصة وقابلهم كلهم وقابل وزير خارجية إسرائيل . وزراء الخارجية العرب ووزير خارجية إسرائيل . . وكل ده بهدف الاعداد لجنيف ، وبعدين فوجئت بأنه جالنا ورقة علشان عقد مؤتمر جنيف ، الورقة الأمريكية بتقول فى ديباجة صغيرة كده فيها عن انعقاد المؤتمر وبتقول فى هذه الديباجة احنا . . أنا كنت من رأيى مانعملش وفد عربى موحد لكن لما لقيت انه علشان الفلسطينيين ما توجدش الأشكال بتاع وجودهم فى وفد واعتراض اسرائيل فى الوفد العربى الموحد ممكن تمشى وافقت وغيرت مع أن ده مش ما كانش فكرتى ورفضتها وأنا مع كارتر فى أبريل رفضت الوفد العربى الموحد ولكن من أجل الفلسطينيين رجعت قلت : ما عندى مانع . الشىء المضحك باه . . برضه علشان نعرف العقد . . اللى اقترح الوفد العربى الموحد حافظ الأسد وسوريا ، وأنا رفضته . . مش رفضته علشان على طريقتهم لا رفضته لأن أنا قلت أن المصلحة العربية تقتضى أن كلنا نبقى مع بعض وبعدين أنا عايز أتجنب أن أتكلم عن حد يصبح الصبح بقوللى انت بتتكلم عنى ليه ؟ أو يخربوا لنا العملية زى عادتهم .

فالشىء المضحك باه أنه ! ! وافقت أنا على الوفد العربى الموحد سوريا قالت لا إحنا مش عايزين وفد عربى موحد ، حاجة مضحكة : طيب انتم أصحاب الاقتراح الاول وأنا رفضته فى أبريل ، لكن لما حسبتها مع كارتر بعد ذلك فى الرسائل المتبادلة وأن ده بيحل لنا مشكلة الفلسطينيين وتمثيلهم أعلنت . . قلت لياسر عرفات . . أعلنت قلت له يا ياسر علشانكم أنا باعود فى قرارى بالنسبة لوفود عربية إلى وفد عربى واحد . طيب الورقة الأمريكية اللى جت فيها ديباجة كده بتقول إن العرب جايين فى وفد عربى موحد وبعدين نقعد فى جنيف مع الأطراف كلها بما فيها إسرائيل وبعدين تتشكل لجان ثنائية . مصر اسرائيلى . سوريا ـ اسرائيل الأردن اسرائيل . لبنان ـ اسرائيل وبعدين لجنه فلسطين يبقى فيها مصر والأردن والفلسطينيين مع اسرائيل بدل ما هى لجنه ثنائية لا بتخش مصر والأردن مع الفلسطينيين مع اسرائيل ليه ؟ لأن مصر قطاع غزة والاردن الضفة الغربية . . مش عشان ناخذهم لا إحنا كلنا متفقين على قيام الدولة الفلسطينية إنما عشان نخلص مسئوليتنا ونسلم الناس بلدهم .

وصلت الورقة دى أبتدت المناقشات عليها . الله . . دى ورقة أجراءات يعنى لا بتقول . . بيتكلم عن الانسحاب والحدود الدولية اللى هى المادة فى الموضوع ولا حاجة . . بتتكلم عن الاجراءات وانه الوفد وأن حنروح هناك فى وفد عربى موحد وبعدين وبعد الكلمة الافتتاحية نروح منقسمين الى اللجان دى ونقعد ونبتدى نشتغل على طول .

ارتكب الفلسطينيون غلطة سوف تعرف تاريخيا

● همت : بس هم ضيعوا نقطة هامة جدا يافندم أن ده كان معناه اعتراف من اسرائيل بالفلسطينيين .

■■ الرئيس : مافيش جدال . لا وكمان فى القاهرة هنا . . الفلسطينيين ارتكبوا غلطة حيعرفوها تاريخيا انه بعدم حضورهم مؤتمر القاهرة ضيعوا على نفسهم اعتراف ليه ؟ لو جم فى مؤتمر القاهرة استجابة لدعوتى اسرائيل كانت حتعمل معركة وكنت حاخش هذه المعركة لأن أنا اللى داعى وعندى على أرضى . وكان لابد بشكل أو بخلاف حيمشوا رفضهم أنا مش فاهم يعنى الناس بيفكروا ازاى لكن أن الأوان نقول كل شىء أبيض وأسود نضعه أمام أمتنا العربية وأنا فى هذا باكلم أمتنا العربية كلها مابكلمش الشعب المصرى لوحده باكلم أمتنا العربية كلها . العهد ده لازم نقضى عليه نهائيا ، المزايدات والتهريج والجهل والحقد . . كل ده لازم نقضى عليه . الورقة بتقول كده . . قالوا البعث

السورى الأمجد . . قال ده ورقة أمريكية صهيونية امبريالية ، كارتر وهو بيناقش الورقة دى مع ديان هنا يطلع بأه الحاجز النفسى اللى انت سألت عليه . . نتيجة الحروب ونتيجة التعبئة ونتيجة التصوير اللى احنا صورناه أو الحاجز اللى احنا بانيناه حوالين نفسنا أو الستار الحديدى اللى احنا كتفنا نفسنا بيه واللى جرى فى الثلاثين سنة الماضية والسياسات الخرقاء من قبل قيام اسرائيل الى قيام اسرائيل إلى ٣٠ سنة سببت الآتى . . كل كلمة اسرائيل بتقولها بناخدها محل الشك كلنا وده أمر طبيعى ، وكل كلمة أحنا بنقولها بتاخذها اسرائيل محل الشك وعلى ذلك لما كارتر عمل هذه الورقة ، ديان وقف وياه وقال أبدا ، هو حس أن كارتر متفق مع العرب وأن العرب ممكن يقبلوا هذه الورقة ، فأتوماتيكى على طول ديان قال أبدا وقعد عدل فيها ، التعديل ما أنصبش على حاجات كثيرة ، التعديل انصب على فوق فى الديباجة وفد عربى واحد بما فيه الفلسطينيين . فى الورقة الأولى كان فيه منظمة التحرير ، الثانية الفلسطينيين طيب الفلسطينيين مين ، منظمة التحرير مين ما كلهم فلسطينيين يعنى وماهياش الكلمة اللى تعطل ولا تشيل ولاتحط وبعدين زى أنا ما اقترح على ياسر وأعلنت طيب ما فيه أستاذ جامعى من أصل فلسطينى أمريكى نجيبه والله لا اسرائيل ولا غيرها كان ممكن يعترض عليه اطلاقا ، حايقولوا عليه ارهابى ، أرهابى فيه ده أستاذ جامعة فى أمريكا بيدرس للامريكان لشبابهم . يعنى كانت عملية وكانت عملية حقيقى ضربة ممتازة .

عرفات وافق معى
ولكنه مغلوب على أمره

● **همت** : ووافق على كده ياسر عرفات .

■■ الرئيس للأسف وافق معايا لكن بيروح هناك خلاص كله بينتهى ، مسكين لانه مغلوب على أمره ، فالأمر المضحك أنه أسرائيل لما دخلت وعدلت فى الورقة اسرائيل الاخرى عايزه نفس العقد اللى عند الجماعة دول ، احنا الوحيدين مصر اللى بشهادة التاريخ وأخيرا العالم أعترف لنا أهه . . شعب حضارى ١٠٠٪ راحوا دايسين على الورقة كلمة أمريكية – اسرائيلية راحت للبعث الورقة بقت أمريكية – اسرائيلية امبريالية استعمارية صهيونية تآمرية ، كل اللى فى القاموس اللى سامعينه وقرفنا منه بأه . وورقة البعث بيعمل ورقة بعثية ، ده اللى خلانى يومها قلت يعنى يعملوا

ى حتى ورقة شيطانية أنا مستعد أروح جنيف لكن ما أضيعش على ورقة وأجراءات نضيع جوهر القضية ، وفوجئت بالآتى . . فوجئت ان المعركة فى العالم العربى ابتدت . . لما بيحبوا يبتدوها حزب البعث السورى بيصدر واحد اسمه زهير محسن من الفلسطينيين وهو ما بيتحسبش على الفلسطينيين ده لأنه فى القيادة البعثية فده عميل سورى . راحوا زقينة وأبتدى يشتم فى مصر . برضه هنا باسجل للتاريخ والبرقية دى حقها تذاع بأه الحقيقة أنه قبل ما أروح أزور حافظ الأسد الزيارة الأخيرة اللى كانت قبل زيارتى للقدس بيومين . . قبلها بعثت له قلت له زهير محسن بتاعك صرح بكذا دى وقاحة . . يعنى لأول مرة باستخدم الكلمة فى برقيات من هذا الشكل . . ما أحبش استخدم هذا الكلام أبدا ولكن كانت فعلا وقاحة وخروج على كل شىء ماردش على لغاية النهاردة عليها لان البرقية عنده ، ومع ذلك رحت زرته كمان .

هيأوا الساحة لنفس الهجوم اللى كان علينا بعد حرب أكتوبر ثم فض اشتباك أول وثانى ليه ؟ الساعة اللى تتحرك فيها مصر همه لا لأن عايزين يركبوا على كتافنا يأخذوا اللى همه عايزينه وأما اللى مش عايزينه أو اذا كان هناك لوم أو حاجة تيجى على مصر فوجئت بالاتى . . كارتر بيبعت ورقة وغيرها وعمال يبدل مع اسرائيل واحنا بدأت المعركة فى الساحة العربية على أيه . . باريت على حاجة الاستراتيجية العربية لا . . المعركة بدأت نقبل الورقة والا ما نقبلهاش واللى يقبل الورقة يبقه خاين واللى ما يقبلش . الورقة يبقه تقدمى وبيحافظ على القضية أو زعيم وبطل .

الله دا الورقة دى ورقة إجراءات إيه البطولة والزعامة اللى فيها ولسه مارحناش جنيف ولسه جوهر القضية اللى احنا رايحين عشانه ما اتكلمناش فيه . . حنختلف على إيه ؟ طيب إذا اختلفنا من دلوقت على الاجراءات قبل الجوهر حنوصل للجوهر . . أبدا . دى أخطر ما واجهنى فى الساحة العربية قبل زيارة الثلاثين ساعة وجدت أنه للأسف اسرائيل حتقعد تضحك ملء أشداقها علينا واحنا قاعدين بنتخانق على ايه ؟ ورقة اجرائية بحتة وكان لن نصل فيها إلى حل ليه ؟ للعقد اللى أنا حكيتها دى كلها بل أكثر من هذا كما أنا حسبت بعد كده عشان مؤتمر القاهرة أنا شعرت تماما أن سوريا مش رايحة جنيف هى والاتحاد السوفيتى وعلى ذلك بيحاولوا ياخذوا المبادرة عن طريق . .

• لا عقد فى مصر بعد حرب أكتوبر

وعلى ذلك بيحاولوا يقضوا على المبادرة عن طريق انعقاد مؤتمر جنيف أو عدم انعقاده معنى هذا احنا تحت رحمتهم آسف . . جاى بعد كده الرد على ده ، أما شعرت بدا كله كان لابد أنه يحصل شىء عمل جرىء وعنيف من طراز قرار إخراج الخبراء السوفيت اللى أردت اقول للسوفيت فيه اصحوا تنبهوا صدمة كهربائية كان لابد من هذا . . إحنا بعد أكتوبر ما عندناش عقد فى مصر . . نصر وانتصرنا . . عبور وعبرنا . . بامتنا العربية مش إحنا بس وانتصرت معانا أمتنا العربية . . استعادة ثقة العالم فينا كامله بعد حرب أكتوبر إلى الوضع اللى صنفونا فيه القوى السادسة فى عالم اليوم استخدم أخوتنا العرب سلاح البترول باسلوب فى غاية الروعة وأحس العالم لأول مرة بمدى فاعلية الأسلحة اللى فى ايد العرب روعة حقيقة . . كل هذا إحنا بقى كشعب متحضر هم ناسيين حقيقة كبيرة قوى إحنا كشعب متحضر بعد ما ناخذ ثأرنا خلاص ما نعدش نعيش فى محزنة أيضا واحنا فتحنا بلدنا سياسيا واقتصاديا لنتلقى العصر كله بكل ما فيه من تكنولوجيا واصالة وبناء وهمه ما يقدروش يعملوا هذا لانه المؤتمر الصحفى اللى عقدناه أمس هل يستطيع واحد فيهم يقعد ويتكلم كل الحقائق أمام العالم . ما يقدرش واحد منهم يقفل المعتقلات فى بلده ، بعد ساعة يمشى . . يدى حرية صحافة بعد ساعة يمشى على طول يعنى فرق كبير قوى إنما احنا واحنا حضاريين خلاص .

● همت : على كل حال حل القضية بالنسبة لهم برضه بعد ساعة يمشوا .

■ الرئيس : نفس الشىء انا وصلت للقناعة انهم مش جايين جنيف وانهم حايلعبوا بها بعد ذلك لما الأسد كان فى رحلته للخارج مباشرة بعد مؤتمر طرابلس قال لهم النية كانت مبيته ان لا احنا ولا السوفيت رايحين جنيف . . اتضح دا وكله واضح .

عندى الشجاعة لأقول انى أخطأت

● همت : طب هم بس عاوزين يحلو القضية ليه !

■ **الرئيس : بالتاكيد هناك كثيرين حل القضية يبقى ضد مصالحهم وضد بقاءهم فى الكراسى وبيحاسبوا على الكراسى احنا هنا فى مصر ما باحسبش على الكرسى أبدا وانا قلت للأسد وانا عنده فى دمشق قبل الزيارة للقدس قلت له ياحافظ انا لو طلعت غلطان عندى من الشجاعة ما يجعلنى اذهب لمجلس الشعب عندى واقدم استقالتى واقول لهم لقد اخطأت فى حساباتى وعليكم ان تتخذوا ما تروه من إجراءات بس انتخبوا رئيس جديد وزدوت على هذا قلت له فاذا ثبت ياحافظ انك على حق وانا على خطأ ثق انه مع الاستقالة حا اقول فى مجلس الشعب المصرى واعلن اننى كنت على خطأ وحافظ الأسد على صح وعلى صدق وانا اخطأت أعطوا الرجل دا الفرصة علشان يطبق وانتخبوا رئيس جديد يتعامل وياه . . انا قلت هذا لحافظ الأسد وباعيده تاريخيا أهه .**

● همت : سيادتك كنت متفتح جدا

■ الرئيس : ومستعد فى كل لحظة ان يحاسبنى شعبى علشان كده باقول ان أمام شعبى فقط انحنى إنما أمام أى قوى فى هذا العالم ابدا لا تملك ان تجعلنى انحنى أو أسلم فى شعره امام شعبى أبدا أنا بانحنى والتأييد اللى شفته من شعبى ومن المرأة المصرية اللى باعتز بها وافخر أروع اعتزاز وأروع فخار . . أنا قلت للأسد هذا . . أنا قلت أنه لابد من عمل صدمة كهربائية ولكن عمرى ما تصورت أن الأثر حا يكون بهذا الامتداد أو هذا العمل الأسطورى اللى بيتم من حولنا فى العالم اليوم ونظراتهم لنا ولمصر . . كان لازم اقضى على المزايدات العربية اللى بدأت ونحن لسه فى ورقة اجراءات وكالعادة سيكتب لها أن تستمر إلى النهاية طالما البعث فى الحكم مش حا يتغير حاجة حا يفضلوا فى هذه المعركة وحاتفضل المعركة على ورقة اجراءات ولا لأ والورقة فيها جملتين ايه وفيها كلمة ايه زيادة فيها كلمة نقص فيها بتاع ولا رايحين جنيف ولا حاجة أبدا . .دا من ناحية الساحة العربية من ناحية اسرائيل كان هناك أمر فى غاية الخطورة بالمثل زى ما قلت أورثتنا ال۳۰ سنة مرارة وكراهية وعدم ثقة بحيث كل واحد بيرفض كل شىء الثانى يقوله بداهة الرفض الأول وبعدين يفكر .

● همت ، ليستعدوا للحرب طبعا ؟

■ الرئيس : طبعا . . اسرائيل كان لابد أن تفهم انه فى دعوتنا للسلام جادين واحنا بقى زى ما قلت احنا مش معقدين زى إخواننا دكهم دول ولو أن شعوبهم مش معقدة لأن الشعب السورى ٩٨٪ منه اللى هم مش من البعث ،

البعث ٢٪ باعتراف الأسد ذاته ٩٨٪ من الشعب السورى مع هذه المبادرة ويؤيدوها ١٠٠٪ بل أغلبية القوات المسلحة السورية أيضا لأنها عقائدية هناك احنا ما عندناش الكلام دا بتاع عقائدية وقواتنا المسلحة بتشتغل فى السياسة لا .. لكن هم عندهم بيشتغلوا فى السياسة لأن دا هو اللى يحمى الحكم عندهم فى قواتهم المسلحة مع المبادرة ما فيش غير الرؤوس بتوع الحزب والحزب كله ٢٪ فى البلد والقوات المسلحة ٩٨٪ مع المبادرة ، اسرائيل القضية معاها فى غاية التعقيد ، كيف أبرهن لهؤلاء الناس إن إحنا نؤمن بالسلام فعلا كاسلوب بدلا من الحرب وإذا أمكن ذلك فنحن محبون وما احناش هواة حرب وخاصة بعد ما أخذنا تارنا الأول ماكنش شىء من دا يتم قبل تارنا لابد أنا برضه مصرى وفلاح قبل ما أخذ تارى كان لا يمكن حايتعمل هذا .. أبدا .. أخذنا تارنا هنا فى مصر قلنا شعب حضارى أخذنا تارنا ما عدش عندنا عقدة خلاص انتهت . طب كيف اقنع الناس دول .. كان لابد من عمل وعمل يطلع فوق مستوى السياسة التقليدية أو الأساليب التقليدية ودا اللى وصلوه بها بره فى العالم كله ودا اللى بيقول القصد اللى بيثبت عالم ما قبل أكتوبر لن يكون عالم ما بعد أكتوبر أبدا ما بعد رحلة القدس نفس الشىء حصل فى أكتوبر .. فى أكتوبر ثم فى رحلة القدس .. المبادرة أنا الآن بقى العالم ذهل فى الأول وبعدين ابتدى يفسرها ابتديت أنا دلوقتى اذهل من الأثر اللى سابته فى العالم بره .. كان لابد من عمل وعمل يتخطى كل الأمور المتعارف عليها نحو هدف يستحق هذا وهذا الهدف هو السلام .. فعدت أفكر حا اعمل ايه كارتر قاعد بيبذل جهده فى أمريكا ومع اسرائيل ، الساحة العربية زى ما حكيت وتشوف بقى قضية فلسطين فين .. تشوف القضايا كلها .. العرب الساحة بتجهزها سوريا للمعركة مش رايحه جنيف ومقرره لكن تناور علشان ، تحاول تاخذ المبادرة هى والاتحاد السوفيتى ، تناور بكلمة : التضامن العربى بقى كلمة مجنى عليها الحقيقة .. التضامن العربى عند البعث معناه فى غاية البساطة اما البعث يمشى اللى هو عاوزه وما فيش تضامن عربى .. انت مين ! دانت ٦ مليون ومصر اربعين [٤٠] مصر لوحدها ثلث الأمة العربية مع السودان ثلثين الأمة العربية .. تبقى ٦ مليون ايه اهو دا كدا التضامن العربى كلمة مطاطه زى ما بنقول كلمة حق يراد بها باطل أهو دا بالضبط ، التضامن يانسمع كلام البعث يا ما فيش تضامن عربى ، الساحة العربية بتنحضر كدا قضية فلسطين زى ما احنا شايفين من ناحية اسرائيل بيقولوا ما فيش حاجة اسمها قضية فلسطين اطلاقا الضفة الغربية أرضنا وحررناها غزة نفس الشىء قضية الانسحاب زى ماقال بيجين فى المؤتمر الصحفى أمس قال قرار ٢٤٢ لا يلزم اسرائيل من الانسحاب من جميع الأراضى العربية المحتلة بعد ٦٧ وإنما يلزمها بالانسحاب من اراض عربية وليس الأراضى .. ادى كانت الساحة العربية وكان ساحة القضية قبل زيادة اس-٣٠ ساعة .

لو تشكلت حكومة مؤقتة لاعترف العالم كله بها

● مست : سيادتك قلت مرة فى حديث ان جولدا مائير قالت فى امريكا انا ما سمعتش عن حاجة اسمها شعب فلسطين !

■ **الرئيس السادات : دا مش بس كدا لا داهى كانت فى اسرائيل كانت رئيسة وزراء وفى يوم طلعت واعلنت ان ما فيش حاجة فى التاريخ كله اسمها فلسطين تانى يوم كان المجلس الفلسطينى :**

مجتمع عندنا هنا فى الجامعة العربية وكان الملك حسين

بعد أحداث تصفية الفلسطينيين وتدخلنا مصر والسعودية بين الملك حسين والمنظمة بناء على طلب ياسر عرفات لما كان فيصل الله يرحمه فى زيارة رسمية عندى فالملك حسين فى هذه المفاوضات تلاعب بنا أنا جيت يوم ما اعلنت اسرائيل هذا الكلام كان المجلس الفلسطينى حايجتمع فى الجامعة العربية وطالبين منى افتتاحه فرحت فتحت المجلس الفلسطينى وفى هذا الخطاب قطعت جميع العلاقات مع الملك حسين رسميا وطلبت من الفلسطينيين تشكيل حكومة مؤقتة وستعترف بها مصر فورا وقلت انه إذا وصل الأمر برئيسة وزراء انها تقول ان ما فيش فى التاريخ كلمة اسمها فلسطين انتم يا فلسطينيون عليكم فورا أن تثبتو العكس على طول . . قطعت مع الملك حسين العلاقات فى هذا اليوم وطلبت تشكيل حكومة مؤقتة ولو شكلت هذه الحكومة زى ما طلبت قبل معركة أكتوبر لا عترف العالم كله بها ولاصبحت حقيقة واقعة ولوضعت اسرائيل فى المأزق اللى كان لابد لها من ان تجلس معاها كما حدث تماما فى قضية الجزائر . . يوم إعلان الحكومة المؤقتة للجزائر للثورة الجزائرية هنا فى القاهرة أنا موجود وفى الثورة ثورتنا وأنا مسئول وأعلنت والعالم كله ضحك أغلبه إيه حكومة مؤقتة فى الجزائر إيه الكلام دا دا الجزائر فيها نصف مليون عسكرى فرنساوى والتكنولوچى الفرنسى ووراءه حلف الأطلنطى اللى هى عضو فيه فرنسا والجزائر دى أصبحت فرنسية من زمان ولا فيش عودة وتهكموا الناس على الحكومة الجزائرية المؤقتة سنين فاتت قعدت الحكومة الفرنسية مع حكومة الجزائر المؤقتة واتعمل الاتفاق وبرضه قبل ما أنسى فى وسط الكلام جبهة الرفض اللى أنا حزين عليه بومدين الحقيقة ليه لأنه للأسف أنا ما كنتش أرضى له أبدا انه يتحط فى هذا الموقف بومدين أنا عارف الشىء الوحيد اللى هو ينفر منه أو يجذع له إنه أشبهه بمعمر القذافى . . للأسف أنا مش أشبهه بمعمر القذافى لا أقول بقى أقل من معمر القذافى قدرا كمان مع أنا عارف بومدين يرفض أنه يتحط فى مساواة او حاجة مع معمر القذافى وأعرف رأيه لأن دى مسائل شخصية بيننا وبين بعض . . لا هو أقل لأنه راح قعد تحت رئاسة الولد المجنون وجرهم جميعا من رقابتهم ومضاهم على الوقاحة اللى صدرت فى المؤتمر . . بومدين هذا اللى عمل الكلام دا وأنا معاه فى الجزائر وفى قصر الضيافة وأنكر وأنا اعرف بومدين لا يكذب .

أنا أعرف أن ابو مدين ما يكذبش قالهم انا عايز أقول لك حاجة . . الفلسطينيين ما بيروحوش للاسرائيليين ليه . . احنا خدنا استقلالنا ازاى كجزائريين . . ما احنا روحنا ، قتلوا منا مليون صحيح . . والجزائر فرنسية واعلنوا وعملوا وعملوا لكن فى النهاية قعدنا احنا معها مباشرة . . بدون وسيط . . طيب الفلسطينيين ما بيروحوش مع الاسرائيليين يتناقشوا ليه . . ويخلصوا قضيتهم ليه : قال بس انا ما اقدرش اقول هذا لأن حايطلعوا على عندكم فى المشرق العربى يتهمونى بالخيانة و . . و . . و . . على المفاهيم اللى كانت سائدة . .

برجع للسياق بتاعنا .

● **همت :** أفكر سيادتكم . . حل ثانى خالص غير الحلول التقليدية .

■ **الرئيس :** لابد حل يقفز فوق كل الحواجز بما فيها الحاجز النفسى الاسرائيلى . . ومن هنا فكرت فى المبادرة وسافرت إلى القدس وأنا واخد العملية عادية . جدا .

لابد من صدمة كهربائية تتخطى كل الحواجز

● **همت :** أفكر سيادتكم . . حل بالضبط يا سيادة الرئيس !

■ **الرئيس :** انا فكرت فيها زى ما حكيت قبل كده . . وانا كنت فى رحلة بازور فيها رومانيا وايران والمملكة العربية السعودية . وفى اثناء هذه الرحلة انا كنت معنى اساسا بحاجة اساسية انا رحت رحلة رومانيا دى علشان اقابل شاوشيسكو رئيس رومانيا ، شاوشيسكو صديق لى . وصديق للاسرائيليين ورجل اثق فى صدق كلامه لانه قبل كده حدث بيننا احداث كثيرة وفى هذه القضية بالذات . . اللى هى قضية النزاع العربى الاسرائيلى وكل ما اطلعنى عليه ثبت صحته علشان كده انا باخد بحكمه .

المرة دى انا رحت رومانيا بهدف واحد انا كنت رايح اساله بعد بيجين مازاره فى نقطتين اثنين : **الاولى هل بيجين يريد السلام حقيقة واسرائيل تريد السلام حقيقة ولا لا ، النقطة الثانية : هل بيجين رجل قوى ولا لا لانه اذا ما كانش قوى ما كان رابين قبله . اذا ما كانش قوى . . عبث . . انا ما اقدرش اتعامل معاه . . ما اقدرش اخلص ولا احل مشكلة مثل هذه الابعاد الا مع انسان قوى . . قوى على ايه . . يستطيع يواجه حزبه وشعبه والكنيست بتاعه أو البرلمان والعالم . . لابد أن تتوافر**

فيه القوى ، اتكلمت ويا شاوشيسكو . . شاوشيسكو قاللى انا قعدت مع بيجين ٨ ساعات اثنين منهم مع الوفد الرسمى وسته منهم منفردين مع بعض . . استطيع اقول لك الآتى : وحكى لى القصة اللى دارت بينه وبين بيجين علشان يثبت لى انه الرجل يريد السلام حقيقة ونمرة اثنين رجل قوى يستطيع ان يواجه إذا ما اتفق .

من هنا مباشرة ما كانتش تبلورت لغاية هذا التاريخ فى راسى المبادرة لسه انا باقول لابد من صدمة كهربائية تتخطى كل الحواجز المتعارف عليها علشان فى ٣٠ ساعة اخلص ما حدث فى ثلاثين سنة وما قبلها كمان بآلاف السنين يمكن .

بدات افكر فى الطريق من رومانيا إلى ايران بدا أول خيط اجمعه عندى فى شكل انه ادعو الخمسة الكبار اصحاب الفيتو فى مجلس الأمن وزى ما حكيت بالصدفة . . الناس أصدقاء كلهم . . كالاهان لسه بيكلمنى امبارح . . وديستان فيه صداقة شخصية كبيرة بيننا وبين بعض . . برجنيف برغم انه احنا النهاردة لا فيه علاقات مشدودة إلا انه طول عمرى كنت اقول ولازلت اقول أن الراجل ده بتربطنى به صداقة . . صحيح همه بيخصمونا للعوامل السياسية انا من جانبى أبدا مش سهل أن الواحد لما بيعرف حد والراجل كان حتى دايما اقول عليه العقلية السياسية الوحيدة بخلاف الاثنين اللى كانوا بيقعدوا جانبه قدامه . . الانسان اللى كان باستمرار يعنى بيفهم وجهات نظرنا . . الاثنين الثانيين ما كانوش بيفهموها وخصوصا بودجورنى اللى مش اللى طلعوه ده . . يعنى وحسنا طلعوه الحقيقة . فبرجنيف اهه . . كالاهان ديستان الصين هواكو فينج يمكن الناس ما تعرفش انه آخر مقابلة قابلها ماوتسى تونج فى حياته كانت مقابلة حسنى مبارك . وفى هذا الوقت ما كانش بيقابل وكان مسكين فى آخر حياته خلاص وحتى لما دخل حسنى ما دخلش معاه مصورين ولا صحفيين . . جه مصور صينى واحد لأنه علشان يقوم يسلم على حسنى اثنين قوموه سلم واثنين قعدوه وكان الراجل خلصان لكن ذهنه كان مائة فى المائة حاضر . . حضر المقابلة هواكوفنج وشىء تاريخى للتاريخ كان ماوتسى تونج سعيدا جدا لأنه عمل ده نوع من التكريم ما يقبلش حتى ملوك أو رؤساء لما يبروحوا له لكن عمله تكريم لمصر وقدم حسنى لهواكوفنج وقدم هواكوفنج لحسنى وقال لحسنى الراجل ده تعاملوا معاه لأن الراجل ده كويس . . على هواكوفنج فهواكوفنج بتربطنا به صداقة . الخامس أمريكا كارتر بتربطنى به صداقة . . فأنا أول حاجة خطرت فى بالى قلت أجيب الخمسة . . اسرائيل عايزة تطمن طيب أطمنها إزاى أجيب لها الخمسة اللى عندهم الفيتو ومنهم الاثنين « السوبر باور » الاثنين القوتين العظميين بتوع العالم وعشان يقنعوها ، ومنها نقلت بعد كده لذهابى أنا إلى الكنيست لأنه خشيت أنه قد لا يكون فى برنامج واحد منهم ودول رؤساء دول كلهم وما قدرش أضمن أنهم حييجوا كلهم . قد يفسر غياب واحد منهم على أنه فشل للاقتراح بتاعى . . هنا نقلت على مبادرة الكنيست . . وقلت الله . . طب ما هو لو أنا حتى لو خدت الخمسة الكبار برضه واخد ناس اقف وراهم طب ليه أنا مارحش رأسا واحنا عايزين باه نشيل كل هذا الحاجز القديم اللى بمقتضاه ناس بتحاول تفرض وصايتها علينا عن طريق انها بتقول أنها تقف معانا ضد اسرائيل . طيب أنا واخد الخمسة الكبار مش عشان أقف وراهم دا أنا كنت واخدهم تطمينا لاسرائيل واثباتا لحسن النية لقيت أن يمكن أغلبهم هيكون مشغول أو يمكن اثنين منهم مبقدروش ثم أنا عايز أصلى العيد الكبير فى المسجد الأقصى فنقلت على المبادرة الأساسية اللى هى ذهابى الى الكنيست مباشرة لممثلى الشعب الاسرائيلى وللقاء بالشعب الاسرائيلى حكومته ـ برلمانه ـ المعارضه ـ كل من فى الشعب الاسرائيلى . نقلت ورسيت عليها دى ـ اعلنتها .

شعبى وأهلى
موافقين ١٠٠٪

● **همت** : طب برضه سيادتك رد الفعل كل ما حدث يا سيادة الرئيس !

■ **الرئيس** : **انا قلت ١٠٠٪ شعبى واهلى موافقين لاننا ما بنطالبش باى عمل أو قرار ابدا إلا لما بنحس انه بيجى من تحت من الناس وانا بطبيعتى راجل جاء من تحت لسه ما بقتش فوق زى ما بيقولوا انا لسه تحت زى مانا مع الناس .**

انا كنت واثق أنها هتنال القبول . لكن لم أقدر هذا الانفعال لا فى اسرائيل واللى جرى ولا فى العالم كله اللى اعتبرها تاريخ يفصل بين تاريخين أبدا ما حسبتها على هذا واللى اذهلنى اكثر الشعب الاسرائيلى وخروجه على صورة . . خصوصا بعد خطابى فى الكنيست ده خطابى فى

الكنيست بأقولهم ازاى تجدوا المبرر القانونى والأخلاقى لكم وتنكروه على غيركم . . سياسات القوة والأحلام والسيطرة اللى انتو فيها . . كل شىء قلته بأشد ما يقال ، وتصورت أنه وأنا طالع من الكنيست وراجع على الأوتيل الناس اللى فى الشوارع بعد ما سمعت الخطاب حتروح فى أقل القليل حتروح إذا ما حدفوش طوب فأنا بصيت لقيتنى من الكنيست إلى الأوتيل كما لم يحدث فى التاريخ إلا اللى حصل لى بعدما رجعت هنا . . زى اولادى فى شعب مصر هنا واللى طلعوا لى والمرأة المصرية . . هناك بنفس الانفعال . . ده أنا لسه قايل الخطبة ويعنى حطيت فيها كل ما يمكن أن يقال .

● **همت** : ده فى حد ذاته مكسب كبير جدا فى كسر الحاجز النفسى ، الانسان الاسرائيلى دلوقت بيحس انه مطالبنا اللى احنا طالبينها يعنى ما هيش مستحيلة التحقيق .

■■ **الرئيس** : ده حقيقى . . ده حقيقى لا كمان الحكام فى اسرائيل بيواجهوا شىء صعب جدا النهارده بيواجهوا الراى العام عندهم بعد زيارة القدس . . شىء غريب يعنى حصل وأنا باقول اربعين يوم فاتوا انما علشان يتصور الانسان حجم ما تم فى اربعين يوم ده ولا أربعين سنة حقيقة .

● **همت** : طيب . . سيادة الرئيس حسيت ان الصدى المطلوب من زيارة سيادتك فى القدس مدى استجابة الحكام الاسرائيليين بالذات لكم .

■■ **الرئيس** : ما انا حاجى . . حاجى هنا انا قارنت قلت ماذا كان الموقف قبل زيارة القدس : احنا كعرب تحت شعار كلمة التضامن العربى البعث السورى بدأ المعركة والتمزق ومحاولة المحاور والاستقطابات على ايه ! على ورقة اجراءات لسه لا دخلنا فى موضوع ولا بحثنا حاجة . . البعث السورى ده تصرفه . . الساحة العربية بدأت تجهز للمعركة . . القضية الفلسطينية فى علم الغيب لأنه هم قبل دى . . قبل زيارتى كانوا يوم مع سوريا ويوم معايا . . دلوقت مش عارفين إيه اللى حيجرى لأنه يوم مع سوريا ويوم معايا . . القضية تايهة اسرائيل مش معترفة بشىء إطلاقا بالنسبة للقضية الفلسطينية ولا وجود لها دى أرض يبقولوا عليها هم : دى ارض محررة بتاعتنا التأييد العالمى مهزوز بالنسبة لقضيتنا ليه ! هو مع السلام ما فيش كلام ولكن التأييد هنا لقيت نفس التعبيرات بنفس التوجيه من الاتحاد السوفييتى بان هناك حل منفرد والمصيبة لا تم حل منفرد فى فض الاشتباك الأول ولا فى فض الاشتباك الثانى وأدى برضه بيكرروها دلوقت ومفيش حل منفرد فالساحة العربية على ما هى عليه دا هم همه كده حتى لو ولعنا صوابعنا شمع برضه هيعملوا نفس الشىء . متزعلش .

● **همت** : طيب يافندم بالنسبة للفلسطينيين بالذات كمقاومة موقف مصر معاها باستمرار المشرف .

الطفل الفاسد ضيع كل ما بنوه

■■ **الرئيس** : أولئك يتحدثون الآن فى منظمة التحرير اللى قعدوا مع الطفل الفاسد قعدوا ، دا عملوا عملية خطيرة فى مؤتمر طرابلس هيعرفوا آثارها لأن دى ضيعت كل اللى بنوه . ييجى ياسر عرفات ، حبش ، وجبريل ومش عارف مين مجاميع يقعدوا يمثلوا الفلسطينيين طيب إذا اليوم اللى حبش يمثل فيه الفلسطينيين أبدا لن أثق فيه دا أعلن ماركسى لينينى ومش بس ماركسى لينينى دا قعد يؤجر الطائرة الألمانية اللى اتخطفت فى مقديشيو فى الصومال أخيرا وعملوا العملية فيها الألمان وأنقذوا الناس فيها اللى عملوها فلسطينيين متاجرين قاعدين مسبلينهم للايجار علشان يخطفوا طيارة بالثمن . يقتلوا حد بالثمن . . دول اللى يروحوا يحكموا فلسطين وياسر عرفات قعد مع دول فى مؤتمر طرابلس وأنا اتحدى أن رئيس عربى أو ملك عربى واحد يقبل هذا الوضع انا بقوله ويعلنه غيرى يمكن ما يعلنوش أنا لن أقبل أبدا أنى أحط إيدى فى إيد السفاحين بتوع حوادث القتل واللى أجروا نفسهم بره لأى حد بياجر روحه وبعدين زى ما قلت أنا منتهى السخرية ده دم تل الزعتر لسه مبردش . وجنوب لبنان ما بردش لسه . . دى كلها دماء فلسطينية اللى أرادها السوريين البعثيين أمر مضحك . قال إيه عملوا جبهة مع سوريا . جبهة نضال ينضم لها الجزائر وليبيا والعراق يعنى كان اروع حاجة فى مؤتمر طرابلس أن اتعمل فى طرابلس لأنه مجرد انه ينعقد فى طرابلس سبب كافى علشان كل انسان فى العالم يضحك استهزاء وسخرية . نيجى نشوف بأه . . آدى حال القضية قبل المبادرة بتاعتى ـ أنا مش عايز أطول ـ فالساحة العربية قبل ال ٣٠ ساعة البعث بيحاول تمزيقها على عهده فى فض الاشتباك الأول والثانى وما تم بعد ذلك وحرب لبنان على طريقتهم فالدفاع عن التضامن العربى واستغلال كلمة التضامن العربى كلمة حق يراد بيها مصر دا فى الساحة العربية .

الناحية الثانية القضية الفلسطينية تجاهل تام من اسرائيل بالكامل ولافيش مناقشة بيقولوا دى أرض إحنا حررناها بتاعتنا واللى قاعدين ١٠ سنين تحت الاحتلال وأولادهم واخواتهم اللى قابلونى فى قبة الصخرة وقدموا لى فى السجون الاسرائيلية . اللى فى السجون الاسرائيلية ييجى ١٠ آلاف من أبنائنا . أهلنا وبناتهم سواء كان أزواجهم أو أخواتهم أو أولادهم اللى هم بيعولوهم بيصرخوا ودول قاعدين بيستغلوا كل هذا بره ويحصلوا

عليه الاتاوات . والحاجة الغريبة ان الوحيد اللى كان بيعاملهم بمنتهى العنف وبمنتهى التجاهل الولد الطفل بتاع ليبيا وياسر عرفات حى يرزق أتحداه يقول كان بيعمل فيهم ايه علشان يديهم قرشين بعد ما يدوخهم وكمان لا يوصى بأى التزام ومع ذلك جريوا عنده فى طرابلس فأدى الساحة العربية وادى القضية الفلسطينية . الحاجة الثالثة التأييد العالمى مهزوز العالم مهزوز بينا وبين اسرائيل هو عارف أنه لابد من السلام العادل لكن لازالت اسرائيل ماسكه العالم ، وزى مانتم عارفين اللى هى عامله ده كله واللى بتخشى السلام كانت هى اللى واخده فى الاستفتاءات الأمريكية الرقم الاول فى سعيها للسلام مش احنا - هى متفوقة علينا . طب إيه اللى جرى بعد ال ٣٠ ساعة بالنسبة للساحة العربية كما قلت كما هى مازادش شىء وده اللى احنا عارفينه تجهيز الساحة للمعركة فتحوها ببذاءة ووقاحة مردناش عليهم ولكن محاولات الاستقطاب زى محاولتهم طول عمرهم ومش هيزيدوا عن العدد اللى هم عليه بل هيخرج من هذا العدد بمضى الوقت اللى هيخرج منه . . ده بخلاف التناقضات اللى بين كل واحد فيهم اللى بين العراق وسوريا واللى بين الجزائر وليبيا واللى بين ليبيا وسوريا والعراق يعنى مليانه تناقضات لأنه كلام كلنا عارفين خلفياته ، الساحة العربية النهارده بقول مجراش حاجة . . مصر بالعكس مخسرناش حاجة التضامن العربى اللى احنا فيه موجود والشواذ اللى فيه موجودين كما هم الشواذ .

ايه بعد ـ ٣٠ ساعة احنا قلنا قبل الـ ٣٠ ساعة تجاهل تام ولا اعتراف الأمر ببساطة أقول فى كلمتين بدأوا التجاهل التام . الخناقة بينى وبين الاسرائيليين النهاردة هم بيقولوا حكم ذاتى أنا بقول لا : تقرير مصير . النقلة دى أنا باعتبرها من ١٠ : ٢٠ سنة كنا نقعد نشتغل فيها علشان تبان أو نعملها - لا - القضية الفلسطينية مبقتش باه مجمدة أو أرض اسرائيلية انضمت وانتهت ومافيش مناقشة ومافيش كلام لا دى خناقة بينى وبين اسرائيل هم بيقولوا حكم ذاتى أنا باقول لهم لا آسف تقرير مصير ودولة .

نأخذ الثلاث نقط اللى قبل الزيارة وازاى الموقف العربى ماجراش فيه حاجة بعد الزيارة . . بالعكس اللى بيحاولوا يستقطبوا دول إذا كان فيما قبل الزيارة كان ممكن يستقطبوا حد بعد الزيارة مش ممكن حا يستقطبوا حد وحايفضلوا شواذ زى ما هم . . الثانية العملية الفلسطينية اللى حصل فيها قصر من عشرة إلى عشرين سنة يمكن لخمسة وعشرين ويمكن ما كانش فيها أمل كمان لأنه بدل ما انتهى أمر القضية الفلسطينية وانشطبت . . الخناقة بينى وبينهم امبارح فى المؤتمر الصحفى ان هم بيقولوا حكم ذاتى أنا باقول لا تقرير مصير وقيام دولة . . الأمر الثالث وهو التأييد العالمى اقصد ال ٣٠٠ مليون نسمة يوم القاء خطابى فى القدس التأييد العالمى . . كارتر يبعث لى رسائل وهواكوفينج بيؤيد والاتحاد السوفيتى إحنا عارفين إيه العملية بتاعته وحاجة غريبة اللى طول عمره بيقول أنه بينادى للسلام لكن هو كده للأسف الشديد . . هناك بقى حاجة على دا كله الفيزة بتاع القضية الفلسطينية لا فى القدس كمان . . اللى تقدم بيجين فى زيارته للاسماعيلية كان ممكن على نمط السياسة الاسرائيلية اللى ماشى ولو استمرينا احنا فى التهريج اللى مشى من أول القضية الفلسطينية الى ما قبل زيارتى القدس اللى تقدم بيجين فى زيارتى للقدس جاء لى بيجين الاسماعيلية ضد كل ما تأخذ به اسرائيل من سياسة بمعنى أنه لم يكن هناك أمل إطلاقا لأى رئيس وزراء اسرائيلى مهما كان التأييد الذى يحصل عليه ألا يحدد ماذا تريد اسرائيل بالتحديد . . من ساعة انشاء اسرائيل وهم بيتجنبوا هذا . . أبدا ما يجيش بمشروع ولا بحاجات محددة أبدا وانما بيسيب نفسه للظروف وتشكيل حدود اسرائيل زى ما قال بن جوريون فى وقت من الاوقات هو المكان اللى يصل اليه الجندى الاسرائيلى وعلى ذلك لا بيحدد حدود ولا يتقدم بمشروع هو عن حدود له ولا حاجة ليه لأنها بتبقى مفتوحة لغاية ما يأخذ أكبر مكاسب ممكنة وهو معتمد أنه الساحة العربية ممزقة طول عمرها ويرفض أن يتقدم بشىء . .

حتمية التاريخ
لا عودة للوراء

جاءنى روجرز وزير خارجية أمريكا الأسبق وكنت عملت المبادرة بتاع ٧١ وقال لى جولدا مائير لعلمك رئيسة وزراء اسرائيل بعتت لى أنا والرئيس نيكسون وقالت لنا أنا اتحداكم أن زعيم عربى واحد يطلع ويقول أنا مستعد لاتفاقية سلام مع اسرائيل فعندئذ حا أحط لكم أوراقى كلها على الترابيزة بنفس نص هذا التعبير قلت له أنت جئت دلوقتى وسمعت مبادرتى قال لى آه وخلصنا مناقشتنا قال لى آه قلت له عاوز منى حاجة تانى قال لى أبدا انت أعلنت اتفاقية سلام وانك توقع اتفاق سلام مع اسرائيل انت عملت كل ما يمكن عمله . . الآن أنا رايح من عندك على اسرائيل علشان أقول لجولدا مائير حطى ورقك على الترابيزة زى ما قلتى طبعا لا جاهزين لهذا ولا دا خطهم لانهم واثقين انه ما فيش واحد حايجرؤ يقول دى فى يوم من الأيام اما راح قال لها كدا انته درس فى الاخلاق ووقفت امام الكنيست الاسرائيلى انته علقة أخلاق وأدب والتزام وفضلوا وراه لغاية ما طردوه من وزارة الخارجية الأمريكية . . فاللى أنا باقوله لو استمرت الساحة العربية على ما هى عليه ، ده اللى كانت عايزاه اسرائيل . ولا حانتقدم

بحاجة ولا شيء وعلى ما تخلص الخلافات يوه بقى على ما تخلص من حزب البعث فى سوريا وامتى يخلص ما يخلصش ابدا لسه بدرى وقوى . . لا . . ياتى بيجين ردا على زيارتى للقدس بشيء لا يمكن أن تقدم عليه اسرائيل ولا فى مدى ال ٢٥ سنة القادمة وهو مشروع سلام محدد بيقول أنا فى رأيى فى النقطة دى كذا فى الحتة دى كذا . . فى الموضوع الفلانى كذا محدد لأول مرة فى تاريخ اسرائيل وما كان ممكنا هذا لو استمرينا فى الخط إياه ولا بعد ٢٥ سنة . . دى لمحات سريعة أقارن بها بين ما قبل ال ٣٠ ساعة وما بعد ال ٣٠ ساعة ولكنى أريد أن أختتم وأقول الآتى . . لامتنا العربية جيل اكتوبر جيل خالى من العقد ، العقد انتهت وهذا الجيل فى مصر وفى كل بلد عربى اذا كان فى البلاد العربية الأخرى لسه ما تشكلش لابد أن يتشكل لأن دى حتمية التاريخ لا عودة الى الوراء أبدا . . عقارب الساعة لا تعود الى الوراء . . إحنا فى جيل اكتوبر هنا فى القاهرة فى مصر عاوز اقول لامتنا العربية إحنا تخلصنا من العقد من الروح الانهزامية ومن الحقد . . من الحرب من أجل الكراسى . . تخلصت مصر أكثر من جميع الاجراءات الاستثنائية . .

قواتنا المسلحة جزء من مؤسسات الدولة

وبقت دولة حضارية . . كل العالم بيحضر حضر زيارتى للقدس على التلفزيون والراديو حضر زيارة بيجين للاسماعيلية على الراديو والتليفزيون . . مصر بقت متحضرة ديمقراطية . . الحكم فيها للمؤسسات لسيادة القانون . . المعتقلات منذ ٦ سنوات مغلقة إلى الأبد . . الحرية مكفولة لسيادة القانون تحكم كل شيء فى مصر . . دا اللى أنا عاوز أمتنا العربية تعرف لان دا سوء الفهم اللى ما هماش عارفينه . . لا حنا إحنا تغيرنا بالكامل لأمة حضارية وأنا حكيت قلت البعض بقى بيحاولوا ياما من احقادهم ومحاولة ترجمة أحقادهم يسيء لمركز مصر ومصريين للأسف يقولوا ايه حا يحصل انقلاب عسكرى ـ هم بيرموا الكلام دا ليه علشان يقولوا ان مصر ما فيهاش استقرار وان مصر مثلا سياسة الانفتاح والمستثمرين اللى يجوا لا امتجوش دا انقلاب حاصل . . الكل وساعات بيلاقوا من الأجانب من يستمع لهم . . للأسف العالم أظن بعد زيارة القدس حكم لأنهم لو فيه همسة شك ما كان ممكن انسان يقدم على مثل هذا العمل اللى تخطى كل الحواجز . . اللى أنا عاوز أقوله الجيش وقواتنا المسلحة جزء من مؤسسات الدولة تعمل لحماية الدولة وليس لحكم الدولة . . اللى دا مش فاهمينه برا وعلشان كدا بيوجهوا خطاباتهم للجيش المصرى وانا باقعد اضحك زمان ماكانش بيمر ٦ شهور قبل ولايتى من غير ما يحصل فى الجيش تطهير أو إحالة لوظائف مدنية أو معتقلات معتقل أو سجن أو محاكمة . . كل ٦ شهور . . من يوم ما توليت النهاردة ٦ سنوات كاملة وأكثر لاشيء على الاطلاق وزى ما قلت دا ليه هم مش واخدين بالهم أنا باحب بقى أقول لأمتنا العربية دا لأن النهردة اللى بيحكم مصر دستور دائم وضع الحدود والحقوق والواجبات لكل انسان . . اذا تصورنا انه حا يقوم انقلاب فى الولايات المتحدة الأمريكية فى يوم يبقى نتصور الأمر هنا لأنه هناك ايه اللى بيمنع فى الولايات المتحدة ان فيه دستور يحكم وحكم دولة يرضى به الشعب ومسترضيه الكل والقوات المسلحة وواجب القوات المسلحة حماية الدولة فقط وليس حكم الدولة . . دا مش قادرين يدركوه على مهلهم معايا . . بيتأخروا قوى على ما يعرفوا إيه اللى أنا باعمله لكن أنا باحب أقولها لأمتنا العربية : أننا دولة حضارية بكل معنى سليم . . صحافة حرة . . حرية كاملة . . سيادة قانون .

المواطن العربى يستمتع بالامن والأمان

أكثر من هذا أن المواطن العربى الوحيد يمكن اللى يستمتع بالأمن والأمان ، هو المصرى النهارده وهو جدير بها دا لازم يعرفوه ويدخلوه فى حسابهم . . بالنسبة لنا أحنا بشعبنا اتوجه بكل صدق وشكر وتقدير اللى غمرنى به الشعب ، وللمرأة المصرية على وجه الخصوص ، وبعد أنه نتجه الى البناء ، بناء الانسان المصرى لكرامته وأمنه وأمانه وحريته . . وباعاهد الشعب انه لن يمس هذا أى انسان طالما أنا موجود بل بأضع له الضمانات كمان علشان فيما بعدى أنا تبقى ضمانات كاملة . . باقول لشعبنا انه رمينا وراء ظهرنا العقد . . رمينا وراء ظهرنا الشعارات الزائفة . . رمينا وراء ظهرنا المزايدات . . رمينا وراء ظهرنا ما عانيناه من معسكرات اعتقال ، من تهجم على كيان الفرد وأمنه وأمانه ، كل دا رميناه وراء ظهرنا

قضيتنا الأولى وهى أرضنا فى سيناء لم تعد كما كانت محل متأرجح فى حلها بين حل عسكرى وحل سياسى . . لا . . نحن فى الطريق . . بيهمنى أقول هنا أنه لم يعد هناك أى خلاف على حدود مصر الدولية اطلاقا بل كان بيجين معايا أول امبارح وامبارح وهذا واضح ، دا قرار رسمى من الحكومة الاسرائيلية على أن حدود مصر الدولية لا نقاش فيها معى أنا ، ما طلبتش لسه ، كنت ، ولا طلبتش ادخل فى حاجة بشأن مصر ، بل بالعكس أوقفت اصدار بيان المبادىء اللى كان المفروض ان يصدر علشان الفلسطينيين ، لأنه رفض بيجين أنه ينص فيه على تقرير المصير ، وأن ينص

على الحكم الذاتى قلت له لا . . لابد من تقرير المصير . . وقفت بيان المبادىء كله ليه ؟ . . لالتزامنا بالحل الشامل وبالقضية الفلسطينية . . أنا بقى مش عاوز أكرر حكاية منفرد دى لأنه كفاية بقى سخافة من جانب الاتحاد السوفيتى والجماعة الأقزام دول وخلى الأحداث ترد عليهم . . باقول لشعبنا خلاص قضيتنا ما عدتش محل تأرجح ولا محل انفعال يخلينا يوم فى حرب ويوم فى سلم ، ولا سلم ولا حرب مرة وحرب مرة خلاص انتهينا الى أنه هذه القضية انتهت الى أنها لابد أن تحل سلميا ومش عايز أقول أنها فى حكم المحلولة ، لأن زى ما قلت رسميا حدود مصر الدولية يبقى ما تتناقش ، وأنا قلت ان مش حا أناقش هذا فى الكنيست فعملوه هم من نفسهم . . الحقيقة أنا بافضل لما يبلغونى بهذا ما عدش فيه مشكلة اطلاقا . .

وشميت وصل اليوم ، ودولة ألمانيا اللى إحنا طول عمرنا نكن لها أروع الود والاعجاب بالعقلية الألمانية جاى ويبدلى بدلوه فى مساعدتنا . . فرنسا ديستان بتأيد مصر الى درجة لم تكن تخطر على بال أى إنسان ، وأيضا بتشترك مش بس فى تسليح مصر والتكنولوجيا الحديثة للحرب وهى على أعلى مستوى من فرنسا ، بل أيضا عن طريق اعادة البناء داخل البلد والتعاون معانا فى كل ما فى التكنولوجيا الحديثة . . لو عددت اليابان . . انجلترا . . كل العالم مقبل علينا . . فلنتجه للبناء . . كل اللى بيشغلنى النهارده إيه ؟ . . يمكن الناس مش حايصدقوا . . اللى شاغلنى النهاردة إنى أوجد المليون فدان اللى عايز أوزعهم على أولادى الخريجين ومباشرة عقب رحلة شميت اللى حاتبتدى النهاردة ان شاء الله حاطلع علشان أدور عليهم المليون فدان دول . . وأملك

■ سنحتفل إن شاء الله فى القريب بانتصارنا فى المعركتين . . معركة تحرير الأرض ومعركة البناء .

المشكلة الحقيقية هى كيف نبنى بلدنا ، وهذا هو التحدى الذى أواجهه الآن . . لم يعد التحدى الذى أواجهه الآن هو معركة عسكرية ساخنة لا . . التحدى اللى بأواجهه الآن كيف نستطيع ان نبنى بلدنا . . كيف نستطيع عندما وضعت سياستى أن نكتفى بالطعام بعد سنتين من اليوم ، ننتج جميع طعامنا ما عدا القمح ، لأنه ما نقدرش ننتج حاجتنا منه . . أصدقائنا فى أمريكا بيدونا ، بيساعدونا ، أنهم بيبيعوا لنا بالجنيه المصرى ، ما بيدوناش هلا . . إحنا بنأخذ بالجنيه المصرى ، وبذلك يسهلوا مهمتنا وعلى آجال طويلة ، ونحن لابد أن نعترف أن عندنا عرفان بهذا مش بس فى القمح ، لكن فى بقية الأمور اللى بنحتاجها من معونات ، ما بيتأخروش أبدا ورحت العالم كله مش أمريكا بس . .

أولادى كل واحد ٢٠ فدانا . . المجتمعات الجديدة فى الصحراء . . قناة السويس شفتها وأنا فى الاسماعيلية ، المشروع ماشى على أروع ما يكون ، وبيتضاعف ايرادها سنة ١٩٨٠ . . البترول بيتضاعف إيراده سنة ١٩٨٠ . . أنا باقول زى ما قلت ولو إنى عايز الطعام فى سنة ١٩٨٠ باذن الله نكتفى بكل شىء من أرضنا ومن انتاجنا ما عدا القمح دا ماشى . . وأنا يعنى حاسس انه حايتم قبل سنة ١٩٨٠ أن شاء الله ، ولكن خلينى برضه على الاحتياطى سنة ١٩٨٠ ، لان المشاريع ببرامجها وجداولها الزمانية موجودة . . فلنتجه الى هذا البناء . . لم يعد يشغلنا بقى انه نشغل شعبنا زى الآخرين الأقزام بمعارك خارجية علشان نلهيه عن مشاكله الداخلية . . لا . . احنا . . التحدى اللى أمامنا

النهاردة . . أن نبنى مصر . . أن نبنى الانســان المصرى بالحرية والكرامة والأمن والأمان . . أن نكتفى إن شــاء الله فى سـنة ١٩٨٠ بحيث كلنا ناكل ، نخـرج الى الصـحـراء ونغزوها ، وتقوم المجتمعات والمدن الجديدة . . حل مشاكلنا فى الاسكان . . وفى المواصـلات . . كل ده مـاشى . . هـو ده التحـدى اللى إحنا بنواجهـه اليوم . . وهـو ده اللى بعـد ما حسمنا بالضربة التاريخية بتاعة زيارة ال ٣٠ سـاعة . . بعدما حسمنا معركتنا ومعركة أرضنا وحـدودنا الدولية ده هو التحدى الحقيقى . . وده أصعب .

هذا التحدى . . تحـدى البناء أصـعب لأنه بنعمله وبعض النفوس الضعيفة مصرية للاسف نتيجـة للحقد بتحـاول تشكك فى هذا . أعدى أعداء الشـعب فى المرحلة المقبلة هـو حملات التشكيك اللى بيحاول الحاقدين أو عمـلاء الاتحـاد السوفيتى انه يبثوهـا بين الشـعب وكان فيه حـاجات بأه بتبلغ حد السخافة مش السخافة بس لا البجـاحة يعنى . . مثلا يقولوا الدكتور محمود فوزى اعتقل طبيب مصر من ست سنوات ما فيهاش معتقل وما بتعتقلش حد خالص حتى من أولئك الحاقدين اللى بيشتموا بلدهم بره وهم مصريين ومع ذلك بيتمتعوا بالحماية والأمان والأمن فى مصر وحيفضـلوا يتمتعوا بهذا .

أيضا أعدى أعداء هذه المرحلة المقبلة الى جانب التشكيك اللى بيحاولوا يعملوه محاولة الهجوم على أشـخاص بعض الناس فى الحكم . . إحنا الآن ديمقراطية . . صـحف حـرة البرلمان بيمارس عمله طبقا للدستور على أروع ديمقـراطية ممكن أن توجد . طيب عندنا مـدعى اشـتراكى عندنا نائب عام عندنا كل الأساليب عندنا سيادة القانون إذن لا نعـطى لأحد فرصة أنه يشكك أو يهاجم لأن ده خطة أعداء هذا البلد فى المرحلة اللى جاية سواء وأنا باقولها سـواء للأسـف أن كانوا مصريين أو من خارج مصر فهـم لأنه طبعـا أنا كنت اتمنى انه فى العائلة المصرية ما يكونش حد من هـذا النوع أبدا ولكن البشر بشر الحقد برضه حيفضل مـوجود لغـاية يوم الدين والكراهية حتفضل موجودة والانفعالات المنحطة حتفضل موجودة . فأعدى أعداءنا هو التشـكيك اللى هـم بيطلعوه ومحاولة الهجوم على الأشخاص اللى بيحكموا عن طـريق أى اشـاعات وكلنا عارفين الأسـلوب ده أسـلوب العملاء ، بتوع الاتحاد السوفيتى وغيره بعد ١٨ و ١٩ يناير الماضى لن يتكرر هذا وأنا باعد الشعب وبأعد الشعب ان كل من يرتكب شيء ضد أمن وأمان وكرامة المواطن لن أرحمـه أبدا . . أبدا مهما كان .

بادعو الله سبحانه وتعالى أنه يمد فى عمـرى إلى أن اتم هذا فى المدة الثانية اللى لى وان نحتفـل إن شـاء الله فى القريب بانتصارنا فى المعركتين . . معركة تحرير الأرض ومعركة البناء إن شاء الله فى سنة ٨٠ زى ما قلت نصـل إلى مـرحلة الانطـلاق . . وتحية منى لكل مـواطن على أرض مصر ولكل مـواطنة على أرض مصر . . تحية منى لكل شاب ولكل طفل تحية منى للشعب الأصيل الصـابر الصامد اللى التف من حولى على صورة لن انساها ولن أفرط فيهـا الى أن أمـوت . . وفـق الله اهلنا وشـعبنا وأمتنا العربية لما فيه الخير .

● همت : نشكر سيادة الرئيس على هذا الحديث واللقاء الودى وإنما قبل ما نودع السادة المشاهدين بكل الثقـة والوضوح اللى سيادتك تحدثت به وتعود الشـعب منك أعتقد انه فيه سؤال فى ذهن السادة المواطنين وهو اللى بنسمعه من سيادتك دلوقت إنه سـيادتك تطمنهـم على عروبة القدس .

■■ الرئيس : آه . . القدس بتيجى فى حاجتين اثنين . . القدس بتيجـى نمـرة واحـد فى الأرض المحتلة منذ ٦٧ فبتخضع لما تخضع له الأرض المحتلة فى عودتها اى ان تعـود القــدس عربية وأنا قلت هــذا فى خـطابى فى الكنيست . . القدس العـربية تعـود عربية . . ده جـزء أساسى من كلامى . . الناحية الثانية اللى فيهـا القـدس هى قيام الدولة الفلسطينية من الضفة الغربية وقـطاع غزة ، فهى أيضا جزء لا يتجزأ مـن الضـفة الغـربية فى الدولة الجديدة .

● همت : شكرا سيادة الريس كل سنة وانت طيب وربنا يديك طولة العمر ومع ثقة شعبنا وحبه لسيادتك لتاييده من أجل مصر ومن أجل المستقبل بنرجـو مـن الله أنه يوفقك فى كل خطوة شكرا . .

■■ الرئيس : الف شكر .

يقوم صرح الأخوة الانسانية ، وبنيان المجتمع المسلم الصحيح .

وفى هذا الاطار الجليل تقوم سنة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ، فيقول ﷺ : « من نبّ – أى : دافع – عن عرض أخيه ردّ الله النار عن وجهه يوم القيامة » ، ويقول أشرف الخلق وسيد المرسلين : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ومن فرج عن مؤمن كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة » ، ويقول عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام : « المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله ، كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه » .

ومما يدعم معنى الأخوة ويحفظها فى النفوس قول المصطفى ﷺ : « ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء » ، ولفتة للقلوب الحجرية إلى سوء العاقبة فى توجيهه الحكيم : « دخلت امرأة النار فى هرة حبستها ، فلا هى أطعمتها ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض ، » ، وتبشيره القلوب الرحيمة فى إخباره الرائع : « بينما رجل يمشى بطريق اشتد به العطش ، فوجد بئرا فنزل فشرب فخرج فاذا بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى بى . فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسكه بفية فسقى الكلب ، فشكر الله له فغفر له » ، قالوا : يارسول الله ، وإن لنا فى البهائم أجرا ؟ . . قال : « نعم ، فى كل ذات كبد رطبة أجر » .

فما أجمل هذا التصوير الذى يدعم أواصر الأخوة ويقوى بناء المجتمع ، وما أجمله وهو يحث الانسان على الرحمة والرفق بالحيوان ، كما يحثه على الرحمة والرفق بأخيه الانسان ، وإذا كان الرفق بالحيوان قد بلغ به فى عالم الانسان ما رأيناه فى هذا الحديث النبوى الشريف فكيف لا يكون بنو الانسان متعاطفين متراحمين متحابين وقد جمعتهم وحدة التراب ، ووحدة الخالق الذى أوجدهم من التراب ؟ ! .

إن الاسلام يحارب الفرقة والخلاف ، ويجعل من الحرية دعوة الاخلاص والحب ، لا سبيلا إلى البغض والاختلاف ، وفى التاريخ الاسلامى النماذج العديدة المشرقة المشرفة ، تبين ما للتضامن والتعاون من أثر كبير فى تقوية أواصر الود والأخوة بين المسلمين ، ولنأخذ من هذا التاريخ بعضا من تلك النماذج .

يذكر التاريخ ان المسلمين حين تضامنوا وتعاونوا وتكاتفوا امام حصار « قريش » الظالم لمدة ثلاث سنوات تحطم هذا الحصار ، وخرجوا منه منتصرين ، وبفضل المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، وبها وسع الأنصار المهاجرين فى ديارهم وأموالهم حتى اثنى عليهم المولى تبارك وتعالى بقوله : « والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون » .

ويروى عن ابن عباس – رضى الله تعالى عنهما – أنه كان معتكفا فى مسجد رسول الله ﷺ عليه ، فأتاه رجل فسلم عليه ثم جلس ، فقال له ابن عباس : يا فلان ، مالى أراك حزينا مكتئبا ؟ . . فقال الرجل : نعم يا ابن عم رسول الله ، فان لفلان على حق ، وأنا وحرمة صاحب هذا القبر ما أقدر عليه . فقال له ابن عباس : أفلا أكلمه فيك ؟ . . قال الرجل : إن أحببت . قال : فخرج ابن عباس من المسجد ، فقال له الرجل : أنسيت ماكنت فيه ؟ . . قال : لا ، ولكنى سمعت صاحب هذا القبر والعهد به قريب ، فدمعت عيناه وهو يقول : « من مشى فى حاجة أخيه وبلغ فيها كان خيرا له من اعتكاف عشر سنين » .

وتحت لواء التضامن والتعاون بين المسلمين استطاع القائد صلاح الدين الأيوبى أن ينتصر على الصليبيين فى موقعة « حطين » ، ويطهر أرض « فلسطين » منهم ، واستطاع القائد المظفر سيف الدين قطز أن ينتصر على « التتار » ويقضى عليهم فى موقعة « عين جالوت » ، بعد أن دوخوا العالم ، وقضوا على معالم الحضارة بالقضاء على خلافة العباسيين ، وأثاروا الرعب فى العالم الاسلامى كله ، ويكفى ما اعترف به المؤرخون الأوروبيون عندما ارخوا لهذه الموقعة انها لم تنقذ المسلمين من خطر التتار المدمر ، بل انقذت العالم المسيحى كله ، لأنه لم يكن فى « أوروبا » المسيحية فى تلك الوقت ملك قوى يستطيع مقاومة « التتار » لو ظلوا على انتصاراتهم المتوالية ، وتقدموا فى اتجاههم الطبيعى نحو « أوروبا » .

إن تضامن المسلمين وتعاونهم يثبت على الدوام أنهم يد واحدة ، وقوة ضاربة يخشى العدو بأسها ، ولسوف ترتفع راية الاسلام إن شاء تعالى ويتم لهم بالنصر باسترجاع قدسهم الشريف وأرضهم المسلوبة ، بوحدة كلمتهم وتضامن صفهم ، وتضافر جهودهم ، ولسوف يمدهم المولى تبارك وتعالى بعونه وتأييده ، يقول عز وجل « إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد » – ويقول المصطفى ﷺ : « المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشدّ بعضه بعضا » .

الفن
الإسلامي

الخط العربى

واستخداماته الزخرفية

الدكتورة سعاد احمد جمعة

غلب على معظم الفنون التطبيقية التى أنتجت فى العصور الاسلامية أسلوب الزخرفة بالخط العربى بأشكال متنوعة.

وقد عرف العرب الكتابة منذ عصورهم الأولى إلا أن الخط الذى يرى على المنتجات الفنية قد مر بمراحل متعددة حتى اتخذ هذه الصور المميزة. فقد كتب العرب أولا بالخط الحيرى أو الانبارى المستمد من الخط النبطى الذى نقل إليهم عن طريق التجارة.

وكان حذق العرب للكتابة فى الجاهلية حدثا هاما فى تاريخ الفكر لم يظهر أثره إلا بظهور الاسلام. وقد عرف الكتابة أهل الذمة ونقلها عنهم الصحابة من كتاب الوحى وفى الواقع كان للكتابة أثر بالغ فى نقل الاسلام ولا عجب فى هذا فهى الوسيلة إلى تعلم العربية وحفظ القرآن وتعاليم السنة النبوية وتدوين الأحاديث الشريفة والتفسير. هذا بالاضافة إلى خدمة الدولة وذوى السلطان.

وقد كان النبى عليه الصلاة والسلام يدرك قيمة الكتابة ويقدر أثرها ولذلك كان يطلق الأسير فى غزوة بدر إذا علم عشرة من صبيان المسلمين الكتابة. كما كان أقرب الناس إلى نفس الرسول كتاب الوحى.

وكان أول انتشار الكتابة العربية من مكة إلى المدينة مع هجرة الرسول وشاعت فى شبه الجزيرة العربية بعد حروب الردة ، وانتشرت خارجها مع غزوات النبى عليه الصلاة والسلام .

وعظمت أهمية الكتابة العربية بعد اتساع رقعة الدولة الاسلامية حيث لزم التكاتب مع الأقطار فى شئون الدين والدنيا ، حيث كانت تصدر الرسائل بين الخلفاء إلى عمالهم على الأقطار والأقاليم .

تطور الكتابة العربية :

كتب المسلمون فى أول عهدهم بالخط الجيرى أو الأنبارى كما سبق القول على شكلين هما التقوير والبسط . والخط المقوى (أى اللين) هو الخط المتبادل فى الرسائل والكتابات العادية . أما الخط المبسوط ويسمى اليابس فيستعمل فى الكتابة أو النقش على المحاريب وأبواب المساجد وجدران المبانى وفى كتابة المصاحف .

وعندما بنيت الكوفة بأمر أمير المؤمنين « عمر ابن الخطاب » سنة ١٨ هـ نزح إليها من بقى من أهل الحيرة والأنبار بعد أن حلت محل مدينتهم « الحيرة » وكانوا سببا فى انتشار الخط والكتابة بين أهل الكوفة الذين عملوا على تجويده ووصلوا فيه إلى درجة عالية من الدقة والتجويد وظهر نوع من الخط تميز بالزوايا وعرف باسم « الخط الكوفى » .

وظل الخط فى البداية يتميز بالجودة والاحكام إلا أن اتساع الدولة الاسلامية واختلاط أهلها بالأجناس الأخرى جعل الفساد اللغوى يتسرب إليه . وحينئذ خشى المسلمون من اللحن فى القرآن الكريم « فوضع أبو الأسود الدؤلى « بتكليف من « زياد » أمير العراق عام ٦٧ هـ ـ ٦٨٦ م النحو حتى يمكن قراءتها على النحو الصحيح . وقد استعان أبو الأسود فى ذلك بعلامات السريان التى يدلون بها على الرفع والنصب والجر وتمييز الفعل والاسم والحرف . فوضع أبو الأسود نقطة على الحرف للدلالة على الفتحة ، ونقطة أسفله للدلالة على الكسرة ، ونقطة على شمال الحرف للدلالة على الضمة ، وكرر النقطة فى حالة التنوين وترك السكون بدون علامة وكانت النقط توضع بمداد مخالف لمداد الحرف ويعتبر الشكل أول تطور دخل على الكتابة العربية فى الاسلام .

نماذج من الخط فى أوراق من مصاحف العصر السلجوقى ـ ايران

أما التطور الثانى فقد حدث فى أواخر الدولة الأموية وأوائل عهد الدولة العباسية ، حيث بدأ الخط العربى يتحول إلى أوضاعه المعروفة الآن وذلك بالتخلى عن استخدام الأدوات الهندسية فى الكتابة ، والميل إلى ليونة الكتابة بمسايرة حركة اليد الطبيعية ، ونتيجة لهذا الاتجاه بدأت تختفى الزوايا من الحروف . ومنذ ذلك الحين بدأ الخط العربى عهدا جديدا نحو الكمال ، حيث بدأت مرحلة ثالثة من التطور وذلك بتمييز الحروف المتشابهة كالدال والذال والسين والشين والعين والغين ، حيث أنها كانت تكتب بدون نقط مما يدعو إلى التصحيف والتحريف حيث تنطق السين شين والدال ذال ، والعكس صحيح ، وبدأ التفكير فى وضع علامات تميز كل حرف عن الآخر ، وبذلك وضعت النقط فوق الحروف أو تحتها بنفس لون المداد الذى يكتب به الحرف لأن نقط الحرف جزء منه . أما التطور الرابع الذى حدث فى الكتابة العربية ، فقد تم للتفرقة بين الشكل الذى وضعه أبو الأسود بمداد مخالف لمداد الكتابة وبين الاعجام أو النقط الذى وضعة « نصر ويحيى » على بعض الحروف أو تحتها أفرادا أو أزواجا وقد قام « الخليل ابن أحمد الفراهيدى » بمهمة إبدال النقط التى وضعها « أبو الأسود » للدلالة على الحركات الاعرابية ، بجرات علوية وسفلية للدلالة على الفتحة والكسرة وبرأس واو للدلالة على الضمة ، وإذا كان الحرف المتحرك منونا كررت العلامة فتكتب مرتين فوق الحرف أو تحته أو أمامه . كما اصطلح على أن يكون السكون الخفيف رأس خاء بلا نقط (ح) أو دائرة (٥) وأن يكون السكون القوى على هيئة رأس شين بغير نقط (س) والهمزة رأس عين ، ولألف الوصل رأس صاد (ص) وللمد الواجب ما صغيرة مع جزء من الدال .

وبذلك يكون « الخليل » قد وضع ثمانى علامات : الفتحة والكسرة والضمة والسكون والشدة والمدة وعلامات الصلة والهمزة . وبهذه الطريقة أصبح من الممكن أن يجمع الكاتب بين شكل الكتابة والنقط بلون واحد دون لبس بينهما .

وقد تعاونت جهود كل الأمم التى انضمت تحت راية الاسلام على تجويد فى الكتابة واتخاذه مجالا للابداع ، وقد شجعهم على هذا رغبتهم فى تجويد المصحف الشريف وتزيين الكتب وتجميل المساجد والمبانى والتحف المختلفة .

وظل الخط العربى اعتبارا من أيام العباسيين ببغداد يرتقى بارتقاء الدولة ويتنوع ، حتى بلغ العشرين نوعا . الأمر الذى دعا الوزير بن مقلة بحصر هذه الأنواع ويستخلص منها ستة أنواع هى :-

خط الثلث والنسخ والتعليق والريحان والمحقق والرقاع .

ويعتبر ابن مقلة أول من هندس الحروف وقدر مقاييسها وأبعادها بالنقط ، وضبطها ضبطا محكما . ووضع قواعد للخط تضمنتها رسائله ومؤلفاته التى كان لها الفضل فى انتشار الخط البديع .

وقد نسب ابن مقلة جميع الحروف إلى الألف ، حيث اتخذها مقياسا أساسيا ، وإلى ابن مقله ينسب الخط المسمى « الخط المنسوب » بمعنى الخط الذى تنتسب حروفه إلى بعض بنسب هندسية . فالباء مثلا تتكون (هندسيا) من قائم ومنبسط طولها معا كطول الألف .

والجيم تتكون من خط مائل ونصف دائرة قطرها بطول الألف .

والدال تتكون من خطين ، الأول مائل والثانى على مستوى التسطيح طولهما معا كطول الألف .

نموذج من استخدام الخط العربى فى زخرفة الأوانى المعدنية

والراء قوس هو ربع دائرة ، الألف قطرها ، وعلى هذا الأساس وضع ابن مقلة قانونه الذى يضبط أصول الخط ، وأكمل هذا العمل وضبطه ابن عبد السلام .

وجاء ابن البواب بعد ابن مقلة بما يقرب من قرن ، فاضفى على الخط كثيرا من مظاهر الجمال دون أن يخل أو يقلل من قواعده وأصوله الهندسية والرياضية .

وكان للمصريين أيضا نصيب كبير فى تجويد الخط . وقد نبغ منهم الشيخ زين الدين بن شعبان الآثارى الذى وضع ألفية تتضمن أصول الخط ومعاييره .

وقد اتفق جميع مجودى الخط على انه من الأفضل أن يبنى الخط على أصول تكون أساسا . وكانوا يقدرون صحة الحروف بالنقط فالألف التى هى شكل مركب من خط منتصب ، يجب أن يكون مستقيما وهى قاعدة الحروف المفردة كلها وباقى الحروف متفرع بينها منسوب اليها ، وقد حدد صاحب رسالة الموسيقى من أخوان الصفا مساحة الألف فى الطول بثمان نقط من نقط القلم الذى تكتب به ليكون العرض ثمن الطول .

أما ابن عبد السلام فقد قدرها بست نقط ، فى حين قدرها الشيخ زين الدين بن شعبان المصرى بسبع .

ويستخلص من هذا أن الكتابة العربية كانت على مدى العشرة قرون الهجرية الأولى موضوع عناية مجموعة من المجودين لوضع الأصول واحكام المعايير وانتهى المجودون إلى أن الخط المحقق لابد أن يخضع لنسبة فاضلة هى النسبة التى أساسها الألف التى وضعت سابقا والتى تقاس فيها الحروف جميعا بمقياس هذا الألف . وقد اصطلح على أن أفضل النسب ، ما كانت عرض الألف فيه بمقدار الثمن ، وهى النسبة الجمالية فى تركيب جسم الانسان فعرض الجسم الرشيق إلى طوله لا تخرج عن هذه النسبة .

كما وضع المجودون بعض القواعد الجمالية : مثل المد والتسطير ، والتوفية ، والاشباع ، والارسال ، والتنصيل .

والمد أو إجراء الاستمداد يعنى تحديد المواضع التى يحسن فيها مد الخط .

أما التسطير فهو وضع الكلمة حتى يتكون سطر منتظم كالمسطرة .

والتوفية تعنى إعطاء الحرف حقه من المساحة أما الاشباع فتعنى أن يأخذ كل حرف حقه من صدر القلم فلا تكون بعض أجزائه أدق أو أغلظ من بعض إلا فيما يجب أن يكون كذلك من أجراء بعض الحروف كطرف الألف من أسفل وطرف الراء من نهايتها .

والارسال يعنى إرسال الكاتب يده بالقلم من غير

▲ نموذج من الخط العربى ورقة من مصحف من مراكش القرن ١٢ م

▼ مشكاة مزينة بكتابات عربية مصر - العصر المملوكى

اختباس يضرس الخط أو توقف برعشة ، والتفصيل يعنى حسن اختيار مواقع المدات بين الحروف .

وقد وضعت هذه القواعد الجمالية بعد أن اتضح أن مراعاة النسبة فى الحرف الواحد لا تحقق الأهداف المنشودة هذا بالاضافة إلى أن مراعاة النسبة فى جميع حروف الكلمة لا يحقق قيمة جمالية لأن الحرف المفرد قد يكون جميلا وكذلك الكلمة الا أن مجموع الكلمات قد يكون باعثا على الملل فى تركيبه حيث ينقصه التسطير أو الاشباع أو يفتقر إلى التوفية .

إن طبيعة الكتابة العربية تمتاز بالمرونة والطواعية وقابليتها للمد والمط والانحدار والرجع والاستدارات التى تكسب الكتابة الحيوية والجمال والبهجة فى الأفراد والتركيب وبذلك تتوفر للكتابة العربية إمكانية استخدامها كعنصر زخرفى بأساليب متعددة وقد تجلت عبقرية رجل الفن المسلم وعاونته يد قوية متزنة مطواعة ، وذهن خصب أمده بمختلف أساليب الابداع والابتكار وبذلك أمكن للفنان المسلم أن يستخرج من حروف الكتابة العربية أنماطا زخرفية متعددة يصعب فيها التعرف على العنصر الكتابى الأصلى وكان ذلك فى الكتابة الكوفية أو اللينة على حد سواء

وقد ساعد ما فى طبيعة الحروف العربية من انتصابات وانبساطات على إمكان التباين فى الأوضاع ، كما ساعد ما فيها من قابلية للمد والانثناء على إمكان شغل الفراغ المتخلف بين الحروف المنتصبة التى تكون فى حد ذاتها نوعان من التوازن الزخرفى .

هذا بالاضافة إلى أن قدرة المبدع الاسلامى على التوزيع والتجميع جعلته يكتب حروفه تارة متباعدة وتارة أخرى مجمعة مستغلا ظاهرة الاستمداد . والفنان وهو يلجأ إلى التقارب والتباعد يستشعر ذوق الجماهير ويجعل له صدى فى عمله .

ونظرا لأن لكل حرف هندسته الخاصة بالاضافة إلى بساطة صور الحروف وقلة عددها الناشىء من تشابه الحروف فقد تضمنت الحروف العربية قيما جمالية وتشكيلية استشعرها الفنان واستغل الخط كعنصر زخرفى للمنتجات الفنية .

وقد عرف الفنان المسلم أنواعا كثيرة من الخطوط والتى تتلخص فى الخط النسخ والرقعه والكوفى والتعليق والنستعليق ، إلا أن ما تضمنته المنتجات التطبيقية ينحصر فى نوعين فقط هما :

الخط المنحنى : ويتمثل فى الخط النسخ الذى يتميز بالرقة والرشاقة وهو ينساب فى حركة مستمرة يوحى بالحرية والانطلاق . وغالبا ما كان يكتب على أرضية مغطاة بالزخارف النباتية الخطية الدقيقة وذلك ليحقق نوعا من الايقاع ناتج عن تبادل الظل والنور بين الأجزاء البارزة والأجزاء الغائرة وبين الخطوط الدقيقة والعريضة وبين المساحات الواسعة والضيقة فى الوقت الذى تتحقق فيه الوحدة الفنية فى العمل الفنى ، أما النوع الثانى من الخطوط والذى استخدم فى زخرفة المنتجات الفنية فهو خط هندسى يتمثل فى الخط الكوفى ، وهو يوحى بالثبات والاستقرار والسكون ، هذا بالاضافة إلى الايحاء باتجاه دينامى صارم ، كما يتميز بجمال رياضى يستشعره العقل .

وكانت تتضمن بعض المنتجات تزاوجا بين هذين النوعين من الخطوط يكونان زخارفها .

كما حاول الفنان فى بعض الأعمال أن يجعل من رؤوس الحروف وسيقانها أشكالا آدمية أو حيوانية أو نباتية .

كما كان يلجأ فى بعض الأحيان إلى تكرار الجمل فى وضع مقلوب حتى يحقق التماثل فى الوحدات الزخرفية المكونة من الحروف العربية .

إن الفنان الاسلامى فى معظم الحالات التى استخدم فيها الكتابات العربية كان يهدف إلى تحقيق البركة للعمل الفنى لأن معظم الكتابات كانت لا تعدو أن تكون بعض الآيات القرآنية الكريمة أو الأدعية أو النصوص الأدبية وقد استخدمت الكتابات العربية على واجهات المساجد والمبانى كعنصر تزيينى وليبعد الملل حين يقلل من مساحة السطح الخالى .

ولذلك وضعت الكتابات فى بعض الأحيان داخل أفاريز أو حشوات على جدران المبانى .

كما استخدم الخط لتزيين المنتجات المعدنية كالأوانى والشمعدانات والمباخر وكذلك زينت به الأوانى الزجاجية وخاصة المشكاوات والزهريات ، كما استخدم فى زخرفة المنسوجات الحريرية والصوفية والقطنية كما استخدم أيضا فى المنتجات الفخارية كشبابيك القلل والأوانى الخزفية .

ان استخدام الخط العربى فى تزيين الفنون التطبيقية فى العصور الاسلامية من أهم السمات التى يتسم بها الفن الاسلامى وتحدد خصائصه . هذا بالاضافة إلى منح المنتجات الفنية سمتها المميزة لشخصيتها الاقليمية فى إطار الشخصية الاسلامية العامة وذلك للفروق الطفيفة التى تميز خط إقليم عن آخر ، فأسلوب الكتابة فى الشام يختلف عن أسلوب الكتابة فى المغرب وكذلك فى العراق ومصر .

القصة الإسلامية

رجل ومعارك

خباب ابن الأرت

كان أحد ثلاثة تصفهم كتب التاريخ بأنهم من أولئك المسلمين الذين لاقوا من العذاب ألوانا على أيدى مشركي قريش، ومع ذلك فلم يرجعهم العذاب عن عقيدتهم، بل زادهم ثباتا ويقينا، هؤلاء الثلاثة هم: بلال بن رباح وعمار بن ياسر وخباب بن الأرت.

مر عليه الرسول والمشركون من حوله يعذبونه واضعين الحديد فوق رأسه، فرفع يده إلى السماء يدعو له قائلا (اللهم انصر خبابا).

وظل يتحمل العذاب طوال السنين العشرة التى انهالت فيها قريش على المسلمين تعذيبا. وتمضى الحياة بالبطل بعد الهجرة إلى المدينة فيشهد جميع المعارك والغزوات مع الرسول صلوات الله عليه ابتداء من غزوة ودان أولى المعارك التى يقودها النبي ﷺ حتى غزوة تبوك فى رجب من السنة الثامنة للهجرة.

أنه صانع السيوف خباب بن الأرت: البطل الذى كان المشركون يهزأون به فينادونه قائلين: يا عبد أم أنمار.

الأستاذ محمد صالح

يوم عرف بعض المشركين إسلامه دار هذا الحوار بينه وبينهم:

مشرك: هل انتهيت من صناعة سيفى يا خباب؟

خباب: لا إننى لم أنته منه، وأظن أن الموعد الذى اتفقنا عليه لم يحن بعد.

المشرك: أحقا لا تدرى (زاعقا) أحقا لا تدرى؟ ألا تدرى أيضا بأنك سفهت ديننا أيها العبد.. منذ أخذت تتخفى لتسمع حديث محمد وتجتمع بأصحابه.

خباب: ألهذا أنت ثائر، إذن أقول لك، نعم، إنك مصيب، إننى أستمع إلى محمد، وأننى أجتمع بأصحابه، بل أقول لك الحق كله، إننى على دين محمد، لقد عرفت النور.

المشرك: خسئت يا عبد أم أنمار، خسئت الويل لك.. **يا قوم، يا قوم، هلموا إلى إن هذا العبد صانع السيوف قد صبأ عن ديننا وقد أعلن لى دخوله فى دين محمد.**

ويجتمع حوله عدد من المشركين يحذرونه بقولهم: الويل لك، ارجع عن غيك أيها العبد، وإلا فلن تجد لنفسك روحا.

وعندما يرد خباب قائلا: أتسمون الهداية غيا يا سادة قريش وأبناءها.. إن الغى هو الاستمرار فى ما لا يقبله العقل ولا الفطرة السليمة.

ويثور عليه القوم ينهالون عليه ضربا.. ويأخذونه إلى حيث يعذبونه مع استمرار سبهم له.

وفى يوم فاض فيه العذاب على مجموعة من المسلمين بينهم خباب، فيذهبون إلى الرسول يشكون إليه ما يلاقونه من اضطهاد وتعذيب قائلين ألا تستنصر لنا ألا تدعو لنا يا رسول الله؟

ويرد صلوات الله عليهم قائلا: لقد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له فى الأرض، فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، ما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن الله تعالى هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضر موت فلا يخاف إلا الله، ولكنكم تستعجلون.

ويزداد الرجال وبينهم خباب قدرة على التحمل والصبر بعد كلمات الرسول لهم، وعندما يجد المشركون أن تعذيبهم لخباب لا يجدى وأنه يزداد إصرارا على الحق الذى اتبعه يذهبون إلى أم أنمار التى كان خباب عبدا لها اعتقته.. يستعينون بها على إرجاعه عن دينه، يومها كان خباب بين أيديهم والاغلال تحيط به.

أم أنمار: اتركوه يا رجال لى دعوكم من الضرب وإلقائه على الصخور المستعرة، دعوه لى، هو سيستمع إلى سيدته، أليس كذلك يا خباب هيا فكوا قيوده.

يؤيدها بعض المشركين بقولهم: ما تريدين يكون يا أم أنمار، ها هى القيود نفكها.

البقية ص ٢٠٦

الشعر الإسلامي

نشيد العام الهجرى ١٣٩٨

● فضيلة الشيخ الصاوى على شعلان ●

أعيدى ياطيور وأسمعينا
هديلا يفرح القلب الحزينا
وباسم «محمد» زف الأغانى
رحيقا فى قلوب المخلصينا
فذكر «محمد» أحلى نشيد
ودين «محمد» أقوى يقينا
ولو طاف اسمه بالروض يوما
كتطواف المنى بالساهرينا
لبدل كل شوك فيه وردا
وحول كل نبت ياسمينا
وصفقت الغصون له ابتهاجا
وحيت قبل كل الهاتفينا
هلال العام قد أهديت نورا
حكى انواره للناظرينا
وأهدى من ضياء الشمس حسنا
ضياء محمد للحائرينا
نبى الله أشرق فى قريش
(وكانوا فى الظلام مصفدينا)
قد اتخذوا من الأحجار ربا
فصاروا كالحجارة جامدينا
أيأتى منقذ من أرض (روما)
أينقذهم رسول من (أثينا)
حراء بذلك الانقاذ أحرى
ومكة تنبت العز المكينا
جبال أثمرت بستان وحى
وفاضت كوثرا للشاربينا
وجاء (محمد) أهلا ومرحا
بمنقذ دهرنا دنيا ودينا
هو الأمى لم يقرأ كتابا
فعلم قارئين وكاتبينا
فواعجبا لقوم كذبوه
ألم يك بينهم يدعى الأمينا
ومن يعرف بصدق فى صباه
يُصدقَ عند سن الأربعينا
ولكن معشر بالكفر ضلوا
فهم رهن الضلال مقيدونا
فلاهم يسلكون طريق خير
ولاهم يتركون السالكينا

وهم فى دار ندوتهم عشاء
بكل مكيدة يتآمرونا
ظلام الليل قد ملأ الروابى
وأخلدت الحياة به سكونا
وأهل الكفر باتوا فى سهاد
يزيد على سهاد المغرمينا
فهل سهروا لادراك المعالى
أفى الخيرات كانوا ساهرينا
هو الحقد الذى فيه استشاطوا
هو الأمل الذى لايبلغونا
هو الحسد الدفين تراه نارا
تلظى فى قلوب الحاسدينا
لقد مكروا فماظفروا بخير
وإن الله خير الماكرينا
رسول الله حل بغار ثور
مع الصديق محروسا مكينا
وصاحبه يخاف عليه جورا
وبغيا من قساة جائرينا
فقال له النبى اصبر وصابر
فإن النصر عقبى الصابرينا
فنحن اثنان ثالثنا إله
فلاتك يا أبا بكر حزينا
قريش تبتغى إرجاع (طه)
بكل رجالهم مستأجرينا
فقام (سراقة) يحدو جوادا
ليربح من جمالهم المئينا
اذا بجواده يكبو صريعا
كأن صهيله أضحى أنينا
(سراقة) عد وسيفك فى قراب
أكنت تحارب الروح الأمينا
أرى كل المدينة فى انتظار
إلى استقبال خير القادمينا
مدينة حكمة ومقام صدق
غدا كل الوجود لها مدينا
لقد فازت بهجرته إليها
وصارت للهوى حصنا حصينا
صلاة الله يتلوها سلام
عليه وآله والتابعينا

إنه يهدى العصى

الشاعر عبد المنعم محمد عيسى

فى ظلال الخلد والنور السنى
يسعد العبد المقرب للنبى
من كان يذكر ربه متعبدا
متبصرا فى آى خالقه العلى
يتلو كتاب الله يفهم آيه
ويترجم الآية للعمل السوى
من منشىء الكون العظيم ؟ فإنه
نعم المهمين إنه يهدى العصى

●●●

يامن تمادى فى غياهب ظلمة
دكناء يأباها أريب لوذعى
انظر لنفسك ثم فكر سابحا
فى قدرة المولى بصبح أو عشى
الله يكرمنا ويعلى قدرنا
ونقابل الاحسان بالعمل الدنى
الله اوجدنا وارشدنا إلى
سبل السعادة والنعيم السرمدى

لكن شيطان الغواية قادنا
نحو الضلال ولم نمانع فى المضى
دارت بنا الايام تعبث بينما
نلهو بدون تعقل فى كل شى

●●●

قم يا أخى واتل الكتاب تقربا
لتفوز بالحسنى وأنت بها حفى
هذا كتاب الله دستور خلا
من كل شائبة وظلم دينوى
ونصوصه لو نفذت بعناية
لتعانق الخصمان فى حب وفى
وسمت مبادؤنا وعز كياننا
وسعى الينا بالمهابة كل حى

●●●

هيا افيقوا من سبات واعلموا
أن السلام هو المعز هو القوى
يا قوم هذى صيحة من تائب
فالله يغفر للمسىء وللغوى

إنا فداء له والله يرعاه

الشاعر محمود أبو الفتوح السيد

بالأمس قالت جموع الشعب كلمتها
إنا فداء له والله يرعاه
هذا الذى حطم الأغلال عن شعب
كم ذاق فيها من الطغيان لولاه
هو الذى أبعد التمزيق عن بلد
وخر يسجد للرحمن مولاه
كم جا بمعجزة تترى بمعجزة
وكانت القدس فى الأضحى مصلاه
وعاد يحمل قلبا كله ثقة
وقام يشدو بحمد الله وهداه
والكون يسمع والدنيا له شهدت
وشعب مصر وماء النيل حياه

حمل الشباب له أزكى مشاعلهم
الحرب إنا لها والسلم نهواه
والرافضون ذيول الروس قد صعقوا
وصار جمعهم إربا وقد تاهوا
تجمعوا عصبة وبل لجمعهم
الحق يلفظه والدين يأباه
حقدوا على امة حملت تعنتهم
وحاربت عنهم زمنا عركناه
ياويل قوم إذا ما الحقد صار بهم
الى حضيض من الأرجاس مهواه
قالوا فلسطين نحميها ونرجعها
كلام مجنون والمال أعماه
عموا وصموا فلا آذانهم سمعت
نداء قائدنا والحق مجلاه
لا يسمع القول من فى قلبه مرض
ولا ترى فى ضياء الشمس عيناه
أقزام أمتنا جهلوا وما فطنوا
أن السلام لكل العرب مجراه
ياقائدى ياصلاح الدين أنت لنا
لحن الخلود وهذا الشعب زكاه
فلتسمعوا ياعبيد الروس قولتنا
إنا فداء له والقلب سكناه

تحية إلى بطل الحرب والسلام

يازائر القدس

الشاعر عبد المنعم عبد الله حسن

يازائر القدس إن القدس تبتهل
الأرض تشدو ويشدو السهل والجبل
تجثو الليالى لدى مسعاك خاشعة
تسجل المجد انى سرت.. يابطل
ماذا يعى الدهر والتاريخ إن عزت
مواقف الحزم أوما يذكر العقل
وموقف الحزم لايرجو سوى رجل
ويشهد الله فينا: أنك الرجل

•••

جنحوا إلى السلم فاجنح ذاك منهجنا
هيهات يخفق من بالله يتكل
شد الرحال فإن المسجد الأقصى
اليه يُسعىَ وإلا يُقطع الرحل
سعيت فى قوة لم تخش ذاكيد
وإن كيد العدا كم كان يحتمل
وسرت فى عزة للقدس فى ثقة
تجدد العهد فليحيا بك الأمل

••

الفجر فى القدس فى عيد الفدى غنى
ويشرق الحق لما يلتقى الشمل
يازائر القدس كم جففت مدمعها
جددت ثوبا لها فازدانت الحلل
ماذا يقول الألى ثاروا وثورتهم
حمق روى غرسه فى فكرهم جهل
سمعوا المآذن أم صمت مسامعهم
تكبر الله، والتكبير.. مبتهل
هل شاهدوا البيت والالاف تعمره
هل كان يُقصد مثل اليوم من قبل؟
يازائر القدس ما التوفيق أن تُرضى
كل النوايا فترضى هذه الدول
كفاك للحق تسعى طائرا غردا
ماخرت يوما وإن طالت بك السبل
مهما يقولوا فحسبك خير منزلة
صليت فى مسجد صلت به الرسل

يا أنور الرأى

الشاعر كامل عبد الجواد القاياتى

تفاقم الحقد واستعرت مرجله
وباء بالخزى والخسران حامله
وغص بالسوء أهلوه وأفزعهم
رأى تفرد بالاخلاص قائله
مهلا فليس سبيل النصر جعجعة
وأخرق ناقم هزلت وسائله
يخوض حرباً من الأسفاف واهمة
يطاعن الريح أعيته مهازله
كفى رياء فما للزيف من سند
يقوى به فى لقاء الحق باطله
فالحقد يأكل قبل الغير صاحبه
وصانع الشر ترديه غوائله
فالحرب علم وامكان ومقدرة
وليس هزلا يفيد الخصم حاصله
يوم العبور تسلم أمرها بطل
ماض الارادة صلب العزم باسله
الحزم والعزم والايمان عدته
ونصرة الحق فى اللأواء شاغله
حر على هامة التاريخ مقعده
أخو رشاد خطير الرأى قائله
والرشد والسيف ما التقيا على عمل
الاوتوج بالتوفيق فاعله
هذى هى الحرب ابعاداً معمقة
ينجاب عنها مهين الرأى فاشله
والنصر فى شرعة الاحرار منطلق
للسلم تسمو به غاياً وسائله

•••

من روض شعرى أصوغ الشكر أوسمه
من رائع الزهر تهديها خمائله
للحاملين لواء المجد مزدهياً
بدم تحدث بالأمجاد سائله
يامرسل الرأى نوراً فى توهجه
ضراوة النار ترميها مشاعله
صمدت حتى تداعى على الجور منهزماً
تحت الصمود وخانته معاقله
فاسلم لبادرة للسلم رائدة
ملكت على الخصم وانجابت دخائله
وراح يضرب فى شرك أعد له
من صالح الرأى قد نسجت حبائله

•••

(يا انور الرأى) ياسادات معذرة
ان قصر الشعر أو غاضت جداوله
فانت علم وايمان ومقدرة
ومثل مجدك لاشىء يطاوله

أيقظى العالم يامصر

الشاعر اللبنانى
الأستاذ سليم الرافعى

أيقظى العالم يامصر على
صيحة الحرب إذا شب لظاها
أيقظى العالم يامصر على
قُبلة السِلْمِ إذا الحبُ دَعَاها
أيقظى ارضَ الفراعين على
قصة الأهرام تحكى مَنْ بناها
واديا ارضُكِ كانت فَعَلا
شعبُكِ الخالدُ بالوادى وباهى
السماواتُ مطاياه إذا
قال للقمة: كونى فى ضحاها
أيقظى العالم يامصر على
جنة بالنيل تجرى ضفتاها
أيْنعتْ بالزهر والورد وهلْ
يعرفُ الوردة إلاّ مَنْ جناها؟
وبَنتْ عرشَ الرياحين. على
جَدْول حُلْوٍ الأغاريد شداها
كل جيل من بنى مِصرَ مضى
عشِقَ الزهرة أو غنى شذاها
إنه الحبُ إذا مصر بكت
أوشجاها فى الليالى ما شجاها
وعلى الأرض سلام من دم
ضمخ الأرضَ زكيًا وكساها
أيها الشعبُ الذى ما بَخِلَتْ
يدُهُ بالنفس انْ رِيعَ حِماها
أيها الفادى ثراها كلما
شبتِ الحربُ تدرعتَ نُجاها
أنت شعبُ الحرب والحب.. فَمَنْ
كان أهدى منك أو أعلى جباها؟
صاغنا الاسلامُ فى مصر وهلْ
كانت الوحدةُ إلاّ مِنْ رؤاها؟.
بعثت فينا النُبوّات ولم
نتلق الوحى إلاّ بهُداها
كم إمام لاح فى مِصرَ كما
لاحت الشمسُ فأحيت بسناها
ومحاريبَ من الشرق سَعَتْ
ومن الغرب تُصلى فى ثراها
ومساعير حروب فقأوا
(عينَ جالوت) فرُدتْ فى عماها
أيقظى العالم يامصر على
عبقريات هَوى المجد هَواها
فى الندى والبذل أو ملحمة
ماجرى التاريخ إلاّ فى صَداها
قلبُكِ المؤمنُ كالنيل إذا
ماجرى اخضرت على الأرض ذراها

الطب
في
الإسلام

الطب الوقائى

بين الهدى النبوى ونظريات الطب الحديثة

الدكتورة ابتسام عبد الحليم

النظافة من الايمان . . . مما فى ذلك شك وقد حث رسول الله ﷺ على قص الظفر وحلق العانة ونتف الابط والاغتسال والتطيب وأخذ الزينة عند كل مسجد . . . وبذلك يكون الرسول ﷺ قد رسم الطريق للمسلمين للعمل على وقاية أجسامهم من أمراض لا قبل لهم بها قد تودى بحياتهم كما أنه وضع منهاجا أن الوقاية خير من العلاج وسبق العلم الحديث بمئات السنين فى الحديث عن فرع هام من فروع علم الطب الا وهو (الطب الوقائى) .

وليس هذا ببعيد على نبى الأمة ومعلم البشرية جمعاء فعلمه من عند الله العليم الخبير بكل شىء خلقه .

وقد تحدثنا بمشيئة الله — سبحانه وتعالى . عن فائدة قص الظفر وكيف أنه مع غسل اليدين قبل الأكل فى قول الرسول الكريم — ﷺ : **(من أحب أن يكثر الله خير بيته فليتوضأ إذا حضر غذاؤه وإذا رفع) .**

يحمى الجسم من الأمراض الآتية :

الأمراض الطفيلية وتشمل :

الاكسيورس — الهيمنوليبس نانا — الانتاميبا هيستولوتيكا المسببة للدوسنتاريا الأميبية

الأمراض البكتيرية وتشمل :

التيفود والباراتيفود — الكوليرا — الدوسنتاريا الباسيلية — التسمم الغذائى الناشىء عن بعض أنواع البكتريا .

الأمراض الفيروسية وتشمل :

الالتهاب الكبدى الوبائى المعدى — مرض شلل الأطفال (البوليو) . ثم تحدثنا أيضا بمشيئة الله — سبحانه وتعالى عن فائدة نتف الابط وقص الشارب وحلق العانة والغسل وارتداء الملابس النظيفة بانتظام فى قول الرسول الكريم : (احلق العانة وانتف الابط يوم الخميس واجعل الطيب واللباس والغسل يوم الجمعة) :

والفطرة خمس : (الختان ، الاستحداد ، نتف الابط تقليم الأظافر وقص الشارب) .

وبينا بعون الله سبحانه وتعالى أن ذلك يقى الجسم من القمل بأنواعه سواء أكان قمل الرأس أو قمل الجسم أو قمل العانة .

وبينا أن وجود القمل بالانسان بجانب قذارته الحسية وأنه يثير الاشمئزاز ويسبب الحكة الجلدية فانه يقوم بنقل العديد من الأمراض الوبائية وغير الوبائية للانسان مما يعرض حياته للخطر ومن أمثلة تلك الأمراض :

— حمى التيفوس الوبائى ويتسبب من (الريكتيا بروفازاكى) .

— مرض بريل ويتسبب من (الريكتيا وهو نوع مخفف من التيفوس) .

— مرض حمى الخنادق ويتسبب من (الريكتيا كوينتانا) .

وأخيرا بدأنا الحديث بعون الله — سبحانه وتعالى — عن مرض الحمى الراجعة . وهو من الأمراض التى قد يصاب بها الانسان عن طريق القمل . وتسبب المرض نوع من السبير وكيث تسمى (البوريليا ريكرنتيس) . ويقوم بنقل المرض قمل الرأس أو قمل الجسم .

التغيرات المرضية التى يحدثها المرض بجسم الانسان :

يتضخم كل من الطحال والكبد ويحدث نزيف بالجلد وفى الأغشية المخاطية وفى المخ . كما توجد السبير وكبت بالدم والأنسجة .

الصورة الاكلينكية للمرض (الأعراض والمشاهدات) :

مدة الحضانة (المدة بين دخول الميكروب الجسم وظهور الأعراض والمشاهدات من ٢ ـ ٥ أيام .

بداية المرض : وتتراوح مدته من ٥ ـ ٧ أيام . ويبدأ المرض مفاجئا بواسطة رعشة بالجسم وارتفاع فى درجة الحرارة من حوالى ٣٩° مئوية إلى ٤٠° مئوية كما توجد آلام بالعضلات .

طفح جلدى نقطى على الجسم :

تضخم بالكبد والطحال ، ويصبحان مؤلمان عند القيام بالكشف عليهما . وتزيد كمية الزلال بالبول وتزيد كمية الصفراء .

ثم تنتهى المرحلة الأولى من المرض بانخفاض درجة الحرارة ، ويكون النبض سريعا ويتراوح بين ١٠٠/ دقيقة ـ ١٤٠/ دقيقة .

ويكون الجلد دافئا جافا ويكون الوجه محمرا .

قد يحدث اليرقان :

قد يحدث الطفح الجلدى الذى يمتد من الرقبة إلى الفخذين وقد يكون عبارة عن نزيف نقطى قطره حوالى ١ سم ـ ٢ سم ويجب تفريقه من طفح التيفوس وطفح الجدرى :

الأعراض العامة لمرض الحمى الراجعة .

ـ يشعر المريض بصداع شديد وآلام بالمفاصل وهذيان وأرق .

ـ يحدث حول الفم ما يسمى بالهيربس .

ـ يكون اللسان مغطى بطبقة وقد يكون جافا وبنى اللون .

ـ قد يشكو المريض من غثيان وقىء ويكون القىء داكنا ويحتوى على الصفراء الذى قد يستمر حتى فى عدم وجود الارتفاع فى درجة الحرارة .

كما يوجد فقدان فى الشهية وإمساك وآلام بالبطن ويتضخم كل من الكبد والطحال ويشعر المريض بالألم عندما يقوم الطبيب بالضغط عليهما أثناء الفحص . وقد تشتد حدة اليرقان .

كما يحدث الالتهاب الشعبى ويحدث الالتهاب الرئوى فى ٥٪ من الحالات المريضة وقد يوجد زلال بالبول ويوجد الأسطوانات أيضا كما قد يوجد النزيف البولى وتوجد (السبيروكيت) فى الدم خلال فترة الارتفاع فى درجة الحرارة . ويمكن مشاهدتها تحت المجهر بواسطة ما يسمى بالحقل المظلم فى الفيلم السميك أو الرفيع من دم أو بلازما المريض ويصبغ بواسطة الليثمان أو الجسيما . وتزيد عدد كريات الدم البيضاء إلى حوالى ١٥ ألف ـ ٢٥ ألف مم مكعب . ويكون تفاعل وازرمان إيجابى فى ٢٠٪ من الحالات .

ثم يحدث أن تهبط درجة الحرارة إلى درجة الحرارة الطبيعية أو أقل من الطبيعى وتكون مرتبطة بالعرق الغزير . وهذا الانخفاض قد يكون خطيرا بالنسبة للمرضى كبار السن لأنه يحدث حالة من الانقباض تنشأ نتيجة للصدمة الطرفية .

كما قد يحدث الالتهاب السحائى (فى الأغشية المغلفة للمخ والنخاع الشوكى) أو يحدث التهاب بالمخ أو شلل نصفى . وفى هذه الأحوال نجد أن السبيروكيت توجد فى السائل المخى النخاعى .

ـ الفترة الأولى من انخفاض درجة الحرارة . وهى تتراوح من ٧ ـ ١٠ أيام تنخفض أثناءها الحرارة ويختفى (السبيروكيت) من الدم ويكون المريض ضعيفا خلال هذه الفترة .

ـ النكسة الأولى : يحدث فيها إعادة إلى كل ما حدث فى المرض من الأول ولكنه يكون أقل حدة . ويحدث اليرقان ويكون كثير الشيوع ويزيد فى الحدة . ونجد حدوث التهاب بالملتحمة والتهاب بالقزحية بالعين وشلل مؤقت للأعصاب المخية وتنتهى النكسة أيضا بانخفاض فى درجة الحرارة .

ـ النكسات المتتالية :

قد يحدث فى العادة انتهاء المرض بعد أول نكسة ولكن قد تحدث نكسات متتالية وتكون أقل فى المدة وأخف فى الحدة ولا تزيد عن مرتين .

فترة النقاهة والمضاعفات :

قد تطول مدة المرض . وينتهى المرض بنهايات مختلفة مثل إلتهاب المفاصل ـ التهاب الكلى ـ التهاب القزحية ـ التهاب الأعصاب ـ خراج الطحال ـ والالتهاب الرئوى .

ويجب تفريق المرض من الأمراض الآتية عند التشخيص : ـ الملاريا ـ حمى الدج ـ حمى الصفراء ـ التهاب الكبد الوبائى حمى التيفود ـ حمى التيفوس . الالتهاب الرئوى ـ الانفلوانزا .

التشخيص : وتكون الصورة الاكلينيكية واضحة . ويسهل التشخيص أثناء الوباء .

التشخيص المعملى :

(أ) عند طريق رؤية (السبيروكيت) تحت المجهر فى الحقل المظلم . فى دم أو بلازما المريض .

(ب) إعطاء دم المريض للقرد .

(جـ) عمل مزرعة بكتيرية نوعية .

تقدم المرض .

نسبة الوفيات تعتبر قليلة نسبيا .

وتكثر الوفاة فى المرض بسوء التغذية وفى المرضى كبار السن .

وقد تصل نسبة الوفيات إلى ٣٠٪ أثناء الوباء .

الحصانة :

تكون قصيرة ومؤقتة . (شهور قليلة) .

العلاج :

(أ) الوقائى : يجب القضاء على القمل بواسطة بودرة (الـ د . د . ت) وبواسطة الاهتمام بنظافة الجسم ونظافة الثوب (وثيابك فطهر) . وغلى الملابس وحلق العانة ونتف الابط وقص الشارب .

ومن الجدير بالذكر أن القمل بدأ فى الاختفاء تدريجيا نتيجة للتقدم الاقتصادى والصحى .

(ب) العلاج :

١ ـ مركبات الزرنيخ أثناء الارتفاع فى درجة الحرارة .

٢ ـ مركبات البنسلين .

٣ ـ مركبات (الأوكس تتراسيكلين) وهو العلاج المؤثر أكثر من البنسلين .

٤ ـ الراحة التامة فى الفراش وإعطاء الفيتامينات . والأغذية المحتوية على جميع العناصر الغذائية .

للحديث بقية باذن الله تعالى

بقية مقال رجال ومعارك

أم انمار : يا خباب ، ألم أكن أحسن معاملتك رغم كونك عبدا لى ، ألم أحررك يا خباب ، ألم أجعل منك إنسانا حرا .

خباب : نعم ، الحق ما تقولين ، لقد كنت تحسنين معاملتى ، ولقد كان من حسن معاملتك أنك أعتقتينى .

أم انمار : ما دمت يا خباب لا تزال تذكر لى هذا فاننى أطلب منك اليوم العرفان بالجميل أريد منك يا خباب أن تترك دين محمد وتعود إلى دينك ، إلى دينى ودين هؤلاء القوم فلا تكن عاقا .

خباب : هذا شىء لن يكون والله - . لن أترك دين الله لأعود إلى عبادة الأصنام . وليس فى هذا شىء من العقوق كما تقولين .

أم أنمار : يا خباب كن عاقلا ، لقد فككت عنك قيود الرق فلا تعاند فان محمدا لا يهمه أمرك ولا تنس أنه لا يلاقى شيئا من التعذيب الذى تلاقيه أنت فهو فى منعة من إله بنى هاشم .

خباب : والله إننى لا أتمنى له أن يلقى أدنى شىء مما الاقيه ، أما قولك لى كن عاقلا ، فان العقل هو ما فعلته ، إننى عاقل لاننى أدين بما يراه عقلى حقا .

أم انمار : لقد أطلت معك أيها العبد وجعلتك ندا لى تناقشنى ، الويل لك ، أعيدوه إلى القيود . ليستمر تعذيبكم له وسأعذبه معكم ، أين الحديد المحمى ؟

ثم تقول له : أيها العبد عندما أضع هذا الحديد فوق رأسك ، فستعيد ناره العقل إليك . . أتعود إلى ديننا أم أضع الحديد على أم رأسك ؟

خباب : لا فائدة . . ضعى الحديد المحمى أين أردت .ويتصادف مرور النبى وأم أنمار تضع الحديد المحمى فوق رأس خباب فيرفع النبى صلوات الله عليه يديه ويدعو قائلا : « اللهم أنصر خبابا » . . ولا تمضى إلا أيام قليلة حتى تلقى أم أنمار عقاب الله العادل ، يصيبها مرض فى رأسها يجعلها تعوى مثل الذئاب ، وكان العلاج الذى وصفه لها الحكماء هو أن تكوى رأسها بالحديد المحمى .

وبعد كان خباب معلما ، كان يستغل معرفته بالقراءة فى تعليم إخوانه وقراءة القرآن لهم .

كان فى بيت فاطمة أخت عمر بن الخطاب يقرأ لها هى وزوجها بعض آيات القرآن عندما اقتحم عمر المنزل وسيفه فى يده بعد أن عرف أن اخته وزوجها سعيد بن زيد قد أسلما . وطلبت أخت عمر وزوجها من خباب أن يختبىء خوفا عليه من بطش عمر .

وعندما أصبح عمر بين أخته وزوجها وسألهما عن حقيقة ما سمعه عن إسلامهما وترد بالايجاب ، يرفع عمر يده يصفع أخته ثم يضرب زوجها .

ولكن عمر ما أن يرى الدماء تنزف من أخته حتى يرق قلبه ، ويمد يديه يأخذ الرقعة التى كان خباب يقرأ منها .

يسمع خباب عمر وهو يقرأ القرآن وصوته خاشع مبهور وما أن يصل إلى أذنه صوت عمر حتى يقول :

يا عمر ، والله إنى لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه ، فانى سمعته أمس يقول : اللهم أيد الاسلام بأحب الرجلين إليك : الحكم بن هشام ، أو عمر بن الخطاب .

وينطلق عمر قائلا : وأين أجد محمدا الآن يا خباب ؟

يرد خباب : تجده فى دار الأرقم بن أبى الأرقم . ويذهب عمر إلى النبى معلنا إسلامه . وبعد الهجرة يخرج خباب محاربا فى كل المعارك التى قادها الرسول ابتداء من غزوة ودان فى صفر من السنة الثانية للهجرة ، حتى غزوة تبوك فى رجب من السنة الثانية .

لا يكتفى بذلك ولكنه يخرج أيضا فى غيرها من المعارك تحت قيادة إخوانه الذين يختارهم الرسول للقيادة .

وعندما جاءته الوفاة فى خلافة عثمان قيل له :

« أبشر فانك ملاق إخوانك غدا » .

قال خباب : (وهو متاثر ويبكى) والله إننى لمسرور رغم بكائى ، إنه ليس جزع ، ولكننى أدركت إخوانا مضوا لم ينالوا من الدنيا شيئا ، ولقد بقينا بعدهم فنلنا من الدنيا ما لم نجد له موضعا إلا التراب ، والله ما شددت على مالى من خيط ، ولا منعتها ، عن سائل .

شخصيات إسلامية

الحسن ابن على

رضى الله عنه

الأستاذ
توفيق أبو علم

زوجاته :

عرف الامام الحسن رضى الله عنه بحسن عشرته لأزواجه فكان يمسكهن بمعروف ويسرحهن باحسان وكان الناس يرغبون فى مصاهرته . وروى أبوالفرج فى الأغانى بسنده عن عوف بن خارجه قال : «والله انى لعند عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى خلافته اذ أقبل رجل يتخطى رقاب الناس حتى قام بين يدى عمر فحياه بتحية الخلافة .

فقال له عمر : من أنت ؟ قال : أنا امرؤ نصرانى ، أنا امرؤ القيس بن عدى الكلبى . قال : فما تريد ؟ أريد الاسلام . فعرضه عليه عمر رضى الله عنه ، فقبله ثم دعا له برمح فعقد له على من أسلم بالشام من قضاعة فأدبر الشيخ واللواء يهتز على رأسه .

قال عوف فوالله ما رأيت رجلا لم يصل لله ركعة قط أمر على جماعة المسلمين قبله ونهض على بن أبى طالب رضوان الله عليه من المجلس ، ومعه ابناه الحسن والحسين عليهم السلام حتى أدركه فأخذ بثيابه .

فقال له : «ياعم أنا على بن أبى طالب ، ابن عم رسول الله ﷺ وصهره ، وهذان ابناى الحسن والحسين من ابنته ، وقد رغبنا فى صهرك فأنكحنا فقال : قد أنكحتك ياعلى المحياة بنت امرىء القيس ، وأنكحتك ياحسن سلمى بنت امرىء القيس ،وأنكحتك ياحسين الرباب بنت امرىء القيس (أم السيدة سكينة) .

وقال هشام الكلبى : كانت الرباب من خيار النساء وافضلهن ، وسنرى فى الفصل القادم أنها خطبت بعد قتل الامام الحسين ، فقالت : « ماكنت لأتخذ حما بعد رسول الله ﷺ » .

وقد تزوج خولة بنت منظور الفزارية ، وجعدة بنت الاشعث ، وأم كلثوم بنت الفضل بن العباس ، وأم اسحاق بنت طلحة ، وولدت منه ولدا سماه طلحة ، وأم بشير بنت أبى مسعود الأنصارى ولدت منه زيدا ، وهند بنت عبد الرحمن بن أبى بكر ، وحفصة ابنة عبد الرحمن بن أبى بكر ، وغيرهن ومجموع ما تزوجه لم يتجاوز خمسة عشر ، وهو رقم لا يمت الى الكثرة المزعومة بصلة ، ولا يمت الى مازعمه بعض المستشرقين من أن عدد زوجاته وصل الى المائة ، ويعيب بعض قصار الادراك كثرة زواجه وطلاقه مع أنى - كما بينت - أعتبر عدد مرات زواجه عاديا مثل الذى كان يحدث فى زمانه ، ولست أدرى من أين جاءت هذه الكثرة التى يتحدث عنها رجال التاريخ والمستشرقون كما سنرى بعد قليل وينسى هؤلاء جميعا أن الزواج فى زمانهم كان يربط العصبيات ويزيد فى قوة القبائل ، وكان تعدد الزواج أمرا مألوفا بل مستحبا وهو فى بيت النبوة أكثر استحبابا ، وليس مع الحلال تهمة ، وما أحوج المجتمع لأئمة الهدى الذين يمشون بين الناس بنور الايمان الذى يروونه من عرقهم الطاهر المطهر ، وينمونه فى بيئتهم النقية الصالحة .

وصدق الامام على كرم الله وجهه حينما قال فى السادة آل البيت الأطهار :

« أين الذين زعموا أنهم الراسخون فى العلم دوننا كذبا وبغيا علينا ، أن رفعنا الله ووضعهم وأعطانا وحرمهم ، وأدخلنا وأخرجهم ، بنا يستعطى الهدى ويستجلى العمى » .

وصدق الفرزدق حين قال :

ان عد أهل التقى كانوا أئمتهم
أوقيل من خير أهل الارض قيل هم

وينتهز (لامنس) هذه الفرصة ليتحدى الاسلام ليلصق به التهم ويطعن فى رجاله ، وقد كتب فى بحثه عن أزواج الامام : « ولما تجاوز (يعنى الامام الحسن رضى الله عنه) الشباب وقد أنفق خير سنى شبابه فى الزواج والطلاق فأحصى له حوالى المائة زوجة وألصقت به هذه الأخلاق السائبة لقب المطلاق ، وأوقعت عليا فى خصومات عنيفة وأثبت الحسن كذلك أنه مبذر كثير السرف ، وقد خصص لكل من زوجاته مسكنا ذا خدم وحشم ، وهكذا نرى كيف يبعثر المال أيام خلافة على التى اشتد فيها الفقر . . »

وقد اعتمد لامنس فى قوله : « ان لار الزواج والطلاق « على أقوال المدائنى وأمثاله من المؤرخين الذين تابعوا السلطة الحاكمة فكتبوا لها لا للتاريخ .

وقد استقى المستشرقون الذين كادوا للاسلام فى بحوثهم من منهل المؤرخين الذين ساندوا تلك الدول الجائرة التى ناهضت أهل البيت وعملت على تشويه واقعهم والحط من كرامتهم ، وقد زاد عليه لامنس فذكر من الأكاذيب مالم يقل به أحد غيره فقد قال :

١ - أنه الغى اباه بسبب كثرة زواجه وطلاقه فى خصومات عنيفة ولم يشر احد ممن ترجم للامام الى تلك الخصومات العنيفة التى زعمها لامنس .

٢ - وذكر أن الامام خصص لكل من زوجاته مسكنا ذا خدم وحشم وأن جميع المؤرخين لم ينقلوا ذلك ، وهو من الكذب السافر والافتراء المحض لقد كان زواج الامام الحسن ليس الزواج الذى يختص به الرجل لمشاركة حياته ، وانما كانت حوادث استدعتها ظروف شريعة محضة ، من شأنها أن يكثر فيها الزواج والطلاق معا ، وذلك هو دليل سمتها الخاصة .

ونعود الى زوجاته ، فأما « خولة بنت منظور الفزارية » فهى من سيدات النساء فى وفور عقلها وكمالها تزوج بها كما سأبين فيما بعد ، فقيل أنه ليلة اقترانه بها بات معها على سطح الدار فشدت خمارها برجله وشدت الطرف الآخر بخلخالها فلما استيقظ وجد ذلك فسألها عنه فقالت له معربة عن اخلاصها وحرصها على حياته : « خشيت أن تقوم من وسن النوم فتسقط فأكون أشأم سخلة على العرب ، فلما رأى منها ذلك أحبها وأقام عندها سبعة أيام ، وقد بقيت عنده حولا لم تتزين ولم تكتحل حتى رزقت منه السيد (الحسن) فتزينت فدخل عليها الامام فرآها متزينة فقال لها « ما هذا ؟ » فقالت له : « خفت أن أتزين وأتصنع فتقول النساء تجملت فلم تر عنده شيئا فأما وقد رزقت ولدا فلا أبالى » .

وبقيت عنده الى أن توفى فجزعت عليه جزعا شديدا ، فقال لها أبوها مسليا :

نبئت خولة أمس قد جزعت
من أن تنوب نوائب الدهر
لا تجزعى ياخول واصطبرى
ان الكرام بنوا على الصبر

وذكرت السيدة زينب بنت على العاملية فى ترجمة خولة ما حاصله أنها لما بلغت مبالغ النساء خطبها جملة من وجهاء قريش وأشرافهم ، فامتنع أبوها من اجابتهم لأنهم ليسوا بأكفاء لها ، ثم أنه طلق أمها (مليكة بنت خارجة) فتزوجها من بعده طلحة بن عبيد الله ، وتزوج ابنه محمد بخولة فولدت له ابراهيم وداود وأم القاسم ، وقتل زوجها محمد فى واقعة الجمل فخطبها جماعةمن الناس فجعلت أمرها بيد الحسن فتزوجها .

ويروى انه لما نزح الامام الى يثرب حملها معه ، فبلغ أباها ذلك فأقبل الى مسجد رسول الله ﷺ وبيده راية

فركزها فى المسجد، فلم يبق قيسى الا وأنضم تحتها وهو يهتف بقومه ويستنجد بهم على أخذ بنته من الامام، فلما بلغه رضى الله عنه ذلك خلى سراحها فأخذها وخرج فجعلت خولة تتوسل به على ارجاعها وتندد بعمله وتذكر له فضل الامام، فندم على فعله وقال لها «البثى هاهنا فان كان للرجل بك من حاجة سيلحق بك»، فلحقه الامام الحسين وعبد الله

ابن عباس، فلما انتهوا اليه قابلهم بحفاوة وأرجعها الى الامام، وهذه القصة مشكوك فى صحتها.

أما «جعدة بنت الأشعث» فقد اختلف المؤرخون فى اسمها، فقيل سكينة، وقيل شعثاء، وقيل عائشة، والأصح أنها جعدة حسب ما ذكره أكثر المؤرخين وكما جاء مقاتل الطالبين.

أما «عائشة الخثعمية» وقد تزوجها الامام الحسن فى حياة والده ولما قتل على أقبلت الى الامام الحسن فاظهرت الشماتة بوفاة ابيه.

فقالت له: «لتهنك الخلافة».

ولما علم عليه السلام شماتتها قال لها: «ألقتل على تظهرين الشماتة؟ اذهبى فأنت طالق» فتلفعت بثيابها وقعدت حتى انقضت عدتها، فبعث لها بقية صداقها وعشرة آلاف درهم صدقة لتستعين بها على أمورها، فلما وصلت اليها، قالت: «متاع قليل من حبيب مفارق» ولم يذكر التاريخ أن الامام طلق زوجة سوى هذه وأم كلثوم وامرأة من بنى شيبان.

أما بقية زوجاته فقيل هن: أم كلثوم بنت الفضل بن عباس، وفى الاستيعاب أن الامام الحسن تزوجها، ثم فارقها فتزوجها من بعده أبو موسى الأشعرى، ثم أم اسحاق بنت طلحة بن عبيد الله التميمى وقد ولدت منه ولدا أسماه طلحة، وأم بشير بنت أبى مسعود الأنصارى وولدها

زيد، وهند بنت عبد الرحمن بن أبى بكر وامرأة من بنات عمرو بن أهيم المنقرى، وامرأة من ثقيف وولدها عمر، وامرأة من بنات زاره، وامرأة من بنى شيبان من آل همام بن مرة فقيل لها انها ترى رأى الخوارج فطلقها وقال: «أنى أكره أن أضم الى نحرى جمرة من جمر جهنم» وأم عبد الله، وهى بنت الشليل بن عبد الله أخى جريلاً البجلى، وأم القاسم.

وبذلك يكون مجموع ما تزوجه الامام الحسن هذا العدد الذى ذكرناه وهو لا يمت الى الكثرة المزعومة بصفة، ولنا أن نسأل أين كثرة الزواج والطلاق التى طبل لها بعض المؤرخين.

واذا كان هناك تعدد لزواجه فيجب الحكم على ذلك فى ظل الظروف التى كان يعيش فيها، فاذا كان قد تزوج أكثر من مرة فانه يقصد بهذا التعدد الاصهار الى كثير من القبائل لأن الحاكم على حد تعبير ابن خلدون يستند الى عصبية، ولما كان بنو أمية لم ينتصروا ويتمكنوا فى الارض الا بما توافر لديهم من عصبية فقد أدرك الحسن بما قد يتعرض له نووة ونريته من اضطهاد وتقتيل لايحفظ منه سلالة الرسول من الاندثار والانقراض الا تعدد الزواج وكثرة النسل.

أولاده:

اختلف المؤرخون فى عدد أولاده اختلافا كثيرا، فقد روى أنهم اثنا عشر «ثمانية ذكور وأربع اناث» وقيل ستة عشر الذكور أحد عشر والاناث خمس، وقيل غير ذلك وقد اتفق المؤرخون أنه لم يعقب أحد من أولاده سوى الحسن وزيد.

أما أعلام أولاده فهم:

١ ـ القاسم: وقد استشهد مع عمه سيد الشهداء فى واقعة كربلاء.

٢ ـ أبوبكر: واسمه عبد الله أمه أم ولد ويقال لها رملة، برز يوم الطف يحامى عن دين الله ويذب عن ريحانة رسول الله ﷺ فاستشهد فى تلك الواقعة.

٣ ـ عبد الله: أستشهد مع عمه فى كارثة كربلاء وله من العمر احدى عشر سنة، نظر الى عمه الحسين وقد أحاطت به جيوش الأمويين، فاقبل يشتد للدفاع عنه، وسارع أبجر بن كعب بالسيف ليضرب الامام الحسين، فصاح به الغلام: «ويلك ياابن الخبيثة أتضرب عمى» واتقى الغلام الضربة بيده، ثم رماه حرملة بن كاهل بسهم فذبحه.

٤ ـ زيد: وقد كان كريم الطبع جليل القدر كثير الاحسان قصده الناس من جميع الأفاق لطلب بره ومعروفه، وكان يلى صدقات رسول الله ﷺ، فلما ولى سليمان بن عبد الملك عزله منها، ولما هلك واستخلف عمر بن عبد العزيز أرجعها اليه.

وقد مدحه محمد بن بشير الخارجى بقوله:

اذا نزل ابن المصطفى بطن تلعة
نفى جدبها واخضر بالنبت عودها
وزيد ربيع الناس فى كل شتوة
اذا أخلفت أنواؤها ورعودها
حمول لأشتات الديات كأنه
سراج دجى قد فارقته سعودها

وكان يركب فيأتى سوق (الظهر) فيقف به فتزدحم الناس على النظر اليه ويعجبون من خلقه، ويقولون يشبه جده رسول الله ﷺ، وتوفى له من العمر تسعون سنة ورثاه جماعة من الشعراء منهم قادمة بن موسى الجهحى بقوله:

فان يك زيد غالب الارض شخصيه
فقد بات معروف هناك وجود
وان يك أمسى رهن رمس فقد ثوى
به وهو محمود الفعال فقيد
سميع الى المضطر يعلم أنه

البقية ص ٢٢٠

السيدة زينب رضى الله عنها وأرضاها

فى مصر ذمة ورحم

... إن اهل مصر تلقوا أهل البيت «بمدينة الفرما» وهى مدينة على مشارف مصر وحملوهم على الهوادج . وأنزلوهم خير الأماكن بمصر وبنوا لموتاهم المشاهد . واتخذوها مزارات وجعلوا لها أرزاقا من أموالهم تقوم بهم فكأن أهل البيت يقولون :

يا أهل مصر :

- نصرتمونا نصركم الله . ! !
- وأويتمونا آواكم الله . ! !
- وأعنتمونا أعانكم الله . ! !
- جعل الله لكم من كل مصيبة فرجا . ! ! ومن كل ضيق مخرجا ! ! .»

من كتاب «تحفة الأحباب»

الأستاذ عبد الودود محمد طه

فكما حبا الله مصر بنهر النيل حباها كذلك بالمقدسات فحباها بحب رسول الله ﷺ وآل بيته فأكرم مصر بأجساد آل بيت المصطفى وأرواحهم . وكيف لا تحظى مصر . بحب آل بيت رسول الله ﷺ وله فيها «ذمة ورحما» . . ؟ ؟ ! !

فالرسول ينظر للمستقبل البعيد من خلال بصيرة النبوة ويوصى أحبابه بالمصريين خيرا مخبرا لهم بأن له فيهم «ذمة ورحما» . . ألم تكن هاجر المصرية أم اسماعيل عليه السلام جدته وألم تكن مارية المصرية زوجة المصطفى ﷺ ؟ ؟ وألم يكن إبراهيم إبنه من مارية الذى ما بكى أحدا مثلما بكاه عند دفنه وترك أثرا خالدا وقولة مشهورة «إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون» ؟ ؟ ! !

حتى أن كفار مكة قالوا لقد انقطع نسل محمد بوفاة إبراهيم فرد الله عليهم أنهم هم المقطوع أثرهم المنسى ذكرهم .

بأن عرفهم يا محمد «إن شانئك هو الأبتر» .

مصر هذه هى مصر رسل الله صلوات الله عليهم .

«إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف وموسى وعيسى ومحمد وآل محمد عليهم السلام وما خلدت الكتب الثلاثة : التوراة والانجيل والقرآن ، بقعة مثلما خلدت مصر فأرونى بقعة من الأرض حظيت بمثل هذا الشرف ؟ ؟ .

وليس حب المصريين لآل المصطفى بدعة مبتدعة بل هو سنة واجبة متبعة : فالمصطفى ﷺ أخبر انه شفيع «المكرم لذريته المحب لهم بقلبه ولسانه» «أحبونى بحب الله وأحبوا آل بيتى بحبى .» .

«أحب آل بيتى إلى فاطمة» .

فما حب المصريين لآل فاطمة إلا حبا للمصطفى ﷺ . فهم ينشدون مع الامام الشافعى حبيب مصر وساكنها وحبيب آل البيت :

يا أهل بيت رسول الله حبكم
فرض من الله فى القرآن انزله
كفاكم من عظيم القدر انكم
من لم يصل عليكم لا صلاة له

فليس بمستغرب أن تختار السيدة مصر فهى تعلم هذه «الذمة والرحم» وهى تعلم أن الطغاة طافوا برأس الحسين عليه السلام بعد استشهاده فى كثير من البقاع للتشفى إلا مصر لمعرفتهم بحب المصريين لآل البيت .

تكريم الحسين فى مصر

وكأنما القدر كان يخبئ هذا التكريم لمصر بأن تعود إليها رأس الحسين فى موكب الاحتفال به لا للتشفى به

لتدفن فى مصر وتبقى أثرا من آثار الحب فى أرض الحب النبوى الشريف . فالسيدة اختارت أهلها ومحبيها وسكنت وطنها الذى يعرف لها قدرها ومقدارها .

ومن حسن الصدف أن التاريخ يعيد نفسه فقد هاجر جدها ﷺ إلى المدينة واستقبله الأنصار أحسن استقبال والله تعالى أحب أن يكرم الأنصار مرة أخرى عند هجرة السيدة لمصر .

فكان على رأس المستقبلين لها مسلمة بن مخلد الانصارى ليعيد للحدث وجهه وللتاريخ صورته فيالها من هجرتين ويالها من نصرتين . ! ! ؟ ؟ وإذا كان النشيد الذى استقبل به المصطفى ﷺ طلع البدر علينا . فقد كان نشيد المصريين كذلك :

لما رجعت من الشام ليثرب
من بعد فاجعة الامام الحسين
طلبوا إليك الظعن للبلد الذى
تستوطنين خارج الحرمين
فاخترت مصر فرحبت بك وانثنت
تعز من شرف على الكونين

فحضرت إلى مصر محفوفة بالعناية والتكريم محوطة بالقلوب والنفوس . تفريجا للهم الذى كانت تعانيه فقد استشهد أخوها الحسين ومن معه وأصبح بنو أمية يتربصون بها بعدما بدت رياح الثورة تنفث نفثها ضدهم فعند استقبال السيدة فى المدينة كان الموكب حزينا والنفوس ملتاعة تطالب بالقصاص للحسين فمن قائل :

اترجوا أمة قتلت حسينا
شفاعة جده يوم الحساب

وأخذ النساء يهيجن القوم حاسرات الرأس :

ماذا تقولون إن قال النبى لكم
ماذا فعلتم وانتم آخر الأمم
بعترتى وباهلى بعد مفتقدى
منهم أسارى ومنهم مضرج بدم
ما كان هذا جزائى إذ نصحت لكم
ان تخلفونى بسوء فى ذوى رحمى

فأشار عليها العقلاء أن تختار مصر لأنها مكان آمن وقد قدمت إلى مصر فى سنة ٦١ هـ الموافق ٨٦١ م وتوفت بمصر ودفنت بها سنة ٦٢ هـ سنة ٦٨٢ م ومشهدها شاهد على حب المصريين لها وحفاوتهم بها حية وميتة رضى الله عنها .

فلنقلب معا صفحات حياة حبيبة المصريين نستنشق عبيرها ونقتبس من نورها لعلنا نقتدى بسيرتها . فمن تكون هذه السيدة الطاهرة التى استأثرت بحب مصر وبنيها . ؟ !

هى : السيدة الطاهرة العفيفة الزاهدة العابدة المجاهدة الصابرة رئيسة الديوان فرع النبوة بنت الزهراء بنت رسول الله ﷺ جدها المصطفى عليه السلام وأبوها على كرم الله وجهه أخت الحسن وأخت الحسين سليلة الكرم والدين .

جدتها لأمها خديجة الكبرى زوج المصطفى عليه الصلاة والسلام ومؤيدة كفاحه وجدتها لأبيها فاطمة بنت أسد التى ما فعل رسول الله ﷺ مثل ما فعل معها عند وفاتها : فقد كفنها فى جبته ونزل فى لحدها قبل دفنها ولحدها بيديه ولما سئل ما نراك فعلت هذا مع أحد غيرها ؟ ؟

قال : « إنها أمى بعد أمى »

أما زوجها فهو عبد الله بن جعفر الطيار ابن عمها وعبد الله أبوه جعفر الطيار الذى بترت عضداه يوم مؤته فأبدله الله سبحانه وتعالى بجناحين يطير بهما فى الجنة كما أخبر بذلك المصطفى ﷺ وهو الذى دعى له ﷺ « اللهم اخلف جعفرا فى أهله خيرا » .

وقد أنجبت منه : محمدا وعونا وعليا وأم كلثوم وأم عبد الله .

هذه صورة سريعة لنسب السيدة الطاهرة .

أما عن اسمها فقد سماها به جدها المصطفى ﷺ تخليدا لاسم ابنته زينب التى توفيت وكان يحبها فهى قد سميت على اسم خالتها زينب بنت محمد ﷺ .

أما شخصية السيدة الطاهرة فهى شخصية متميزة قوية لا تؤثر فيها المحن شديدة الايمان بربها صبورة على المكاره لا تلين لها قناة خذ مثلا على تحملها أنها قد تحملت الحياة وهى طفلة فكانت طفولتها شبابا وشيخة فى شبابها فقد تحملت عبء الحياة بعد وفاة والدتها وهى التى أشرفت على تربية الحسنين رغم صغر سنها .

ومن لى بسيدة تحتمل ما تحملت السيدة وهى تشارك أخاها الحسين كفاحه وترى قومها صرعى فى ميدان الشهادة حتى أن رأس أخيها الحبيب الحسين يطاف به على أسنة الرماح فى الطرقات وهى صابرة انظروها بعد انفضاض المعركة تنظر إلى أهل الكوفة قائلة :

يا أهل الكوفة : أتبكون . . . ؟ ! فلا سكتت العبرة ولا هدأت الرنة أى والله ! ! ! إبكوا كثيرا واضحكوا قليلا ! ! فقد ذهبتم بعارها وشنارها فلن ترحضوها بغسيل أبدا ! ! وكيف ترحضون قتل الحسين سبط خاتم النبوة ومعدن الرسالة ومدار حجتكم ومنار محجتكم ؟ ؟ »

ويقف ابن زياد لها قائلا متشفيا .

كيف رأيت صنع الله فى أهل بيتك ..؟؟

فترد عليه فى إيمان الواثقين .

ما رأيت إلا خيرا !! هؤلاء قوم قد كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم يوم القيامة !! ثكلتك أمك يا ابن مرجانة !! وإذ بالمواجهة الكبرى بين يزيد بن معاوية فى شانه وسلطانه وبين سيدة مهزومة أسيرة فاذا يواجه بهذه السيدة أقوى عزيمة وأشد صلابة تقول له :

● أظننت يا يزيد حين أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء وأصبحنا أسارى أن بنا هوانا على الله ؟؟ وأن بك كرامة عليه ؟؟ مهلا مهلا ..!! أنسيت قول الله تعالى « ولا يحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خير لأنفسهم » وحين تنظر إلى يزيد وهو يعبث فى رأس الحسين رضى الله عنه تقول :

يا يزيد ما فريت إلا جلدك ولا حززت إلا لحمك ولتردن على رسول الله ﷺ بما تحملت من دماء ذريته وأنتهكت من حرمته وعترته وحين يعرض عليها المال تطييبا لخاطرها تأبى وتقول :

أتعطينا المال وتقتل أخانا ؟ لا يازيد .

ونرى هذه السيدة لا تنسيها الأحداث شيمة الكرم فتعرض حليها على الحارس الذى أكرمها عند مسيرها إلى المدينة هذه هى شخصية السيدة الشخصية الفذة .

وليس بدعا من القول أن تكون السيدة زينب عابدة زاهدة فهى تربت فى بيت النبوة على يد فاطمة التى رباها محمد ﷺ على محاسن الخلق وعلى خلق القرآن .

جاءت فاطمة بنت محمد ﷺ إلى أبيها بعد حضور الغنائم تشكو له ما تعانيه يداها من الرحاة التى تطحن بها وتطلب أمة أو عبدا يساعدها .

فما كان رد محمد إلا « يافاطمة قولى سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله » كأنما أراد أن يعرفها أن تستعين باخلاص العبادة على مشاق العمل ورجعت فاطمة بهذه النصيحة أشد عزما على مواصلة الحياة الخشنة فابوها على كان يأكل خبز الشعير وأمها فاطمة تطحنه وتخبزه وما زينب إلا ابنت على وفاطمة الزهراء ومصداق ذلك .

ما يرويه زين العابدين رضى الله عنه عن حال عمته ويقول :

كانت تصلى بعض الأحيان جالسة من شدة الجوع فى مسيرها للمدينة لأنها كانت توزع نصيبها من الخبز على من حولها وترضى هى بالجوع ولمعرفة أهلها صلتها بربها كان الحسين يقول لها « **يا زينب لا تنسنا فى نافلة الليل** » .

علمها أبوها على كرم الله وجهه أن تخلص لله قلبها فهى تناجيه فى ليلها « يا عماد من لا عماد له يا سند من لا سند له يا حرز الضعفاء ويا كنز الفقراء » وهى تنشد متوكلة على ربها :

سهرت أعين ونامت عيون
لأمور تكون أو لا تكون
إن ربا كفاك ما كان بالأمس
سيكفيك فى غد ما يكون

ومن ابتهالاتها رضى الله عنها :

وكم لله من لطف خفى
يدق خفاه عن فهم الذكى
وكم يسر أتى من بعد عسر
ففرج كربة القلب الشجى
اذا ضاقت بك الأحوال يوما
فثق بالواحد الفرد العلى
تشفع بالنبى فكل عبد
يغاث إذا تشفع بالنبى
ولا تحزن إذا ما ناب خطب
فكم لله من لطف خفى

يخاطبها ابن أخيها على بن الحسين « يا عمتاه أنت بحمد الله عالمة غير معلمة فاهمة غير مفهمة » فرضى الله عنها وأرضاها نبتهل معها فى دعائها المشهور :

« اللهم إنى أسالك بمعاقد العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك وباسمك الأعظم وجدك الأعلى وكلماتك التامات التى تمت صدقا وعدلا أن تصلى على محمد وعلى آل محمد الطيبين الطاهرين وأن تجمع لى خيرى الدنيا والآخرة » .

« اللهم أنت الحى القيوم انت هديتنى وانت تطعمنى وتسقينى وانت تميتنى وتحيينى برحمتك يا أرحم الراحمين » .

الإمام الشافعى

رضى الله عنه

صانع الفكر الإسلامى

قمة عظمته وروح عبقريته فى الفكر الاسلامى تجديدا واجتهادا .

هنا يشرق ذلك الامام المجدد « محمد بن إدريس الشافعى » .

كان الناس قبل « الشافعى فريقين » : ـ

(أ) أصحاب الحديث الذين حفظوا أخبار رسول الله ﷺ ، بيد أنهم عجزوا عن الجدل أمام سؤال أو إشكال وكانوا فى « المدينة » يمثلهم الامام « أبو حنيفة » وتلاميذه » .

(ب) وأصحاب الرأى ، كانوا أولى نظر وجدل عاجزين عن الآثار والسنن .

الأستاذ عبد المعطى اسماعيل عياره

التقى بمالك زهاء تسع سنين والتقى بتلامي « أبى حنيفة » وأخذ عنهم ، فاجتمع له فقه « الحجاز » وفق « العراق » وصنع بهذا كله قمة الفكر الاسلامى .

كان الامام محيطا بسنة رسول الله وقوانينها ، قويا ف آداب النظر والجدل ، حجة ظاهرة ، قاهرة للخصوم إجاباته عما يسأل عنه شافيه كافيه .

وبذلك استطاع أن يستنبط « علم أصول الفقه » وأن رحلته بين « المدينة » و « العراق » و « مصر » قد صنعت فكر وصاغت طريقة .

ولد « الامام الشافعى » بغزة فى « فلسطين » ورحل منه إلى « مكة » وهو ابن عامين ، ثم رحل إلى « المدينة » وسافر إلى « اليمن » ثم أسر إلى « بغداد » متهما ، ثم عاد إلى « مكة » ثم إلى « بغداد » ثم ذهب إلى « مصر » وفيه أقام بقية حياته .

منحته الرحلة قوة روحية ، وأنضجت ذهنه ، والتقى بمالك ، **وأبى يوسف** تلميذ « **أبى حنيفة** » و « ابن حنبل » .

كان له مذهب فى « **العراق** » ولما قدم إلى « مصر » أعاد صياغته .

ولقد ولد فى العام الذى توفى فيه « **أبو حنيفة** » وتلقى ف « المدينة » على « **مالك** » فأعجب بذكائه وجودة حفظه .

وقد قال عنه « الرازى » : « ان نسبة الشافعى » إلى « علم الأصول » كنسبة « أرسطو » إلى « علم المنطق » .

و « الشافعى » أول من تكلم عن « **القياس** » ضابطا لقواعده .

يقول « الشافعى » عن نفسه « خرجت إلى « اليمن » ف طلب كتب الدراسة حتى كتبتها وجمعتها .

ويقول : « ما ناظرت أحدا فأحببت أن يخطىء ، وما ف قلبى من علم إلا وددت أنه عند كل أحد ، ولا ينسب إلى علم إلا وددت أن كل علم أعلمه تعلمه الناس .

وقد أخلص « الشافعى » للحق وبعد عن الزهو حتى تمنى أن ينتفع الناس بعلمه دون أن ينسب إليه .

يقول « هارون بن سعيد » : « ما رأيت مثل الشافعى » قدم علينا « **مصر** » فقيل ! « قدم رجل من قريش » فجئناه وهو يصلى ، فما رأينا أحسن صلاة منه ، ولا أحسن وجها فلما تكلم ما رأينا أحسن من كلامه ، فأنسنا به » .

وفى « مصر » واجه « الشافعى » اتباع « مالك » واتباع « أبى حنيفة » وجدد مذهبه ، وأملى خلال إقامته بها « وهى أربع سنوات » « الفا وخمسين ورقة » وخرج « كتاب الأم » وكتاب « السنن » وأشياء كثيرة .

البقية ص ٢٢٠

أبو الفتح عثمان ابن جنى

أبو الفتح عثمان بن جنى هو صاحب المنهج الاعلامى التربوى الذى يقصد اكرم مستوى يحرز الأجر العظيم، والفضل الكبير فى مجال الدرس والبحث والتحقيق.. وهو يجعل هذا المنهج فى خدمة أشرف صور الولوع الظاهر باثارة الدارس، واجمل ضروب الابداع فى تشويقه، وأعلى وانزه ألوان الاهتمام البالغ بعرض ما يركز انتباهه، ويقوى ارتباطه، ويشعل فكره، ويستولى عليه.. وفى سبيل السيطرة على العملية التربوية، والوصول إلى ما يبغيه يقدم الملاحظات الدقيقة، والتوجيهات الهامة، ويضع أمام الدارس الغرض العام والغرض الخاص فى براعة وعبقرية.. فهو يشعر أن نلك عامل نو اثر فعال فى ظهور الاستجابة المطلوبة، ويدرك أنه من الواجب أن يحاول المعلم الاعلام بطبيعة المشكلات، والهدف الذى يحققه الدارسون من حلها، وأى تعلم بدون وجود الدافع يكون عديم الأثر، كما أنه يتطلب مجهودا أكبر من المتعلم.. وهو يفطن إلى أن تجلية البهجات والمحاسن، وكشف الظروف التى تحيط بالمواقف، والأسرار التى تتعلق بالخصائص - تحقق خير الثمرات، وتعطى خير عون..

الدكتور حامد محمد شعبان

ولنقدم الآن أوجها من المنهج الاعلامى، ونحاول الانتفاع بما فيها.. ففى درسه التربوى الرائع فيما يؤمنه علم العربية من الاعتقادات الدينية يقول العالم الكبير: «اعلم أن هذا الباب من أشرف أبواب هذا الكتاب، وأن الانتفاع به ليس إلى غاية، ولا وراءه من نهاية. وذلك أن أكثر من ضل من أهل الشريعة عن القصد فيها، وحاد عن الطريقة المثلى إليها، فانما استهواه واستخف حلمه فى هذه اللغة الكريمة الشريفة، التى خوطب الكافة بها، وعرضت عليها الجنة والنار من حواشيها وأحنائها، وأصل اعتقاد التشبيه لله تعالى بخلقه منها، وجاز عليهم بها وعنها. وذلك أنهم لما سمعوا قول الله - سبحانه، وعلا عما يقول الجاهلون علوا كبيرا - **(ياحسرتى على ما فرطت فى جنب الله)** وقوله - عز اسمه - **(فأينما تولوا فثم وجه الله)** وقوله: **(لما خلقت بيدى)** وقوله تعالى: **(مما عملت أيدينا)** وقوله: **(ويبقى وجه ربك)** وقوله: **(ولتصنع على عينى)** وقوله: **(والسموات مطويات بيمينه)** ونحو ذلك من الآيات الجارية هذا المجرى، وقوله فى الحديث: خلق الله آدم على صورته، حتى ذهب بعض هؤلاء الجهال فى قوله تعالى: **(يوم يكشف عن ساق)** أنها ساق ربهم - ونعوذ بالله من ضعفة النظر، وفساد المعتبر - ولم يشكوا أن هذه أعضاء له، وإذا كانت أعضاء كان هو لا محالة جسما مقضى؛ على ما يشاهدون من خلقه، عز وجهه، وعلا قدره، وانحطت سوامى الأقدار والأفكار دونه. ولو كان لهم أنس بهذه اللغة الشريفة أو تصرف فيها، أو مزاولة لها لحمتهم السعادة بها، ما أصارتهم الشقوة إليه، بالبعد عنها. وسنقول فى هذا ونحوه ما يجب فى مثله. ولذلك ما قال رسول الله ﷺ لرجل لحن: ارشدوا أخاكم فانه قد ضل، فسمى اللحن ضلالا؛ وقال عليه السلام: رحم الله امرأ أصلح من لسانه، وذلك لما علمه ﷺ مما يعقب الجهل لذلك من ضد السداد، وزيغ الاعتقاد». [الخصائص لابن جنى الجزء الثالث ص ٢٤٥ - ٢٤٦].

والنص يؤكد الحرص على الاثارة والابداع فى التشويق، وعرض ما يركز الانتباه، ويقوى الارتباط، ويحدد الغرض، ثم يمضى ليستولى على الدارس، ويبين قضية هامة، هى قضية من ضل من أهل الشريعة عن القصد فيهما، وحاد عن الطريقة المثلى إليها، وانصرف إلى اعتقاد التشبيه لله تعالى بخلقه، وجره الضعف فى اللغة الكريمة الشريفة إلى ما يقوله الجاهلون - تعالى الله عز وجل عما يقولونه علوا كبيرا.. ونلاحظ أن ابن جنى يعلن إحساساته ومشاعره، ويأتى بأمثلة تبرز الجهل الذى يثور عليه، والموقف الذى لا يمكن أن يقبل.. ولا يترك الأمر يقف عند هذا الحد، بل يوضح السداد، ويرشد إلى الطريق الذى

يجد فيه الصواب والشفاء والسلامة والاطمئنان فيقول : « وطريق ذلك أن هذه اللغة أكثرها جار على المجاز ، وقلما يخرج الشيء منها على الحقيقة . . . فلما كانت كذلك ، وكان القوم الذين خوطبوا بها أعرف الناس بسعة مذاهبها ، وانتشار أنحائها ، جرى خطابهم بها مجرى ما يألفونه ، ويعتادونه منها ، وفهموا أغراض المخاطب لهم بها على حسب عرفهم ، وعادتهم فى استعمالها . وذلك أنهم يقولون : هذا الأمر يصغر فى جنب هذا أى بالاضافة إليه ، وقرنه به ، فكذلك قوله تعالى **(يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله)** (أى فيما بينى وبين الله) إذا أضفت تفريطى إلى أمره ونهيه إياى . وإذا كان أصله اتساعا جرى بعضه مجرى بعض . وكذلك قوله ـ ﷺ ـ : كل الصيد فى جنب الفرأ [حمار الوحش] ، وجوف الفرأ ، أى كأنه يصغر بالاضافة إليه وإذا قيس به » . [الخصائص الجزء الثالث ص ٢٤٧] .

ولا ريب أن أبا الفتح يعنى عناية واسعة بنفى سوء المعتقد ، وينبه على ما يصون من الزيغ ، ويحمى من الضلال ، ويجتهد ما استطاع مؤمنا بما يجلبه فقه اللغة من توجيه وإرشاد إلى المستوى الذى ينبغى ألا يغفل عنه الباحث والمحقق . . إنه يستمر فى الرد على اعتقاد التشبيه ، ويأتى بالوجه الصحيح ، والدليل الذى يمنح الحكم قوة ، ويدعم التفسير الذى ارتضاه . يقول صاحب الخصائص : « وكذلك قوله ـ سبحانه ـ : **(فأينما تولوا فثم وجه الله)** . إنما هو الاتجاه إلى الله ، ألا ترى إلى بيت الكتاب :

أستغفر الله ذنبا لست محصيه
رب العباد إليه الوجه والعمل

أى الاتجاه ، فإن شئت قلت : إن الوجه هنا مصدر محذوف الزيادة ، كأنه وضع الفعل موضع الافتعال ، كوحدة ، وقيد الأوابد (ـ فى أحد القولين ـ) ونحوهما . وإن شئت قلت : خرج مخرج الاستعارة . وذلك أن وجه الشيء أبدا هو أكرمه وأوضحه ، فهو المراد منه ، والمقصود إليه . فجرى استعمال هذا فى القديم ـ سبحانه ـ مجرى العرف فيه والعادة فى أمثاله . أى لو كان ـ تعالى ـ مما يكون له وجه لكان كل موضع توجه إليه فيه وجها له ؛ إلا أنك إذا جعلت الوجه فى القول الأول مصدرا كان فى المعنى مضافا إليه المفعول دون الفاعل ؛ لأن المتوجه إليه مفعول فى المعنى فيكون إذاً من باب قوله ـ عز وجل ـ **(لا يسأم الانسان من دعاء الخير)** و **(لقد ظلمك بسؤال نعجتك)** ونحو ذلك مما أضيف فيه المصدر إلى المفعول به .

وقوله تعالى **(مما عملته أيدينا)** إن شئت قلت : لما كان العرف أن يكون أكثر الأعمال باليد جرى هذا مجراه . وإن شئت قلت : الأيدى هنا جمع اليد التى هى القوة ، فكأنه قال : مما عملته قوانا ، أى القوى التى أعطيناها الأشياء ،

لا أن له ـ سبحانه ـ جسما تحله القوة أو الضعف . ونحو قولهم فى القسم : لعمر الله ، إنما هو : وحياة الله ، أ[ى] والحياة التى آتانيها الله ، لا أن القديم سبحانه محل للحي[اة] كسائر الحيوانات . ونسب العمل إلى القدرة وإن كان الحقيقة للقادر ، لأن بالقدرة ما يتم له العمل ؛ كما يقال قطعه السيف ، وخرقه الرمح . فيضاف الفعل إليهما ؛ لأ[نه] إنما كان بهما .

وقوله تعالى : **(ولتصنع على عينى)** أى تكون مكنو[فا] برأفتى بك ، وكلاءتى لك ؛ كما أن من يشاهده الناظر له والكافل به ، أدنى إلى صلاح أموره ، وانتظام أحواله ، مم[ن] يبعد عمن يدبره ، ويلى أمره . . وهو باب واسع .

وقوله : **(والسموات مطويات بيمينه)** إن شئت جعل[ت] اليمين هنا الجارحة فيكون على ما ذهبنا إليه من المجـ[ـاز] والتشبيه ، أى حصلت السموات تحت قدرته حصو[ل] ما تحيط اليد به فى يمين القابض عليه ، وذكرت اليمين هـ[ـنا] دون الشمال لأنها أقوى اليدين ، وهو من مواضع ذكـ[ـر] الاشتمال والقوة . وإن شئت جعلت اليمين هنا القو[ة] كقوله :

إذا ما راية رفعت لمجد
تلقاها عرابة باليميـ[ـن]

أى بقوته وقدرته . ويجوز أن يكون أراد بيد عرابة : اليمن[ى] على ما مضى . وحدثنا أبو على سنة إحدى وأربعين ، قال فى قول الله ـ جل اسمه ـ **(فراغ عليهم ضربا باليمين)** ثلاثة أقوال : أحدها : باليمين التى هى خلاف الشمال والآخر باليمين التى هى القوة ، والثالث باليمين التى هـ[ـى] قوله : **(وتالله لأكيدن أصنامكم)** . .

وقوله فى الحديث : خلق الله آدم على صورته ، يحتمل الها[ء] فيه أن تكون راجعة على اسم الله تعالى ، وأن تكون راجعـ[ـة] على آدم . فاذا كانت عائدة على اسم الله تعالى كان معناه على الصورة التى أنشأها الله ، وقدرها . فيكون المصد[ر] حينئذ مضافا إلى الفاعل ، لأنه ـ سبحانه ـ هو المصو[ر] لها ، لا أن له ـ عز اسمه ـ صورة ومثالا ، كما أن قولهم لعمر الله ، إنما معناه : والحياة التى كانت بالله ، والتى آتانيها الله ، لا أن له ـ تعالى ـ حياة تحله ، ولا أنه ـ عز وجهه ـ محل للأعراض . وإن جعلتها عائدة على آد[م] كان معناه : على صورة آدم أى على صورة أمثاله ممن هو مخلوق ومدبر ، فيكون هذا حينئذ كقولك فى السيد والرئيس قد خدمته خدمته أى الخدمة التى تحق لأمثاله ، وفى العبـ[ـد] والمبتذل : قد استخدمته استخدامه ، أى استخدام أمثاله ممن هو مأمور بالخفوف والتصرف ، فيكون إذا كقوله ـ

عز وجل ــ (**فى أى صورة ما شاء ركبك**) وكذلك نظائر هذا : هذه سبيله».

ويبدو أن مسلكه فى تأويل الآيات والحديث متأثر بمذهب المعتزلة الذين ينزهون الله عن مشابهة المخلوقين فهو ليس بجسم ولا عرض ولا عنصر ولا جزء ولا جوهر ولا يحصره المكان ولا الزمان ، وقد أولوا الآيات التى يفهم منها مشابهته للمخلوقات ، لايمانهم بالتوحيد . . وفى كلامه ما يدل على ذلك ، فقد قرر أنه ليس له سبحانه جسم تحله القوة والضعف ، وليس له حياة تحله ، كما ذكر أنه عز وجل ليس محلا للأعراض . . ولكن شخصيته القوية فى البحث والدرس جعلته يعول على اللغة فى الذود عن الاعتقادات الدينية ، ويعتمد على العربية فى تبيين الوجه الذى يبث السكينة والاطمئنان ، وهو يجتهد كل الاجتهاد فى مذهبه ، ويأتى بكل ما يحفظ جلال الخالق وعزته ، ومن غير شك أن فى ذلك نبلا وشرفا وارتفاعا إلى أسمى المستويات . .

وإذا وجد تفسيرا يدل على طغيان الجهل فى رأيه ، واندفاعا لايغلب عليه إلا النأى عن الحق والصواب وما يستحقه أمر التنزيه ــ فإنه يغضب ، ويشتد فى الرد على هذا التفسير ، ويعبر عن موقفه الذى يحمد الله على سلامته من الشطط والخطأ والهوى ، ويعوذ به من سوء المعتقد ، وضلال المذهب وشناعته يقول ابن جنى : «فأما قول من طغى به جهله ، وغلبت عليه شقوته ، حتى قال فى قوله تعالى (**يوم يكشف عن ساق**) : إنه أراد به عضو القديم ، وإنها جوهر كهذه الجواهر الشاغلة للأماكن ، وإنها ذات شعر ، وكذا وكذا مما تتابعوا فى شناعته ، وركسوا فى غوايته ، فأمر نحمد الله على أن نزهنا عن الالمام بحراه ، وإنما الساق هنا يراد بها شدة الأمر كقولهم : قد قامت الحرب على ساق . ولسنا ندفع مع ذلك أن الساق إذا أريدت بها الشدة فإنما هى مشبهة بالساق هذه التى تعلق القدم ، وأنه إنما قيل ذلك ، لأن الساق هى الحاملة للجملة ، المنهضة لها . فذكرت هنا لذلك تشبيها وتشنيعا ، فأما أن تكون للقديم ــ تعالى ــ جارحة : ساق أو غيرها ، فنعوذ بالله من اعتقاده أو الاجتياز بطواره . وعليه بيت الحماسة :

كشفت لهم عن ساقها
وبدا من الشرّ الصراح

. . وأذكر يوما وقد خطر لى خاطر مما نحن بسبيله ، فقلت : لو أقام إنسان على خدمة هذا العلم ستين سنة حتى لايحظى منه إلا بهذا الموضع لما كان مغبونا فيه ، ولا منتقص الحظ منه ، ولا السعادة به . وذلك قول الله ــ عزّ اسمه (**ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا**) ولن يخلو أغفلنا هنا من أن يكون من باب أفعلت الشىء أى صادفته ووافقته كذلك . . أو يكون ما قاله الخصم أن معنى أغفلنا قلبه منعنا وصددنا ، نعوذ بالله من ذلك . فلو كان الأمر على ما ذهبوا إليه منه لوجب أن يكون العطف عليه بالفاء دون الواو وأن يقال : ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا فإتبع هواه . وذلك أنه كان يكون على هذا الأول علة للثانى ، والثانى مسببا عن الأول ومطاوعا له . . فمجىء قوله تعالى (**واتبع هواه**) بالواو دليل على أن الثانى ليس مسببا عن الأول ؛ على ما يعتقده المخالف . وإذا لم يكن عليه كان معنى أغفلنا قلبه عن ذكرنا أى صادفناه غافلا ؛ على ما مضى ، وإذا صودف غافلا فقد غفل لا محالة . فكأنه ــ والله أعلم ــ : ولا تطع من غفل قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا أى لا تطع من فعل كذا وفعل كذا . وإذا صحّ هذا الموضع ثبت به لنا أصل شريف يعرفه من يعرفه» . [الخصائص ٢٥١/٣ ــ ٢٥٥] .

وهكذا ينجح درس أبى الفتح فى الاثارة والتشويق والامتاع والعرض والاستيلاء على الدارس بكل الوسائل التى تنم عن عبقرية فى التناول والبحث والتحقيق والابداع . . ويدرك العالم الكبير أنه سعيد بما حققه ، قرير العين بموقفه من قضية الاعتقادات الدينية ، معترفا بفضل العربية فى الذود عن الاعتقادات ، ورعاية حقها فى السمو والجلال . . يقول ابن جنى فى نهاية بحثه فى الباب : «ولولا ما تعطيه العربية صاحبها من قوة النفس ، ودربة الفكر ، لكان هذا الموضع ونحوه مجوزا عليه غير مأبوه له . وأنا أعجب من الشيخين أبوىّ على رحمهما الله [يقصد شيخه أبا على الفارسى المتوفى سنة ٣٧٠ هـ وأبا على محمد ابن عبد الوهاب الجبائى المتوفى سنة ٣٠٣ وكانا معتزليين] وقد دوّخا هذا الأمر وجوّلاه ، وامتخضاه وسقياه ، ولم يمرر واحد منهما ولا من غيرهما ــ فيما علمته به ــ على قربه وسهولة مأخذه ، ولله قطرب !

فإنه قد أحرز عندى أجرا عظيما فيما صنفه من كتابه الصغير فى الرد على الملحدين ، وعليه عقد أبو علىّ ــ رحمه الله ــ كتابه فى تفسير القرآن . وإذا قرأته سقطت عنك الشبهة فى هذا الأمر ، بإذن الله وعونه» . وإلى لقاء آخر مع درسه التربوى وخصائصه التى خدمت لسان الدين ، ورفعت منزلة العربية . . ☆

من علماء الحديث النبوى

الإمام الحافظ المؤرخ

ابو عبدالله

هو الامام الحافظ المؤرخ الكبير شمس الدين أبو عبد الله الذهبى محمد بن أحمد بن عثمان بن قيماز التركمانى الأصل الذهبى اللقب ، صاحب التصانيف السائرة فى جميع الأقطاب الاسلامية .

ولد رضى الله عنه ثالث شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وسبعين وستمائة من الهجرة وقال عنه التاج السبكى فى كتابه الطبقات : (**هو شيخنا وأستاذنا محدث العصر ، اشتمل عصرنا** على أربعة من الحفاظ ، وبينهم عموم وخصوص ، المزى ، والبرزالى ، والذهبى ، والشيخ الوالد ، لا خامس لهم فى عصرنا ، فأما أستاذنا أبو عبد الله الذهبى ، مبصر لا نظير له ، وكنز هو الملجأ إذا نزلت المعضلة ، إمام الوجود حفظا ، وذهب العصر معنى ولفظا وشيخ الجرح والتعديل ، ورجل الرجال فى كل سبيل ، كأنما جمعت له الأمة فى صعيد واحد فنظرها ، ثم أخذ يخبر عنها أخبار من حضرها ، وكان محط رحال تصببت ، ومنتهى رغبات تغيبت ، وهو الذى خرجنا فى هذه الصناعة وأدخلنا فى عداد الجماعة جزاه الله عنا أفضل الجزاء ، وجعل حظه من عرضات الجنان ، سعد بدره طالعا فى سماء العلوم ، يذعن له الكبير والصغير من الكتب ، والغالى والنازل من الأجزاء) .

طلب الحديث النبوى وهو ابن ثمانى عشرة سنة فى دمشق من الامام ابن عساكر وطبقته ، وببعلبك من الامام

شمس الدين الذهبى

● الدكتور محمد مبارك السيد ●

عبد الخالق بن علوان ، وبمصر من شيخ الاسلام ابن دقيق العيد العالم الفقيه . ولما دخل على شيخ الاسلام ابن دقيق العيد قال له : من أين جئت ؟ ـ . قال : من الشام . قال له بمن تعرف ؟ قال : بالذهبى . ثم قال له : من أبو محمد الهلالى ؟ قال : سفيان بن عيينة . قال له أحسنت . إقرأ . ومكنه من القراءة ، إذ رآه عارفا بأسماء رجال الحديث . وسمع بالاسكندرية من أبى الحسن على بن أحمد العراقى ، وسمع بمكة من التوزرى ، وبحلب من الزينى ، وبنابلس من العماد بن بدران ، وما زال يهضم هذا الفن حتى رسخت فيه قدمه وتعب الليل والنهار وما تعب لسانه وقلمه ، وضربت باسمه الأمثال وسار إسمه مسير لقبه الشمس ، إلا أنه لا يتقلص إذا نزل المطر ولا يدبر إذا أقبلت الليالى .

وأقام بدمشق يرحل إليه من سائر البلاد وتناديه السؤالات من كل ناد ، وهو بين أكنافها كنف لأهلها ، وشرف تفتخر وتزهو به الدنيا وما فيها ، طورا تراها ضاحكة عن تبسم أزهارها وقهقهة غدرانها ، وتارة تلبس ثوب الوقار والافتخار بما اشتملت عليه من أبنائها المعدود من سكانها .

كان رحمه الله تعالى له أوراد هائلة وتصانيف كثيرة مفيدة منها : تاريخ الاسلام » فى واحد وعشرين مجلدا ، وزاد فيه على ما تقدم بتحرير أخبار المحدثين خصوصا واختصره فى مختصرات كثيرة منها (سير أعلام النبلاء) ، (والعبر فى خبر من غبر) ، (وتلخيص التاريخ) ، (وطبقات الحفاظ) فى مجلدين ، (وطبقات مشاهير القراء) فى مجلد ، ومختصر آخر سماه « الدول الاسلامية » والمختصر الصغير المسمى بالاشارة والمختصر المسمى « الاعلام بوفيات الاعلام » .

كل ذلك كتب مفرعة من كتاب التاريخ المذكور . ومن مصنفاته الممتازة كتاب **(ميزان الاعتدال فى نقد الرجال)** جعله مختصا بالضعفاء الذين تكلم فيهم متكلم ، « وهو كتاب مفيد فى علم رجال الحديث النبوى » ، ويقع فى ثلاثة مجلدات . وله أيضا كتاب « الكاشف » المعروف وكتاب « المعجم الصغير » تحدث فيه عن نفسه ، « والمعجم الأوسط » تحدث فيه عن طلبة الحديث من أهل عصره ، « والمعجم الكبير » وتحدث فيه عن شيوخه وأقرانه .

وله من الكتب غير ذلك (كتاب المغنى فى الضعفاء) من رجال الحديث وهو مختصر أيضا ، وكتاب « **المقتنى فى سر الكنى** » . والتاريخ الممتع فى ستة أسفار ، والتجريد فى أسماء الصحابة ومشتبه النسبة ، واختصر كتاب أطراف الحديث للمزى ، واختصر تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ، واختصر كتاب التاريخ لابن السمعانى ، واختصر كتاب الوفيات للحافظ المزى وكتاب الوفيات للشريف النسابة ، واختصر سنن البيهقى الكبرى ، على النصف من حجمها مع المحافظة على المتون ، واختصر كتاب « **تهذيب الكمال فى**

أسماء الرجال» لشيخه الحافظ المزى وهو فى رجال الحديث، واختصر كتاب تاريخ دمشق فى عشر مجلدات، واختصر كتاب تاريخ نيسابور للحاكم ابن عبد الله. واختصر كتاب المحلى لابن حزم الظاهرى، واختصر كتاب الفاروق لشيخ الاسلام الأنصارى، وهذبه، واختصر كتاب جواز السماع لجعفر الأدفوى، واختصر كتاب الزهد للبيهقى، وكتاب القدر له وكتاب البعث له أيضا، واختصر كتاب الرد على الرافضة لابن تيمية فى مجلد. والرافضة فرقة من الفرق المنحرفة فى الاسلام، واختصر كتاب العلم لابن عبد البر، واختصر كتاب سلاح المؤمن فى الأدعية، وصنف كتاب «**الروع والأدجال فى بقاء الدجال**»، وكتاب كسر وثن رتن الهندى، وكتاب الزيادة المضطربة، وكتاب سيرة الحلاج. الصوفى الكبير، وكتاب الكبائر، وكتاب تحريم أدبار النساء كبيرة وصغيرة، وكتاب العرش، وكتاب أحاديث الصفات، وجزآن فى صفة النار، وكتاب التمسك بالسنن، وكتاب التلويح بمن سبق ولحق، ومختصر فى القراءات، وكتاب هالة البدر فى أهل بدر، وكتاب تقويم البلدان، وكتاب ترجمة السلف، وكتاب دعاء المكروب، وجزء فى صلاة التسبيح، وكتاب فى فضل الحج وأفعاله، وله عدة تصانيف أضربت عنها لكثرتها، ومعظمها مخطوط لم يطبع إلى الآن، وهى موجودة فى المكتبات الاسلامية وغيرها.

وجميع مصنفاته مقبولة مرغوب فيها، رحل الناس من أجلها وأخذوها عنه وتداولوها وقرأوها وكتبوها فى حياته وطارت فى جميع بقاع الأرض، وله فيها تعبيرات رائعة وألفاظ رشيقة غالبا لم يسلك مسلكه فيها أهل عصره ولا من قبلهم ولا من بعدهم وبالجملة فالناس فى التاريخ الاسلامى من أهل عصره فمن بعدهم عيال عليه، ولم يجمع أحد فى هذا الفن كجمعه ولا حرره كتحريره، ومصنفاته غالبها الانصاف والذب عن العلماء الأفاضل، فقد كان فقيه النفس له دراية بأقوال الناس وأحوالهم.

وقد تصدر الذهبى للتدريس بمواضع من دمشق. ومن أقواله: ـ

العلم قال الله، قال رسوله
إن صح والاجماع ماجهد فيه
وحذار من نصب الخلاف جهالة
بين الرسول وبين رأى فقيه

ومات رضى الله عنه بعد حياة حافلة بالعلم والعمل ليلة الاثنين. الثالث من ذى القعدة سنة ثمان وأربعين وسبعمائة من الهجرة بالمدرسة المنسوبة لأم صالح فى قاعة سكنه فى دمشق.

رضى الله عنه فقد كان مثلا مشرفا وقدوة لعلماء الاسلام، ما زالت آثاره باقية ينتفع بها العلماء وطلاب العلم فى كل زمان ومكان، نفعنا الله به وبعلومه ورزقنا القدوة به وبأمثاله من العلماء العاملين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

بقية مقال «الحسن بن على»

سيطلبه المعروف ثم يعود
وليس بقوال وقد حط رجله
للتمس المعروف أين يريد
اذا قصر الوعد الذى قد نمى به
الى المجد آباء له وجدود
مناديل للمولى محاشيد للقرى
وفى الروع عند النائبات أسود
اذا مات منهم سيد قام سيد
كريم فيبنى مجدهم ويشيد

٥ ـ الحسن: وقد حضر مع عمه الحسين عليه السلام فى واقعة كربلاء فقاتل معه حتى سقط جريحا ثم انقذ ورجع الى المدينة وتزوج بابنة عمه (فاطمة بنت الحسين).

وقيل توفى وعمره خمس وثلاثون سنة مسموما وقد سقاه السم الوليد بن عبد الملك.

بقية مقال «الأمام الشافعى رضى الله عنه»

وفى سبيل الحق الذى يعتقده لقى الصعاب، وألح عليه المرض وأجهده فى أيامه الأخيرة.

ودخل عليه «الربيع بن سلمان» وهو مريض، فقال له: قوى الله «ضعفك» فقال «الشافعى» لو قوى ضعفك لقتلنى فقال الربيع «والله ما أردت إلا الخير».

قال «أعلم ولكن قل قوى الله قوتك وأضعف ضعفك»

عاش «الشافعى» حياة العالم الورع الذى يضرب المثل لخلقه وسلوكه، وكان أسخى الناس بما يجد.

وكان إلى ذلك عارفا بحق علمه على نفسه.

ومات فقيرا، لم يترك شيئا يذكر.

يقول: «ما شبعت منذ ست عشرة سنة، لأن الشبع يثقل البدن، ويقسى القلب، ويجذب النوم، ويضعف صاحبه عن العبادة.

لقد ترك «الامام الشافعى» علما وافرا، وترك نموذجا من الخلق العربى الاسلامى.

وكان كما وصفه أصحابه: «عربى النفس، عربى اللسان».

المكتبة الإسلامية

قــــراءات
جـــديـــدة

فى كتب قديمة

من صور الديمقراطية فى الإسلام

فى الجزء الأول من كتاب « الامامة والسياسة » روى الامام الفقيه أبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة واضع الكتاب ما أوصى به الخليفة عمر بن الخطاب وهو على فراش الموت من سيجىء بعده إذ قال عمر رضى الله عنه أوصى الخليفة بتقوى الله العظيم وأحذره مثل مضجعى هذا وأخوفه يوما تبيض فيه وجوه وتسود وجوه : يوم تعرضون على الله لا تخفى منكم خافية ثم غطى على عمر حتى ظنوا أنه قد قضى فجعلوا ينادونه ولا يفيق من إغمائه فقال قائل إن كان شىء ينبهه فالصلاة فقالوا يا أمير المؤمنين الصلاة ففتح عينيه فقال الصلاة ها أنا ذا ولاحظ فى الاسلام لمن ترك الصلاة فصلى وجرحه يثغب دما ثم التفت إليهم وقال : قد قومت لكم الطريق فلا تعوجوه ثم التفت إلى على ابن أبى طالب فقال : لعل هؤلاء القوم يعرفون لك حقك وقرابتك وشرفك من رسول الله وما آتاك الله من العلم والفقه والدين فيستخلفونك فان وليت هذا الأمر فاتق الله يا على فيه ولا تحمل أحدا من بنى هاشم على رقاب الناس ثم التفت إلى عثمان فقال : يا عثمان لعل هؤلاء القوم يعرفون لك صهرك من رسول الله وسنك وشرفك وسابقتك فيستخلفونك فان وليت هذا الأمر فلا تحمل أحدا من بنى أمية على رقاب الناس ثم دعا صهيبا فقال : يا صهيب صل بالناس ثلاثة أيام ويجتمع هؤلاء النفر ويتشاورون بينهم أخرجوا عنى اللهم ألفهم واجمعهم على الحق ولا تردهم على أعقابهم وول أمة محمد خيرهم فخرجوا من عنده وتوفى رحمه الله تعالى من يومه ذلك ودفن وصلى عليه صهيب .

الأستاذ صبرى أبو المجد

وبعد موت عمر اجتمع القوم فحلوا فى بيت أحدهم وأحضروا عبد الله بن عباس والحسن بن على وعبد الله ابن عمر فتشاوروا ثلاثة أيام فلم يبرموا فتيلا فلما كان فى اليوم الثالث قال لهم عبد الرحمن بن عوف أتدرون أى يوم هذا يوم عزم عليكم صاحبكم أن لا تتفرقوا حتى تستخلفوا أحدكم قالوا أجل : قال فانى عارض عليكم أمرا قالوا وما تعرض قال أن تولونى امركم واهب لكم نصيبى فيها واختار لكم من انفسكم قالوا قد اعطيناك الذى سالت فلما سلم القوم قال لهم عبد الرحمن اجعلوا امركم إلى ثلاث منكم فجعل الزبير أمره إلى على وجعل طلحة أمره إلى عثمان وجعل سعد أمره إلى عبد الرحمن ابن عوف : قال المسور بن مخرمة فقال لهم عبد الرحمن كونوا مكانكم حتى آتيكم وخرج يتلقى الناس فى انقاب المدينة متلثما لا يعرف أحد فما ترك أحدا من المهاجرين والانصار وغيرهم من ضعفاء الناس ورعاعهم إلا سالهم واستشارهم اما أهل الراى فأتاهم مستشيرا وتلقى غيرهم سائلا يقول من ترى الخليفة بعد عمر ؟ . فلم يلق أحدا يستشيره ولا يسأله إلا يقول عثمان فلما رأى اتفاق الناس واجتماعهم على عثمان قال المسور جاءنى رضى الله عنه عشاء فوجدنى نائما فخرجت إليه فقال : الا أراك نائما فوالله ما اكتحلت عينى بنوم من هذه الثلاثة : ادع لى فلانا وفلانا نفرا من المهاجرين فدعوتهم له فناجاهم فى المسجد طويلا ثم قاموا من عنده فخرجوا ثم دعا عليا فناجاه طويلا ثم قام من عنده على طمع ثم قال ادع لى عثمان فدعوته

فناجاه طويلا حتى فرق بينهما إن أتت صلاة الصبح فلما صلوا جميعهم فأخذ كل واحد منهم العهد والميثاق : لئن بايعتك لتقمن لنا كتاب الله وسنة رسوله وسنة صاحبيك من قبلك فأعطاه كل واحد منهم العهد والميثاق على ذلك وأيضا لئن بايعت غيرك لترضين ولتسلمن وليكونن سيفك معى على من أبى فأعطوه ذلك من عهودهم ومواثيقهم فلما تم ذلك أخذ بيد عثمان فقال له عليك عهد الله وميثاقه لئن بايعتك لتقيمن لنا كتاب الله وسنة ورسوله وسنة صاحبيك وشرط عمر أن لا تجعل أحدا من بنى أميه على رقاب الناس فقال عثمان نعم ثم أخذ بيد على فقال له : أبايعك على شرط عمر ان لا تجعل أحدا من بنى هاشم على رقاب الناس فقال على : عند ذلك مالك ولهذا إذا قطعتها فى عنقى فان على الاجتهاد لأمة محمد حيث علمت القوة والأمانة استعنت بها كان فى بنى هاشم او غيرهم فقال عبد الرحمن لا والله حتى تعطينى هذا الشرط قال على : والله لا اعطيكه أبدا فتركه فقاموا من عنده فخرج عبد الرحمن إلى المسجد فجمع الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إنى نظرت فى امر الناس فلم ارهم يعدلون بعثمان فلا تجعل يا على سبيلا إلى نفسك فانه السيف لا غير ثم اخذ بيد عثمان فبايعه وبايع الناس جميعا قال فكان عثمان رضى الله عنه ست سنين فى ولايته وهو احب إلى الناس من عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكان عمر رجلا شديدا قد ضيق على قريش انفاسها فلم ينل احد معه من الدنيا شيئا إعظاما له وإجلالا وتاسيا به واقتداء فلما وليهم عثمان ولى رجل لين وعن عهد عثمان يقول الحسن البصرى الخير كثير وما على الأرض مؤمن يخاف مؤمنا من لقى فى أى البلدان فهو أخوه واليفه وناصره ومؤبه فلم يزل المال متوفرا حتى لقد بيعت الجارية بوزنها ورقا وبيع الفرس بعشرة آلاف دينار وبيع البعير بألف والنخلة الواحدة بالف ثم انكر الناس على عثمان أشياءا شرا وبطرا قال ابن عمر : لقد عيب على عثمان أشياء لو فعلها عمر ما عيب عليه ولما أنكر الناس على عثمان بن عفان صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فان لكل شيء آفة ولكل نعمة عاهة وإن آفة هذا الدين وعاهة هذه الملة قوم عيابون وطعانون يرونكم ما تحبون ويسرون ما تكرهون أما والله يا معشر المهاجرون والانصار لقد عبتم على أشياء وبقيتم أمورا قد أقررتم لابن الخطاب مثلها ولكنه وقمكم وقمعكم ولم يجترىء أحد يملأ بصره منه ولا يشير بطرفه إليه أما والله لأنا اكثر من ابن الخطاب عددا وأقرب ناصرا وأجدر : إلى أن قال لهم : أتفقدون من حقوقكم شيئا فما لى لا أفعل فى الفضل ما أريد فلو كنت إماما أما والله ما عاب على من عاب منكم أمرا أجهله ولا أتيت الذى أتيت إلا وأنا أعرفه قيل وقدم معاوية ابن أبى سفيان على أثر ذلك من الشام فأتى مجلسا فيه

على بن أبى طالب وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وسعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن عوف وعمار بن ياسر فقال لهم : يا معشر الصحابة اوصيكم بشيخى هذا فوالله لئن قتل بين أظهركم لأملأنها عليكم خيلا ورجالا ثم أقبل على عمار بن ياسر فقال يا عمار : إن بالشام مائة ألف فارس كل يأخذ العطا مع مثلهم من أبنائهم وعبدانهم لا يعرفون عليا ولا قرابته ولا عمارا ولا سابقته ولا الزبير ولا صحابته ولا طلحة ولا هجرته ولا يهابون ابن عوف ولا ماله ولا يقون سعدا ولا دعوته فاياك يا عمار أن تقع غدا فى فتنة تنجلى فيقال هذا قاتل عثمان وهذا قاتل على ، ويقول ابن عباس : خرجت إلى المسجد فانى لجالس فيه مع على حين صليت العصر إذ جاء رسول عثمان يدعو عليا فقال على نعم فلما أن ولى الرسول أقبل على فقال : لم تراه دعانى . . ؟ قلت له دعاك ليكلمك فقال انطلق معى فأقبلت فاذا طلحة والزبير وسعد وأناس من المهاجرين فجلسنا فاذا عثمان عليه ثوبان أبيضان فسكت القوم ونظر بعضهم إلى بعض فحمد الله عثمان ثم قال : أما بعد فان ابن عمى معاوية هذا قد كان غائبا عنكم وعن رما نلتم منى وما عاتبتكم عليه وما عاتبتمونى وقد سألنى أن يكلمكم وأن يكلمه من أراد ويتكلم عثمان ويرد عليه على بقسوة ويتحدث ابن عباس مع عثمان وتقوم ثورة بعض المهاجرين . . ويقول عثمان لمعاوية ما ترى فان هؤلاء المهاجرين قد استعجلوا القدر ولابد لهم مما فى أنفسهم فقال معاوية الرأى أن تأذن لى فأضرب أعناق هؤلاء القوم قال عثمان من ؟ قال معاوية : على وطلحة والزبير قال عثمان : سبحان الله اقتل اصحاب رسول الله بلا حدث احدثوه ولا ذنب ركبوه قال معاوية : فان لم تقتلهم فانهم سيقتلوك قال عثمان : لا اكون أول من خلف رسول الله فى امته باهراق الدماء ، قال معاوية : فاختر منى إحدى ثلاث خصال : ارتب لك ههنا اربعة آلاف فارس من خير اهل الشام يكونون لك ردءا وبين يديك يدا قال عثمان ارزقهم من أين ؟ قال معاوية : من بيت المال قال عثمان : أرزق أربعة آلاف من الجند من بيت مال المسلمين لحرز دمى لا فعلت هذا قال عثمان فثانية هذا قال معاوية فرتبهم عندك فلا يجتمع منهم إثنان فى مصر واحد واضرب عليهم البعوث والندب حتى يكون دبر بعير أحدهم أهم عليه من صلاته قال عثمان سبحان الله : شيوخ المهاجرين وكبار اصحاب رسول الله وبقية الشورى اخرجهم من ديارهم وافرق بينهم أهلهم وابنائهم لا افعل هذا قال معاوية : الثالثة اجعل لى الطلب بدمك إن قتلت قال عثمان نعم هذه لك إن قتلت فلا يطل دمى .

وصعد عثمان المنبر فحمد الله وأثنى عليه وكان من بين ما قاله : أن نصيحتى كذبتنى ونفسى نبتنى وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا تتمادوا فى الباطل فان الباطل يزداد

من الله بعدا : من أساء فليتب ومن أخطأ فليتب وأنا أول من اتعظ والله لئن ردنى الحق عبدا لاتنسبن نسب العبيد ولاكونن كالمرقوق الذى إن ملك صبر وإن اعتق شكر : ثم نزل فدخل على زوجته نائلة بنت الفرافصة ودخل معه مروان بن الحكم فقال يا أمير المؤمنين أتكلم أو أسكت فقالت له نائلة : أسكت فوالله لئن تكلمت لتفرنه ولتوبقنه فالتفت إليها عثمان مغضبا فقال أسكتى : تكلم يا مروان فقال مروان : يا أمير المؤمنين إنك والله لو قلت الذى قلت وأنت فى عز ونعمة لتابعتك ولكنك قلت الذى قلت وقد بلغ السيل الزبى وجاوز الحزام الطبيين فانقض التوبة ولا تقر بالخطيئة واجتمع ناس من أصحاب رسول الله حيث كتبوا كتابا ذكروا فيه ما خالف فيه عثمان من سنة رسول الله وسنة صاحبيه وما كان من هبته خمس أفريقه لمروان وفيه حق الله ورسوله وما كان من تطاوله فى البيان حتى عدوا سبع دور بناها بالمدينة دارا لنائلة ودارا لعائشة وغيرهما من أهله وبناته وبنيان مروان القصور بذى خشب وعمارة الأموال بها من الخمس لله ولرسوله وما كان من إفشائه العمل والولايات فى أهله وبنى عمه من بنى أمية أحداث وغلمة لا صحبة لهم من الرسول ولا تجربة لهم بالأمور وما كان من الوليد بن عقبة بالكوفة إذ صلى بها الصبح وهو أمير عليها سكران أربعة ركعات ثم قال لهم : إن شئتم أزيدكم ركعة زدتكم وتعطيلة إقامة الحد وما كان من مجاوزته الخيرزان إلى السوط وأنه أول من ضرب بالسياط ظهور الناس وإنما كان ضرب الخليفتين قبله بالدرة والخيرزان وقيل أن نفرا من بينهم عمار بن ياسر والمقداد بن الأسود وعامة آخرين كتبوا كتابا وقرروا أن يدفعوا به إلى عثمان وتسلل تسعة وهم فى طريقهم إلى دار عثمان وبقى عمار وحده فمضى حتى جاء دار عثمان فاستأذن عليه فأذن له فى يوم شات فدخل عليه وعنده مروان ابن الحكم وأهله من بنى أمية فدفع إليه الكتاب فقال له أنت كتبت هذا الكتاب قال نعم قال من كان معك ؟ قال : نفر تفرقوا فرقا منك قال ومن هم قال لا أخبرك بهم قال : فلم اجترأت على بينهم **فقال مروان : يا أمير المؤمنين إن هذا العبد الأسود (يعنى عمارا) قد جرأ عليك الناس وإنك إن قتلته نكلت به من وراءه قال عثمان اضربوه فضربوه وضربه عثمان معهم حتى فتقوا بطنه فغشى عليه فجروه حتى طرحوه على باب الدار فأمرت به أم سلمة زوج النبى ﷺ فأدخل منزلها وغضب فيه بنو المغيرة وكان حليفهم فلما خرج عثمان لصلاة الظهر عرض له هشام ابن الوليد بن المغيرة فقال : أما والله لئن مات عمار من ضربه هذا لاقتلن به رجلا عظيما من بنى أمية فقال عثمان لست هناك وخرج عثمان إلى المسجد فاذا هو بعلى هو وشاب معصوب الرأس فقال عثمان والله يا أبا الحسن ما أدرى أشتهى موتك أم أشتهى حياتك فوالله لئن مت ما أحب أن أبقى بعدك لغيرك لأنى لا أجد منك**

حلفا ولئن بقيت لا أعدم طاغية يتخذك سلما وعضد وبعدك كهفا لا يمنعنى منه إلا مكانه منك ومكانك منه فانـ منك كالابن العاق من الله إن مات فجعه وإن عاش عقـ فاما سلم فتسالم واما حرب فنحارب فلا تجعلنى بين السماء والأرض فانك والله إن قتلتنى لا تجد منى خلفـ ولئن قتلتك لا أجد منك خلفا ولن يلى أمر هذه الأمـ بادىء فتنه ولم يقل على إلا أنه مشغول بوجعه ولا يو إلا قوله أنا أقول كما قال العبد الصالح فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون وقال مروان : أنا والله إذ لنكسرن رماحنا ولنقطعن سيوفنا ولا يكون فى هذا الأمر خير لمن بعدنا ويقول له عثمان : أسكت ما أنت وهـذ وقام رجل من المهاجرين فقال يا عثمان : أرأيت ما حميت من الحمى الله أذن لكم أم على الله تفترون فقال عثمـان أنه قد حمى الحمى قبلى عمر لابل الصدقة وإنما زادت الشام فقام عمرو بن العاص فقال : يا عثمان إنك ركبت بالناس تهابير من الأمر فتب إلى الله يتوبوا فرفع عثمان يديه وقال توبوا إلى الله من كل ذنب اللهم إنى أول مـ تاب إليك ويستمر الحوار بين عثمان ومن فى المسجد ثـ يقول عثمان أخيرا استعفر الله واتوب إليه : يا أهـ المدينة من كان له منكم ضرع فليلحق بضرعه ومن كان لـ زرع فليلحق بزرعه فانا والله لا نعطى مال الله إلا لمن غز فى سبيله إلا من كان من هذه الشيوخ من الصحابة وقيل لعثمان : فما بال هذا القاعد الشارب لا تقيم عليه الحـ (يعنى الوليد بن عقبة) فقال عثمان لعلى دونك ابن عمك فاقم عليه الحد فقال على للحسن قم فاجلده.

فقال الحسن ما أنت وذاك هذا لغيرك قال على : ولكنك عجزت وفشلت يا عبد الله بن جعفر قم فاجلده فقام فضربه وعلى يعد فلما بلغ أربعين امسك وقال : جلد رسول الله ﷺ أربعين وأبو بكر أربعين وكملها عمر ثمانين وكل سنة.

وقيل أنه لما اشتد الطعن على عثمان استأذنه على فى بعض بواديه ينتحى إليها فأذن له عثمان واشتد الطعن على عثمان بعد خروج على وكتب عثمان إلى على : أما بعد فقد بلغ السيل الزبى وجاوز الحزام الطبيين وارتفع أمر الناس فى شأنى فوق قدره وزعموا أنهم لا يرضون دون دمى وطمع فى من لا يدفع عن نفسه.

وانك لم يفخر عليك كفاخر
ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

وقد كان يقال أكل السبع خير من افتراس الثعلب فاقبل على أولى :

فان كنت ماكولا فكن خير آكل
وإلا فادركنى ولما أمزق ..

ويرسل عثمان إلى حويطب بن عبد العزى عندما اشتد عليه الحصار لكى يذهب إلى على وطلحة والزبير قائلا لهم : هذا امركم قولوه واصنعوا فيه ما شئتم ويقول

البقية ص ٢٣٠

صفحات من التراث

فى أدب النفس لأبى الحسن البصرى فى كتاب الدنيا والدين

دراسة وتحليل الأستاذ مصطفى كامل خطاب

« تحدثت فى مقالين عن النفس البشرية بين العقل والهوى من كتاب (أدب الدنيا والدين) أحد مصنفات الماوردى القيمة ، التى تعد من أعظم كتب التراث العربى سواء فى خطورة القضايا التى تصدى لها ، أو المنهج العلمى السليم الذى اتبعه ، أو الأسلوب الأدبى والبلاغى الرفيع الذى بسط به الأفكار والآراء ، مقارنا ما طرحه من دراسات ممتعة ـ فى هذا المجال ـ ببعض ما عالجه به غيره من علمائنا القدامى والمحدثين ، استكمالا للصورة ، وتعميما للفائدة ، وخاصة فى بعض المواقع التى اقتضب فيها الماوردى الحديث ، واختصر الكلام .

وكنت قد عزمت على أن أكتفى بهذين المقالين ، ظنا منى أنهما كافيان لتنبيه الأذهان إلى ما يضمه هذا الكتاب من مباحث هامة ، يجب أن يعكف الدارسون على تحليلها والافادة منها ، ولكننى عندما رجعت فى بعض شأنى إلى باب (أدب النفس) راقنى ما طالعته فيه من عمق الفكرة وسلامة النظرة ، وهزنى ما يزخر به من حكيم العظة والعبرة ، التى لا يمر عليها العاقل مرور الغافلين ، ولا يرغب عنها إلا من كان عازفا عن التزود بأسمى ما ينفعه من آداب ـ الدنيا والدين .

وقد فصل الماوردى فى هذا الباب الحديث تفصيلا أغنانى فى أكثر الأحيان عن الدراسة المقارنة ، والتزم الدقة فى تقسيماته ، وإن لاحظت تداخلا وخلطا فى بعض جوانب البحث عالجتهما بما رأيت أنه يزيد الأمر ايضاحا دون خروج عن الغرض أو بعد عن الهدف ، والله من وراء القصد .

١ ـ النفس بين العقل والأخلاق :

يقول الماوردى إن النفس مجبولة على شيم مهملة ، وأخلاق مرسلة ، لا يستغنى محمودها عن التأديب ولا يكفى بالمرضى منها عن التهذيب ، لأن لمحمودها أضدادا مقابلة يشدها هوى مطاوع وشهورة غالبة فان أغفل تأديبها تفويضا الى العقل أو توكلا على أن تنقاد الى الأحسن بالطبع ، أعدمه التفويض درك المجتهدين ، وأعقبه التوكل ندم الخائبين ، فصار من الأدب عاطلا وفى صورة الجهل داخلا .

وعلل الماوردى ما انتهى اليه بقضية منطقية لا تقبل الجدل وهى أن الأدب

مكتسب بالتجربة ومستحسن بالعادة التى تواضع عليها الناس ، ولابد من ذلك من أعمال العقل والتدريب والمعاناة ، وساق دليلا على صدق نظره وهو أنه لو كان العقل مغنيا عن الأدب «لكان أنبياء الله تعالى عن أدبه مستغنين ، وبعقولهم مكتفين» .

وهنا يحضرنى قول رسول الله ﷺ «أدبنى ربى فأحسن تأديبى» تحقيقا لقوله تعالى : «وانك لعلى خلق عظيم» ويلاحظ الباحث أن الله لم ينعت أنبياءه بأنهم أعقل العقلاء - وإن كان ذلك مستفادا من سر اختياره سبحانه وتعالى لهم كى يحملوا رسالته الى الناس - ولكنه نفى عنهم كثير من المواضع الجنون والسفه ، ومفهوم المخالفة أنهم أصحاب عقول راجحة الى جانب ما عرفوا به من خلق رفيع وأدب مطبوع .

وحتى يبين الماوردى مدى العلاقة الوطيدة والرباط المتين بين العقل والأخلاق شبه العالم الشريف فى علمه القديم الأدب كالبنيان الخراب الذى كلما ارتفع سمكه زادت وحشته ، وكالنهر اليابس الذى كلما كان اعرض وأعمق ، كان أشد وعورة ، وبالأرض الجيدة المعطلة اذا طال اهمالها ازداد نباتها غير النافع التفافا وصار للهوام مسلكا وملاذا ، وكأنه هنا يشير إلى أن العقل الذكى الذى لا يسنده الخلق الطيب قد يكون ناتجه الشر والبلاء .

وما أروع ما خاطب به أعرابى قديم ابنه قائلا : «الادب دعامة أيد الله بها الألباب ، وحلية زين الله بها عواطل الأحساب ، فالعاقل لا يستغنى وان صحت غريزته عن الأدب المخرج زهرته ، كما لا تستغنى الارض - وان عنبت تربتها عن الماء المخرج ثمرتها «حتى ان بعض العلماء وصف العلاقة بين العقل والأدب بأن الأدب صورة العقل فصور عقلك كيف شئت ، كما قيل أن الفضل بالعقل والأدب بالأصل والحسب ، لأن من ساء أدبه ، ضاع نسبه ، ومن قل عقله ضل أصله ، وأن الأدب وسيلة الى كل فضيلة ، وذريعة الى كل شريعة وما أروع قول الشاعر :

فما خلق الله مثل العقول
ولا اكتسب الناس مثل الادب

ويقول الأصمعى :

وإن يك العقل مولودا فلست أرى
ذا العقل مستغنيا عن حادث الأدب
إنى رأيتهما كالماء مختلطا
بالترب تظهر منه زهرة العشب
وكل من أخطأ فى موالده
غريزة العقل حاكى البهم فى الحسب

٢ - لزوم تأديب النفس :

أشار الماوردى الى أن تأديب النفس يلزم من وجهين : أولهما تأديب الوالد ولده ، والثانى تأديب الانسان نفسه فى نشأته وكبره .

وعندى أن تأديب الأب لابنه حداه حق الابن على أبيه وفرض الوالد لبنيه ، وذلك مستفاد من الكتاب والسنة واقوال العلماء ... يقول تعالى فى محكم آياته «واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ...» الى آخر هذه الآيات الكريمة ، كما ان مفهوم قوله تعالى «وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا ...» تخريج قاطع بان على الأب أن يربى ابنه ومفهوم ذلك وجوبا ليس قاصرا على التربية المادية فى تنمية الجسم بالمأكل والمشرب ، فالحيوانات ترعى صغارها من هذا السبيل ، بل الملحوظ هو التربية الروحية والخلقية وهى أهم وألزم .

وقبل أن نناقش آراء الماوردى فى هذا الوجه ، أود أن أضيف أمرا قد يغيب عن البال ، وهو أن الابن الذى يأنس من نفسه العلم وسداد الفكر ، ويجد من أبيه جنوحا الى الغواية والضلال - يلزمه إرشاد أبيه الى ما فيه الخير والصلاح ، وأظهر مثل على ذلك قوله تعالى فى سورة مريم على لسان ابراهيم عليه السلام : **«يا أبت إنى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا» .**

وأعود الى الماوردى الذى يقول إن التأديب اللازم للأب على ولده أن يأخذه بمبادىء الآداب صغيراً ليأنس بها ، وينشأ عليها ، فيسهل عليه قبولها عند الكبر ، لاستئناسه بها فى الصغر ، لان نشأة الصغير على الشىء تجعله متطبعا به ، ومن أغفل فى الصغر كان تأديبه فى الكبر عسيرا .

ويحضرنى فى هذا المقام قول البوصيرى فى بردة المديح :

والنفس كالطفل ان تهمله شب على
حب الرضاع وان تفطمه ينفطم

وساق قول رسول الله ﷺ : «ما نحل والد ولده نحلة افضل من أدب حسن ما يفيده اياه ، أو جهل قبيح يكفه عنه ويمنعه» وقول بعض الحكماء بادروا بتأديب الأطفال ، قبل تراكم الاشغال وتفرق البال .

وقول الشاعر العربى :

أن الغصون اذا قومتها اعتدلت
ولا يلين إذا قومته الخشب
قد ينفع الأدب الأحداث فى صغر
وليس ينفع عند الشيبة الادب

وقد لاحظت أن الماوردى قصر حديثه ، فى هذا الوجه على التأديب فى الصغر ، ومع اننى لا أنكر الأثر الفعال الذى يحدثه التأديب بواكير العمر ، فاننى أرى أن الغرض قائم حتى ولو قامت بالابن السن فقد قال تعالى على لسان يعقوب عليه السلام حين

حضره الموت لبنيه : « ما تعبدون من بعدى ..... » يريد أن يمتحنهم ويطمئن الى إيمانهم ، وهذا نوع من التأديب – مع انهم كانوا فى ذلك الوقت قد بلغوا سن الكهولة ، ولم يمنعه من هذا الغرض أحرج مواقف الانسان وهو ساعة الاحتضار .

وقد طالعت فى كتاب إحياء علوم الدين للغزالى أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال « ان نوحا عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا ابنيه وقال انى آمركما باثنتين وانهاكما عن اثنتين ، انهاكما عن الشرك والكبر وآمركما بلا اله الا الله ... وآمركما بسبحان الله وبحمده ، فانها صلاة كل شىء ... » وهذا دليل آخر على أن فرض التأديب على الأب لأبنائه ، قائم طالما كان الأب قادرا على الفعل والنطق ومهما كان عمر الابن .

٢ – العرف والاخلاق :–

يقسم الماوردى الوجه الثانى للتأديب للانسان عند نشأته الى ادبين / أدب مواضعة واصطلاح ، وأدب رياضة واستصلاح .

وسنقصر دراستنا فى هذا المقال ، على أدب المواضعة والاصطلاح ، ونفرد مقالات أخرى باذن الله تعالى – للحديث عن أدب الرياضة والاستصلاح ، حتى نوفى الموضوع حقه من الدراسة والتحليل .

يشرح الماوردى معنى أدب المواضعة والاصطلاح ، بانه يؤخذ تقليدا على ما استقر عليه اصطلاح العقلاء ، واتفق عليه استحسان الأدباء ، وليس لاصطلاحهم على وضعه تعليل مستنبط ، ولا لاتفاقهم على استحسانه دليل موجب ، كاصطلاحهم على مواضعات الخطاب ، واتفاقهم على هيئات اللباس حتى أن الانسان اذا تجاوز ما اتفقوا عليه منها ، صار مجانبا للأدب ، مستوجبا للذم ، لأن فراق المألوف فى العادة ، ومجانبة ما صار متفقا عليه بالمواضعة ، يفضى الى استحقاق الذم بالعقل ، ما لم يكن لمخالفته علة ظاهرة ومعنى حادث ، وقد كان جائزا فى العقل ان يوضع ذلك على غير ما اتفقوا عليه ، فيرونه حسنا ، ويرون ما سواه سيئا ، فصار هذا مشاركا لما وجب بالعقل من حيث توجه الذم على تاركه ، ومخالفة له من حيث أنه كان جائزا فى العقل أن يوضع على خلافه .

واذا كان الماوردى قد أغرق فى المنطق ، وهو يبسط وجهة نظره فى حقيقة ادب المواضعة والاصطلاح لكى يقنع به ، فقد جره ذلك الى التجريد المفضى الى تقديس العرف كأهم صور التأديب اللازم للانسان وكحد الأخلاق التى يجب أن تأخذ بها النفس ، فالمواضعة عنده ما تواضع عليه النّاس من عادات وتقاليد اجتماعية تشكل قيما سلوكية ، وتفرض أنماطا للتصرف فى علاقاتهم العامة والانسانية ، وفى خروجهم عليها إساءة واستحقاق للذم والتقريع ، فان ذلك التجريد يتناقض مع ما أقربه هو نفسه ، من أن هذه الأنماط من السلوك والتصرف ، ما قد لا يمكن تعليلها عقلا ، وإن كان جائزا فى العقل أن يخالفها الانسان ولكن هذه المخالفة يجب أن تبنى على علة واضحة معقولة ، وسبب جديد يبرر ذلك .

وأننى أرى ببساطة ودون انسياق وراء التعقيدات المنطقية أو التفريعات الفلسفية ، أن العرف ربما اعتبر صورة من صور الأخلاق العامة ، التى ترى – فى حقبة ما – على مجتمع يضم العديد من الأفراد له ظروفه وأوضاعه ، وقد يضطر الانسان الى الانصياع لحكم هذه الأعراف والتقاليد ، والانقياد الى الأخذ بهذه الأنماط والسلوكيات ، إما خوفا من الذم واللوم ، أو تجنبا للنقد والتوبيخ ، دون قناعة أو ايمان بما تمثله من مبادىء ، أو تدل عليه من مفاهيم ، وحد ذلك الجبن أو النفاق ، مما يباعد بيننا وبين معنى الأخلاق ومضمون الأدب .

اننا هنا بصدد تأديب النفس ، وأول ما يجب أن يأخذ الانسان به نفسه أن يلتزم بما يأمر به العقل قبل كل شىء ، وقد رأينا عند الحديث عن علاقة العقل بالأخلاق أن الأدب صورة العقل ووعاؤه ، فكيف يمكن التوفيق بين هذه المعانى ، وبعض الأعراف ، لا يقوم على وضعها تعليل مستنبط ولا للاتفاق على استحسانها دليل موجب من العقل ، فضلا عن أن بعض هذه التقاليد قد كان جائزا فى العقل أن يوضع على غير ما اتفق الناس عليه ، وقمة التناقض ، أن يقال بعد ذلك ان ادب المواضعة والاصطلاح يؤخذ تقليدا على ما استقر عليه اتفاق العقلاء ... « بل ان التناقض يزداد حين يقول الماوردى أنه يمكن مخالفة العرف والتقليد ، ولكن فى حالة وجود سبب ظاهر أو معنى حادث ... » .

وعندى أن المنطق الذى جعله الماوردى مطيعة للاقناع بمذهبه ، يقضى بوجوب الأخذ بما يستحسنه العقل ، واسقاط ما لا يستسيغه ولا مجال هنا للأعذار فى المخالفة ، عند ظهور علة أو قيام سبب جديد فالعقل يعرف الخير المطلق ، والأخلاق من الخير ، الذى لا يتجزأ ولا يتغير بتغير العلل والأسباب .

والمنطق هو أن الأدب والأخلاق هى مصدر الأفعال ، وليست الافعال ذاتها ، كما نفهم من تخريج الماوردى الذى يحصر معنى الأخلاق فى فعل ما تواضع الناس عليه .

يؤيد هذا النظر ما طالعته فى كتاب احياء علوم الدين للامام الغزالى من باب حسن الخلق وسوء الخلق أن الأخلاق هيئة فى النفس راسخة ، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى روية أو فكر ، فان كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلا

وشرعا، سميت تلك الهيئة أخلاقا حسنة، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة، سميت الهيئة التى هى المصدر خلقا سيئا.

وأضيف الى ذلك أننا إذا اعتبرنا العرف المتبع للأخلاق والأدب، فإن محاولات الاصلاح والتغيير تجافى هذه المعادلة، وتغاير طبيعة التقدم وسنة التطور، وفى ذلك يقول الغزالى أنه لو كانت الأخلاق لا تقبل التغيير، لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات، ولما قال رسول الله ﷺ «حسنوا اخلاقكم» ويحضرنى قوله عليه الصلاة والسلام فى ذلك «انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» ولكان قول الكافرين والمعاندين لرسالات السماء التى جاءت للهداية والارشاد» هذا ما وجدنا عليه أباءنا» سليما متفقا مع المذهب القائل بأن اتباع العرف هو الأدب والأخلاق.

ويسوق الغزالى دليلا على لزوم الاخلاق بتساؤله الآتى: كيف ينكر هذا فى حق الآدمى وتغيير خلق البهيمة ممكن، اذ ينتقل البازى من الاستيحاش الى الانس، والكلب من شره الاكل الى التأديب والامساك والتخليه، والفرس من الجماح الى السلاسة والانقياد، وكل ذلك تغيير للاخلاق.

٤ - صورة من أدب المواضعة والاضطلاع

يمضى الماوردى فى دراسته لأدب المواضعة والاضطلاع فيرى أنه يتفرع الى ضربين أحدهما ما تكون المواضعة فى فروعه والعقل موجب لاصوله والثانى ما تكون المواضعة فى فروعه وأصوله، وهو على ثمانية صور نكتفى فى هذا المقام بدراسة أولها عن الصمت والكلام، تاركين للقارىء الكريم لذة الاستمتاع بالرجوع فى الصور الأخرى الى هذا السفر القيم، وما يضيمه بين دفتيه من روائع وابداع...

وأحب أن أوجه عناية القارىء العزيز الى أن الغزالى قد تصدى لهذا الموضوع باسهاب، تحت عنوان «آفات اللسان» وأورد منها عشرين آفة، حللها من عدة جوانب، وساق على كل منها الأدلة والبراهين فى اسلوب واضح، وعبارة أخاذة، وما كان احرانى فى هذا المجال، باجراء المقارنة بين الماوردى وبينه، لولا خشية الاطالة، وقد تسنح فرصة فى تضاعيف ما بقى من هذا الحديث، للالماح الى بعض مباحث الغزالى فى هذا الباب.

ولأمانة العرض، أقول اذا كان الغزالى قد عالج الموضوع فى عبارة مرسلة وإن كانت غنية بالاستشهاد والتعليل، فان الماوردى كان فى علاجه لهذه الصورة واضح التقسيم، علمى المنهج مما ييسر الفهم ويوطىء سبيل الاستيعاب.

يقول الماوردى ان اللسان آلة الكلام، والكلام ترجمان يعبر عن مستودعات الضمائر، ويخبر بمكنونات السرائر، والكلام لا يمكن استرجاع بوادره، ولا يستطاع رد شوارده، فحق على العاقل أن يحترز من زلله بالامساك عنه، أو بالاقلال منه، مصداقا لقول رسول الله ﷺ «رحم الله من قال خيرا فغنم، أو سكت فسلم» وقول على كرم الله وجهه «اللسان معيار أطاشه الجهل، وأرجمه العقل» وقول بعض البلغاء الزم الصمت فانه يكسبك صفو المحبة يؤمنك سوء المغبة، ويلبسك ثوب الوقار، ويكفيك مؤنة الاعتذار.

وما أبدع ما صور به الغزالى اللسان فى قوله انه نعم الله العظيمة ولطائف صنعته الغريبة، فانه صغير جرمه، عظيم فى طاعته وجرمه لأن كل ما يتناوله العلم يعرب عنه اللسان، ولا شىء الا والعلم متناول له، وهذه خاصية يتميز بها عن سائر الأعضاء، فالعين لا تصل إلا للصور والألوان، واليد لا تصل إلا الى الأجسام، ولكن اللسان رحب الميدان، ليس له مرد، ولا لمجاله منتهى وحد، فخطره عظيم ولا نجاة من هذا الخطر إلا بالصمت، يصور أهمية اللسان قول الشاعر:

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده
فلم يبق الا العظم واللحم

ويحدد الماوردى شروطا أربعة لا يسلم المتكلم من الزلل إلا بمراعاتها ولا يعرى من النقص إلا بعد أن يستوفيها هى:

أولا: أن يكون الكلام لداع يدعو اليه اجتلابا لنفع أو دفعا لضرر، والكلام الذى لا داعى له هذيان، وما لا سبب له فهو هجر، والسكوت عنه أسلم، وقد حكى أن شابا اعتاد مجالسة الأحنف صامتا، فلما خلت الجلسة يوما قال له تكلم، فقال له الشاب أرأيت لو أن رجلا سقط من شرف هذا المسجد، هل كان يضره شىء، فقال الأحنف، ليتناثر كتمال مستورا، وأمثال هذا الشاب أبانوا بالكلام عن جهلهم، ولو صدر عن روية ودعا اليه داع، لسلموا من شينه، وبرئوا من عيبه.

ولذلك قال رسول الله ﷺ لسان العاقل من وراء قلبه، فاذا أراد الكلام رجع الى قلبه فان كان له تكلم وإن كان عليه أمسك، وقلب الجاهل من وراء لسانه، يتكلم لكل ما عرض له، وقال بعض الحكماء أن عقل المرء مخبوء تحت لسانه، وترجم ذلك أبو تمام نظما.

ومما كانت الحكماء قالت
لسان المرء من تبع الفؤاد

ثانيا: أن يأتى الكلام فى موضعه، فالكلام فى غير حينه لا يقع موقع الانتفاع به، فان قدم ما يقتضى التأخير كان عجلة، وأن أخر ما يقتضى التقديم، كان توانيا وعجزا، لأن لكل

مقام قولا، وفى كل زمان عملا، مصداقا لقول الشاعر:

تصنع الحديث على مواضعه
وكلامها من بعدها نذر

ثالثا: أن يكون الكلام على قدر الحاجة، فان الكلام إن لم ينحصر فى الحاجة، ولم يقدر بالكفاية، لم يكن لحده غاية، ولا لقدره نهاية، وما لم يكن من الكلام محصورا كان إما حصرا ان قصر، أو هذرا ان كثر قال تعالى «لا خير فى كثير من نجواهم».

وحكى أن أعرابيا أطال الكلام أمام رسول الله ﷺ، فقال النبى - كم دون لسانك من حجاب فقال الأعرابى شفتاى وأسنانى، قال فان الله عز وجل يكره الانبعاق فى الكلام، فنضر الله وجه امرىء أوجز فى كلامه، فاقتصر على حاجته، وقال ابن منصور انذركم فضول المنطق وقال الشاعر:

وزن الكلام اذا نطقت فانما
يبدى عيوب ذى العيوب المنطق

وحد قدر الحاجة فى الكلام أمر ان تقصير يكون حصراً أو تكثير يكون هذرا وكلاهما شين وأن كان الهذر أبشع وقد قال الرسول ﷺ وهل يكب الناس على وجوههم فى نار جهنم إلا حصاد السنتهم «وقيل أن مقتل الرجل بين فكيه ورب السنة كالسيوف تقطع أعناق اصحابها.

وذهب البعض الى أن الكلام إذا زاد عن الحاجة وكان صوابا كله فهو البيان والسحر الحلال وقيل:

تكلم وسدد ما استطعت فانما
كلامك حى والسكوت جماد
فان لم تجد قولا سديدا تقوله
فصمتك عن غير السداد سداد

وقيل لاياس بن معاوية ما فيك عيب إلا كثرة الكلام، فقال افتسمعون صوابا أم خطأ قالوا بل صوابا قال فالزيادة من الخير خير.

أما الجاحظ فيقول للكلام غاية، ولنشاط السامعين نهاية، وما فضل عن الاحتمال، ودعا الى الاستثقال والملال، فذلك الفاضل هو الهذر، لأن الاكثار منه مهما كان صوابا يبعث على ملل السامع، ويتسبب فى كلال الخاطر، وسأل رجل حكيما قائلا متى أتكلم قال - اذا اشتهيت الصمت، فقال ومتى أصمت فقال اذا اشتهيت الكلام.

وما أرق قول جعفر بن يحيى «اذا كان الايجاز كافيا، كان الاكثار عيبا، وإن كان الاكثار واجبا كان التقصير عجزا وهذا أوضح بيان عن حد الكلام على قدر الحاجة...

رابعا: وجوب اختيار اللفظ، فاللسان عنوان الانسان يترجم عن مجهوله، ويبرهن عن محصوله، فيلزم أن يكون بتهذيب لفظه حريا، وبتقويم لسانه مليا.

وقال رسول الله ﷺ لعمه العباس يعجبنى جمالك قال وما جمال الرجل يا رسول الله قال لسانه، وقيل يستدل على عقل الرجل بقوله وعلى أصله بعقله، وليس يصح الكلام إلا من أخذ نفسه بالبلاغة وهى أن تكون المعانى الصحيحة مستوعبة فى الألفاظ الفصيحة والاجماع على أن فصاحة الالفاظ مع صحه المعانى هى البلاغة.

ولا تصح المعانى إلا من ثلاثة وجوه هى ايضاح التفسير حتى لا تكون مشكلة ولا مجملة، واستيفاء التقسيم حتى لا يدخل فى الكلام ما ليس فيه ولا يخرج منه ما هو فيه، وصحة مقابلة الألفاظ وعدة الموافقة فى الائتلاف والمضادة مع الاختلاف.

أما فصاحة الألفاظ ففيها ثلاثة أوجه أيضا هى مجانبة الغريب الوحشى منها وتنكب اللفظ المبتذل حتى لا يسقطه الخاصة، ولا ينبو عن فهمه العامة والتناسب والتطابق بين اللفظ والمعنى لأن الألفاظ قوالب المعانى، وذلك من علوم البلاغة ولا مجال هنا للاسترسال فيه حتى لا يتشعب الحديث الى غير مقصده.

٥ - آداب الكلام وقواعد الأمثال:

يقول الماوردى أن للكلام آدابا أن أغفلها المتكلم أذهب رونق كلامه وطمس بهجة بيانه، ولها الناس عن محاسن فضله بمساءات أدبه ويرى أن آداب الكلام لها عدة أوجه منها.

(أ) الا يتجاوز فى مدح ولا يسرف فى ذم وان كانت النزاهة عن الذم كرما والتجاوز فى المدح ملقا وقد قيل أن السلامة من الكذب فى المدح والذم متعذرة، خصوصا إذا مدح تقربا وذم تحنقا، حتى أن الأحنف قال أننى سهرت ليلتى أفكر فى كلمة أرضى بها سلطانى ولا أسخط بها ربى فما وجدتها.

(ب) ألا تبعث الرغبة والرهبة على الاسترسال فى وعد أو وعيد يعجز عنهما ولا يقدر على الوفاء بهما.

ويحضرنى فى هذا المقام قول الله عز وجل «يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون، كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون» وقال البوصيرى:

استغفر الله من قول بلا عمل
لقد نسبت به نسلا لذى عقم

(ج) أن يراعى المتكلم مخارج كلامه بحسب مقاصده واغراضه فان كان ترغيبا قرنه باللين واللطف وان كان ترهيبا خلطه بالخشونة والعنف وفى كتاب الله وسنة رسوله الأمثلة العديدة على ذلك قال تعالى ترغيبا فى التوبة «قل يا عبادى الذين أسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم»

(د) أن يتجنب هجر القول ويتجافى متبذل الكلام مصداقا لقوله تعالى «واذا مروا باللغو مروا كراما» ولا يسمح لنفسه بسماع الفحش وأن يكف قائله حتى يشيع وقال الشاعر فى ذلك.

تحر من الطرق أوساطها
وعد عن الموضع المشتبه
وسمعك صن عن قبيح الكلام
كصون اللسان عن النطق به
فانك عند استماع القبيح
شريك لقائله فانتبه

ومما يجرى مجرى الفحش من القول ما كان العهد به مستنكر الظاهر وإن كان عقب التأمل سليما وبعد الكشف والروية مستقيما.

(هـ) أن يجتنب الاستشهاد بأمثال العامة يتخصص بأمثال العلماء والأدباء لأن لكل صنف من الناس أمثالهم، فلا تجد للساقط إلا مثلا ساقطا وتشبيها مستقبحا كقول الصنوبرى:

اذا كنت ذابول صحيح
الا فاضرب به وجه الطبيب

فالامثال هواجس الهمم وطرات النفوس وليس لذى الهمة الساقطة الأمثل مرذول وتشبيه معلول كما أن الامثال مستخرجة من أحوال المتمثلين بها فبحسب ما هم عليه تكون أمثالهم، وبذلك يقع الفرق بين أمثال الخاصة وامثال العامة.

وتبدو قيمة الأمثال فى أن لها موقعا فى الأسماع وتأثيرا فى القلوب لا يكاد الكلام المرسل يبلغ مبلغها لأن المعانى بها لائحة والشواهد بها واضحة والنفوس بها وامقة والقلوب بها واثقة والعقول بها موافقة، ولذلك ضرب الله الأمثال فى كتابه العزيز وجعلها من دلائل رسله وأوضح بها الحجة على خلقه وشروط صحتها أربعة..

اولها صحة التشبيه الثانى أن يكون العلم بها سابقا والكل لها موافقا والثالث وصولها للفهم بسرعة ودون كد الذهن والرابع أن تناسب حال السامع لتكون أبلغ تأثيرا وأحسن موقعا فاذا اجتمعت هذه الشروط فى الأمثال كانت زينة الأقوال وحرى بنا أن نسوق أمثالا من كتاب الله الكريم تطبيقا لما نقول وتأكيدا بأن ما خرجناه هو المعقول:

قال تعالى «والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب»

وقال «مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا» وقال «ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء» وقال تعالى «مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبه والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم» صدق الله العظيم.

وفقنا الله وإياكم الى ما فيه خير الدنيا وسعادة الآخرة والى عدد قادم مع أدب النفس باذن الله.

بقية مقال [قراءات جديدة فى كتب قديمة]

حويطب جئت عليا فوجدت على بابه مثل الجبال من الناس والباب مغلق لا يدخل عليه احد ثم انصرفت فاتيت الزبير فوجدته فى منزله ليس ببابه احد فاخبرته بما ارسلنى به عثمان فقال قد والله قضى ما عليه امير المؤمنين هل جئت عليا قلت نعم فلم اخلص إليه جميعا فاتينا طلحة بن عبيد الله فوجدناه فى داره وعنده ابنه

محمد فقصصنا عليه ما قال عثمان فقال قد والله قضى ما عليه امير المؤمنين ويبعث عثمان مع نافع بن طريف رسالة إلى اهل مكة يقول فيها: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عثمان امير المؤمنين إلى من حضر الحج من المسلمين اما بعد فانى كتبت إليكم كتابى هذا وانا محصور أشرب من بئر القصر ولا آكل من الطعام ما يكفينى خيفة ان تنفد ذخيرتى فاموت جوعا انا ومن معى لا ادعى إلى توبة اقبلها ولا تسمح منى حجة اقولها فانشد الله رجلا من المسلمين بلغة كتابى إلا قدم على فاخذ الحق فى ومنعنى من الظلم والباطل وكتب عثمان إلى اهل دمشق خاصة وإلى اهل الشام عامة اما بعد فانى فى قوم طال فيهم مقامى واستعجلوا القدر فى وقد خيرونى بين أن يحملونى على شارف من الابل الدحيل وبين أن أنزع لهم رداء الله الذى كسانى وبين أن أقيدهم ممن قتلت ومن كان على سلطان يخطىء ويصيب فياغوثاه فياغوثاه: ولا أمير عليكم دونى فالعجل، العجل يا معاوية وأدرك ثم أدرك وما أراك تدرك.

أضواء على كتاب

المقرر على طلبة الثانوية العامة

الأستاذ محمد عبده قناوى

إن تدريس كتاب (الشيخان) الذى ألفه عميد الأدب العربى المرحوم الدكتور طه حسين لاخوتنا طلاب وطالبات الثانوية العامة عمل عظيم مثمر : فعن طريقه نضع أمام شبابنا - رجال المستقبل - صورة مشرقة للمسلمين الأوائل الذين ساروا مسلمين بالايمان وعلى هدى رسولنا الكريم فصنعوا أروع المعجزات التى تعجز عن تحقيقها فى عصرنا هذا أعظم الدول تقدما ومدنية .

ونضع من ناحية أخرى أمامكم مثالا رائعا للأساليب الرفيعة الجميلة التى تجمع بين حسن التعبير وروعته وسهولته الممتنعة أعنى ذلك الأسلوب الذى تميز به الدكتور طه حسين رحمه الله فيستفيدون ويستمتعون أعظم المتعة .

وإننا على صفحات (مجلة منبر الاسلام) نقدم أضواء على فصول هذا الكتاب بطريقة تربوية ليهتدى بها طلاب وطالبات الثانوية العامة فى دراستهم له ونرجو أن يوفقنا الله فى تحقيق هذه الغاية .

مقدمة الكتاب

يقدم الكاتب لهذا الكتاب العظيم بمقدمة يوضح فيها ما دفعه إلى تأليفه ، وما سيسلكه من منهج فى هذا التأليف ، وما يهدف إليه من وراء ذلك الكتاب .

أما ما دفعه إلى تأليف هذا الكتاب فهو حبه الشديد للشيخين وإعجابه العظيم بهما فأراد أن يبرز من خلاله هذا الحب وذلك الاعجاب هذا بالاضافة الى شعوره بالتقصير فى ذاتيهما لأنه لم يؤلف عن كل منهما كما ألف عن الرسول ﷺ ، (على هامش السيرة) وكما ألف عن عثمان رضى الله عنه (عثمان) وكما ألف عن على كرم الله وجهه (على وبنوه) . ودافع ثالث هو هدفه من تأليف هذا ما أبرزه بقوله : (أنا - إذن - لا أملى هذا الحديث لأثنى على الشيخين ، ولا لأفصل تاريخ الفتوح فى عصرهما وإنما أريد إلى شىء آخر مخالف لهذا أشد الخلاف ، أريد أن أعرف ، وأن أبين لقارىء هذا الحديث شخصية أبى بكر وعمر - رحمهما الله - كما يصورها ما نعرف من سيرتهما ، وكما تصورها الأحداث التى كانت فى عصرهما ، وكما يصورها هذا الطابع الذى طبعت به حياة المسلمين من بعدها والذى كان له أعظم الأثر فيما خضعت له الأمة العربية من أطوار وما نجم فيها من فتن) .

أما منهجه فى تحقيق ذلك فهو عدم التعرض لتفصيل الأحداث الكبرى التى سيعتمد عليهما فى رسم شخصية الشيخين لأن هذا التفصيل يطول وهو مفصل أشد التفصيل فيما كتب عنهما الأقدمون والمحدثون هذا بالاضافة الى المبالغات التى أحاط بها الرواة هذه الأحداث الأمر الذى يجعل الدكتور طه حسين يشك فى هذه التفصيلات ويعرض عن الاعتماد عليها فى بحثه لأنها كما يرى أشبه بالقصص منها بتسجيل حقائق الأحداث التى كانت فى أيامهما وقد كان هذا نتيجة إسراف الرواة وتعصبهم ومبالغاتهم .

وقد بين الدكتور طه حسين مبررات هذا الشك ويمكنك الرجوع إليها فى مقدمة الكتاب لأن المجال لا يتسع لها .

بعد هذه المقدمة يبدأ الكاتب بتناول شخصية أبى بكر رضى الله عنه فى عدة فصول سنوضحها على حلقات إن شاء الله .

كما سنعرض بعد الانتهاء من شخصية أبى بكر شخصية عمر رضى الله عنه .

الفصل الأول
(الصديق فى مواجهة الشدائد)

يدور هذا الفصول حول فكرتين رئيستين وهما :

أولا : الشدائد التى واجهت أبا بكر وكيف استطاع أن ينفذ من مشكلاتها المعقدة ، ويظهر على أهوالها الشديدة

ثانيا : الصفات النفسية التى ساعدته على مواجهة هذه الشدائد والتغلب عليها .

ومن منطلق هاتين الفكرتين نجد الدكتور طه حسين يفصل ويحلل حينا ويستطرد ـ كعادته ـ حينا آخر .

والان عزيزى الطالب نتناول هذه الأفكار بشىء من التحليل . الفكرة الأولى (وهى الشدائد التى واجهها أبو بكر)

أولى هذه الشدائد هى وفاة الرسول ﷺ وكانت قبل تولية الخلافة ، وقد كانت محنة شديدة اضطرب لها المسلمون أشد الأضطراب : تلقاها المؤمنون ذوو الايمان الصادق بالشك وعدم التصديق ، وتلقاها ضعفاء الايمان والأعراب بالردة عن الاسلام . ويعلل الكاتب سر هذا الاضطراب بأن المسلمين كانوا يظنون أن النبى ﷺ لن يموت إلا بعد أن ينتشر الاسلام فى جميع ارجاء الأرض ظاهرا على كل الأديان فيها وقد فهمه ذلك من قوله تعالى (فى سورة براءة **(هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على**

دين كله ولو كره المشركون) هـكذا كانوا يظنون يقدرون .

ولكن قبل أن يتحقق ذلك فوجئوا بنبأ وفاة الرسول ﷺ فلم صدقوه واضطربوا لذلك أشد الاضطراب .

هذا هو تعليل الكاتب وإن كنا نرى تعليلا آخر بجانب هذا تعليل وهو أن الرسول ﷺ كان رحيما بأصحابه عطوفا ليهم كل العطف يذكر فضل المحسن منهم ويعفو العفو جميل عن المسيء منهم وكان الصحابة يحبونه حبا شديدا يعتبرونه كل شيء فى حياتهم حتى إنهم كانوا لا يطيقون راقه لحظة واحدة وقد عبر عن ذلك أحد أصحابه حين قال ه (إنى إذا لم أرك اشتقتك واستوحشت وحشة عظيمة) .

رجل بمثل هذه المنزلة لدى أصحابه لا شك أنهم سيقابلون بأ وفاته بالشك والذهول لأنه صدمة كبرى وأى صدمة ولكن عد أن يتأكد الخبر سرعان ما يثوبون إلى رشدهم ليواجهوا حقيقة المريرة بالحزن والأسى والتأسى وهذا ما حدث .

فقد تلقى أبو بكر هذا الخبر بالصبر والتسليم لقضاء الله شمر عن ساعديه ليؤكد للمسلمين (أن من كان يعبد محمدا إن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت) ذكرهم بالآيات التى تؤكد ذلك مثل قوله تعالى (**وما محمد لا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل نقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله سيئا وسيجزى الله الشاكرين**) . وقوله تعالى وهو يخاطب لرسول عليه السلام (**إنك ميت وانهم ميتون**) .

نا أفاق المسلمون بعد أن افقدهم هول الصدمة صوابهم واجهوا هذه المحنة بالصبر والجلد والفضل كل الفضل رجع إلى أبى بكر الذى ملك زمام نفسه وواجه الأمر أصلب ما تكون المواجهة .

هذه هى أولى الشدائد التى واجهها أبو بكر بنجاح رائع . ما ثانية الشديد التى واجهها وقد كانت بعد توليه الخلافة هى ارتداد الكثرة الكثيرة من العرب حتى إن الاسلام حصر المدينة ومكة والطائف .

هل كانت الزكاة هى الدافع الوحيد للردة ؟ ؟

وقبل أن يوضح الكاتب لنا كيف واجه أبو بكر هذه المحنة ذكر لنا الدوافع التى دفعت المرتدين إلى الارتداد عن الاسلام وهى :

١) عدم تمكن الايمان فى قلوب الأعراب فقد أسلموا

بألسنتهم دون أن يدخل الايمـان فى قلوبهـم ولذلك سرعا
ما ارتدوا حين علموا بوفاة النبى ﷺ ولو طال الأجل به لكا
من الممكن أن تذعن لهذا الدين الجديد قلوبهم كمـا أذعنت
ألسنتهم .

**(٢) إيثار هؤلاء المرتدين المال على الدين حتى إنهـ
ضاقوا بالزكاة ووجدوا فيها غرمـا كبيرا فمـا إن مـا
الرسول ﷺ حتى أرادوا أن يتخلصوا مـن هـذا الغر
فساوموا أبابكر مساومة بغيضـة حين قـالوا له :نقي
الصلاة ولا نؤدى الزكاة . فلمـا رفض بشـدة مـا أرادو
سرعان ما ارتدوا هـذا بالاضـافة إلى أن نفـوسهم التى
تمكن الشح فيها كانت تأبى أن تدفع الزكاة إلى رجل مثل
أبى بكر لا يوحى إليه ولا يأتيه خبر السماء .**

(٣) ثالث هذه الدوافع هو أن فريقا من العـرب حقدو
على قريش أن تكون النبوة فيها ، وأن يهيأ لها من السـياد
والقوة والشرف بفضلهما ما ليس عندهم فتعصبوا ضـده
وأرادوا أن ينافسوها فظهر مدعو النبوة فيهم حتى يصرفو
الناس عن قريش ويتبعوهم فيكون لهـم مثلمـا لهـا مـ
السلطان . فظهر الأسود العنسى فى اليمن ، وظهر مسيلمة
اليمامة وظهر طليحة فى بنى أسد ، بل وظهرت امـرأة تدع
سـجاح فى بنى تميم كل هؤلاء ادعوا النبوة وأضـلوا مـ
أضلوا لتحقيق هذا الغرض السياسى .

هذه هى الدوافع التى دفعت الكثير من العـرب إلى الرد
كما يراها الكاتب .

وقـد اسـتطاع أبو بكر أن يطفـىء نار الردة بثبات وعز
ويقين كما سنرى فى فصل لاحق إن شاء الله .

أما ثالثة هذه الشدائد التى واجهها أبو بكر فهـى تأهـ
العرب من غير المسلمين بالشام للمكربه والكيد له والغـار
عليه .

**وقد حاربهم الرسول ﷺ فى مـؤتة وتبوك ليكف شرهـ
عن حدود شبه الجزيرة العربية بل إنه جهز قبل وفـا
جيشا لغزو هؤلاء وأمر على هذا الجيش أسامة بن زي
ابن حـارثة لتأديب هؤلاء العـرب ولتأمين حـدود شـب
الجزيرة العربية من غاراتهم ولكنه مرض قبل إنفاذ هذ
الجيش ولما أحس الو فاة أوصى بإنفاذه .**

ولما تولى أبو بكر كان بين أمرين إما أن ينفذ جيش أسام
تنفيذا لوصية الرسول وردعا لهؤلاء المغيرين ، وإما أن يؤجل
إنفـاذ هـذا الجيش حتى يخمـد نار الردة التى انتشرت
اقطار شبه الجزيرة العربية .

ولكن أبا بكر حسم هذا الأمر وأنفذ جيش أسامة تنفيذا لوصية الرسول ﷺ وقد عاد أسامة ظافرا غانما وقد حقق الغرض الذى سار إليه بجيشه . وبذلك استطاع أبو بكر أن يواجه هذه الشدائد الثلاث التى واجهته فى عزم وثبات واستطاع أن ينفذ من مشكلاتها المعقدة بنجاح رائع .

ترى ما العوامل النفسية التى ساعدت أبا بكر على التغلب على هذه الشدائد؟

وكيف استطاعت طبيعته اللينة أن تقف مثل هذا الموقف الصلب أمامها؟

هذا السؤال يمثل الفكرة الثانية فى هذا الفصل . يجيب
كاتب على هذا السؤال فيقول : (ليس لهذا كله إلا مصدر
حد هو الذى يدل عليه لقبه الصديق : فقد كان أول من
سلم من الرجال وكان إسلامه صفوا خالصا قوامه
تصديق العميق والايمان الخالص من كل شائبة
لاطمئنان السمح إلى كل ما يحدث به النبى ﷺ ، ثم
ثاره النبى على نفسه فى كل موطن ثم البلاء الحسن كلما
د الجد واحتاج النبى أو المسلمون إلى هذا البلاء)

معنى هذا أن هذه العوامل النفسية التى لخصها الكاتب
كلمة واحدة هى لقبه (الصديق) هى التى جعلت أبا بكر
ق فى نصر الله وليطمئن إليه كل الأطمئنان وهو يواجه هذه
شدائد .

ويذكر لنا الكاتب ما يدل على هذه الصفات النفسية التى
كرها من مواقف أبى بكر

مثل تصديقة لحادث الاسراء والمعراج ، ومواساته للنبى
ﷺ بنفسه وماله حيث أنفق معظم هذا المال فى سبيل
دعوة ، وموقفه من صلح الحديبية

وبالاضافة إلى هذه المواقف نجده رجلا متأدبا بأدب
قرآن أروع تأديب جعله يرتفع عن الصغائر ويحمل نفسه
لى ماتكره ما دام فى هذا الذى تكره من البر والاحسان
ا يرضى الله عنه ويغفر له الذنوب مثل موقفه من ذلك الذى
تقول عنه ابنته عائشة . ويمكنك عزيزى الطالب الرجوع إلى تفصيل هذه الأحداث فى الكتاب .

وهذه الصفات النفسية نفسها جعلت له مكانة أثيرة عند الرسول ﷺ حتى إنه سئل عن أحب الناس إليه فقال أبو بكر .

ولهذا نفسر لماذا اختاره ليهاجر معه ولماذا اختاره ليصلى بالناس فى مرضه الذى مات فيه .

وخلاصة القول نجد أن لقبه الصديق بما يدل عليه من صفات نفسية هو الذى يفسر لنا كيف واجه الشدائد فى عزم وثبات ، وكيف كانت له تلك المنزلة السامية لدى الرسول ولدى المسلمين .

أسئلة للمناقشة

يقول طه حسين (هنالك تكشفت قلوب المسلمين غير المؤمنين عن دخائلها ، فأظهروا ما أظهروا من الردة ، وجعلوا يساومون فى الزكاة وتقول وفودهم لأبى بكر : نقيم الصلاة ولا نؤدى الزكاة) .

١ ـ ما معنى دخائلها ؟

يساومون ومقيمة قوله غير المؤمنين بعد قوله المسلمين ؟

٢ ـ هل كانت الزكاة هى الدافع الوحيد للسراة ؟

٣ ـ ما الصفات النفسية التى مكنت أبا بكر من مواجهة المرتد ين وباقى المحن الأخرى ؟ ؟

تفسير الشيخ محمود شلتوت

الدكتور منيع عبد الحليم محمود

كان الشيخ محمود شلتوت رحمه الله من الشخصيات التى لا تهدأ : كان حركة وإنتاجا وجدلا هنا وهناك .

وكان لايحب الروتين فى عمله ، وكان يتسم دائما بسمة التجديد ، والناس حينما يألفون شيئا يعتقدون أنه حقيقة ويستكينون اليه ، ويرضون به ، فاذا ما إنسان خطأ بعض مفاهيمهم ، وقلب بعض الأوضاع التى يسيرون عليها ، فانهم لا يسكتون عنه وإنما يشتبكون معه فى جدال ونقاش ، قد يكون أحيانا حادا عنيفا ، كذلك كان الأمر مع الشيخ شلتوت وقد اشتبك فى معارك علمية وهاجم ودافع وكان له انصار وكان له خصوم .

ولم تكن حياته بسبب ذلك هادئة رخاء ، فقد فصل فى يوم من الأيام من الأزهر لأنه مجدد ، وثائر على الأوضاع المعروفة ، واستمر فصله مدة طويلة ، ثم أعيد إلى الأزهر من جديد فلم يترك منهجه فى السلوك .

وهو أول من اقترح على الاذاعة أحاديث الدين الصباحية ، ورأى القائمون على الاذاعة وجاهة الاقتراح فعهدوا إليه بالأمر فترة طويلة من الزمن ، وكان صوته يجلجل كل صباح متسما بالحيوية القوية ، والأسلوب الطيب ، والفكرة الجديدة بأن تسمع .

واشترك مع غيره من علماء الدين النابهين فى التقديم للقرآن الكريم حينما يتلى فى الاذاعة وكان هذا تجديدا أيضا فى برامج الاذاعة وكان هذا التقديم متتابعا متتاليا يقدم الربع من القرآن الكريم ، ثم يقرأ القارىء فيكون المستمع على علم بمضمون ما يسمع من التلاوة .

وكان مركز الشيخ شلتوت يقوى ويتركز يوما فيوما حتى وصل به الأمر إلى مشيخة الأزهر .

ولد الامام الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر الأسبق فى قرية منية بنى منصور بمحافظة البحيرة سنة ١٨٩٣ ودرس العلم بمعهد الاسكندرية الدينى . . واستمر فى طريق التعليم مرحلة بعد مرحلة حتى نال شهادة العالمية النظامية سنة ١٩١٨ .

هذا عن تعليمه :

أما عن تدرجه فى الأعمال فقد عمل مدرسا بمعه[د] الاسكندرية ، ثم انتقل إلى التدريس بالقسم العالى . . وعم[ل] بعض الفترات بالمحاماة ، ثم نال عضوية جماعة كب[ار] العلماء سنة ١٩٤٢ وتدرج فى مناصب الأزهر حتى اختي[ر] شيخا للأزهر سنة ١٩٥٨ .

وكان له نشاط بارز فى البحوث الدينية والمؤتمرات العلم[ية] ومجال التأليف الذى كان أنضج ثمراته تفسير القرآ[ن] الكريم .

ويمثل تفسير الشيخ شلتوت الدراسة العلمية الموضوع[ية] التى تجعل القرآن أصلا للبحث وأساسا للتشريع ؛ فتجم[ع] إلى الآية التى يقصد تفسيرها ما يناسبها من آيا[ت] وما يرتبط بها من موضوعات العلوم ، ثم يعالج موضو[ع] الآية معالجة عامة شاملة تبرز موقف القرآن بل الدين عا[مة] من هذا الموضوع .

ويمتاز هذا التفسير بوضوح الفكرة وسهولة الأسلو[ب] وجمال التنظيم .

وقد اعتبره مؤلفه مظهرا من مظاهر نشاط المسلمين [فى] خدمة القرآن الكريم وقد تحدث فى مقدمته عن جهو[د] المسلمين فى خدمة القرآن فقال :

« لا نكاد نعرف علما من العلوم التى اشتغل به[ا] المسلمون فى تاريخهم الطويل إلا كان الباعث عليه ه[و] خدمة القرآن الكريم من ناحية ذلك العلم .

فالنحو الذى يقوم اللسان ويعصمه من الخطأ اري[د] به خدمة النطق الصحيح للقرآن ، وعلوم البلاغة الت[ى] تبرز خصائص اللغة العربية ، وجمالها اريد بها بيا[ن] نواحى الاعجاز فى القرآن والكشف عن أسرار[ه] الأدبية وتتبع مفردات اللغة والتماس شوارده[ا] وشواهدها وضبط ألفاظها وتحديد معانيها ، وأريد به[ا] صيانة ألفاظ القرآن الكريم ومعانيه .

ان تعدو عليها عوامل التحريف والغموض.
والتجويد، والقراءات لضبط أداء القرآن وحفظ لهجاته.
والتفسير لبيان معانيه والكشف عن مراميه.
والفقه لاستنباط أحكامه.
والاصول لبيان قواعد تشريعه العام وطريقة الاستنباط منه.
وعلم الكلام لبيان ما جاء به من العقائد وأسلوبه فى الاستدلال عليها.
وقل مثل ذلك فى التاريخ الذى يشتغل به المسلمون تحقيقا لما أوحى به الكتاب الكريم فى مثل قوله (نحن نقص عليك أحسن القصص).
«وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك»
«ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر».
وقل مثل هذا أيضا فى علوم تقويم البلدان وتخطيط الأقاليم الذى يوحى به مثل قوله تعالى: «أو لم يسيروا فى الأرض «فامشوا فى مناكبها».
وفى علوم الكائنات التى يوحى بها مثل قوله:
أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شىء حى».
«ألم تر أن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالابصار، يقلب الله الليل والنهار إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار».
وهكذا علوم الفلك والنجوم والطب والحيوان والنبات وغير ذلك من علوم الانسان لا يخلو علم منها أن يكون الاشتغال به فى نظر من اشتغل به من المسلمين مقصودا به خدمة القرآن، أو تحقيق إيحاء أوحى به القرآن.
حتى الشعر إنما اشتغلوا به ترقية لأذواقهم، وتربية لملكاتهم، وإعدادا لها كى تفهم القرآن وتدرك جمال القرآن.
وحتى العروض من أسباب عنايتهم به إنه وسيلة لمعرفة بطلان قول المشركين ان محمدا شاعر وأن ما جاء به شعر.
وانتقل الشيخ شلتوت إلى بيان مناهج المفسرين وألوان تفسيرهم ومنها ما يغلب عليه بيان نواحى البلاغة والاعجاز.
ومنها ما يهتم بالفقه والتشريع وبيان أصول الأحكام.. وهكذا.
ثم علق على ذلك بقوله:
لهذا كله أعتقد إنى لا أتجاوز حد القصد والاعتدال إذا قلت إنه لم يظفر كتاب من الكتب سماويا كان أو أرضيا فى اية من الأمم قديمها وحديثها بمثل ما ظفر به القرآن على أيدى المسلمين ومن شارك فى علوم المسلمين..
ولعل هذا يفسر لنا جانبا من الرعاية الالهية لهذا الكتاب الكريم الذى تكفل الله بحفظه وتخليده فى قوله:
«إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون».
فما كان الحفظ والتخليد بمجرد بقاء ألفاظه وكلماته مكتوبة فى المصاحف مقروءة بالألسنة متعهدا بها فى المساجد والمحاريب، وإنما الحفظ والخلود بهذه العظمة التى شغلت الناس وملأت الدنيا، وكانت مثارا لاكبر حركة فكرية اجتماعية عرفها البشر.
ولم يقتصر الشيخ شلتوت على عرض الجهود، وكشف مظاهر خدمة المسلمين للقرآن بل نبه إلى أشياء ينبغى تنزيه القرآن عنها، قال:
وإذا كان المسلمون قد تلقوا كتاب الله بهذه العناية، واشتغلوا به على هذا النحو الذى أفادت منه العلوم والفنون، فان هناك مع الأسف الشديد ناحيتين كان من الخير أن يظل القرآن بعيدا عنهما، احتفاظا بقدسيته وجلاله، هاتان الناحيتان هما:
ناحية استخدام آيات القرآن لتاييد الفرق والخلافات المذهبية.
وناحية استنباط العلوم الكونية والمعارف النظرية الحديثة منه.
ويهمنا هنا تفصيل الناحية الثانية وتتمثل فيما يرى الشيخ شلتوت فى طائفة المثقفين الذين أخذوا يستندون الى ثقافتهم الحديثة ويفسرون آيات القرآن على مقتضاها.
ومن أمثلة على ذلك أن يفسر بعض الناظرين فى القرآن الكريم قوله تعالى: —
«فارتقب يوم تاتى السماء بدخان مبين، يغشى الناس هذا عذاب اليم» بما ظهر فى هذا العصر من الغازات السامة والغازات الخانقة التى انتجها العقل البشرى فيما انتج من وسائل التخريب والتدمير، يفسرون الآية بهذا ويغفلون عن قوله تعالى: «ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون، انى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين» ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون.»
ثم يقول: ولسنا نستبعد — إذا راجت عند الناس فى يوم ما نظرية دارون مثلا — أن يأتى إلينا مفسر من هؤلاء المفسرين الحديثين فيقول:
«إن نظرية دارون قد قال بها القرآن منذ مئات السنين.
هذه النظرة للقرآن خاطئة من غير شك، لأن الله لم ينزل القرآن ليكون كتابا يتحدث فيه إلى الناس عن نظريات العلوم، ودقائق الفنون، وانواع المعارف.
وهى خاطئة من غير شك لأنها تحمل أصحابها والمغرمين بها على تأويل القرآن تأويلا متكلفا يتنافى مع الاعجاز

العلوم فى كل زمـان ومـكان والعلوم لا تعـرف الثبات ولا القرار ولا الرأى إلا اخيرا . فقد يصح اليوم فى نظر العلم ما يصبح غدا من الخرافات .

فلو طبقنا القـرآن على هـذه المسـائل العلمية المتقلبة لعرضناه للتقلب معها وتحمل تبعات الخـطأ فيهـا ولأوقفنا أنفسنا بذلك موقفا حرجا فى الدفاع عنه .

وحسبنا أن القرآن لم يصادم ـ ولن يصادم ـ حقيقة مـن حقائق العلوم تطمئن إليها العقول ولا يتأتى أن ننقل نموذجا كاملا من هذا التفسير لاعتمـاده على الناحية الموضـوعية وإسهابه فى الكلام عما يتعرض له من آيات .

وعن قوله تعالى : « **لا خير فى كثير من نجـواهم إلا مـن أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ، ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما** » .

يشـير إلى أن الأعمـال وخـاصة مـا ذكر فى الآية يكون لصاحبها الأجر العظيم إذا فعلها خـالصة بهـا نيته مبتغيا بها مرضاة ربه .

هذا هو الأساس فى فهـم الفضـيلة : ترسـم أوامـر الله وتنفيذها ابتغاء مرضاة الله ومن هنا جاهد المؤمنون بالله فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، وأهليهم وعشـيرتهم ، وكان ذلك فى نظـرهم الحياة الخـالدة ، والغنى الدائم والسـعادة الأبدية .

وهناك فريق من الناس يرون أن أساس الفضيلة هو تلبية الضمير فيما يعتقدونه خيرا للمجتمع ، ويرون أن هذا كاف فى سعادة الانسان وأن الضمير كفيل بتقدير الخير ومعرفته دون الرجوع إلى الله ، وما يرسـم لعباده مـن شرع وخلق ، وأنهم بهذا ليسوا فى حاجة إلى الوحى وأن الوحـى إذا كان قائما يحتاج إليه لارشاد من ليسـوا مـن أرباب الضمـائر الحية المستيقظة .

وقد فات هؤلاء أن فهم ما ينفع الهيئة الاجتماعية ومـا لا ينفعها كثيرا ما تختلف فيه الأنظار والآراء وقلمـا نجـد فى تاريخ هذه النظرية قديمة وحديثة ـ اتفاقا على نفع جـزئية معينة أو ضرر جزئية معينة وفاتهم أيضا أن النظر الواحـد أو الضمير الواحد كمـا يعبرون كثيرا مـا يتغير فى معـرفة الخير والفضيلة .

وقد عدل كثير من الفلاسفة عن آرائهم الأولى واستحدثوا آراء أخرى جـديدة . . . ولهـذا تعترك فى عصرنا الحـاضر المذاهب الاجتمـاعية ، مـن ديمقـراطية وفـاشية ونازية وشيوعية واشتراكية بل يتنازع أرباب المذهب الواحـد ، بل يتناقض الفرد الواحد مع نفسـه ورأيه ، فى وقتين مختلفين وكل هؤلاء يتحـاكمون إلى الضـمير أو يتحـاكمون إلى الادراك البشرى فى معرفة الفضيلة وهو تحاكم ـ كما نرى ـ إلى أساس غير ثابت ولا منضبط ولا مأمون العاقبة .

وهو فى الوقـت ذاته سـير بالنفس وبالعـالم فى طـريق محفوفة بالمخاطر تهددالعالم فى أمنه واسـتقراره وتشـعل فيما بين جوانبه نار الحروب والتدمير .

ولا سبيل إلى الاستقرار فى هذا العالم ، وسلامته مـن أثر الآراء المشـتجرة إلا بالرجـوع إلى أسـاس ثابت منضـبط صـادر عن عليم بطيات النفـوس ونزعات البشرية ، يبصرهم ذلك الأساس بالخير والفضيلة التى ارتسمت فى لوح الوجود الحـق الذى لا يكتبه إلا خـالق الوجود ومدبر الكون على ما يعلم فيه من سنن وشئون ، وليس ذلك المبصر إلا وحى العليم الحكيم :

« إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا » .

إملأ هذا الكوبون وارسله إلى ص . ب ۲۰۹۳ يصلك الكتيب التفصيلى دون مسئولية أو ارتباط

الإسم ________

العنوان ________

المهنة ________ السن ________

تليفون ________

أنت تسأل والمفتى يجيب

فضيلة الإمام الأكبر
الدكتور عبد الحليم محمود
شيخ الأزهر

س : ١ من الأستاذ يحيى الكعكى رئيس جمعية الشباب المسلم المستقل فى لبنان.

ما حكم من يمتنع عن أداء الزكاة .؟ وهل يعامل فى الأحوال الشخصية وغيرها معاملة المسلمين ؟

ج١ : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى اله وصحبه ومن اتبع هديه الى يوم الدين .... وبعد :

فان من يمتنع عن أداء الزكاة : انكارا لها فهو مرتد ، ومثله كمثل من حاربهم سيدنا أبو بكر لانكارهم فريضة الزكاة . ويترتب على انكارها وإنكار كونها ركنا من أركان الاسلام ما يترتب على الكفر .

أما من لم يؤد الزكاة وهو معترف بفرضيتها وبأنها من أركان الاسلام فانه مسلم عاص مثله كمثل من لم يصم رمضان أو من لم يؤد الحج وهو مستطيع ولكنه يعترف بفريضة الصيام وبفريضة الحج وبأنها من أركان الاسلام ، وهذا مسلم عاص يعامل فى الأحوال الشخصية وغيرها معاملة المسلمين ..

والله أعلم ...

س ٢ : من المواطن احمد مختار الشربينى كلية الزراعة شبين الكوم .

يقول ان الطوائف المسيحية المختلفة يحتفلون بعيد ميلاد المسيح عليه السلام فى الفترة من ٢٣ ديسمبر حتى السابع من شهر يناير على اختلاف مذاهبهم غير أن هذا التوقيت يختلف مع ما ذكر فى القران الكريم فان الله تعالى يقول فى سورة مريم « **فاجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا فناداها من تحتها الا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا** » اى أن مولد المسيح عليه السلام كان فى الوقت الذى تنضج فيه ثمار البلح وتصير رطبا وذلك لا يكون الا فى شهر اكتوبر تقريبا ولم يذكر أحد على الاطلاق نهاية ديسمبر أو أوائل يناير ومن هذا يتضح الموعد الحقيقى لميلاد سيدنا عيسى عليه السلام .

ج٢ : اذا كان لنا أن نتحدث فى هذا الموضوع فإننا نقرر أن الظروف التى خلق الله فيها عيسى عليه السلام حملا وولادة ثم تكليما للناس وهو فى المهد صبيا كانت كلها فى باب المعجزة وكلها أمور خارقة للعادة فليس هناك ما يمنع أن يكون نضج ثمار البلح وتحويله رطبا جنيا فى غير أوانه تكريما من الله سبحانه وتعالى للسيدة مريم التى طهرها الله واصطفاها على نساء العالمين ودليلا على براءة ساحتها ، وأن الله الذى جعل النخلة

اليابسة تثمر فى الشتاء قادر على أن يخلق عيسى من غير أب .

ولقد ذكر ابن كثير فى تفسيره أن الشجرة كانت يابسة وانها لم تكن فى إبان ثمرها ولهذا امتن الله عليها بذلك بأن جعل عندها طعاما وشرابا فقال « تساقط عليك رطبا جنيا فكلى واشربى وقرى عينا » .

ومن هذا يتضح أن ما أحاط بولادة عيسى عليه السلام كان كله من باب المعجزات الخارقة لظواهر العادات فلا يؤخذ دليلا على أن ولادته كانت فى الوقت المعتاد لاثمار البلح ، والله أعلم .

س ٣ : من المواطن احمد محمد يوسف يطلب شرح الآية الكريمة وهى قوله تعالى :
« ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادالى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون » .
وكيف يكون العبد عبدا ربانيا .. ؟

ج٣ : يقول الله تعالى : « **ماكان لبشر ان يؤتيه الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله** » أى ما ينبغى لبشر آتاه الله الكتاب والحكمة والنبوة أن يقول للناس اعبدونى من دون الله .

واذا كان هذا لا يصلح لنبى ولا لرسول ، فلأن لا يصلح لأحد من الناس غيرهم بطريق الاولى ولهذا قال الحسن البصرى : « لا ينبغى لمؤمن أن يأمر الناس بعبادته ، قال : وذلك ان القوم كان يعبد بعضهم بعضا ، قال ابن كثير : يعنى : أهل الكتاب فإنهم كانوا يعبدون أحبارهم ورهبانهم وقد قال الله تعالى « **اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله** » الآية .

وقوله تعالى « **ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون** » أى ولكن يقول الرسول للناس كونوا ربانيين أى مقربين إلى الله خلصاء له بما كنتم تعلمون الكتاب المنزل وتفهمون معناه وبما كنتم تدرسونه وتحفظون من الفاظه ، ثم قال الله بعد ذلك « **ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا** » أى ولا يأمركم بعبادة أحد غير الله لا نبى مرسل ولا ملك مقرب « **أيأمركم بالكفر بعد إذ انتم مسلمون** » أى لا يفعل ذلك إلا من دعا إلى عبادة غير الله ومن دعا الى عبادة غير الله فقد دعا الى الكفر والأنبياء انما يأمرون بالايمان وهو عبادة الله وحده لا شريك له كما قال تعالى « **وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه انه لا إله الا أنا فاعبدون** » .

ويكون العبد ربانيا بأداء الفرائض والاكثار من النوافل وأداء العمل الصالح والاخلاص لله فى الطاعات فإنه بذلك يكون عبدا ربانيا قريبا من الله خالصا له .

وقال الامام البخارى : ربانيين أى حكماء فقهاء والله أعلم ...

س ٤ : من المواطن عبد الحميد احمد اسماعيل من سفاجا البحر الأحمر ..
هل الكلام اثناء الخطبة يوم الجمعة يبطل الصلاة .. ؟
وإذا دخل الرجل المسجد يوم الجمعة وقال السلام عليكم فهل يجوز الرد عليه .؟

ج٤ : الكلام اثناء الخطبة مكروه وهو مضيع للثواب لكن لا يبطل الصلاة . وينبغى للمسلم أن يحسن الاستماع والانصات لخطبة الجمعة لما فيها من العظة والتذكير بما ينفعه فى دنياه وآخرته .

اما رد التحية فلا مانع من أن يكون بالاشارة وقد سلم الرسول ﷺ إيماء للتحية . والله أعلم ..

س ٥ : من المواطن احمد حمدى عبده مصر الجديدة :
سنة العصر اربع ركعات غير مؤكدة قبلية ارى البعض يصليها اذا كان يصلى العصر مع الاذان ولا يصليها اذا صلى العصر بعد الأذان او قريبا من وقت المغرب فهل تصح صلاتها قبل صلاة العصر على الدوام سواء كانت الصلاة لوقتها او فى وقت الكراهة قريبا من وقت اذان المغرب .. ؟

ج٥ : سنة العصر تؤدى قبل صلاة العصر فى أى ساعة من وقت العصر قبل دخول وقت الكراهة أى قبل اصفرار الشمس فإذا دخل وقت الكراهة فلا يجوز أن يصلى الا فرض العصر والله أعلم .

س ٦ : من الطالب على عطية على رمضان من بلبيس
ما حكم شرب السجاير وهل هناك فرق فى الحل او الحرمة بين السجاير والدخان المعسل .. ؟

ج٦ : التدخين بكل أنواعه حكمه واحد ، ولقد حذر الأطباء من أضرار التدخين وبينوا نتائجه فاذا ثبت ان حدوث هذه الأضرار أمر محقق كان التدخين حراما ..

واذا كان حدوثها امرا مرجحا كان التدخين مكروها كراهة تحريم .. والله أعلم ...

المرأة الأم ... في القرآن الكريم

لقد كرمت الأديان السماوية المرأة ، كما كرمتها الأديان الأرضية ، فان من ينظر فى تاريخ الانسان وحضارته قديما وحديثا يلاحظ أنه كان هناك حيف على المرأة أو استهانة بها ، بل كان من بين المفكرين ، حتى فى عصور الأديان المنزلة والمدنية الانسانية الراقية فى العصور الحديثة ، من أراد إظهار نفسه واكتساب الشهرة أو الاعجاب الزائف بالحط من قدر المرأة وإظهار عيوبها ، إلى حد دراسة صفاتها ، كما تدرس صفات أنثى الحيوان ، من غير دراسة صفات الرجل على الطريقة نفسها . وظهر أيضا فى العصور الحديثة من يتملق المرأة من أجل اكتساب الشهرة والاعجاب برفع قدرها فوق ، ما هو موجود . وفى الواقع وفى كل العصور كان هناك من يعبث بهذه الصورة الانسانية التى تجلى فيها صنع الله ورحمته بالبشر .

غير أن البيان القرآنى قدم لنا المرأة الأم فى صورة كريمة ، حبذا لو اتعظت بها كل الأمهات وعرفتها الفتيات

الأستاذة سهير محمد الحلبى

فقد قص علينا القرآن الكريم من ماضى التاريخ الدينى للبشرية كثيرا من القصص الذى يؤكد أن المرأة هى التى انفردت بتربية الأبناء ممن اصطفاهم الله لرسالته الكبرى :

– فامرأة عمران نذرت ما فى بطنها لعبادة الله وخدمته لقوله تعالى « إذ قالت امرأة عمران رب إنى نذرت لك ما فى بطنى محررا فتقبل منى إنك أنت السميع العليم . فلما وضعتها قالت رب إنى وضعتها أنثى ، والله أعلم بما وضعت ، وليس الذكر كالأنثى ، وإنى سميتها مريم ، وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم . فتقبلها ربها بقبول حسن ، وأنبتها نباتا حسنا ، وكفلها زكريا ، كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا ، قال يا مريم أنى لك هذا ؟ قالت هو من عند الله ، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب » سورة آل عمران .

– وأم اسماعيل الأمة المنبوذة ، هى التى زعته ، إذ تركه أبوه وإياها بواد غير ذى زرع ، عند أطلال البيت العتيق ، لقوله تعالى على لسان إبراهيم الخليل « ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة ، فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » سورة ابراهيم ، فكانت لهفتها على وليدها ومسعاها مهرولة بين الصفا والمروة ، بحثا عن قطرة ماء تروى بها ظمأه ، شعيرة دينية من شعائر الحج ، لقوله تعالى « إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ، ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم » (سورة البقرة) .

– وأم موسى هى التى أوحى الله اليها فأنقذته من المذبحة

لقوله تعالى «وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه، فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى، إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين. فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا، إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين. وقالت امرأة فرعون قرة عين لى ولك، لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا، وهم لا يشعرون. وأصبح فؤاد أم موسى فارغا، إن كادت لتبدى به، لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين» (سورة القصص).

– وأم المسيح عيسى ابن مريم وهى التى اصطفاها الله وجعلها وإبنها آية لقوله تعالى على لسان الملائكة «وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين، يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم، وما كنت لديهم إذ يختصمون. إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين. ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين» (سورة آل عمران).

– وأم محمد بن عبد الله، وهى أم اليتيم الذى اصطفاه الله خاتما للنبيين عليهم السلام لقوله تعالى «ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين، وكان الله بكل شىء عليما» (سورة الأحزاب).

وفيما عدا السيدة مريم المصطفاه، لم يذكر القرآن الكريم أى امرأة باسمها، بل نظر فيهن إلى المثل والعبرة، وأعطى منهن الملامح الأصيلة لشخصية المرأة حيثما كانت وتكون فى مختلف الظروف والمنازل وشتى المواقف والأوضاع.

والمرأة بالنسبة للانسان هى والدته الحنونة، ومرضعته الكريمة، ومربيته المتطوعة، وشريكته فى تحمل أعباء الأسرة أثناء مرضه أو تعطله والمسئولة عن تكملة رسالتهما الأسرية بعد وفاته، كما إنها الوحيدة التى توفر له فرص إشباع دوافع الأبوة والأمومة والغيرية وهى التى – من خلال عملية التنشئة الاجتماعية – تستطيع تنشئة أطفالها على الفضيلة أو على الرذيلة، فإننا – من هنا – إذا ارتفعنا بالمستوى الثقافى والاجتماعى والأخلاقى للمرأة فإنها سوف تغرس كل تلك المعانى والسمات فى نفوس الأطفال، صغار اليوم ورجال الغد، وبذلك نحصل على جيل جديد يتميز بكل الخصال الطيبة والعكس صحيح.

كلمة:

■ مهما يكن من «رأيهم» فى الايمان بالله.. فهم لا يجهلون ولا يستطيعون أن يجهلوا أن هذا الايمان ضرورة كونية لا تخلقها مشيئة أحد من الآحاد – ولو كان فى قدرة الرسل والأنبياء..!

عباس محمود العقاد

عـــزيزى القارىء

بكل الحب والقوة والثقة نؤيد الرئيس المفدى القائد المؤمن محمد أنور السادات فى مبادرته التى استحقت أن تكون أعظم عمل انسانى يشهده العالم أجمع فى عام ١٩٧٧فمبادرة السلام هى شيمة الكرام الذين يصرون دائما على العطاء والفداء من أجل سعادة الانسانية وأمنها وأمانتها . .

● ● **عماد السلام كما أراده الله عزة فى الرأى وقوة فى الاقدام وصلابة فى الاصرار على وضع الأمور فى نصابها دون زيف أو ختل أو مهاترات . .**

● ● **ان الرئيس المؤمن يوم ينطلق الى السلام بأسلوب فذ لم يخطر على بال السياسيين جميعا بعد أن قدم للانسانية من قبل نصرا مؤزرا فى العاشر من رمضان أنما يضع الدستور الاسلامى فى الحرب والسلام فى مكانه الذى افتقده على مدى قرون حيث أصبح الحرب هدفا فى ذاته ولكن السادات جعل الحرب من أجل السلام من أجل احقاق الحق وازهاق الباطل . .**

وكم كان يستطيع الرئيس السادات أن يتخذ من نصر العاشر من رمضان أسلوب قهر وفخر شأن القادة المنتصرين وهنا يسمو الرئيس السادات فوق نشوة النصر ليقوم بمبادرة السلام وقد عبر الرئيس السادات عن هذا بقوله فى خطابه الى الشعب ما كنت لأفكر فى القيام برحلة القدس مالم يتحقق نصر العاشر من رمضان . .

● ● **ان الأمة العربية** من أقصاها الى أقصاها بعيدا عن المهاترات السياسية الحزبية الجامدة ـ تقف بكل ثقلها فكرا وعقلا وحبا وثقة مع الرئيس السادات فى مبادرته .

بل ان كل انسان عاقل مهما كان منصبه أو مفهومه لا يمكن أن يملك إلا تأييد السادات فيما يذهب إليه من السعى بأسلوب لم تتعارف عليه الدبلوماسية العصرية **وكما قال المعلقون السياسيون فى العالم : أن السادات هو الشخصية الوحيدة التى استطاعت أن تسبق الزمن .**

وهذا يحتاج الى دراسة مستفيضة نستبين من خلالها أبعاد الشخصية التى استطاعت أن تسبق الزمن وبلا تفاصيل فان قوام الشخصية التى تسبق الزمن ـ أو كما قلت ـ تتسامى فوق الأحداث وتسعى الى الجوهر إنما تعتمد على عنصرى الثقة فى الله والصدق على النفس مما أكسب السادات ثقة الشعب وحب الجماهير واعجاب القادة العالميين على اختلاف نحلهم ومللهم . .

● ● **ولا يعنى ذلك على الاطلاق عدم وجود جيوب معارضة وليست على الاطلاق جبهات وانما جيوب أوجدها الحقد أولا وعدم الولاء للوطن ثانيا . . وعدم القدرة على استيعاب الأحداث والأمور ثالثا .**

ومثل هذه الجيوب هى سنة الله فى خلقه حتى تستبين الانسانية الخير من الشر وان كان النصر دائما فى **جانب الحق ولكن أراد الله ألا يتحقق انتصار الحق إلا بالسعى والصدق والجهاد الأصيل وصدق الله العظيم إذ يقول :**

«لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون»

[صدق الله العظيم]

وستأتى الأحداث التى تؤكد أصالة وصدق الرئيس السادات فيما ذهب ويذهب اليه من أجل السلام . . مهما كانت النتائج فى الظاهر فان التاريخ لا يأخذ بظاهر الأحداث وإنما يسعى الى تسجيل الجواهر التى تستمد منها الانسانية العبرة وتستبين بفضلها سواء السبيل .

فارتقب انهم مرتقبون **وإلى اللقـاء**

بقلم الصديق (الهادى الرقيق)

تحية وسلاما من أخيكم المسلم «الهادى الرقيق» إلى لجنة المجلة الشهرية «منبر الاسلام»

أما بعد فإنى قد اطلعت على بعض المجلات الشهرية التى تصدر من بعض البلدان العربية الشقيقة، والتى تسعى إلى تعريف الأمة العربية بدينها القويم، والدين الاسلامى الموحد، وبث الروح الاسلامية والأخلاقية فى قلوب ونفوس المسلمين سعيا منها لتوحيد الصفوف وتكريس الجهود للنهوض بالأمة الاسلامية من التخلف والجهل وأبعادها عن ظلم الطاغوت الذى يعانيه بعض البلاد العربية.

ولقد فوجئت من بين هذه المجلات بالمجلة الشهرية «منبر الاسلام» حيث اطلقت على بعض مواضيعها القيمة، فانبهرت بوضوح مقالاتها، وسهولة تعبيرها، وانتظام أفكارها، ومسايرتها للظروف الخاصة فى هذا العصر، وتفهمها لمشاكل الناس فى الحياة الدنيوية وإعطائها الحلول الناجحة المتأتية من كتاب الله ومن سنن رسول الله عليه الصلاة والسلام.

لهذا فقد قررت أن أبعث لكم بهذه الرسالة لأعبر لكم عن مدى شكرى لكم باهتمامكم الفائق بهذه المجلة القيمة

رحلة السلام على مر التاريخ

بقلم الصديق احمد ابراهيم خضير - فوه - ج . م . ع يقول

إن ما قام به الرئيس القائد أنور السادات من مبادرة للسلام وزيارته للقدس وذهابه للكنيست . . . وضع العالم أجمع أمام مسئولية العمل من أجل السلام.

إنها خطوة جريئة فاقت كل تصور وواقع هزم كل خيال.

إنها اسطورة معجزة حققها السادات أذهلت العالم.

الاسلام يبارك السلام القائم على العدل؟

إن الرسول عليه الصلاة والسلام عندما أراد أن يفتح مكة وذهب بالجيش ليعسكر على مشارفها أرسل إلى الكفار عثمان بن عفان ليفاوضهم ونجحت المفاوضات، ودخل الرسول مكة وفتحها فتحاً سليماً لم ترق فيه قطرة دماء.

وحينما فتح عمرو بن العاص مصر أمن النصارى وكفل لهم كنائسهم وكل أملاكهم، وكان ذلك أول تقليد يتبع فى التاريخ وهو نابع من تعاليم الاسلام حيث يحترم كل الاديان.

عندما سافر الزعيم سعد زغلول إلى لندن سنة ١٩٢٠م ليفاوض الانجليز من أجل الاستقلال، غضب بعض المصريين وهاجموه، واتهموه بالخيانة، وتوهموا أنه سيفرط فى حقوق مصر.

وفى سنة ١٩٣١ م سافر غاندى إلى لندن ليفاوض الانجليز، وقامت قيامه بعض الهنود، كيف يضع الزعيم الوطنى يده فى يد أعداء البلاد المحتلين، ولم يتردد المهاتما غاندى ومضى فى رحلته وعرض قضية بلاده، وعندما إختلف مع الانجليز عاد إلى الهند ليقود أعظم معركة فى تاريخ اسيا، وهى معركة العصيان المدنى عندما إستطاع شعب مجرد من السلاح ان يهزم أكبر امبراطورية فى العالم.

واذا كانت مصر الآن تواجه تحديات ومتطلبات السلام العادل بكل ما تملك من طاقات، فإنها تنطلق من حقيقة لا يمكن الخلاف حولها، وهى أن الدور التاريخى والقيادى لمصر هو التحرك من أجل الأهداف العربية، يجعلها الميزان الأساسى للحرب والسلام فى المنطقة وتفرض عليها مسئولية مواصلة المسير فى الطريق الجديد الذى حطم جدار الخوف والشك، وغير حركة الأحداث تغييراً جذرياً فى المنطقة وعلى نطاق العالم.

ولن تفلح صيحات العاجزين والمتخلفين والمزايدين فى وقف المسار الجديد لهذه الأحداث.

رسالة الكويت بقلم الصديق سعيد حمزة إبراهيم . الرأس ص . ب . ٣٦٨٤٩

كان ﷺ فى شبابه طاهرا كالثوب الأبيض. ما عرف فى حياته اللهو والعبث ولا إنغمس فيما إنغمس فيه أترابه من الشباب فى السهر والمجون فى المنتديات يلعب ويراقص النساء ويحتسى الخمر. فلم يعش حياته عالة على أحد. فكان يرعى الغنم ليكسب قوت يومه بعرقه فكانت تعوده على الصبر والشجاعة والاقدام. وجعله يتمه يتعود على نفسه فى أموره وكانت العناية الالهية تلاحقه فى أى عمل قد يؤدى به إلى التهلكه. فحافظت عليه ورعته حتى تؤهله لتحمل المسئولية الكبرى ثم جاء إلى العمل فى التجارة بعد أن استعانت به خديجة بنت خويلد وعرف محمد بن عبد الله بأمانته ونجاحه الباهر الذى حققه فى تجارته. ويرى فى قومه إنخراطهم فى نهب الحقوق والظلم والاستعباد مع عبادتهم للأوثان والأصنام ولكن الرسول ﷺ يبتعد عن قومه ويتخذ من «غار حراء» مسكنا لعبادته يدعو ويناجى خالقه ويتدبر ويفكر فى مخلوقات الله حتى إصطفاه ربه وخلقه بأحسن الخلق. وأدبه فأحسن تأديبه فيقول المولى عز وجل فى خلق المصطفى ﷺ «**وإنك لعلى خلق عظيم**» ونرى فى معاملته لأهله وأصحابه وأعدائه وعشيرته أحسن المعامله. فتقول السيدة عائشة رضى الله عنها عن خلق النبى الكريم ﷺ «**كان خلقه القرآن**» حقا كان الرسول العظيم ﷺ أسوة حسنة فى خلقه ومعاملاته وسيرته وحياته فكان مثلا رائعا وسراجا منيرا يحتذى به وليسير على هداه شباب يومنا وليأخذوا قبسا من نوره ليمشوا على دربه وليضىء حياتهم وليسعدوا فى آخرتهم.

■ والمجلة وهى تشكر الأخ الصديق من الكويت تتمنى دوام مراسلته وبحثه حتى نصل معا إلى قلوب أصدقائنا فى كل أنحاء العالم الاسلامى.

بريد التعارف

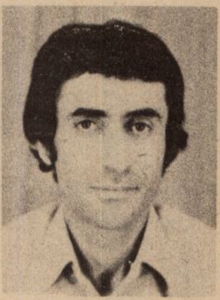

الاسم : مازونى عبد الرحمن
البلد : الجزائر
السن : ٣٢ سنة
المهنة : نائب مدير
الهواية : قراءات حياة الرسول ﷺ
العنوان : ٩ شارع ٥ جويليه القليعة
ولاية البليدة

الاسم : على عمر حميدة
البلد : الجزائر
السن : ٢٢ سنة
المهنة : طالب
الهواية : القراءة الدينية
وتبادل الصور والمناظر
العنوان : الجزائر

الاسم : عبد الله التوزرى
البلد : تونس
السن : ١٩ سنة
المهنة : طالب
الهواية : المراسلة والقراءة الدينية
العنوان : حى الزهور الرابع
عدد ٢٣ تونس

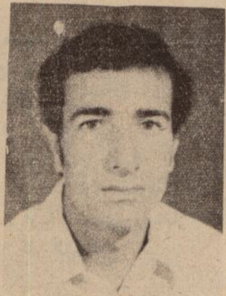

الاسم : الحبيب عباس
البلد : تونس
السن : ٢٠ سنة
المهنة : ميكانيكى سفن
الهواية : المراسلة وتبادل المجلات
الاسلامية
العنوان : المدرسة البحرية .
قليبية . تونس

الاسم : ناصر الدين شعبان
البلد : تونس
السن : ٢٢ سنة
المهنة : طالب
الهواية : المراسلة وتبادل الآراء
العنوان : معهد البحوث الزراعية .
الافارق . باجه

الاسم : محمد صالح العجيلى
البلد : تونس
السن : ٢٨ سنة
المهنة : تاجر
الهواية : قراءة المجلات الدينية
والمراسلة
العنوان : مخبزة الهادى بن شهيدة
شارع ١٨ جانفى القصرين

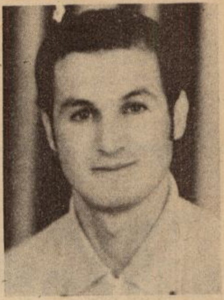

الاسم : سومع عبد السلام
البلد : المغرب
السن : ٢٨ سنة
المهنة : استاذ
الهواية : جمع الطوابع
والقراءة الدينية
العنوان : اعواذا ـ بوبيناز ـ
تمسمان ٢٤ الناضور

الاسم : معوض مهدى عبد الحميد
البلد : ج . م . ع
السن : ٢١ سنة
المهنة : موظف
الهواية : مراسلة الشباب المسلم
العنوان : بلفيا / بنى سويف

الاسم : سعيد حمزه ابراهيم
البلد : الكويت
السن : ٢٥ سنة
المهنة : موظف
الهواية : الاطلاع الدينى والمراسلة
العنوان : الكويت .
السالمية ص . ب ٥٨

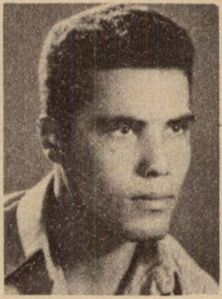

الاسم : محمد على مصطفى
البلد : ج . م . ع
السن : ٢٩ سنة
المهنة : مهندس ديكور [مدرس]
الهواية : الاطلاع على فن المعمار الاسلامى
العنوان : المدرسة الثانوية الصناعية / قسم الزخرفة / المنصورة

الاسم : مصطفى محمد احمد الهنداوى
البلد : ج . م . ع
السن : ٢٨ سنة
المهنة : مدرس اول علوم
الهواية : القراءات الدينية
والاطلاعات الصوفية
العنوان : عزبة الهنداوى/ابشان/
كفر الشيخ

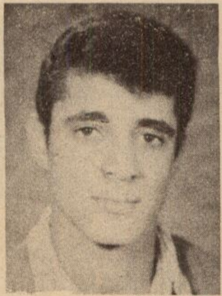

الاسم : حسين عبد الغنى مكاوى
البلد : ج . م . ع
السن : ٢٥ سنة
المهنة : عامل
الهواية : المعرفة الدينية والاطلاع
العنوان : منزل الحاج شرقاوى /
العامرية / الاسكندرية

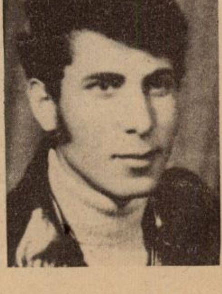

الاسم : محمود محمد عباس
البلد : ج . م . ع
السن : ٢٤ سنة
المهنة : مهندس فنى [مدرس]
الهواية : المراسلة والاطلاع الدينى
العنوان : المدرسة الثانوية التجارية /
قلين

الاسم : صلاح خليل منصور احمد
البلد : ج . م . ع
السن : ٢٠ سنة
المهنة : طالب
الهواية : الاطلاع الدينى والمراسلة
العنوان : شارع السوق الفوقانى
بجوار الجامع الجديد /
قنا

فى هذا العدد

■ معالم الطريق	نص الحديث التاريخى الهام الذى أدلى به الرئيس المؤمن محمد انور السادات الى التليفزيون المصرى ٢٧ / ١٢ / ١٩٧٧م		٤
■ دراسات قرآنية	تفسير سورة آل عمران	الأستاذ أحمد حسين	١٢
	إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون	الشيخ عبد الجليل عيسى	٢١
	كل الكلمات أصلية لا زائدة فى القرآن الكريم	الدكتور أحمد الحوفى	٢٤
	خصائص القصة القرآنية	الأستاذ فتحى رضوان	٢٧
	من أمثال القرآن الكريم	الشيخ أحمد كامل الخضرى	٣٢
	القصة القرآنية والكرامة الآدمية	الدكتور عبد الغنى الراجحى	٣٥
	تاملات فى البيان القرآنى ـ الصورة القرآنية	الدكتور ابراهيم عوضين	٣٨
	قضايا فكرية فى فهم العربيه ـ فى الأسلوب القرآنى	الدكتور محمد بدرى عبد الجليل	٤٠
	من أخلاق القرآن ـ التحدث بنعمة الله	الدكتور أحمد الشرباصى	٤٣
	من علوم القرآن ـ المناسبة والفاصلة	الدكتور محمد عبد المنعم القيعى	٤٦
	فوائد اختلاف القراءة	الشيخ محمود حافظ برافق	٤٨
	صور من القرآن الكريم ـ		
	فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون	الشيخ محمد متولى المراكبى	٤٩
	من دقائق القرآن	الدكتور عبد المنعم سيد حسن	٥١
	الفكر القرآنى ودعوة ابن تيمية	الدكتور ابراهيم هلال	٥٣
	العلم فى القرآن . والله أعلم بما وضعت ـ	الدكتور أحمد حسنين القفل	٥٦
	هذا الانسان الذى كرمه ربه	الدكتور عبد الغنى عبود	٦٠
	من أصول المعاملات فى القرآن الكريم	الدكتور على أحمد مرعى	٦٢
	من خلال الخليل عليه السلام	الأستاذ عارف الحجاجى	٦٥
	الجانب الحضارى فى القرآن الكريم	الدكتور عبد الفتاح محمد سلامه	٦٧
■ التشريع الاسلامى	الحدود وحكمة تشريعها وأثر تطبيقها	الشيخ محمد خاطر	٧٢
	فى أصول الفقه .. المصلحة المقصودة للشارع		
	فى شرع الأحكام	الدكتور محمد سعاد جلال	٧٤
	الاعجاز العلمى للسنة النبوية ـ الرحمة فى القتال	الدكتور عبد الرزاق نوفل	٧٧
	هذا هو الاسلام قوام البشرية ـ تعدد الزوجات	الشيخ محمود ابراهيم طيرة	٧٨
	القضاء فى الاسلام ـ شهادة النقل	الدكتور محمد عبد المنعم خميس	٨١
	سبل السعادة فى القرآن الكريم ـ الحب ـ	الدكتور دياب عبد الجواد عطا	٨٣
	صلة الأرحام	الأستاذ محمد حسين الجلالى	٨٧
	الحب وحلاوة الايمان	الأستاذ عبد الله محمد كامل	٨٩
■ الدعوة والدعاة	يشرف على تحريره: منصور الرفاعى عبيد/	فؤاد هيبه/ على عيسى	
	حديث إلى الأئمة		٩٢
	منهج الاسلام فى تربية الشباب ـ وقامت الدولة ـ	الشيخ منصور الرفاعى عبيد	٩٥
	ولله عاقبة الامور	الأستاذ عبد السلام الشاذلى القوصى	٩٩
	القرآن الكريم وأثره فى حياة العرب	الشيخ عبد المؤمن حسن مجاهد	١٠٢
	الأولياء فى ضوء القرآن والسنة	الشيخ محمد ابراهيم ماضى	١٠٤
	الدعوة الى السلام عبر دماء الشهداء	الشيخ عبد الرحمن النجار	١٠٧
	الاسلام يصون الأمن ويحمى السلام	الشيخ محمد حافظ سليمان	١٠٩
	قبسات من زهد الفضلاء	الأستاذ محمد محمد عبد اللطيف ابن الخطيب ..	١١٢
	الله جل جلاله	الشيخ أحمد على منصور	١١٥
	دعائم السلم فى ضوء الوحى والتاريخ	الدكتور زكى مشعل	١١٨

	الدعوة الاسلامية والاعلام	الأستاذ محمد كمال الدين	١٢١
	يعقوب يوصى بنيه باتباع نبى الاسلام	الدكتور أحمد حجازى السقا	١٢٣
	جهاد النفس	الدكتور ابراهيم الدسوقى خميس	١٢٧
	التدبر فى مخلوقات الله	الأستاذ على عيسى	١٢٩
■ التصوف الاسلامى	الصوفية فى الهامهم	الأستاذ حسن كامل الملطاوى	١٣٢
	مع تجليات أسماء الله الحسنى	الأستاذ زكريا عامر البكرى	١٣٧
■ العلم والايمان	من ملامح واخلاق مجتمع العلم والايمان	الشيخ مصطفى عبد الحليم الجندى	١٤٢
	السلام بمفهومه الاسلامى	الأستاذ أحمد واف	١٤٦
	على طريق العودة	الأستاذ عبد العظيم منصور	١٤٩
	الاسلام والسلام	الأستاذ مأمون غريب	١٥٤
	رحلة السادات بواعث وأهداف	الشيخ موسى محمد على	١٥٦
	التضامن والتعاون	الأستاذ محمد رجاء حنفى	١٥٩
	حوار مع ملحد	الأستاذ على عبد الهادى	١٦١
	العلم فى نظر الاسلام	الشيخ صلاح الدين محمد	١٦٤
	أمام الأحـــداث	الأستاذ عبد العليم المهدى	١٦٥
	الاسلام بين السماحة والسلام	الأستاذ عبد الحكيم النجار	١٦٩
	وعاد السلام إلى بيت المقدس	الأستاذ محمد حسن عبد العزيز	١٧١
	كلمات عن حقوق الانسان	الأستاذ صلاح عزام	١٧٤
■ الفن الاسـلامى	الخط العربى واستخداماته الزخرفية	الدكتورة سعاد جمعه	١٩٠
■ القصة الاسلامية	رجل ومعارك [خباب بن الأرت]	الأستاذ محمد صالح	١٩٦
■ الشعر الاسلامى	نشيد العام الهجرى	الشيخ الصاوى شعلان	١٩٨
	إنه يهـدى العصى	الشاعر عبد المنعم محمد عيسى	١٩٩
	إنا فداء له والله يرعاه	الشاعر محمود أبو الفتوح	٢٠٠
	تحية إلى بطل الحرب والسلام	الشاعر عبد المنعم عبد الله حسن	٢٠٠
	يا أنور الرأى	الشاعر كامل عبد الجواد القاياتى	٢٠١
	أيقظى العالم يا مصر	الشاعر اللبنانى سليم الرافعى	٢٠٢
■ الطب فى الاسلام	الطب الوقائى بين الهدى النبوى ونظريات الطب الحديثة	الدكتورة ابتسام عبد الحليم	٢٠٤
■ شخصيات إسلامية	الحسن بن على رضى الله عنه	الأستاذ توفيق أبو علم	٢٠٨
	السيدة زينب رضى الله عنها فى مصر	الأستاذ عبد الودود محمد طه	٢١١
	الامام الشافعى رضى الله عنه	الأستاذ عبد المعطى اسماعيل عباده	٢١٤
	أبو الفتح عثمان بن جنى	الدكتور حامد محمد شعبان	٢١٥
	من علماء الحديث [الامام الحافظ الذهبى]	الدكتور محمد مبارك السيد	٢١٨
■ المكتبة الاسلامية	قراءات جديدة فى كتب قديمة	الأستاذ صبرى أبو المجد	٢٢٢
	صفحات من التراث ـ فى أدب النفس	الأستاذ مصطفى كامل خطاب	٢٢٥
	أضواء على كتاب (الشيخان)	الأستاذ محمد عبده قناوى	٢٣١
	تفسير الشيخ محمود شلتوت	الدكتور منيع عبد الحليم محمود	٢٣٦
■ الافتاء	أنت تسأل والمفتى يجيب	الدكتور عبد الحليم محمود	٢٣٩
■ الأسرة المسلمة	المرأة الأم فى القرآن الكريم	الأستاذة سهير محمد الحلبى	٢٤١
	مع القراء	إعداد فؤاد هيبه	٢٤٣
	بريد التعارف		٢٤٥

حن نقدم
لرجال الأعمال والفنادق وشركات
لانفتاح الاقتصادى

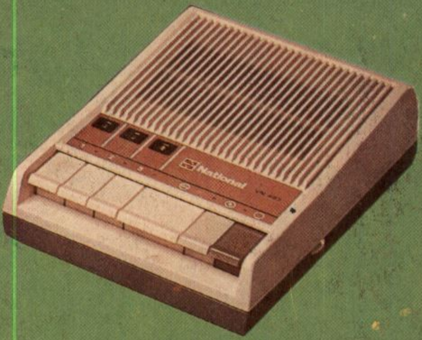

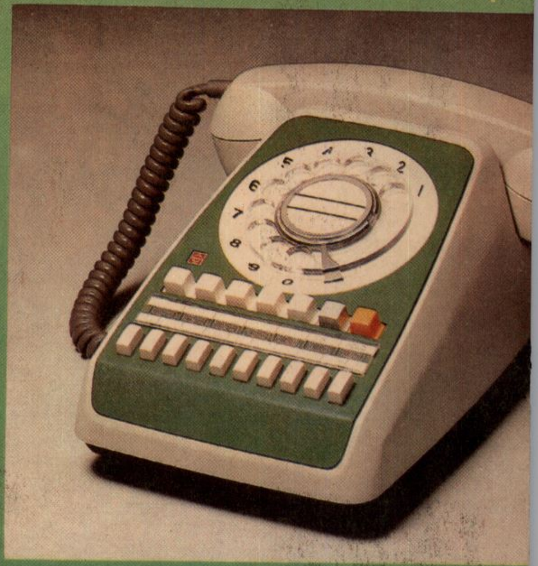

أجهزة تليفون لعدة
خطوط داخلية وخارجية
أجهزة نداء آلى
من
منتجات

ناشيونال
National

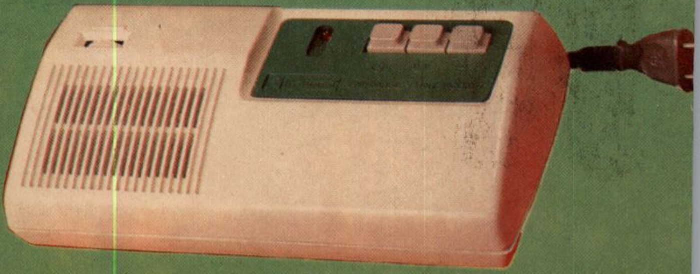

ة الاستعلامات :

ركة النصر الفطيم للتجارة
شركة
مساهمة
مصرية

زخدمة ناشيونال : ٦ شارع الخطيب بالدقى تليفون : ٨٤٨٥٥٢

الشرق للتأمين
مظلة الأمان الدائمة لبراعم المستقبل
نحصن مستقبلهم باختيار أى نوع
من أنواع التأمين المبتكرة
• الشرق الجديدة
• المختلط مع الاشتراك فى الأرباح
• المختلط على شخصين
• المهر والتعليم
• مختلط معاش
• الوالد والطفل
• الميسرة
سيد رضوان
شركة الشرق للتأمين
المركز الرئيسى :
١٥ شارع قصر النيل - ا